

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحتقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الرابع

١٣٩٥ م = ١٩٧٦ م

دار الشرف

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة تسع من الهجرة

ذكر غزوة تبوك في رجب منها

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خِفتم عيلةً فسوف يُفنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدّينون دين الحق من الذين أوتوا الكتابَ حتى يُعطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون . »

روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبّير وقتادة والضحاك وغيرهم : أنه لما أمر الله تعالى أن يُمنع المشركون^(١) من قُرْبان المسجد الحرام في الحج وغيره ، قالت قريش : لتنقطن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كننا نصيب منها . فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم ، لأنهم أقربُ الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله . وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار وليَجِدُوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين »^(٢) .

فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزو الروم عام تبوك وكان ذلك في حرّ

شديد وضيق من الحال ، جَلَى للناس أمرها ودعا مَنْ حَوَّلَهُ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَعْرَابِ للخروج معه فأوعب معه بشرٌ كثير . كما سيأتى . قريبا من ثلاثين ألفا ، وتَخَلَّف آخرون ، فعتاب الله من تَخَلَّف منهم لغير عذر من المناققين والمقصرين ، ولأَمَهُمْ وَوَبَّحَهُمْ وقرَّعَهُمْ أَشَدَّ التقريع وفضَّحَهُمْ أَشَدَّ الفضيحة وأنزل فيهم قرآنا يتلى ، ويَبِّينُ أَمْرَهُمْ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ ، كما قد بينا ذلك مبسوطا في التفسير . وأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَرِّ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فقال تعالى : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكُ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَهُمُ الْكَاذِبُونَ » ثم الآيات بعدها .

ثم قال تعالى : « وما كان المؤمنون إِيْتَفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » فقيل إن هذه ناسخة لتلك وقيل لا . قاله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب - يعنى من سنة تسع - ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم .

فذكر الزهرى^(١) ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعضٌ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُشْرَةِ مِنَ النَّاسِ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ وَجَذَبٍ مِنَ الْبَلَادِ وَحِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ ، فالتاس

(١) ابن هشام : وقد ذكر لنا الزهرى .

يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشَّخصَ في الحال^(١) من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّ ما يخرج في غزوة إلا كَفَى عنها ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه يَبْنِيها للناس لبُعْد الشَّقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يَصُمِد إليه ليتأهب الناس لذلك أهْبته ، فأمرهم^(٢) بالجهاز^(٣) وأخبرهم أنه يريد الروم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قيس أحد بني سلمة : « ياجَد هل لك العام في جِلَاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله أوتأذن لي ولا تَفْتَنِي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجلٌ بأشدَّ عُجْباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أضبر .

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « قد أذِنْتُ لك » ففي الجَدِّ أنزل الله هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تَفْتَنِي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطةٌ بالكافرين »

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنفروا في الحر زهادةً في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فأَنزل الله فيهم : « وقالوا لا تَنفروا في الحرِّ قُلْ نارُ جهنم أشدُّ حرًّا لو كانوا يَفْقَهُون ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءُ بما كانوا يَكْسِبُونَ » .

قال ابن هشام : حدثني الثَّقَةُ عن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه عن جده قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سَوَيْلَم اليهودي - وكان بيته عند

(٢) ١ : فأمر .

(١) ابن هشام : على الحال .

(٣) لأصل : بالجهاد . وما أُنْبِته عن ابن هشام .

جاسوم - يَنْبُطُونَ النَّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة فاتحهم الضحاك بن خليفة من ظُهر البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلقوا ، فقال الضحاك في ذلك :

كَادَتْ وَيْتِ اللهُ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَاكُ وَابْنُ أُيَيْرِقِ
وَوَلَّتْ وَقَدْ طَبِقَتْ كِبْسُ سُوَيْلِمٍ أَنُوهُ عَلَى رَجُلٍ كَسِيرًا وَمِرْفَقِ^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمَثَلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرِقِ

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش^(٢) ، وحضَّ أهلَ الغنى على النفقة والخلان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً .

قال ابن هشام : فحدثني من أتق به أن عثمان أنفق في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارضَ عن عثمان فإنني عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا قتيبة بن شاذب ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثة مولى عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العُسرة . قال : فصَبَّها في حِجْرِ النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عفانَ ما عملَ بعدَ اليوم ! » .

ورواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقع ، عن ضمرة به . وقال :

حسن غريب .

وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه . حدثني أبو موسى العنزي ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني سكن بن المغيرة ، حدثني الوليد بن أبي هشام ، عن فرقد أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خباب السامي ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذى عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريب من هذا الوجه .

ورواه البيهقي من طريق عمرو بن مرزوق ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مرات . وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها .

قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : « ماضراً عثمان بعدها - أو قال - بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوران ، عن الأحنف بن قيس ، قال : سمعت عثمان بن عفان يقول لسعد ابن أبي وقاص وعلى والزبير وطلحة : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهّز جيش العسرة غفر الله له » فجهّزهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائي من حديث حصين به .

فصل

فمن تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم

قال الله تعالى : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين . رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ، أعدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك الفوز العظيم . وجاء المُعَذَّرُونَ من الأعراب ليؤذَنَ لهم وقعد الذين كذَّبوا الله ورسوله ، سيُصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ، ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصَحوا الله ورسوله ما على الحسنيين من سبيل والله غفورٌ رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، إنما السبيلُ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ^(١) » .

قد تسكلمنا على تفسير هذا كله في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .
والمقصود ذِكْرُ البكائين الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون ، تأسفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم .

فبن عمرو بن عوف : سالم بن حمير ، وعُلبَة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبوليلي
عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُصَماء بن الجُوح أخو بني
سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمرو المزني
وهرمي^(١) بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية الخزاري .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن ابن يامين بن حمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى وعبد الله
ابن مغفل وهما يبيكان ، فقال : ما يبيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما
ناضجاً له فارتحلاه وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق : وأما عُلبَة بن زيد فخرج من الليل فصلى
من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، ثم لم تجعل
عندي ما أتقوى به ، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني أتصدق على كل مسلم
بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض .

ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدق هذه
الليلة ؟ » فلم يبق أحد ، ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أبشِرْ فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة ! » .

وقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا حديث أبي موسى الأشعري فقال : حدثنا أبو عبد الله
الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الحميد المازني ، حدثنا أبو
أسامة ، عن بُريد ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله

(١) في شرح الواهب ٦٧/٣ : وحرى . بفتح المهملة .

صلى الله عليه وسلم أسأله لهم الخيلان إذ هم معه في جيش العسرة [وهو في (١)] غزوة تبوك، فقلت : يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحمّلهم. فقال : « والله لا أحملكم على شيء » ووافقته وهو غضبان ولا أشعر .

فرجعت حزينا من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي : أين عبد الله بن قيس ؟ فأجبت به فقال : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك . فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خذ هذين القرنين (٢) وهذين القرنين وهذين القرنين » لست أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فقال : « انطلق بهن إلى أصحابك قل : إن الله أو إن رسول الله يحملك على هؤلاء » .

فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملك على هؤلاء ، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله حين سأله لكم ومنعه لي في أول مرة ثم إعطائه إياي بعد ذلك ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئا لم يقله . فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعن ما أحبيت .

قال : فانطلق أبو موسى بنفر منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم من منعه إياهم ثم إعطائه بعد فحدثوهم بما حدثهم به أبو موسى سواء . وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن أبي كريب ، عن أبي أسامة . وفي رواية لهما عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعرين ليحملنا فقال : « والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه » .

قال : ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب إبل ، فأمر لنا بست ذود عرّ الذرى (٣) فأخذناها ثم قلنا : تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه والله لا يبارك لنا .

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) القرنان : البعيران الشدود أحدهما إلى الآخر . أو النظيران المتساويان . وفي ١ : القرنين .

(٣) عرّ الذرى : صفة السنام .

فرجعنا فقلنا له فقال : « ما أنا حَمَلْتُكُمْ ولكن الله حَمَلَكُمْ » ثم قال : « إني والله إن شاء الله لأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ وتحلَّتها » .

قال ابن إسحاق : وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم الغيبة ^(١) حتى تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شك ولا ارتياب .

منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ، ومَرارة بن ربيع أخو بني عمرو ابن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ، وأبو خَيْثمة أخو بني سالم بن عوف ، وكانوا نفر صدق لا يُتهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطة قريباً إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه » .

وأما أبو خَيْثمة فإنه عاد وعزم على اللحق برسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي .

فصل

قال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق : ثم استقْبَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سَفَره وأجمع السَّير ، فلما خرج يوم الخميس ضَرَبَ عسكره على ثَلِيَّةِ الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضربَ عَبْدُ الله بن أبيّ عدو الله عسكره أسفل منه - وما

(١) ابن هشام : الغيبة .

كان فيما يزعمون بأقل العسكرين .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الرئب .

قال ابن هشام : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري قال : وذكر الدراوردي أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عرفة .
قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استنقالاته وتحققا منه .

فلما قالوا ذلك أخذ عليٌ بسلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا ، فقال : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلقني في أهلي وأهلك . أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيء بعدى » .

فرجع عليٌ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره .

ثم قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد : خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليٌّ بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله أتحلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون

منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى .
وأخرجاه من طرق عن شعبة نحوه . وعلقه البخارى أيضا من طريق أبى داود
عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بُكير بن
مسار ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له -
وخلقه في بعض مغازيه فقال على : يا رسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا على
أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى » .
ورواه مسلم والترمذى عن قتيبة . زاد مسلم ومحمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسماعيل
به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رجع بعد ما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عَرِيشٍ لهما في حائطه ، قد رشت كل
واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيات له فيه طعاما .
فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم في الصَّحِّ^(١) والريح والحر ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظلِّ بارد وطعام مُهِمًّا
وامرأة حسناء في ماله مقيم ! ما هذا بالنِّصْف . والله لا أدخل عريشَ واحدة منكما حتى ألحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فهِثًا زادا . ففعلتا .
ثم قدَّم ناضحه فارتحلها ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه
حين نزل تبوك .

وقد كان أدرك أبا خَيْثَمَةَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ في الطريق يطلب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمر بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعل .

حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مُقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أبا خيثمة » فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة .

فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أُولَى لك يا أبا خيثمة ! » ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيراً ودعا له بخير .

وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصة أبي خيثمة بنحو من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه عليه السلام إلى تبوك كان في زمن الخريف فالله أعلم .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيس في ذلك :

لما رأيتُ الناس في الدَّينِ نَافَقُوا أَنَيْتُ التي كانتُ أعفٍ وأكرماً
وبابعتُ باليمنِ يَدِي لِمُحَمَّدٍ فلم أَكْتَسِبْ إِثْماً ولم أَغْشَ حَرَمًا
تَرَكْتُ خَضِيبًا في العَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرَهَا قد تَحَمَّمًا^(١)
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمَنَافِقُ أَسْمَحْتُ إلى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

وقال يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ ، عن سَفِيَّان^(٢) ، عن محمد بن كعب القُرْظِي ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجلُ يتخلف فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان .

(١) الخَضِيبُ : المرأةُ الخَضُوبَةُ . والصِرْمَةُ : القطعة من الإبل ، وهو يريد هنا : الطائفة من النخل .
والصَفَايَا : السَّكْبَةُ الثَّمَرُ . وتَحَمَّمُ : أَخَذَ في الإِرْطَابِ فَنَلَوْنَ بالسَّوَادِ . (٢) ١ : بُرَيْدَةُ بن سَفِيَّانِ .

فيقول : « دَعُوهُ ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُصْلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطلأ به بعيره . فقال : « دَعُوهُ إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُصْلِحْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

فتلوم^(١) أبو ذر بعيره ، فلما أبطلأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازلهم ونظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ! يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » .

قال فضرب [الدهر^(٢)] ضَرْبَهُ ، وَسَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلأمه فقال : إِذَا مِتُّ فَأَغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ ضَمَّانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأُولُ رُكْبٍ يَمْرُونَ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ .

فلما مات فعلموا به كذلك ، فاطَّلَعَ رُكْبٌ فَا عُلِمُوا بِهِ حَتَّى كَانَتْ رُكْبُهُمْ تَطْلُأُ سَرِيرَهُ ، فِإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : جَنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ فَاسْتَهْلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَقَالَ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ ! » فَزَلْ فَوَلَّيْهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجَنَّهُ .

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَلَمْ يَخْرُجْ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله : « الذين اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجال والثلاثة على بعير واحد ، وخرجوا في حر شديد فأصابهم في يوم عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرة في النفقة وعسرة في الظَّهر^(١) .

قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحداً ليذهب فيلتمس الرَّحْلَ فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر قرنته فيشربه ثم يحمل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا . فقال : « أو تحب ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء فأطلت^(٢) ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لهاجاوزت^(٣) العسكر .

إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، أن هذه القصة كانت وهم بالحِجْر وأنهم قالوا الرجل معهم منافق : ويحك هل بعد هذا من شيء ؟ ! فقال : سحابة مارة !

وذكر أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلَّت فذهبوا في طلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمارة بن حزم الأنصاري - وكان عنده : « إن رجلاً قال : هذا

(١) من الظهر . (٢) قالت السماء : تهيأت للطر . وأطلت : أمطرت مطراً خفيفاً .

(٣) : جازت به .

محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقة ! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستها شجرة بزمامها .

فانطلقوا فجاؤا بها ، فرجع عمارة إلى رحله ، فحدثهم عما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبر الرجل ، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللصيت^(١) . وكان في رحل عمارة قبل أن يأتي ، فأقبل عمارة على زيد ينجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لدهاية وأنا لا أدري ، أخرج عني يا عدو الله فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيدا تاب ، وقال بعضهم : لم يزل مُصرّاً^(٢) حتى هلك .

قال الحافظ البيهقي : وقد روينا من حديث ابن مسعود شبيهاً بقصة الراحلة . ثم روى من حديث الأعمش وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري - شك الأعمش - قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنفجر نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعلوا » .

فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظّهر ، ولكن ادعهم بفضّل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله : نعم . فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل ينجى بكف ذرة وينجى الآخر بكف من التمر وينجى الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة

(١) قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب . (٢) ح : متهما بفكر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلتقى الله بها عبدٌ غير شاكٍ فيحجب عن الجنة » .

ورواه مسلم عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به . ورواه الإمام أحمد من حديث سهيل عن أبيه ، عن أبي هريرة ولم يذكر غزوة تبوك بل قال : كان في غزوة غزاها .

ذكر مروره عليه السلام في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود
وصرختهم بالحجر

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من مياهها شيئا ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فأغلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا » .

هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعمر بن بشر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا معمر عن الزهري ، أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكم ما أصابهم » وتقع بردائه وهو على الرّحل .

ورواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمر

بإسناده نحوه .

وقال مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء المعتذرين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل أصابهم » .

ورواه البخارى من حديث [مالك ومن حديث ^(١)] سليمان بن بلال ، كلاهما عن عبد الله بن دينار . ورواه مسلم من وجه آخر عن عبد الله بن دينار نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر - هو ابن جويرية - عن نافع ، عن ابن عمر قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفس عام تبوك الحِجْر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعبثوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور وعلفوا العجین الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا [فقال] : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم » .

وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس بن عياض ، عن أبي ضمرة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

قال البخارى : وتابعه أسامة عن عبيد الله .

ورواه مسلم من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله عن نافع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحِجْر

قال : « لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٌ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ^(١) وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَمَقَرُّوْهَا ، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَيْلَهَا يَوْمًا ، فَمَقَرُّوْهَا فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْدَا اللَّهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ .

قيل : من هو يارسول الله ؟ قال : « هُوَ أَبُو رِغَالٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ » .

إسناده صحيح ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودي ، عن إسماعيل بن واسط ، عن محمد بن أبي كعبشة الأماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناسُ إلى أهل الحِجْرِ يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنودي في الناس : الصلاة جامعة .

قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعميره وهو يقول : « مَاتَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟ » فناداه رجل : نَعَجَبَ مِنْهُمْ . قال : « أَفَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِأَنْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَنْبِئُكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنْ بَعْدَكُمْ ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْأُ بِعَذَابِكُمْ شَيْئًا ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ شَيْئًا » .

إسناده حسن ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي - أو عن العباس بن سعد الشك مَنى - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالحِجْرِ ونزلها واستقى الناسُ من بئرِها ، فلما راحوا

منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجبين عجتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » .

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُفق على مذهبه^(١) ، وأما الذى ذهب في طلب بعيره فاحتلمته الريح حتى ألقته بجبل طيئ ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « ألم أنحكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له » .

ثم دعا الذى أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك .

وفي رواية زياد عن ابن إسحاق أن طيئاً أهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن العباس بن سهل سمي له الرجلين ، لكنه استكتمه إياهما فلم يحدثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب بن خالد ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبي حميد الساعدي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأة في حديقة لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « اخرصوا » فخرص القوم وخرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة : « أحصى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » .

(١) خفق على مذهب : في موضع قضاء الحاجة .

قال : نخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة فلا يقوم فيها رجل ، فمن كان له بعير فليوثق عقاله » .

قال أبو حميد : ففعلناها ، فلما كان من الليل هبت علينا ريحٌ شديدة ، فقام فيها رجل فالقته في جبل طي .

ثم جاء رسول الله ملكٌ أيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله بُرداً وكتب له يُخبرهم ^(١) .

ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى فقال للمرأة : « كم جاءت حديثك ؟ » قالت : عشرة أوسق . خرص رسول الله .

فقال رسول الله : « إني متمجِّل ، فمن أحب منكم أن يتمجِّل فليفعل » قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة قال : « هذه طابة » . فلما رأى أحداً قال « هذا أحد ^(٢) يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنو عبد الأشهل ، ثم دار بنو ساعدة ، ثم في كل دور الأنصار خير » .

وأخرجه البخاري ومسلم من غير وجه عن عمرو بن يحيى به نحوه . وقال الإمام مالك رحمه الله عن أبي الزبير ^(٣) ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال :

(١) الأصل : يخبرهم . وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام

(٢) ح : هذا جبل . (٣) ١ : عن بني الزبير . وهو تحريف .

« إنا نكم ستأتون غداً إن شاء الله عین تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى » .

قال : فغُثِّناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك ^(١) تَبَضُّ بشيء من ماء ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » ، قالا : نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله أن يقول ، ثم غرَفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شَنٍّ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جَنَاناً » .

أخرجه مسلم من حديث مالك به .

ذكر خطبته عليه السلام إلى تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وحبَّاج ابن محمد ، ثلاثتهم عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلة فقال :

« ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شرِّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه » .

ورواه النسائي عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقي من طريق يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد العزيز بن عمران ،

(١) : مثل الشمال . وهو تحريف .

حدثنا مصعب بن عبد الله ، عن منظور بن جميل بن سنان ^(١) ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامر الجهني ، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فاسترقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رُمح ، قال : « ألم أقل لك يا بلال اكلاً لنا الفجر ؟ » فقال : يا رسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك .

قال : فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وسار بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

« أيها الناس أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ^(٢) وشر الأمور مُحْدَثَاتُهَا ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعنى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال مانفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألّهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْرًا ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هَجْرًا ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغُلُول من حَتَّى ^(٣) جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حَبَائِلُ الشيطان ، والشباب شُعبَة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعِظ بغيره ،

(١) ت : يسار

(٢) العوازم : الفرائض التي عزم الله بفعلها . (٣) الحثاء : التراب المحشو

والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحسكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرّوايا روايا الكذب ، وكل ماهو آت قريب ، وسيباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يقاتل على الله يكذّبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعفّ يعفّ الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرّزية يعوّضه الله ، ومن يبتغ السّعة يسمّع الله به ، ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي « قالها ثلاثاً ثم قال : « أستغفر الله لي واسمكم » .

وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفي إسناده ضعف . والله أعلم بالصواب .
وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني وسليمان بن داود ، قالا : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبيه ، أنه نزل بقبوك وهو حاج فإذا رجل مُقعد ، فسألته عن أمره فقال : سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أني حتى . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بقبوك إلى نخلة فقال : هذه قبلتنا . ثم صلى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلام أسعى حتى مررتُ بينه وبينها ، فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره .

قال : فماقتُ عليها إلى يومى هذا .
ثم رواه أبو داود من حديث سعيد بن^(١) عبد العزيز التّنوخي ، عن مولى ليزيد ابن نمران ، عن يزيد بن نمران ، قال : رأيت بقبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على حمار وهو يصلي فقال : اللهم اقطع أثره . فامشيت عليها بعد . وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » .

(١) الأصل : عن عبد العزيز . وما أثبتته عن سنن أبي داود ١١٢/١ .

ذكر الصلاة على معاوية بن أبي معاوية إن صح الخبر في ذلك

روى البيهقي من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثَّقَفِي ، قال سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَبُوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريلُ رسولَ الله فقال : « يا جبريل مالى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » .

قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « ومم ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته : « قل هو الله أحد » بالليل والنهار وفي تمشاه وفي قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : نعم . قال : فصلى عليه ثم رجع .

وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيد هذا ^(١) وقد تكلموا فيه .

ثم قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفَّار ، حدثنا هشام بن علي ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدثنا محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : جاء جبريل فقال : يا محمد مات معاوية بن أبي معاوية المزني ، أفتحب أن تصلى عليه ؟ قال : نعم . فضرب بجناحه فلم يبق من شجرة ولا أكمة إلا تضرعت له . قال : فصلى وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ، قال قلت : « يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبه « قل هو الله أحد » يقرؤها قائما وقاعدا ، وذاهبا وجائيا ، وعلى كل حال .

قال عثمان : فسألت أبي أين كان النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بغزوة تبوك

بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريرته ، حتى نظر إليه وصلى عليه .
وهذا أيضا مُنكر من هذا الوجه .

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : لقيت التَّوْخِيَّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحصر ، وكان جاراً لى شيخاً كبيراً قد بلغ العقد أو قرب ، فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ؟ قال : بلى .

قدِم رسولُ الله تبوكَ ، فبعث دِخْيَةَ الكلبي إلى هرقل ، فلما أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قسّيس الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إلى يدعوني إلى ثلاث خصال ، يدعوني أن أتبعه على دينه ، أو على أن نعطيهم مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرقتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذنَّ [أرضنا]^(١) فهل فلننّبعه على دينه أو نعطيهم مالنا على أرضنا .

فنفخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا : تدعوننا إلى أن نذّر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز .

فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم^(٢) ولم يكذ . وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصاري العرب قال : ادع لي رجلاً حافظاً

(٢) رفأهم : سكنهم .

(١) من مسند أحمد .

للحديث عربى اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه .

فجاء بى ، فدفع إلىَّ هرقلُ كتابا فقال : اذهب بكتابى إلى هذا الرجل ، فما سمعتَ من حديثه فاحفظ لى منه ثلاث خصال : انظر هل يذكّر صحيفته إلى التى كتبت بشيء وانظر إذا قرأ كتابى فهل يذكّر الليل ؟ وانظر فى ظهّره هل به شيء يريبك ؟

قال : فانطلقت بكتابيه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظهّرائى أصحابه مُحتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : هاهو ذا .

فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابى فوضعه فى حجره ثم قال : « من أنت » فقلت أنا أخوتنوخ : قال : « هل لك إلى الإسلام الخفيفة ملة أبيك إبراهيم ؟ » قلت : إني رسولُ قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : « إنك لا تهذى من أحبيتَ ولكن الله يهذى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى والله ممزّقه وممزق مُلكه ، وكتبت إلى النجاشى بصحيفة فخرها والله مخرقه ومخرق ملكه . وكتبتُ إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا مادام فى العيش خير .

قلت : هذه إحدى الثلاث التى أوصانى بها صاحبي .

فأخذت سهماً من جعيتى فكتبتها فى جنب سيفى ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحبُ كتابكم الذى يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية فإذا فى كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار » .

قال : فأخذت سهماً من جعيتى فكتبته فى جلد سيفى .

فلما أن فرغ من قراءة كتابى قال : « إن لك حقاً وإنك لرسول ، فلو وجدتُ عبدنا جائزةً جوّزناك بها ، إنا سنُمرّملون » قال : فناداه رجل من طائفة الناس قال :

أنا أجوزّه ، ففتح رَحله فإذا هو يأتى بحملة صُفُورِيَّة فوضعها فى حجرى ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لى : عثمان .

ثم قال رسول الله : « أَيْكُمْ يُنْزَلُ هَذَا الرَّجُلُ ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصارى وقمت معه حتى إذا خرجتُ من طائفة المجلس نادانى رسول الله فقال : « تعال يا أَخَا تَنْوُخٍ » فأقبلتُ أَهْوَى حتى كنت قائماً فى مجلسى الذى كنت بين يديه ، فجلَّ حَبُوتُه عن ظَهْرِهِ وقال : « هاهنا امض لما أُمِرْتُ بِهِ » فجَلَّتُ فى ظَهْرِهِ فإذا أنا بخاتم فى موضع عُضْوَنِ السَّكِيفِ مِثْلَ الْحَجْمَةِ ^(١) الضَّخْمَةِ .

هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد .

مصالحته ^(٢) عليه السلام ملك أيلة وأهل جَرْبَاءَ وأذرح

وهو مخيم على تبوك قبل رجوعه

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحب أَيْلَةَ ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاءَ وأذْرُحَ فأعطوه الجزية .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم .

فكتب لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَةَ وأهل أيلة : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذه أَمْنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَةَ وأهل أَيْلَةَ سفنهم وسيَّارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله و [ذمة] ^(٣) محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثًا فإنه لا يَحُولُ مَالُهُ دون نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا ماءً يردونه ولا طريقاً يردونه ^(٤) من بر أو بحر .

(٢) ت : كتابه (ص) لِيُحَنَّةَ .

(٤) ابن هشام : يريدونه .

(١) الحجمة : التواء

(٢) من ابن هشام .

زاد يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتاب جُهِيم بن الصَّلْت
وشرَحْبِيل بن حَسَنَة بإذن رسول الله .

قال يونس عن ابن إسحاق : وكتب لأهل جَرْبَاء وأذْرُح : « بسم الله الرحمن الرحيم ،
هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جَرْبَاء وأذْرُح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان
محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل
بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » .

قال : وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل أَيْلَة بُرْدَة مع كتابه أماناً لهم . قال :
فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار .

بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَام خَالِد بن الوليد إلى أَكِيدِر دومة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى
أَكِيدِر دُومَة ، وهو أَكِيدِر بن عبد الملك رجل من بني كِنْدَة ^(١) كان ملكاً
عليها وكان نصرانياً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده
يصيد البقر » .

فخرج خالد حتى إذا كان من حِصْنِهِ يَنْظُر العَيْن وفي ليلة مُقَمَّرَة صائفة وهو على
سطح له ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكّ بقرونها بابَ القصر ، فقالت له امرأته : هل
رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد .

فنزّل فأمر بفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حَسَّان ،
فركب وخرجوا معه بِمِطَارِدِهِمْ .

فلما خرجوا تَلَقَّوْهُمْ خَيْلُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه

(١) كذا في أوفى ت وابن هشام : من كندة .

قَبَاءَ مِنْ دِيْبَاجٍ مَخْوَصٍ بِالذَّهَبِ ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ .

قال : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَبَاءَ أ كَيْدَرٍ حين قدِمَ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون من هذا [فوالذي نفسى بيده] ^(١) لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسنُ من هذا » .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأ كَيْدَرٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم حَقَّنَ له دمه ، فصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته . فقال رجل من بنى طيٍّ يقال له بُجَيْرٌ بن بُجَرَّةٍ في ذلك :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجَهَادِ

وقد حكى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهذا الشاعر : « لَا يَنْفُضُ اللَّهُ فَاكَ » فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً مَا تَحْرُكُ لَهُ فِيهَا ضَرْسٌ وَلَا سِنَّ .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالداً مَرَّجِماً مِنْ تَبُوكَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعَشْرِينَ فَارِساً إِلَى أ كَيْدَرٍ دُومَةٍ . فذكر نحوه ما تقدم ، إلا أنه ذكر أنه ما كره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنه قدِمَ مع أ كَيْدَرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ثَمَانِمِائَةٍ مِنَ السَّيِّ ، وَأَلْفَ بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ دَرَعٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَمَحٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ عَظِيمَ أَيْلَةٍ يُحْنَةُ ^(٢) بَنَ رُؤْبَةً بِقِصَّةِ أ كَيْدَرٍ دُومَةٍ أَقْبَلَ قَادِماً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَالِحَهُ ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكَ . فَالَّهُ أَعْلَمُ .

وروى يونس بن بُكَيْر ، عن سعد بن أوس ، عن بلال بن يحيى ، أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين في غزوة دُومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دُومة الجندل . فإله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

قال : وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل يَرَوِي الرَّاكِبَ والراكين والثلاثة بواد يقال له وادى المشَقِّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يَسْتَقِينْ منه شيئاً حتى نأتيه » .

قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيهِ ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يرفيه شيئاً فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقليل له : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه حتى آتيه ؟ ثم لعنهم ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشَل ، فجعل يصبُّ في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إنَّ له حِسّاً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن عبد الله بن

مسعود كان يحدث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك ،
فرايت شعلةً من نار في ناحية المعسكر فاتبعتها أنظر إليها .

قال : فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات ،
وإذا هم قد حَفَرُوا له ، ورسول الله في حفرة ، وأبو بكر وعمر يُدليّانه ، وإذا هو يقول :
« أَدْنِيَا إِلَيَّ أَحَاكِمَا » فدليّاه إليه ، فلما هيّأه لشقّه قال : « اللهم إني قد أمسيتُ راضياً
عنه فارضَ عنه » .

قال : يقول ابن مسعود : ياليتني كنت صاحبَ الحفرة .

قال ابن هشام : إنما سُمِّيَ ذا البجادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيقوا
عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بَجَاد - وهو السكساء [الغليظ] ^(١) فشقه باثنين
فانزرا بواحدة وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى
ذا البجادين .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أُمِّ كَيْمَةَ اللَّيْثِي ، عن ابن
أخي أبي رُحْمٍ الْفِقَارِي ، أنه سمع أبا رُحْمٍ كَلْثُومَ بْنَ الْحَصَيْنِ - وكان من أصحاب الشجرة -
يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسمرتُ ذات ليلة معه
ونحن بالأخضر ، وألقى الله على الناس وطفقت أستيقظ وقد دنتُ راحلتى من
راحلة النبي صلى الله عليه وسلم فيفرغني دُنُوها منه مخافة أن أصيب رجله في الغَرَزِ ،
فطفقتُ أُحُوزُ راحلتى عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق فزاحمتُ راحلتى راحلته
ورجله في الغَرَزِ ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حُسَّ » فقلت : يا رسول الله استغفر لي .
قال : سِرَ .

(١) سقطت من أ .

فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألني عن تخلف عنه من بنى غِفَارَ فأخبره به . فقال وهو يسألني : « ما فعل النفرُ الحمرُ الطَّوَالِ النَّطَّاطُ^(١) الذين لا شعر في وجوههم ؟ » فحدثته بتخلفهم .

قال : « فما فعل النفر السود الجِعَادُ القِصَارُ ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : « بلى الذين لهم نعمٌ بشبكة شَدَخ^(٢) » فتذكرتهم في بنى غِفَار فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله أولئك رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ حلفاء فينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منع أحدَ أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً شيطاً في سبيل الله ؟ إن أعزَّ أهلى علىَّ أن يتخلف عني المهاجرون والأنصار وغِفَارٌ وأَسْلَمُ » .

وقال ابن لَهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة همَّ جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يطرحوه من رأس عَقَبَةٍ في الطريق ، فأخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العَقَبَةَ ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلتئموا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمار أخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها .

فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم قد غَشَوْهم . فغضب رسول الله وأبصر حذيفة غضبه فرجع إليهم ومعه مِحْجَنٌ فاستقبل وجوه راحلهم بمحجته ، فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد أظهر على ما أضمره من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

(١) النطاط : جمع نط ، وهو القليل شعر اللحية .

(٢) شبكة شَدَخ : ماء لأسلم بالحجاز .

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفتُ إلا رواحلهم في ظُلمة الليل حين غشيهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرّكّب ؟ » قال : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالأوا عليه وسماهم لهما واستكتمهما ذلك .

فقالا : يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

ويشهد له قول أبي الدرداء لعقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السّواد والوِساد . يعني ابن مسعود . أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . يعني حذيفة . أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمد . يعني عماراً .

وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لحذيفة : أقسمتُ عليك بالله أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرئُ بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مُفشيا سرّ النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلا ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلا ، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من أمرهم وبما تمالأوا عليه .

ثم مرد ابن إسحاق أسماءهم . قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : « وَهُمْ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَ بَلَدٌ لَمَّا بَنَوْا بَنَاتَهُنَّ » .

وروى البيهقي من طريق محمد بن سلمة ، عن أبي إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَرِيِّ ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار يسوق الناقة — أو أنا أسوق وعمار يقود به — حتى إذا كنا بالعقبة إذا بآثني عشر راكباً^(٢) قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بهم فولّوا مدبرين .

فقال لنا رسول الله : « هل عرفتم القوم ؟ » قلنا : لا يا رسول الله قد كانوا مثلثمين ، ولكننا قد عرفنا الرُّكَّاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحوا رسول الله في العقبة فيلقوه منها » .

قلنا : يا رسول الله أولاً تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومه ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة » قلنا : يا رسول الله وما الدُّبَيْلَة ؟ قال : « هي شهاب من نار تقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

وفي صحيح مسلم من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن قيس بن عباد ، قال : قلت لعمار : أرايتم صنيعكم هذا ، فيما كان من أمر عليّ ، أرايتم رأيتموه أم شيء عهده إليكم رسول الله ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده

إلى الناس كافة ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط » .

وفي رواية من وجه آخر عن قتادة : « إن في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة ، سراج من النار يظهر بين
أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقي : وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر -
وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب الله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ،
وعذر ثلاثة أنهم قالوا : ما سمعنا المفادى ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا يزيد - هو ابن هارون -
أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل ، قال : لما أقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا
يأخذها أحد .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط
مثلثون على الرّواحل ، ففشوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرّواحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة :
« قد قد » .

حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوادي ، فلما هبط ورجع عمار قال :
« يا عمار هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامّة الرّواحل والقوم مثلثون . قال :
« هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول
الله فيطرحوه » .

قال : فسارَ عمارُ رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلا . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر .

قال : فعذر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادى رسول الله وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقيين حربُ الله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قصة مسجد الضرار

قال الله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراباً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » (١) .

وقد تكلمنا على تفسير ما يتعلق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وقله الحمد .

وذكر ابن إسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخراجه مَرَجَمَه من تبوك قبل دخوله المدينة .

ومضمون ذلك : أن طائفة من المنافقين بنوا ضورةً مسجد قريباً من مسجد قباء ،

وأرادوا أن يصلّي لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حتى يَرُوج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد .

فعصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه ، وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » الآية .

أما قوله « ضراراً » فلا أنهم أرادوا مضاهاةً مسجد قباء ، « وكفراً » بالله لا للإيمان به ، « وتفريقاً » للجماعة عن مسجد قباء .

« وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبى عليه ؛ ذهب إلى مكة فاستنفرهم ، فجاءوا عامٌ أحد ، فكان من أمرهم ما قد مناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدم ويمنّهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كل حين .

فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حَرَب ومقر لمن يفد من عند أبي عامر الراهب ، وتجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين . ولهذا قال تعالى : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » .

ثم قال : « وَلَيَحْلُقَنَّ » أي الذين بنوه « إن أردنا إلا الحسنى » أي إنما أردنا بينانيه الخير . قال الله تعالى : « والله يشهد إنهم لكاذبون » .

ثم قال الله تعالى لرسوله : « لا تقم فيه أبداً » فنهاه عن القيام فيه ، لئلا يقرّر أمره ،

ثم أمره وحثه على القيام في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم وهو مسجد قُباء ، لما دلّ عليه السياق والأحاديث الواردة في البناء على تطهير أهله مشيرةً إليه .

وما ثبت في صحيح مسلم من أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينافي ما تقدم ، لأنه إذا كان مسجد قُباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى .

وقد أشبعنا القول في ذلك في التفسير والله الحمد .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بذي أوان دعا مالك بن الدخشم ومَعْن بن عدى - أو أخاه عاصم بن عدى - رضى الله عنهما فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار ، فذهبا فحرقاه بالنار ، وتفرق عنه أهله .

قال ابن إسحاق : وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا وهم ؛ خِذَام بن خالد - وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد - وثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَب بن قَشِير ، وأبو حَبِيبَة ابن الأزعر ، وعَبَاد بن حُثَيْف أخو سهل بن حُثَيْف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع وزيد . وَتَبْتَل بن الحارث ، وَبَحْرَج وهو إلى بني ضبيعة ، وَبِجَاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت وهو إلى بني أمية .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفَ عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يتوضأ ومعه المغيرة بن شعبه فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف ، فلما سلم الناسُ أعْظَمُوا ما وقع ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسنتم

وأصبتهم » وذلك فيما رواه البخارى رحمه الله قائلًا حدثنا^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : « إنَّ بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » فقالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » .
تفرد به من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان ، حدثني عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعد ، عن أبي حميد^(٢) قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة^(٣) » وهذا أحد جيل يحبنا ونحبه » .

ورواه مسلم من حديث سليمان بن بلال به نحوه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن السائب ابن يزيد ، قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان تلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقان :

(١) كذا بالأصل .

(٢) طابة : من أسماء المدينة .

(٣) ١ : عن أبي أحمد . وهو تحريف .

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

قال البيهقي : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدّمة المدينة من مكة إلا أنه لما قدم المدينة من ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذكرناه هاهنا أيضا .

قال البخاري رحمه الله : حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

حدثنا يحيى بن بُكَيْرٍ ، حدثنا الليث ، عن عَقِيلٍ عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيهِ حين عَمِيَ - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك ، قال كعب :

لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا^(١) على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكّر في الناس منها .

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورئى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وعددا^(٢) كثيرا فحلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم

(١) الأصل : حتى تواثقنا . وما أثبتته من صحيح البخاري ٢ / ٢٧٤

(٢) البخاري : ومغازا وعدوا كثيرا .

بَوَجْهَهُ الَّذِي يَرِيدُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يَرِيدُ الدِّيَّانَ -

قال كعب : فما رجلٌ يريدُ أن يتَّقِيْبَ إِلَّا ظَنُّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [تِلْكَ الْغَزْوَةُ ^(١)] حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ . وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، فَطَفَقَتْ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجْهَزَ مَعَهُمْ فَأَرْجَعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ .

فَلَمْ يَزَلْ بِمَادَى بَنِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجَدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : أَتَجْهَزُ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ الْحَقُّهُمْ . فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلَا لَا أَتَجْهَزُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا . فَلَمْ يَزَلْ بَنِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُمْ - وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ - فَلَمْ يَقْدَرْ لِي ذَلِكَ .

فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ فَطَفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنْتَنِي أُنَى لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَمْنُوعًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضَّعْفَاءِ .

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ : بئس ما قُلْتُ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلًا حضرنى همى ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج غداً من سخطه ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من

أهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلل قادمًا زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب ، فأجمعتُ صدقه .

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلًا ، فقيل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبأيهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله عز وجل .

فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المفضَّب ثم قال : « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك ؟ » فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر - ولقد أعطيتُ جدلاً - ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك علىَّ ، ولئن حدثتك حديثَ صدق تجدُ علىَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفتُ عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

فقامت فنار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبلَ هذا ، ولقد عجزتَ ألا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون ؟ وقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسى .

ثم قلت لهم : هل لقي هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالَا مثلَ ما قلت وقيل لهما مثلُ ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العُمري وهلال بن أمية الواقفي .

فذكروا إلى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة . فضيت حين ذكروها إلى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف .

فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسى الأرض فما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحبى فاستكانا وقعدا في بيوتهما ببيكان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلد ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، وأقول في نفسى : هل حرك شفيعي برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى ^(١) تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمى وأحب الناس إلى - فسألت عليه ، فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعذت له فنشده فسكت ، فعذت له فنشده فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : وبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدانى على كعب بن مالك ؟ فطلق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان في سرقة من حرير فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ! فتيمنت بها التنوير فسجرت به .

فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من المحسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : رسول الله يأمرك أن تعزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

قال كعب : لجأت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تسكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ولكن لا يقربك » قالت : إنه والله مابنه حركة إلى شيء ، والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله فى امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه ؟ فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدرينى ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب .

قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا .

فلما صليت الفجر صبحَ خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل ، قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب أبشر .

فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس .

فلما جاءنى الذى سمعتُ صوته يبشرنى نزعته له ثوبى فكسوته إياهما يبشراه ،

والله ما أملك غيرها يومئذ ! واستعرتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهشونني بالتوبة يقولون : لِيَهْنِكَ توبةُ الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا برَسُول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحفني وهنأني ، والله ما قام إلى رجلٍ من المهاجرين غيره ، ولا أناسها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَبْرُق وجهه من السرور : « أَبَشِّرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك » .

قال : قلت : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا بل من عند الله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله .

قال رسول الله : « أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك » قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير .

وقلت : يا رسول الله إن الله إنما نجانِي بالصَّديق ، وإن من توبتي ألا أتحدث إلا صدقاً ما بقيتُ . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله أحسنَ مما أبلاني ، ما تعمَّدْتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت .

وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « لقد تابَ الله على النبيِّ والمهاجرين

والأنصار» إلى قوله : « وكونوا مع الصادقين » فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أكون ^(١) كذّبه فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد ، قال الله تعالى : « سيخلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم » إلى قوله : « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قيل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ليس الذي ذكر الله مما خلفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا بمن حلف له واعتذر إليه فقبل منهم .

وهكذا رواه مسلم من طريق الزهري بنحوه . وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الزهري مثل سياق البخاري ، وقد سقناه في التفسير من مسند الإمام أحمد ، وفيه زيادات يسيرة . والله الحمد والمنة .

ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير هؤلاء

قال علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله هو التواب الرحيم » ^(٢) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضروا رجوعه أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد .

فلما مرّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون

(١) غير : أن لا أكون . ولا هنا زائدة . أي أن أكون . (٢) سورة التوبة .

الله عز وجل هو الذى يُطْلَقُهم ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .
 فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نُطْلَقُ أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا .
 فأنزل الله عز وجل : « وَأَخْرَجُوا عَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ » الآية . « وَعَسَى » من الله واجب .
 فلما أنزلت أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاءوا بأموالهم وقالوا :
 يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا . فقال : « ما أمرت أن
 أخذ أموالكم » .
 فأنزل الله : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
 سَكَنٌ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . إلى قوله : « وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا
 يُتُوبُ عَلَيْهِمْ » .

وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسَّوَارِي ، فأرجئوا حتى نزل قوله تعالى : « لقد تاب
 الله على النبي والمهاجرين والأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ » إلى آخرها .
 وكذا رواه عطية بن سعيد العوفي عن ابن عباس بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيَّب ومجاهد ومحمد بن إسحاق قصة أبي لُبَابَةَ وما كان من أمره
 يوم بنى قريظة وربطه نفسه حتى تيبَّ عليه ، ثم إنه تخلف عن غزوة تبوك فربط نفسه
 أيضا حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كله صدقة ، فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « يكفيك من ذلك الثلث » .

قال مجاهد وابن إسحاق : وفيه نزل : « وَأَخْرَجُوا عَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ » الآية .
 قال سعيد بن المسيَّب : ثم لم يُرْمَ منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرٌ رضى الله
 عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على ذكره لأنه
 كان كالزعيم لهم ، كادل عليه سياق ابن عباس . والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق أبي أحمد الزبيرى ، عن سفيان الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن منكم منافقين فمن سميتُ فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » حتى عدَّ ستة وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم - أو إن منكم - منافقين فسلوا الله العافية » . قال : فمرَّ عمرُ برجل متقنَّع ، وقد كان بينه وبينه معرفة ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بُعدًا لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام : مأمورون مأجورون ، كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم . ومعذورون ، وهم الضمفاء والمرضى ، والمقلَّون وهم البكَّاءون . وعُصاة مذنبون وهم الثلاثة ، وأبو لبابة وأصحابه المذكورون . وآخرون مَلُومون مذمومون ، وهم المنافقون .

ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه عليه السلام

إلى المدينة مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ

قال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو البختري عبد الله بن شاكر ، حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عم أبي زخر بن حصن ، عن جده حميد بن متهب ، قال : سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة ابن لام يقول : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لا يَفْضُضُ الله فاك » فقال :

مِنْ قَبْلِهَا طِبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدِعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
نَمْ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ وَلَا نُطْفَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ الْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ خَنْدَفٍ عَلَيْهِاءَ تَحْتَهَا الْفُطُقُ^(١)
وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ ضِضْ فِضَاءُتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسُبُلُ الرِّشَادِ نَحْتَرِّقُ

ثم رواه البيهقي من طريق أخرى ، عن أبي السَّكَنِ زكريا بن يحيى الطائي ، وهو في جزء له مروى عنه .

قال البيهقي : وزاد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الحيرة البيضاء رفعت لي ، وهذه الشَّيَاءُ بِنْتُ نُفَيْلَةَ الْأَزْدِيَّةِ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءٍ مُعْتَجِرَةٍ بِخِمَارٍ أَسْوَدَ . » فقلت : يا رسول

(١) النطق : أعراض ونواح من جبال بعضها فوق بعض ، شبهت بالنطق التي تشد بها الأوساط .

الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » .
قال : ثم كانت الردة فما ارتد أحد من طيِّ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على
الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصن ، وكنا نقاتل بني أسد وفيهم طلحة
ابن خويلد ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا :

جزى الله عنا طيِّئاً في ديارها بمعتك الأبطال خير جزاء
هم أهل رايات الساحة والندى إذا ما الصبا ألوت بكل خباء
هم ضربوا قيساً على الدّين بعدما أجابوا منادى ظلمة وعماء

قال : ثم سار خالد إلى مسيلمة الكذاب فسيرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى
ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكاطمة^(١) في جيش هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحد من
العجم^(٢) أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالد ودعاه إلى البراز فبرز له فقتله
خالد ، وكتب بخبره إلى الصديق فنقله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ،
وكانت الفرس إذا شرف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمائة ألف درهم .

قال : ثم قلنا على طريق الطّف إلى الحيرة ، فأول من تلقانا حين دخلناها الشّماء
بنت نُفيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بغلة شهباء معقجة بخمار أسود ،
فتملقتُ بها وقلت : هذه وهما لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فدعاني خالد عليها بالبيّنة فأنيت بها ، وكانت البيّنة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير
الأنصاري ، فسماها إلى .

فنزّل إلى أخوها عبد المسيح يريد الصلح فقال : بعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن
عشرة مائة درهم . فأعطاني ألف درهم وسمتها إليه ، فقيل لي : لو قلت مائة ألف لدفعها إليك .
فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مائة !

(١) كاطمة : جو على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان .
مرصد الاطلاع ١١٤٣/٣ .

(٢) ت : من الناس . وفي : من العرب .

قدوم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في رمضان من سنة تسع

تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارتحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم فدعاهم بالهداية .

وقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم مالك بن عوف النَّصْرِي أنعم عليه وأعطاه وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلادَ ثقيف ويضيق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام .

وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود عن صخر بن العَيْلَة الأحمسي أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في ذلك .

وقال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ من ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام .

فقال له رسول الله - كما يتحدث قومه - : « إنهم قاتلوك » وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبقارهم ^(١) وكان فيهم كذلكُ محبباً مطاعاً .

(١) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

نفرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلاته فيهم ، فلما أشرف على عُلْيَةٍ له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله .

فيرغم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك ، ويَزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عَتَّاب يقال له وهب بن جابر ، فقتل لعروة ماترى في ديتك^(١) ؟ قال : كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا مافي الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فدفنوه معهم .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكر الصديق ، وتابعه أبو بكر البيهقي في ذلك .

وهذا بعيد . والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكر ، كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حَوَّلهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا .

فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخى بنى عِلاج ، فائتمروا بينهم ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبداً ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ؛ وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ،

(١) ابن هشام : في دمك .

وَشُرْحَيْلِ بْنِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ ، وَعُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَأَوْسَ بْنَ عَوْفٍ أَخُو
بَنِي سَالِمٍ ، وَنُمَيْرَ بْنَ خَرْشَةَ بْنِ رَبِيعَةَ .

وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ : كَانُوا بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ كَنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلٍ - وَهُوَ
رَأْسُهُمْ - وَفِيهِمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ وَهُوَ أَصْغَرُ الْوَفْدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَزَلُوا قَفَاةً ^(١) ؛ أَتَوْا الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَرْعَى
فِي نَوْبَتِهِ رَكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ ذَهَبَ يَشْتَدُّ لِيُشِيرَ
رَسُولَ اللَّهِ بِقُدُومِهِمْ ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ أَنْ قَدُمُوا يَرِيدُونَ
الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ بَأَن يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ شُرُوطًا وَيَكْتُبُوا كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
لِلْمَغِيرَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ . فَفَعَلَ الْمَغِيرَةُ
فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدُومِهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةُ إِلَى
أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ الظَّهْرَ مَعَهُمْ ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَحْيُونَ ^(٢) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا
إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ .

وَلَمَّا قَدُمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ قُبَّةٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ
الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَهُمْ بِطَعَامٍ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يَأْكُلُوا
مِنْهُ حَتَّى يَأْكُلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَبْلَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ كِتَابَهُمْ .

قَالَ : وَكَانَ مِمَّا اشْتَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِغَةَ ^(٣)
ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَأَبْرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْتِي عَلَيْهِمْ حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ
لِيَتَأَلَّفُوا سَفَهَاءَهُمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَاعَهَا شَيْئًا مَسْمُومًا ، إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ
حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ لِيَهْدِمَاهَا .

(١) قَفَاةٌ : وَادٌ بِالْمَدِينَةِ ، قِيلَ : يَأْتِي مِنَ الطَّائِفِ . الْمُرَادُ ٣ / ١١٢٥ .

(٢) ١ : يَحْيُونَ . (٣) الطَّاعِغَةُ : اللَّاتُ .

وسألوه مع ذلك ألا يصلّوا وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال : « أما كنس
أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك . وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه . » فقالوا :
سنؤتيكها وإن كانت دناءة .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا محمد بن مسleme ، عن حميد ، عن الحسن ،
عن عثمان بن أبي العاص ، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم
المسجد ليكون أرقاً لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
يُحْشَرُوا^(١) ولا يُعْشَرُوا ولا يُجْبُوا ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في
في دين لا ركوع فيه . »

وقال عثمان بن أبي العاص : يارسول الله عامني القرآن واجعلني إمام قومي .
وقد رواه أبو داود من حديث أبي داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد به .
وقال أبو داود : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني
إبراهيم بن عقيل بن مَعْقِل بن منبه ، عن وهب ، سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت
قال : اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : « سيتصدقون ويجاهدون
إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص
- وكان من أحدثهم سناً - لأن الصديق قال : يارسول الله إني رأيت هذا الغلام من
أخبرهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن .

(١) الحشر : الانتداب إلى المعازي .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدكم كانوا إذا أتوا رسول الله خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحلهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن العلم واستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر الصديق ، فلم يزل دأبه حتى فقه في الإسلام وأحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً .

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني إلى ثَقِيف قال : « يا عثمان تجوِّز في الصلاة ، واقدِّر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن مُطَرِّف ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي من حديث حماد بن سلمة به . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن علي ، عن محمد بن إسحاق . كما تقدم .

وروى أحمد عن عفان ، عن وهب ، وعن معاوية بن عمرو ، عن زائدة كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن داود بن أبي عاصم ، عن عثمان بن أبي العاص ، أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صليت بقوم تخفف بهم ، حتى وقت لي : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، وأشباهاها من القرآن » .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت سعيد ابن المسيب ، قال : حدث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا أمت قوما تخفف بهم الصلاة » .

ورواه مسلم^(١) عن محمد بن منثني وبندار ، كلاهما عن محمد بن جعفر ، عن غُندَر به .
وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، فكان آخر ما عهد إلي أن قال : « خَفِّفْ عن الناس الصلاة » .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدثني موسى - هو ابن طلحة - أن عثمان بن أبي العاص حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤمَّ قومه ثم قال : « من أمَّ قوماً فليخفف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، سمعت أشياخاً من ثقيف قالوا : حدثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّ قومك ، وإذا أممت قوماً فخفف بهم الصلاة فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمرضى وذا الحاجة » .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجري ، عن أبي العلاء بن الشخير أن عثمان قال : يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أنت حسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني .

(١) الحديث رواه مسلم في باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : حدثنا محمد بن المنثني وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال سمعت سعيد بن المسيب ، قال حدث عثمان ابن أبي العاص قال : آخر ما عهد - الخ . صحيح مسلم ٣٤٢/١ ط الحلبي .

ورواه مسلم من حديث سعيد الجريري به .

وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن من طرق ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنه شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماً يحده في جسده ، فقال له : « ضع يدك على الذي يألم من جسده وقل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .
وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمرُ به

أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا محمد بن بشار ^(١) حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن - هو ابن جوشن - حدثني أبي ، عن عثمان ابن أبي العاص ، قال : لما استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي ، فلما رأيت ذلك رحلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي . قال : « ذاك الشيطان اذن » فدنوت منه فجلست على صدور قدامي ، قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال : « اخرج عدو الله » فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال : « الحق بعمالك » . قال فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعدُ .

تفرد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي ، عن بعض وفدهم قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأصل : ابن يسار . وما أثبتته عن سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٥٤٨ .

ما بقي من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا ، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول : إنا آنرى
الفجر قد طلع ؟ فيقول : قد تركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر لتأخير
السحور . ويأتينا بفطورنا وإنا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد . فيقول : ما جئكم
حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يضع يده فى الجفنة فيلقم منها .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن
يَعْلَى الطائفى ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جده أَوْس بن حُذيفة ، قال : قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف .

قال : فنزلت الأحلافُ على النغيرة بن شعبة ، وأنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بنى مالك فى قبة له ، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائما على رجلية حتى يُراوح بين
رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا مالتى من قومه من قريش ، ثم يقول :
« لا آتى ^(١) » ، وكنا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ بِمَكَّةَ ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجَالُ
الحرب بيننا وبينهم نُدَال عليهم ويدألون علينا .

فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذى كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت علينا الليلة .
فقال : « إنه طرأ على حِزْبِي من القرآن فكرهت أن أجىء حتى أتمه » .

قال أوس : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تُحزَّبون
القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ،
وحزب المفصل وحده .

لفظ أبى دواد .

(١) ابن ماجه : ولا سواء .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ؛
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في
هدم الطاغية .

فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان
فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله
بذي الهدم ^(١) .

فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنى معتب دونه خشية أن يرمى
أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود .

قال : وخرج نساء ثقيف حُسراً يبكين عليها ويقولن :
لَنَبْكِينَ ^(٢) دُفَّاعَ ^(٣) أَسْلَمَهَا الرِّضَّاعَ ^(٤)
* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعَ ^(٥) *

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان - والمغيرة يضربها بالقأس - : واهآ لك !
آهآ لك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان ، فقال له : إن رسول
الله قد أمرنا أن نقضى عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود والد قارب بن
الأسود ديْنَهُما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما .
قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود رضى الله عنه .

(١) الهدم : ماء وراء وادي القرى . مرصد الاطلاع ١٤٥٤/٢

(٢) وتروى لتبكين . كما في ابن هشام .

(٣) الدفّاع : الشيء العظيم يدفع به مثله . سموها بذلك لظنهم أنها تدفع عنهم . والرضاع : الثدي .

(٤) المصاع : الضرب .

وذكر موسى بن عقبة أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والخمر ، فحرّم عليهم ذلك كله .

فسألوه عن الرّبة ما هو صانع بها ؟ قال : « اهدموها » .
قالوا : هيهات ! لو تعلم الرّبة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها .
فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ما أجهلك ! إنما الرّبة حجر . فقالوا :
إننا لم نأتك يا بن الخطاب .

ثم قالوا : يا رسول الله تولّ أنت هدمها ، أما نحن فإننا لن نهدمها أبدا . فقال :
« سأبعث إليكم من يكفّكم هدمها » .

فكانت بوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاءوا قومهم تلقّوهم
فسألوهم : ما وراءكم ؟

فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاءوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف ، يحكم
ما يريد ، وقد دوّخ العرب ، قد حرّم الربا والزنا والخمر ، وأمر بهدم الرّبة .
فنفرت ثقيف وقالوا : لا نطيع لهذا أبدا .

قال : فتأهبوا للقتال وأعدّوا السلاح ، فمكثوا على ذلك يومين - أو ثلاثة -
ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأتابوا وقالوا : ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك
وصالحوه عليه . قالوا : فإننا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم
وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه ، فافهموا ما في القضية
واقبلوا عافية الله .

قالوا : فلم كتمتمونا هذا أولا ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان .
فأسلموا مكانهم .

ومكثوا أياماً ثم قدم عليهم رسلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرَ عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبه ، فعمدوا إلى اللات وقد استكفَّت ثقيفُ رجالُها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحِجَال ، ولا يرى عامةُ ثقيف أنها مهذومة ويظنون أنها ممتنعة .

فقام المغيرة بن شعبه فأخذ الكرزين - يعنى المعول - وقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيف . ف ضرب بالكرزين ثم سقط ير كض برجله ، فارتجَّ أهلُ الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة قتلته الربةُ ! وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب .

فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيف إنما هي لكأع حجارة ومدَر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره . ثم علا سورها وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوَّوها بالأرض .

وجعل سادئها يقول : ليعضبنَّ الأساس فليخسفن بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبنائها . وبُهِتت عند ذلك ثقيف .

ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على إعزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين . إن عِضَاهُ وَجَّ^(١) وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُجْلَد وتَنزَع ثيابه ، وإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ

(١) العضاء : أعظم الشجر ، أو كل ذى شوكة . وج : واد بالطائف .

فيبلغ به النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد . وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الحارث - من أهل مكة مخزومي - حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان - وأثنى عليه خيراً - عن أبيه عن عروة بن الزبير ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليّة^(١) حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن حذوها ، فاستقبل نحسبا ببصره - يعني وادياً - ووقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال : « إن صيد وجّ وعِصاهه حرّم محرّم لله » وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي ، وقد ذكره ابن حبان في ثقاته . وقال ابن معين : ليس به بأس . وتكلم فيه بعضهم . وقد ضعف أحمد والبخاري وغيرهما هذا الحديث ، وصححه الشافعي وقال بمقتضاه . والله أعلم .

ذكر موت عبد الله بن أبي قبحه الله

قال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهود . » فقال : قد أبغضهم أسعدُ بن زُرارة فمه ؟

وقال الواقدي : مرض عبد الله بن أبي في ليال بقين من شوال ، ومات في ذي القعدة

(١) ليّة : جبل بالطائف . المراد .

وكان مرضه عشرين ليلة ، فكان رسول الله بَعُودَهُ فيها .

فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه فقال : « قد نهيتك عن حب يهود » فقال : قد أبغضهم أسعد بن زُرارة فما نفعه ؟

ثم قال : يا رسول الله ليس هذا بحين عِتَاب هو الموت ، فاحضر غسلي وأعطني قيصك الذي يلي جلدك فكفني فيه وصلّ عليّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي من حديث سالم بن عجّلان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحواً مما ذكره الواقدي . فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهويّة : قلت لأبي أسامة : أحدّثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ بن سَكُول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه ليكفنه فيه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلّى عليه وقد نهاك الله عنه ؟ فقال رسول الله : « إن ربي خيرني فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم . » وسأزيد على السبعين » .

فقال : إنه منافق أنصلي عليه ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله » فأقرّ به أبو أسامة وقال : نعم .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخارى وغيره قال عمر : فقلت : يا رسول الله صلى عليه وقد قال في يوم كذا وكذا وكذا ، وقال في يوم كذا وكذا وكذا ؟ !
فقال : « دعى ياعمر فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدتُ على السبعين غُفر له لزدتُ » ثم صلى عليه . فأنزل الله عز وجل « ولا تصلُّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية .

قال عمر : فمَجِبت من جرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله وسوله أعلم .
وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله يقول : أني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبرَ عبد الله بن أبيّ بعد ما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه - أو نخذه - ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . فإله أعلم .
وفي صحيح البخارى بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأةً لما كان كسا العباسَ قميصاً حين قدم المدينة فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبيّ .

وقد ذكر البيهقي هاهنا قصة ثعلبة بن حاطب ، وكيف افتتن بكثرة المال ومنعه الصدقة ، وقد حررنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى : « ومنهم من عاهدَ الله لئن آتانا مِن فَضْلِهِ ^(١) » الآية .

فصل

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يمدد أيام الأنصار مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه ، قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدٍ كُلِّهَا نَفَرًا
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْفَكْ بِهِ أَحَدٌ
وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَنَارَ بِهِمْ
وَذَا الْعَشِيرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ
وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجْلَوْا إِلَهُهُ رَقَصًا
وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ
وَلَيْلَةً بِحَنِينٍ جَالَدُوا مَعَهُ
وِغْزْوَةَ يَوْمٍ نَجَدٍ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ
وِغْزْوَةُ الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ
وَيَوْمَ بُويعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ
وِغْزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كِتَابَتِهِ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْإِيمَانِ عَارِيَةً
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَرَبٌ بَدَتْ لَهُمْ
أَوَّلُكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْفَكْ عَهْدُهُمْ

وَمَعَشَرًا إِنْ هُمْ عُثُوا وَإِنْ حُصِلُوا^(١)
مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلُّوا وَمَا خَذَلُوا^(٢)
مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِ^(٣) دَخْلُ
ضَرْبِ رَصِينٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ
عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَانُوا وَمَا نَكَلُوا^(٤)
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبْلُ
لِللَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
فِيهَا يُعَلِّمُهُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابَ وَالنَّفْلُ
كَأَيُّفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسْلُ
عَلَى الْجِلَادِ فَاسَوَّاهُ وَمَا عَدَلُوا
مِرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا تَحَجَّلُوا
يَمْتَشُونَ كُلَّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطْلُ
تَعَوُّجٍ بِالضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
حَتَّى بَدَأَ لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَنْصَلُ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلُوا

(٢) أَلُّوا : قصروا

(٤) ابن هشام : فَاخَامُوا .

(١) حُصِلُوا : جموا .

(٣) ابن هشام : فِي إِيْمَانِهِمْ .

ذكر بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج

سنة تسع ونزول سورة براءة

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم لم يصدوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد .

فلما خرج أبو بكر رضى الله عنه بمن معه من المسلمين وفصل عن البيت أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » إلى قوله : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات . وقد بسطنا الكلام عليها في التفسير والله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علياً رضى الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ويتولى على نفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونه ابن عمه من عصبته .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، أنه قال : لما نزلت « براءة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ؟ فقال : « لا يؤدّي عني إلا رجل من أهل بيتي » .

ثم دعا علي بن أبي طالب فقال : « إخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته » .

فخرج علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أميراً أو مأموراً ؟ فقال : بل مأمور . ثم مضى ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليزج كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة ، إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال البخارى : باب حَجِّ أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع .

حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فُلَيْح ، عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة : أن أبابكر الصديق رضى الله عنه بَعَثَهُ فى الحجة التى أمره عليها النبى صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع فى رهط يؤذّن فى الناس : أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى موضع آخر : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنى عَقِيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى حُمَيْد بن عبد الرحمن ، أن أبابكر رضى الله عنه قال : بعثنى أبو بكر الصديق فى تلك الحجة فى المؤذّنين بعثهم يوم النحر يؤذّنون بمنى : أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

قال حميد : ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلىّ فأمره أن يؤذّن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذّن معنا علىّ فى أهل منى يوم النحر ببراءة أن لا يحجّ بعد العام مُشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان .

وقال البخارى فى كتاب الجهاد : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن ، أن أبابكر رضى الله عنه قال : بعثنى أبو بكر الصديق فيمن يؤذّن يوم النحر بمنى لا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ويومُ الحجِّ الأكبر يوم النحر ، وإنما قيلَ الأكبر من أجل قول الناس : العمرة الحجُّ الأصغر .

فنبذ أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام ، فلم يحجّ عام حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك .

ورواه مسلم من طريق الزهرى به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مُغيرة ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن مُحرز بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما كنتم تفادون ؟

قال : كنا نقادى : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فإنَّ أجله - أو أمدّه - إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله يرى من المشركين ورسوله ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك . قال : فكنت أنادى حتى صَحَل^(١) صوتى .

وهذا إسناد جيد ، لكن فيه نكارة من جهة قول الراوى : « إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر » .

وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمدّه بالغاً ما بلغ ، ولو زاد على أربعة أشهر ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر .

بقي قسم ثالث وهو من له أمدٌ يتنأهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أولى من ليس له عهد بالكلية . والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن سِمَاك ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتى » .

فبعث بها مع علي بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذى من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد ، عن لوين ، عن محمد بن جابر ، عن سمالك عن حنّس^(١) عن علي ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أردف أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومثته فيه نكارة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أثير^(٢) - رجل من همدان - قال : سألنا علياً : بأى شيء بُعثت ؟ يوم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة .

قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا .

وهكذا رواه الترمذى من حديث سفيان - هو ابن عيينة - عن أبي إسحاق السبّعي ، عن زيد بن أثير ، عن علي به . وقال : حسن صحيح .

ثم قال : وقد رواه شعبة ، عن أبي إسحاق ، فقال عن زيد بن أثير . ورواه الثوري عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن علي .

قلت : ورواه ابن جرير من حديث معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث عن علي .

(١) غير أ : جلس ، وهو تحريف ، وهو حنّس بن المعتز أو ابن ربيعة بن المعتز السكتاني الكوفي ، يروى عن علي وأبي ذر ، وعنه الحكم وسماك ابن حرب . خلاصة التهذيب ٨١ .

(٢) الاصل : يثبع . وما أثبتته عن مسند أحمد ٧٨/١

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا ابن صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت علي بن أبي طالب عن يوم الحج الأكبر .

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ابن أبي قحافة يقيم للناس الحج ، ويعتني معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلى فقال : قم يا علي فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقامت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صَدَرْنَا فَأَتَيْنَا مَنِيَّ فَرَمِيتَ الْجَمْرَةَ وَنَحَرْتَ الْبَدَنَةَ ، ثم حَلَقْتَ رَأْسِي ، وَعَلِمْتَ أَنَّ أَهْلَ الْجَمْعِ لَمْ يَكُونُوا حُضُورًا كَلِمَهُمْ خُطْبَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَطُفْتُ أَتَتَّبِعُ بِهَا الْفَسَاطِيطَ أَقْرُؤُهَا عَلَيْهِمْ .

قال علي : فمن ثم أخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة . وقد نقصينا الكلام على هذا المقام في التفسير ، وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطا بما فيه كفاية . والله الحمد والمنة .

قال الواقدي : وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمائة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدئات ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعلي فلحقه بالعرج^(١) فنادى ببراءة أمام الموسم .

فصل

كان في هذه السنة - أعني في سنة تسع - من الأمور الحادثة : غزوة تبوك في رجب كما تقدم بيانه .

(١) العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف ، وقيل واد به . المراد .

قال الواقدي : وفي رجب منها مات النجاشي صاحب الحبشة ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس .

وفي شعبان منها - أي من هذه السنة - توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففلساتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية .

قلت : وهذا ثابت في الصحيحين ، وثبت في الحديث أيضا أنه عليه السلام لما صلى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارفَ الليلة أهله » فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه .

[ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالخفر والدفن من الصحابة كأبي عبيدة وأبي طلحة ومن شابههم ، فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يقارف أهله من هؤلاء » ، إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بعيد . والله أعلم ^(١)] .

وفيهما صلح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وصاحب دومة الجندل ، كما تقدم إيضاح ذلك [كله] ^(٢) في مواضعه .

وفيهما هدم مسجد الضرار الذي بناه جماعة من المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن ، فأمر عليه السلام به فحرق .

وفي رمضان منها قديم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان [وكسرت اللات كما تقدم ^(٣)] .

وفيهما توفي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لعنه الله في أواخرها . وقبله بشهر ^(٤)

(١) سقط من ١

(٢) غير ١ : بأشهر

توفي معاوية بن معاوية الليثي - أو المزني - وهو الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، إن صح الخبر في ذلك .

وفيهما حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس عن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في ذلك .

وفيهما كان قدوم عامة وفود أحياء العرب ، ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود ، وها نحن نعتقد لذلك كتابا برأسه اقتداء بالبخاري وغيره .

كتاب الوفود

الواردين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفودُ العرب^(١) من كل وجه .
قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب ترَبَّص بإسلامها أمرَ هذا الحَيِّ من قريش ، لأن قريشا كانوا إمام الناس وهاديمهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم . وقادة العرب لا ينكرون ذلك .
وكانت قريش هي التي نَصَبَت الحربَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يَضْرِبُونَ إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ورأيت الناسَ يدخلون في دين الله أفواجا ، فسَبِّحْ بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » [أي فاحمد الله على ماظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً]^(٢) .

وقد قدمنا^(٣) حديث عمرو بن سلمة قال: كانت العرب تَلَوُّمُ بإسلامهم الفَتْحَ فيقولون: اتركوه وقومَه فإنه إن ظهر عليهم فهو [نبيٌّ]^(٢) صادق . فلما كانت وقعةُ

(١) ١: الوفود من العرب . (٢) ليست في ١ .

(٣) تقدم ذلك في الجزء الثالث من السيرة ص ٦٠٩

أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدّر - أى قومي - بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتم والله من عند النبي حقا ، قال صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدم وليؤمكم أكثركم قرآنا . وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري .

قلت : وقد ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدي والبخاري ثم البيهقي بعدهم من الوفود ما هو متقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع ، بل وعلى فتح مكة .

وقد قال الله تعالى : « لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِل ، أُولَئِكَ أَكْثَرُ أَعْلَمُ درجة من الذين أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى » وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : « لا هجرةَ ولكن جهادٌ ونيةٌ » .

فيجب التمييز بين السابقين هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يُعدُّ وفوده هجرةً ، وبين اللاحق لهم بعد الفتح ممن وعده [الله خيرا وحسنى ، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة والله أعلم^(١) .

على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء [لم يذكرها ، ونحن نورد بحمد الله ومنه ما ذكره ، وننبه على ما ينبغي التنبيه عليه من ذلك ونذكر ما وقع لنا مما أهلوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان^(٢) .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي : حدثنا كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة ، وذلك في رجب سنة خمس .

فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال : « أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم .

ثم ذكر الواقدي عن هشام بن الكلبي بإسناده ، أن أول من قدم من مُزينة خُزاعي ابن عبد نهم ومعه عشرة من قومه مُزينة ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم [على إسلام قومه] ، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم فتأخروا عنه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يُعرض بخزاعي من غير أن يهجوهم ، فذكر أبياتا ، فلما بلغت خزاعيا شكاً ذلك إلى قومه فجمعوا له وأسلموا معه وقدم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مُزينة - وكانوا يومئذ ألفاً - إلى خزاعي هذا . قال : وهو أخو عبد الله ذى الجنادين .

وقال البخاري رحمه الله : باب وفد بني تميم : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي صخرة ، عن صفوان بن مُحرز المازني ، عن عمران بن حصين ، قال : أتى نفرٌ من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا - فرئى ذلك في وجهه . ثم جاء^(١) نفر من اليمين فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قد قبلنا يا رسول الله .

ثم قال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام بن يوسف ، أن ابن جُرَيْج أخبره عن ابن أبي مُليكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد بن زُرارة . فقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي . فقال عمر : ما أردت خلافاً .

فتمارياً حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » حتى انقضت .

ورواه البخارى أيضا من غير وجه عن ابن أبى مُليكة بالفاظ آخر . وقد ذكرنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى : « لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ » الآية .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُ العرب قدم عليه عطارِد بن حاجب بن زُرارة بن عَدَس التميمى ، فى أشراف من بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمى ، والزُّبرقان بن بدر التميمى - أحد بنى سعد - وعمر بن الأهتم ، والحُجباب^(١) بن يزيد ، ونُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةُ شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنين والطائف ، فلما قدم وفدُ بنى تميم كانا معهم .

ولما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد . فأذَى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نُفَاخِرُكَ فَأُذِنَ لِسَاعِرِنَا وَخَطِينِنَا . قال : « قد أذنتُ لخطيبكم فليقل » .

فقام عطارِد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنُّ وهو أهله ، الذى

(١) الأصل : الحجاب . وما أثبتته عن ابن هشام . قال ابن هشام : الخنات : وهو الذى آخى رسول الله (ص) بينه وبين معاوية بن أبى سفيان . واختاره السهيلي فى الروض .

جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدداً .

فمن مثلتنا في الناس ، ألسنا برءوس الناس وألى فضلهم ؟ فمن فآخَرنا فليعدِّد مثل ماعدِّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن نخشى ^(١) من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف [بذلك] ^(٢) أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بنى الحارث بن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » .

فقام ثابت فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسَّع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله .

ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خيرته رسولا أكرمهُ نسباً وأصدقهُ حديثاً وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابا واثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين .

[ثم] دعا الناس إلى الإيمان به فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس أحساباً ، وأحسنُ الناس وجوهاً ، وخيرُ الناس فعلا ، ثم كان أول الخلق إجابةً واستجاباً لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

حَقَامُ الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرٍ فَقَالَ :

نَحْنُ السَّكْرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا مِمَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ^(١)
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كَلِمَهُمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنْ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُوْنَسِ الْقَرْعُ^(٢)
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ بِأَنَّمْ نُصْطَنِعُ^(٣)
فَنَنْجِرُ السَّكُومَ عُبْطَافِي أَرْوَمْتَنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا^(٤)
فَمَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاخِرِهِمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا وَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْطَعُ
فَمَنْ يَفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْمَعُ
إِنَّا أَكِينُنَا وَلَمْ يَأْنِي لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ^(٥)

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعرُ القوم فقال ما قال ،
عرّضتُ في قوله وقلت على نحو ما قال .

فلما فرغ الزُّبْرَقَانِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ثابت : « قم يا حسان
فأجب الرجل فيما قال » . فقال حسان :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَمَةٍ إِنْ الْخِلَاقَ - فاعلم - شَرُّهَا الْبِدْعُ

(١) البيع : جمع بَيْعَة ، وهى موضع الصلاة . (٢) القرع : القطع من السحاب .

(٣) الهوى : الإصرار .

(٤) السكوم : الإبل العظام الأسنمة . وعبطا : من غير علة .

(٥) قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكرها للزُّبْرَقَانِ .

إِنَّ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
 لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
 إِنَّ سَابِقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
 أَغْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
 لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 إِذَا نَصَبْنَا الْحَيَّ لَمْ نَذِبْ لَمْ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُهَا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
 كَانَهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِبٌ
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ - فَاتَرَكَ عِدَاؤَهُمْ -
 أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ
 أَهْدَى لَمْ يَدْحَتْ قَلْبُ يُوَازِرُهُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ

فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
 عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا
 أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْندَى مَنَعُوا^(١)
 لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُرْذِيهِمْ طَمَعُ
 وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبِيعُ
 كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الدَّرْعُ^(٢)
 إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
 وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خَوْزٌ وَلَا هَلَعُ
 أُسْدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَافِهَا فَدَعُ^(٣)
 وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا
 شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ^(٤)
 إِذَا تَفَاوَتَ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْءُ
 فِيمَا أَحَبَّ لِسَانُ حَائِكٍ صَنَعُ
 إِنَّ جَدَّ فِي النَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٥)

وقال ابن هشام : وأخبرني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبير كان لما قدم
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :
 أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اختلفوا عند احتضار المواسم

(١) ت : قنعوا . وفي ابن هشام : متعوا . ومعناها : زادوا .

(٢) الدرع : ولد البقرة الوحشية .

(٣) المكتنح : القريب . وحلية : موضع كثير الأسود . والقدح : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل .

(٤) السلق : نبت سام . (٥) شمعو : مزحوا .

بأننا فروعُ الناسِ في كلِّ مَوْطِنٍ وأنَّ ليسَ في أرضِ الحجازِ مَكْدَارِمِ
وأنا نذودُ المَعْلَمِينَ إذا انتَخَوْا ونضربُ رأسَ الأَصِيدِ الْمُتَفَسِّاقِمِ
وإنَّ لَنَا المِرْبَاعَ في كلِّ غَارَةٍ نُغَيِّرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الأَعَاجِمِ
قال : فقام حسان فأجابه فقال :

هل المجدُ إلا السُّودُ العَوْدُ والندَى وجاءَ المَلُوكُ واحْتِمَالُ العِظَامِ
نَصَرْنَا وآوَيْنَا النَبِيَّ مُحَمَّدًا على أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمِ
بِحَيِّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثِرَاوُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الأَعَاجِمِ^(١)
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ دِيَارِنَا^(٢) بِأَسِيفِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطِئْنَا لَهُ نَفْسًا بَنِي المِفْصَالِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا على دِينِهِ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمِهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمْ يَعُودُ وَبِالْأَعْدَاءِ ذِكْرُ المَكَارِمِ
هَيْلَتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوَلٌّ مِنْ بَيْنِ ظُنُرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنْ دِمَائَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي القَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدًّا وَأَسْلِمُوا وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَرَى الأَعَاجِمِ

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس :
وأبي إن هذا أموتني له ! لخطيبه أخطبُ من خطيبنا ، ولشاعره أشعرُ من شاعرنا ،
ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

(١) الحريد : المنفرد . وجابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . المراصد .

(٢) غير أ : بيوتنا .

قال : قلما فرغ القوم أسلوا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .
 وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في رحالهم ، وكان أصغرهم سنًا ، فقال قيس
 ابن عاصم - وكان يُبغض عمرو بن الأهتم - : يا رسول الله إنه كان رجل منّا في رحالنا
 وهو غلام حدث . وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
 ما أعطى القوم .

فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك ، يهجوهُ :

ظَلَلَتْ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصَبِّ^(١)

سُدْنَاكُمْ سُودًا رَهَوًا وَسُودَكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ^(٢)

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا سليمان بن حرب ،
 حدثنا حماد بن زيد ، عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، فقال لعمرو بن الأهتم :
 « أخبرتني عن الزبير قان ، فأما هذا فلست أسألك عنه » وأراه كان قد عرف قيسا .

قال : فقال : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شديد العارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره . فقال الزبير قان :
 قد قال ما قال وهو يعلم أني أفضل مما قال .

قال فقال عمرو : والله ما علمتك إلا زَمِرَ^(٣) المروءة ، ضَيْقَ الْعَطَنِ ، أَحَقَّ الْأَبِ ،
 لَيْثِمَ الْخَالِ . ثم قال : يا رسول الله قد صدقتُ فيهما جميعا ، أَرْضَانِي فَقُلْتَ بِأَحْسَنِ مَا أَعْلَمُ
 فِيهِ ، وَأَسَخَطْنِي فَقُلْتَ بِأَشْوَأَ مَا أَعْلَمُ .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا » .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

(١) الهلباء : يريد الدبر ، والهرب : شعر الذنب

(٢) الرهو : المتسع .

(٣) زمر المروءة : قليلها .

قال البيهقي : وقد روى من وجه آخر موصولا : أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المستملى ، حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن الحسن العلاف ببغداد ، حدثنا علي بن حرب الطائي ، أنبأنا أبو سعد بن الهيثم بن محفوظ ، عن أبي المقوم يحيى بن يزيد الأنصاري ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون ، ففخر الزبرقان فقال : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أمتهم من الظلم وآخذ لهم بمقوقهم ، وهذا يعلم ذلك - يعني عمرو بن الأهتم - فقال عمرو بن الأهتم : إنه لشديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع في أدنيه . فقال الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال ، وما منعه أن يتكلم إلا الخسد .

فقال عمرو بن الأهتم : أنا أحسدك ؟ فوالله إنك لثميم الخال ، حديث المال ، أحق الولد ، مضيع في المشيرة ، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا ، وما كذبت فيما قلت آخرأ ، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان سحرا » . وهذا إسناد غريب جداً .

[وقد ذكر الواقدي سبب قدومهم وهو أنهم كانوا قد شهروا السلاح على خزاعة ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري ، فأمر منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فقدم رؤسائهم بسبب أسراهم ، ويقال قدم منهم تسعون - أو ثمانون - رجلا في ذلك منهم عطارذ والزبرقان وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد والأقرع بن حابس

ورباح بن الحارث وعمرو بن الأهم ، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج إليهم ، فعجل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات ، فنزل فيهم منازل .

ثم ذكر الواقدي خطيبهم وشاعرهم ، وأنه عليه السلام أجازهم كل رجل اثني عشر أوقية ونشاً ، إلا عمرو بن الأهم فإنما أعطى خمس أواق لحداثة سنه . والله أعلم^(١) .
قال ابن إسحاق : ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى : « إن الذين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

قال ابن جرير : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » . قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن حمدي زَيْن ، وذمّي شَيْن . فقال : « ذاك الله عز وجل » .
وهذا إسناد جيد متصل .

وقد روى عن الحسن البصري وقتادة مرسلًا عنهما .

وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى بن عُقبة ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس ، أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد يا محمد . وفي رواية : يا رسول الله . فلم يجبه . فقال : يا رسول الله إن حمدي لَزَيْن ، وإن ذمي لَشَيْن . فقال : « ذاك الله عز وجل » .

(١) تأخرت في إلى نهاية الفصل .

فصل في فضل بني تميم

قال البخاري : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن عُمارة بن القَعْقَاع ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن أبي هريرة ، قال : لا أزال أحبُّ بني تميم بعد ثلاث سمعتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم :

« هم أشدُّ أمتي على الدجال » وكانت فيهم سَيِّدَةٌ عند عائشة فقال : « أعتقها فإنها من ولد إسماعيل » وجاءت صدقاتهم فقال : « هذه صدقات قوم - أو قومي - » .
وهكذا رواه مسلم عن زهير بن حرب به .

[وهذا الحديث بردُّ على قتادة^(١) ما ذكره صاحب الحاشية وغيره من شعر من ذمهم

حيث يقول :

تميمٌ بطُرُق اللُّؤْمِ أهدى من القَطَا ولو سَلَكَتْ طُرُقَ الرِّشَادِ لَضَلَّتْ
ولو أن برغوثاً على ظَهْرِ قَلْبِي رآته تميمٌ من بَيْعِدٍ لَوَلَّتْ^(٢)

وفد بني عبد القيس

ثم قال البخاري بعد وفد بني تميم : باب وفد عبد القيس .

حدثنا أبو إسحاق^(٣) ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا قُرَّة ، عن أبي جَرَّة^(٤) قال قلت لابن عباس : إن لي جَرَّةً يُنْتَبَذُ لي فيها فأشربه حلواً في جَرٍّ^(٥) إن أكرث منه نجاست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفنضح ؟

فقال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحباً

(١) كذا بالأصل . (٢) سقط من أ . (٣) البخاري : حدثني إسحق .

(٤) الأصل : عن أبي حمزة . والتصويب من صحيح البخاري ٢ / ٢٦٦

(٥) الجر : كل شيء يصنع من الدر .

بالقوم غير خزايا ولا الندامى » فقالوا : يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مُضَرٍّ ، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام ، فحدثنا بجميع^(١) من الأمر إن علمنا به دخلنا الجنة وتدعو به من وراءنا .

قال : « أمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس . وأنهاكم عن أربع : ما يُنْتَبَذُ في الدُّبَاءِ والنَّقِيرِ والحَنْتِ والزَّرَقِ »^(٢) .

وهكذا رواه مسلم من حديث قرّة بن خالد ، عن أبي جحزة به . وله طرق في الصحيحين عن أبي جحزة .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن أبي جحزة ، سمعت ابن عباس يقول : إن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ممن القوم ؟ » قالوا : من ربيعة . قال : « مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا الندامى » .

فقالوا : يا رسول الله إنا حيٌّ من ربيعة ، وإنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة ، وإنه يحُولُ بيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضَرٍّ ، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل ندعو إليه من وراءنا ندخل به الجنة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . أمركم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس . وأنهاكم

(١) صحيح مسلم : بأمر فصل . وفي البخاري : بجميع من الأمر .

(٢) الدُّبَاءُ : الفرع اليابس ، والخراد : الوعاء منه . والحَنْتُ : جزار خضر . والنَّقِيرُ : جذع ينقر وسطه والزَّرَقُ : العُطَى بالفار .

عن أربع . عن الدُّبَاءِ والخَنْمِ والتَّغْيِيرِ والمَزَقَّةِ - وربما قال والمَقْيَرِ - فاحفظوه من وأدعوا
إليهن من وراءكم .

وقد أخرجه صاحبها الصحيحين من حديث شعبة بنحوه .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي نَصْرَةَ ،
عن أبي سعيد بحديث قصتهم بمثل هذا السياق .

وعنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد القيس : « إن فيك خلقتين
يحبهما الله عز وجل ؛ الحلم والأناة » وفي رواية : « يحبهما الله ورسوله » فقال :
يا رسول الله [تَخْلَقُهُمَا أَمْ جَبَلْنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا ؟] فقال : « جَبَلَك اللَّهُ عَلَيْهِمَا » قال : الحمد لله
الذي جَبَلْنِي عَلَى خَلْقَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ^(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا مطرب بن عبد الرحمن ،
سمعت هنداً بنت الوازع ، أنها سمعت الوازع يقول : أتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والأشجع المنذر بن عامر - أو عامر بن المنذر - ومعهم رجل مصاب ، فأتهموا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبوا من رواحلهم ، فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبلوا يده ، ثم نزل الأشجع فعقل راحلته وأخرج عَيْبَتَهُ ففتَحَهَا فَأَخْرَجَ
ثَوْبَيْنِ أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : « يا أشجعُ ! إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله : الحلم والأناة »
فقال : يا رسول الله أنا تَخْلَقُهُمَا أَوْ جَبَلْنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا ؟ فقال : « بل الله جَبَلَك عَلَيْهِمَا »
قال : الحمد لله الذي جَبَلْنِي عَلَى خَلْقَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ عز وجل ورسوله .

فقال الوازع : يا رسول الله إن معي خلا لي مصابا ، فادع الله له . فقال : « أين هو

اثنتى به « قال : فصنعت مثل ما صنع الأشج ، ألبسته ثوبيه وأتيتته ، فأخذ من رداءه ^(١) يرفعهما حتى رأينا بياض إبطه ، ثم ضرب بظهره فقال : « اخرج عدو الله » فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح .

وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبد الله بن سعد ، أنه سمع جده مزينة العبدى ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيطلم من هاهنا ركبهم خير أهل المشرق » .

فقام عمر فتوجه نحوهم فتلقي ثلاثة عشر راكبا ، فقال : من القوم ؟ فقالوا : من بنى عبد القيس . قال : فما أقدمكم هذه البلاد ، التجارة ؟ قالوا : لا . قال : أما إن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا .

ثم مشوا معه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذى تريدون . فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم ، فنهض من مشى ومنهم من هزول ومنهم من سعى ، حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا بيده فقبلوها ، وتخلّف الأشج فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ، ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله » . قال : جبل جُبلت عليه أم تخلقا منى ؟ قال : بل جبل . فقال : الحمد لله الذى جَبَلَنى على ما يحب الله ورسوله .

وقال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنّش أخو عبد القيس . قال ابن هشام : وهو الجارود بن بشر بن المعلّى . فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

قال ابن إسحاق : وحديثي من لا أنهم عن الحسن^(١) قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلَّمَهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَرَغَّبَهُ فِيهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي كُنْتُ عَلَى دِينٍ وَإِنِّي تَارِكُ دِينِي لَدِينِكَ ، أَفَتَضْمَنُ لِي دِينِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » قَالَ : فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ أَصْحَابُهُ .

ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُمَلَانَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَنْحَلَكُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلَادِنَا ضَوَالٌّ مِنْ ضَوَالِّ النَّاسِ ، أَفَنُزِلُّ عَلَيْهَا إِلَى بِلَادِنَا ؟ قَالَ : لَا ، يَاكَ وَإِيَّاهَا ، فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ .

قَالَ : فَخَرَجَ الْجَارُودُ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ صَلْبًا عَلَى دِينِهِ حَتَّى هَلَكَ .

وَقَدْ أَدْرَكَ الرَّدَةَ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْهُمْ إِلَى دِينِهِمُ الْأَوَّلِ مَعَ الْغُرُورِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ قَامَ الْمُنْذَرُ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفَرُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ رَدَةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَالْعَلَاءُ عِنْدَهُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ .

ولهذا روى البخاري من حديث إبراهيم بن طهمان عن أبي جحرة ، عن ابن عباس ،

(١) ابن هشام : عن الحسين

قال : أولُ جمعةُ جُمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوأتى من البحرين .

وروى البخارى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاهما بعد العصر في بيتها .

قلت : لكن في سياق ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقولهم : وبيننا وبينك هذا الحى من مضر ، لا نصل إليك إلا في شهر حرام . والله أعلم .

قصة ثُمَامَة ووفد بنى حنيفة

ومعهم مسيلة الكذاب لعنه الله

قال البخارى : باب وفد بنى حنيفة وقصة ثُمَامَة بن أثال .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثني سعيد بن أبى سعيد ، سمع أبا هريرة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثُمَامَة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ قال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت .

فتركه حتى كان الغد ثم قال له : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ فقال : عندي ما قلت لك ، إن تُنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى بعد الغد فقال : « ما عندك يا ثُمَامَة » ؟ فقال عندي ما قلت لك . فقال : « أطلقوا ثُمَامَة » .

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلى ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلى ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فإذا ترى ؟

فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ قال : لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا تأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث به .

وفى ذكر البخارى هذه القصة فى الوفود نظر .
وذلك أن ثمامة لم يفد بنفسه وإنما أمر وقدم به فى الوثاق فربط بسارية من سواري المسجد .

ثم فى ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر ، وذلك أن الظاهر من سياق قصته أنها قبيل الفتح ، لأن أهل مكة عيروه بالإسلام وقالوا : أصبوت ؟ فتوعدهم بأنه لا يفد إليهم من اليمامة حبة حنطة ميرة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدل على أن مكة كانت إذ ذاك دار حرب لم يسلم أهلها بعد . والله أعلم .

ولهذا ذكر الحافظ البيهقى قصة ثمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه ، ولكن ذكرناه هنا إتباعاً للبخارى رحمه الله .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن عبد الله بن أبي حسين ،

حدثنا نافع بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : قدِمَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَابِ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : إنَّ جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته . وقدِمَ في بشر كثير من قومه .

فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال له : «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها»^(١) ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذي رأيتُ فيه ما أريت ، وهذا ثابتٌ يحبيك عني » ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنك الذي رأيت فيه ما أريت » فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحى إليَّ في المنام : أن انفخهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذا بين يخرجان بعدى أحدهما الأسود العنسي والآخر مسيلمة » .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر^(٢) ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني معمر ، عن همام بن منبه^(٣) ، أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائم أتيت بجزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب ، فكبرا على فأوحى إلي : أن انفخهما . فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ؛ صاحب صنم ، وصاحب اليمامة » .

ثم قال البخاري : حدثنا سعيد بن محمد الجرهمي ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن عبيدة ، بن نسيط - وكان في موضع آخر اسمه عبد الله - أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : بلغنا أن مُسَيْلَمَةَ الكَذَابِ قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث وكان تحته بنت الحارث بن كرز وهي أم عبد الله بن عامر بن كرز ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وهو الذي يقال له :

(١) الأصل : أعطيتها . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢٦٨/١ . (٢) الأصل : منصور . وما أثبتته عن البخاري . (٣) الأصل : هشام بن أمية . وما أثبتته عن البخاري .

خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب فوقف عليه فكلمه ، فقال له مسيلة : إن شئت خلّيتُ بينك وبين الأمر ، ثم جمّلتُه لنا بعدك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه وإني لأراك^(١) الذي رأيتُ فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس وسيجيئك عني » فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبيد الله بن عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكر ، فقال ابن عباس : ذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم أُريتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما^(٢) وكرهتهما ، فأذن لي فنفضتهما فطارا ، فأولتُهما كذابين يخرجان » .

فقال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلة الكذاب .

وقال محمد ابن إسحاق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة فيهم مسيلة [بن حبيب الكذاب . قال ابن هشام : وهو مسيلة^(٣)] بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون ، وكان قد تسمى بالرحمن فكان يقال له رحمن اليمامة ، وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة ، وكان يعرف أبوايا من النيرجات^(٤) ، فكان يدخل البيضة إلى القاروة ، وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويدعى أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها .

قال ابن إسحاق : وكان منزله في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بني النجار .

(١) : وإني أراك .

(٢) فقطعتهما : كرهتهما . وفي الأصل : فقطعتهما . وهو تحريف . (٣) سقط من الطبوعة .

(٤) السهيل : النيرجات . وفي القاموس : النيرنج : أخذ كالسحر وليس به .

[قال السَّهيلي : هي زينب ، وقيل كَيْسَة ^(١) بنت الحارث بن كُرَيْز بن حبيب بن عبدشمس ، وكان مسيلة قد تزوجها قديماً ثم فارقها ، فلهذا نزلوا في دارها ^(٢)] .

قال ابن إسحاق : لحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه معه عَيْب من سَعَف النخل في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلَّه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سألتني هذا الْعَيْب ما أعطيتُكهُ » .

قال ابن إسحاق : وحدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، وزعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَفُوا مسيلة في رحالم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا قد خَلَفْنَا صاحباً لنا في رِحَالنا وفي رِكائبنا يَحْفَظُنا لنا .

قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : « أما إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً » أي لحفظه ضيعة أصحابه . ذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوا مسيلة بما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله وتنبأ وتكذَّب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه .

وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكروتموني له : « أما إنه ليس بِشَرِّكم مكاناً » ماذا كان يَعْلَمُ أني قد أشركت في الأمر معه .

ثم جعل يَسْجَعُ لهم السَّجَعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن : لقد أنعم الله على

(١) الأصل : كبشة وما أثبتته عن الروض الأثف ٣٤١/٢ . (٢) سقط من المطبوعة .

الخبلى ، أخرج منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بين صِفَاق^(١) وحشاً .

وأحلَّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي .

فأصفت^(٢) معه بنو حنيفة على ذلك .

قال ابن إسحاق فالله أعلم أى ذلك كان .

وذكر السهيلي وغيره أن الرِّحَال بن عُنْفُوَة - واسمه نهار بن عنفوة - وكان قد أسلم وتعلَّم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ، وقد مرَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبي هريرة وفُرات بن حَيَّان فقال لهم : « أحدم خيرُسه في النار مثلُ أحد » .

فلم يزلَا خائفين حتى ارتدَّ الرِّحَال مع مسيلمة وشهد له زوراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرَّكه في الأمر معه ، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادَّعاه مسيلمة لنفسه ، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة ، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة .

قال السهيلي : وكان مؤذَن مسيلمة يقال له حُجَير ، وكان مدبِّر الحرب بين يديه مُحَكِّم بن الطَّفِيل .

وأضيف إليهم سَجَّاح ، وكانت تكنى أمّ صادر ، وتزوجها مسيلمة ، وله معها أخبار فاحشة ، واسم مؤذنها زهير بن عمرو ، وقيل جنبه بن طارق ، ويقال إن شَبَث ابن رَبِيعٍ أذَّن لها أيضاً ثم أسلم ، وقد أسلمت هي أيضاً أيام عمر بن الخطاب فحسن إسلامها .

وقال يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق : وقد كان مسيلمة بن حَبِيب كتب إلى

(١) الصفاق : جلد البطن .

(٢) أصفت : اجتمعت .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيئة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك .
أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك ، فإن لنا نصف الأمر ولقریش نصف الأمر ،
ولكن قریشاً قومٌ يعتدون .

فقدِم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيئة الكذاب . سلام على
من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين » .

قال : وكان ذلك في آخر سنة عشر - يعني ورود هذا الكتاب . [وقد روى
البخارى قصة هذا الكتاب في صحيحه .] ^(١) قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق :
حدثني سعد بن طارق ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسولا مسيئة الكذاب بكتابه يقول لهما : « وأنما
تقولان مثل ما يقول ؟ » قالوا : نعم . فقال أما والله لولا أن الرُّسل لا تُقتل
لضربتُ أعناقكما .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن عاصم ، عن أبي وائل عن
عبد الله بن مسعود . قال : جاء ابن النُّواعة وابن أنال رسولين لمسيئة الكذاب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما : « أتشهدان أني رسول الله » فقالا : نشهد
أن مسيئة رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمنتُ بالله ورسله ، ولو
كنت قاتلاً رسولاً لقتلتُكما » .

قال عبد الله بن مسعود : فضت السنة بأن الرسل لا تُقتل .

قال عبد الله : فأما ابن أنال فقد كفاه الله ، وأما ابن النُّواعة فلم يزل في نفسه منه

حتى أمكن الله منه .

قال الحافظ البيهقي : أما أسامة بن أثال فإنه أسلم . وقد مضى الحديث في إسلامه ^(١) .

وأما ابن النواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزني ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا جعفر بن عون ، أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إني سررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرءون قراءة ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : والطاحنات طَحْنًا والماعجات كَجْنًا ، والمخابزات خَبْرًا ، والثارِدَات ثَرْدًا ، واللاِقَات لَقْمًا .

قال : فأرسل إليهم عبد الله فأثنى بهم وهم سبعون رجلاً ، ورأسهم عبد الله بن النواحة . قال : فأمر به عبد الله فقتل ثم قال : ما كنا بمُخْرِزِينَ الشيطان من هؤلاء ، ولكن نحوزهم إلى الشام لعل الله أن يكفينام .

وقال الواقدي : كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلاً عليهم سُلْمَى بن حنظلة ، وفيهم الرِّحَال بن عنقوة وطلْق بن علي وعلي بن سِفان ومُسَيْلَمَة بن حبيب الكذاب ، فأبزلوا في دار مسلمة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة ، فكانوا يؤتون بقداء وعشاء مرة خبزاً ولحمًا ، ومرة خبزاً ولبنًا ، ومرة خبزاً ، ومرة خبزاً وسمناً ، ومرة تمرًا بنزلهم .

فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلفوا مسيلمة في رحاهم ، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة ، وأمر مسيلمة بمثل ما أعطاهم ، لماذكروا أنه في رحاهم ، فقال : « أما إنه ليس بشراً كم مكاناً » .

فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه ، فقال : إنما قال ذلك لأنه عَرَفَ أن الأمر لي من بعده .

وبهذه الكلمة تشبَّثَ قبحه الله حتى ادعى النبوة .

قال الواقدي : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ معهم يداوة فيها قَصْل طهوره ، وأمرهم أن يهدموا بيعتهم وَيَنْضَحُوا هذا الماء مكانه ويتخذوه مسجداً ففعلوا .

وسَيَأْتِي ذكر مقتل الأسود المَنْسِي في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل مسيلة الكذاب في أيام الصديق .

وفد أهل نجران

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صِلَةَ بن زُفَرٍ ، عن حذيفة ، قال : جاء العاقب والسَّيِّد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يُبْلَغنَّاه .

قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فلاعَنَّاَه لا نُفْلِحْ نحن ولا عَقِبُنَا من بعدنا .

قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وأبعت معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا رجلا أميناً ، فقال : « لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين » .

فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم يا أبا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أمينٌ هذه الأمة » .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى ابن الفضل ، قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن سلمة بن عبد يسوع ، عن أبيه عن جده - قال يونس : وكان نصرانيا فأسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان « باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران أسلم أنتم ، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتُم فالجزية ، فإن أبيتُم آذنتكم بحرب والسلام » .

فلما أتى الأسقف الكتابُ فقرأه فظلع به وذعر به ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرْحَبِيل بن وداعة - وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت مُفضلة قبسه لا الأبهم ولا السيد ولا العاقب - .

فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شُرْحَبِيل فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شُرْحَبِيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ؟ ليس لي في النبوة رأى ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأى وجهدتُ لك . فقال له الأسقف : تنح فاجلس . فتنحى شُرْحَبِيل فجلس ناحيته .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شُرْحَبِيل ، وهو من ذى أضبح من خمير ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي ، فقال له مثل قول شُرْحَبِيل ، فقال له الأسقف : تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحيته .

وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جَبَّار بن فيض من بني الحارث ابن كعب أحد بني الحِمْيَر ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ، فقال له مثل

قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنجى فجلس ناحيته .

فلما اجتمع رأى منهم على تلك المقالة جميعا ، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع .

فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله ، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألم عن رأى فيه .

فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة المهدي وعبد الله ابن شرحبيل الأصبغى وجبار بن فيض الحارثى ، فيأتوهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسوا حللا لم يجرؤوها من حبرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا الكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب .

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما ، فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجالس ، فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن ، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له ، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدنا الكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا ، فما رأى منكنا ، أترونا أن نرجع ؟

فقال لعلى بن أبي طالب وهو في القوم : ماترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال

على لعنان ولعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعمودوا إليه .

ففعّلوا فسلموا فرد سلامهم ، ثم قال : « والذي بعثني بالحق لقد أتوني للمرة الأولى وإن إبليس لمهم » .

ثم ساءلهم وساءلوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا : ماتقول في عيسى ، فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ، يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عندي فيه شيء يومى هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله فى عيسى » .

فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية : « إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » ^(١) .
فأبوا أن يُقرّوا بذلك .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر ، أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى تخمّل له وقاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة .

فقال شريحيل لصاحبيه : قد علمنا أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردّوا ولم يصدّروا إلا عن رأى ، وإنى والله أرى أمرا ثقيلا ، والله لئن كان هذا الرجل ملكا متقويا فكنا أول العرب طعن فى عينه وردّ عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة ، وإننا أدنى العرب منهم جوارا ،

ولئن كان هذا الرجل نبياً مُرسلاً فلا عَنَاءَ لا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنَاشِعِرٌ
ولا ظُفْرٌ إِلَّا هَلَكَ .

فقال له صاحبه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : رأيي أن أحْكَمَهُ ، فإني أرى رجلاً
لا يَحْكُمُ شَطَطاً أبداً . فقالا له : أنت وذاك .

قال فتلقَى شرحبيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني قد رأيت خيراً من
ملاعنتك . فقال : « وما هو ؟ » فقال : حُكْمُكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ . وليلتك إلى الصباح ،
فهما حكمتَ فينا فهو جَائِزٌ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل وراءك أحداً يُثَرِّبُ ^(١) عليك ؟ » فقال
شرحبيل : سَلْ صاحِبِي . فقالا : ما بَرَدُ الْوَادِي وَلَا يَصْنُدُ إِلَّا عَنْ رَأْيِ شُرْحَبِيلِ .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم ، حتى إذا كان الفد أتوه فكتب
لهم هذا الكتاب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذا ما كتب محمد النبي [الأُمِّي ^(٢)]
رسول الله لنجران ، أن كان عليهم حُكْمُهُ فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ وَكُلِّ صَفْرَاءٍ وَبَيْضَاءٍ وَرَقِيقٍ ،
فأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى أَلْفِي حُلَةٍ ، فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفَ حُلَةٍ ، وَفِي كُلِّ
صَفْرِ أَلْفَ حُلَةٍ » وذكر تمام الشروط . إلى أن قال : شهد أبو سفيان بن حرب
وغيَـثُـلَانُ بْنُ عَمْرٍو وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ بَنِي نَصْرٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْهَنْظَلِيُّ
والمغيرة ، وكتب .

حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن
عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو عاقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو عاقمة معه وهما يسيران

إِذْ كَبَّتْ بَشِيرٍ نَاقَتَهُ ، فَتَمَسَّ بِشِرِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَكْنَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ لَهُ الْأَسْقَفُ عِنْدَ ذَلِكَ : قَدْ وَاللَّهِ تَعَسَّتْ نَبِيًّا مَرْسِلًا . فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَحْلَى عَنْهَا عَقْدًا حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : وَصَرَفَ وَجْهَهُ نَاقَتَهُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَثَنَى الْأَسْقَفُ نَاقَتَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْهَمَ عَنِّي ، إِنَّمَا قُلْتَ هَذَا لِيَبْلُغَ ^(١) عَنِّي الْعَرَبُ مَخَافَةَ أَنْ يَرَوْا أَنَا أَخَذْنَا حَقَّهُ أَوْ رَضِينَا بِصَوْتِهِ أَوْ تَخَفْنَا ^(٢) لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَا لَمْ تَتَخَفْ بِهِ الْعَرَبُ ، وَنَحْنُ أَعَزُّهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ دَارًا . فَقَالَ لَهُ بَشِيرٌ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُ مَا خَرَجَ مِنْ رَأْسِكَ أَبَدًا .

فَضْرَبَ بَشِيرٌ نَاقَتَهُ وَهُوَ مُوَلَّى الْأَسْقَفَ ظَهْرَهُ ، وَارْتَجَزَ يَقُولُ :
إِلَيْكَ تَفْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا ^(٣) مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَدَخَلَ الْوَفْدُ نَجْرَانَ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ ابْنَ أَبِي شَمْرٍ الزَّيْدِي وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَتِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ نَبِيًّا بَعَثَ بِتَهَامَةٍ . فَذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ وَفْدِ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمَلَاعِقَةَ فَأَبَوْا ، وَأَنْ بَشِيرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ دَفَعَ إِلَيْهِ فَأَسْلَمَ .

فَقَالَ الرَّاهِبُ : أَنْزِلُونِي وَإِلَّا أَلْقَيْتُ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ . قَالَ : فَأَنْزَلُوهُ فَأَخَذَ

(١) : فَبْلُغَ . (٢) : تَخَفْنَا : أَقْرَبْنَا .

(٣) : الْوَضِيئُ : بَطْنُ عَرِيضٍ مَنْسُوجٍ مِنْ سَيُورٍ أَوْ شَعْرِ . وَقُلُقُ الْوَضِيئِ : كُنَايَةٌ عَنِ الْهَزَالِ .

معه هدية وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقَعَب وعصا .

فأقام مدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحي ، ثم رجع إلى قومه ولم يقدّر له الإسلام ، ووعد أنه سيعود فلم يقدّر له حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه ، وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم ^(١) وكل ماتحت أيديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله ، لا يغيّر أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانته ولا كاهن من كهانته ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونعّجوا عليهم ، غير مُبْتَلِينَ بظلم ولا ظالمين . وكتب المغيرة بن شعبة .

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأنهم وأبو حارثة بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس وزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحذّس .

وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدّرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان نَمَاحَم ^(٢)

وصاحب رَحْلهم ، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسْقَقَهُم وحَبَرَهُم وكان رجلا من العرب من بكر بن وائل ولكن دَخَلَ دين النصرانية فَعَظَّمَتِهُ الروم وشَرَّفُوهُ وبنوا له الكنائس ومَوَّلُوهُ وأَخْدَمُوهُ لما يعرفون من صلابته في دينهم ، وكان مع ذلك يعرف أمر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صدَّه الشرفُ والجاه من اتباع الحق .

وقال يونس بن بُسْكَير عن ابن إسحاق : حدثني بُرَيْدَةُ بن سفيان ، عن ابن الأبي عمير^(٢) ، عن كرز^(٣) بن علقمة ، قال : قَدِمَ وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بني بكر بن وائل أسْقَقَهُم وصاحب مِذْرَاسِهِمْ^(٤) وكانوا قد شَرَّفُوهُ فيهم ومَوَّلُوهُ وأكرموا ، وبَسَطُوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كُرْز بن علقمة يُسَآيرُهُ ، إذ عَثَرَتْ بغلة أبي حارثة ، فقال كرز : تَعَسَّ الأبعد - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - . فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال له كرز : ولم يأخى ؟ فقال : والله إنه للَنَبِيِّ الذي كنا ننتظره .

فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال له : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شَرَّفُونَا ومَوَّلُونَا وأَخْدَمُونَا ، وقد أبوا إلا خِلافَهُ ، ولو فعلتُ نزعوا منا كلَّ مَآتَرِي .

قال : فأضمر عليها منه أخوه كرز ، حتى أسلم بعد ذلك .

(١) : ١ : أمور . (٢) : ١ : السيلاني . (٣) : ابن هشام : كوز .

(٤) : غير ١ : مذارستهم .

وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان ،
وقد حانت صلاةُ العصر فقاموا يصلُّون إلى المشرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : دعوهم .

فكان للتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدرُ سورة
آل عمران والمباهلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا أن يرسل معهم أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن
الجراح . كما تقدم في رواية البخاري .
وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسير سورة آل عمران والله الحمد والمنة .

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس لعنهما الله

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ، فيهم عامر ابن الطفيل وأربد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر وحيان^(١) بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدربة .

وقد قال له قومه : يا أبا عامر^(٢) إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليتُ ألا أنتهي حتى تتدبّع العربُ عَقبِي فأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش . ثم قال لأربد : إن قدِمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعله بالسيف .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني^(٣) قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » قال : يا محمد خالني ، قال : وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يُحير^(٤) شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني ، قال : « لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له » .

فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامر ابن الطفيل » .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد : أين

(١) كذا بالأصل ، وهي رواية ، وفي ابن هشام : وجبار .

(٢) ابن هشام : يا عامر . (٣) خالي : تنرد لي خاليا . وبالتشديد : اتخذني خليلا

(٤) ١ : يحيك .

ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسه منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً .

قال : لا أبالاك لا تعجل على ، والله ما هممتُ بالذى أمرتني به إلا دخأت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر أعذة كغدة البكر^(١) في بيت امرأة من بنى سلول ؟

قال ابن هشام : ويقال : أعذة كغدة الإبل وموت في بيت سلولية !

وروى الحافظ البيهقي من طريق الزبير بن بكار ، حدثني فاطمة بنت عبد العزيز بن موءلة ، عن أبيها ، عن جدها موءلة بن حميل^(٢) قال : أنى عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا عامر أسلم » فقال : أسلم على أن لى الوبر ولك المدر . قال : « لا » .

ثم قال : أسلم . فقال : أسلم على أن لى الوبر ولك المدر قال : لا . فولى وهو يقول : والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامراً وأهد قومه . فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية ، فنزل عن فرسه ونام في بيتها ، فأخذته غدة في حلقه ، فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يحول وهو يقول : غدة كغدة البكر وموت في بيت سلوية ! فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً .

(٣) في القاموس : موءلة بن كثيف بن حمل .

(١) البكر : الفتى من الإبل .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في أسماء الصحابة مؤالة هذا فقال:
هو مؤالة بن كَثِيف الضَّبَابِي الْكِلَابِي العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة فأسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان
يدعى ذا اللسانين من فصاحته ، روى عنه ابنه عبد العزيز ، وهو الذي روى قصة عامر
ابن الطفيل : غُدَّة كغدة البعير وموت في بيت سَلُولِيَّة .

قال الزبير بن بكار : حدثني ظُمَيْاء بنت عبد العزيز بن مؤالة بن كَثِيف بن حمل
ابن خالد بن عمرو بن معاوية ، وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قالت :
حدثني أبي عن أبيه ، عن مؤالة ، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو ابن
عشرين سنة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح يمينه وساق إبله إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصدَّقها بنت لبون ، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعاش في الإسلام مائة سنة ، وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته .

قلت : والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح ، وإن كان ابن إسحاق
والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح .

وذلك لما رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، أنبأنا
معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، عن إسحاق بن عبد الله
ابن أبي طلحة ، عن أنس في قصة بئر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان
خال أنس بن مالك ، وغذره بأصحاب بئر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية
كما تقدم .

قال الأوزاعي : قال يحيى : فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن
الطفيل ثلاثين صباحا : « اللهم أكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه ما يقتله »
فبعث الله عليه الطاعون .

وروى عن همام ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس في قصة حرام بن ملحان قال :
وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخيرك بين ثلاث خصال :
يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل الوبر ، وأكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك
بنظفان بألف أشقر وألف شقراء .

قال : فطعن في بيت امرأة فقال : أغدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة من بنى
فلان ! اثنوى بفرسى . فركب فمات على ظهر فرسه .

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حتى واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين ،
فلما قدموا اتاهم قومهم فقالوا : وما وراءك يا أربد ؟ قال : لاشيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة
شيء لوددت لو أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أفتله الآن .

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة
صاعقة فأحرقهما .

قال ابن إسحاق : وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد
بيكى أربد :

ما إن تعدى ^(١) المنون من أحدٍ	لا والدٍ مُشفق ولا ولدٍ
أخشى على أربد الختوف ولا	أرهبُ نوء السماء والأسدِ
فعين هلاً بكيت أربد إذ	قمنا وقام النساء في كبدِ
إن يشعّبوا لا يُبالِ شغبهم	أو يقصدوا فى الحُكوم يقصدِ
حلو أرببٌ وفى حلاوته	مرّ لصيق الأحشاء والكبدِ ^(٢)
وعين هلاً بكيت أربد إذ	ألوت رباح الشتاء بالعضدِ ^(٣)

(١) تعدى : ترك . وفى الأصل : تعزى . وما أنبته عن ابن هشام ٥٦٩/٢ .

(٢) ابن هشام : لطيف الأحشاء . (٣) العضد : الشجر العضود ، الذى سقطت أوراقه .

وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُصْرَمَةً ١ حتى تجلت غواير المدد ١
 أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةِ الْحِمِّ ٢ ذو نَهْمَةٍ فِي الْعَمَلِ وَمُنْتَقِدٍ ٢
 لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا ٣ لَيْلَةٌ تُنْسِي الْجِيَادُ كَالْقِدَدِ ٣
 الْبَاعَثُ النَّوْحَ فِي مَآئِمِهِ ٤ مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجُرْدِ ٤
 فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاقِقُ بِالْفَا ٥ رَسَ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ ٥
 وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيئًا وَإِنْ يَعْدِ يَعْدُ ٥
 يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا يَنْبِتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ ٦
 كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ ٧ قَلٌّ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ ٧
 إِنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمَرُوا ٨ يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفْدِ ٨

وقد ذكر ابن إسحاق عن ليبيد أشعاراً كثيرة في رثاء أخيه لأمه أُرْبَدَ بن قيس ،
 تركها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه . والله الموفق للصواب .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال :
 فأنزل الله عز وجل في عامر وأُرْبَدَ : « اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ
 وَمَا تَزْدَادُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سِوَاكَ مِنْكُمْ

- (١) اللاقح : الشجرة التي ألقت بها الرياح . والمصرمة : التي لا تمر لها . والغواير : البقايا .
- (٢) اللحم : الأكل للحوم القرم إليه . والمنتقد : النظر والرأي .
- (٣) القدد : جمع قدة وهي السير يقطع من جلد ، يشبه به الخيل في الهزال والضمور .
- (٤) النوح : النباء النائح . والجرد : الأرض المقفرة .
- (٥) الحارب : السالب للأعداء . والحريب : الذي سلب ماله .
- (٦) يعفو : يكثر عطاؤه . والرصد : القليل من السكك .
- (٧) ابن هشام : وإن كثرت .
- (٨) يغبطوا : يحسدوا على نعمتهم . يهبطوا : يحرموا . وأمرؤا : كثروا واشتدوا .

مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَبَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وَقَتْلَهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . هُوَ الَّذِي يَرْسِكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ^(١) » .

قلت : وقد تكلمنا على هذه الآيات الكريمات في سورة الرعد . والله الحمد والمنة .

وقد وقع لنا إسناد ما علَّقه ابن هشام رحمه الله .

فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبْرَانِي فِي مَعْجَمِهِ السَّكْبِيرِ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا مَسْعُودَةُ بْنُ سَعْدِ الْعَطَّارِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحَزْرَامِيُّ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِمَا ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَّارَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ أَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ جَزْءَ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ بْنِ مَالِكٍ قَدِمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْتَهَيَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْهِ : فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ : يَا مُحَمَّدُ مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَسْلَمْتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » .

قال عامر : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أَعِنَّةُ الْخَيْلِ » . قال : أنا الآن في أَعِنَّةِ خَيْلٍ نَجْدٍ ، اجعل لي الْوَيْرَ وَلَكَ الْمَدَرُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . فلما قَفَلَ ^(١) من عنده قال عامر :
أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يَمْنَعُكَ الله » .

فلما خرج أَرَبْد وعامر قال عامر : يا أَرَبْد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه
بالسيف ، فإن الناس إذا قتلَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدَّيَّة ويكرهوا الحرب ،
فسنمطيهم الدية . قال أَرَبْد : أفعل .

فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلك . فقام معه رسول الله صلى
الله عليه وسلم خَلِيًّا إلى الجدار ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وسلَّ
أَرَبْدُ السيف ، فلما وضع يده على السيف يَبِست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سَلَّ
السيف ، فأبطأ أَرَبْدُ على عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى
أَرَبْدَ وما يصنع فانصرف عنهما .

فلما خرج أَرَبْد وعامر عن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرّة
حرّة واقم نَزْلاً فخرج إليهما سعد بن معاذ وأَسِيد بن الحَضِير فقالا : اشخُصا يا عدوَّ
الله لعنكما الله . فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : أَسِيد بن حَضِير السكتائب .

فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أَرَبْد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتى
إذا كان بالحرّة أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سُلُول ،
فجعل يمسُّ قرحته في حلقة ويقول : غُدَّة كغدة الجمل في بيت سُلُولية ؟ يَرْغَب ^(٢)
أن يموت في بيتها .

ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليه راجعاً ، فأنزل الله فيهما . « الله يَعْلَم

ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وما تَفِيضُ الْأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ « إلى قوله : « لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أربد وما قتله به فقال : « وَبُرْسِلَ
الصَّوَاعِقُ فَيَصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ » الآية .

وفي هذا السياق دلالة على تقدّم قصة عامر وأربد ، وذلك لذكر سعد بن معاذ
فيه . والله أعلم .

وقد تقدم^(١) وفود الطّفل بن عامر الدّوسى رضى الله عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة وإسلامه ، وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه ، ثم سأل الله فحوّله
له إلى طرف سوطه . وبسطنا ذلك هنالك فلا حاجة إلى إعادته ها هنا كما صنع
البيهقي وغيره .

قدوم ضِمَام بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وافداً عن قومه بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْعٍ ، عن كُرَيْب ، عن ابن
عباس . قال : بعث بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقّله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، وكان ضِمَام رجلاً جَلْدًا أشعر ذا غَدِيرَتَيْن .
فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أَيُّكُمْ ابْنُ
عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » .

فقال : يا محمد . قال : نعم . قال : يا ابن عبد المطلب إني سألتك ومُغلظ عليك في المسألة فلا تجدني في نفسك . قال : « لا أجد في نفسي فسَل عما بدا لك » .

فقال : أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تصلّي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : « نعم » .

قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ، الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يَنشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها .

حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وسأودى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني صدّق ذو العَقِيصَتَيْنِ دخل الجنة » .

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تسكلم به أن قال : بثّت اللاتُ والعُزَّى . فقالوا : مه يا ضيَام اتقِ البرصَ ، اتقِ الجدَام ، اتقِ الجنون !

فقال : ويلسكن إنيهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه
 قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً .
 قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوفاء قومٍ كان أفضل من ضيَام بن ثعلبة .
 وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري ، عن أبيه ، عن ابن
 إسحاق فذكره .

وقد روى هذا الحديث أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ،
 عن سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نُوَيْع ، عن كُرَيْب ، عن ابن
 عباس بنحوه .

وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح ، لأن العزى خربها
 خالد بن الوليد أيام الفتح .

وقد قال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن شريك بن عبد
 الله بن أبي نمر ، عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر في رجب
 سنة خمس ضيَام بن ثعلبة ، وكان جنداً أشعر ذا غديرتين وافداً إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأعاط له في المسألة ، سأله
 عن أرسله وبم أرسله ، وسأله عن شرائع الإسلام ، فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في ذلك كله ، فرجع إلى قومه مسلماً قد خاضع الأنداد ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ،
 فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ، وبنوا المساجد
 وأذنوا بالصلاة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن

ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله ونحن نسمع . فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . قال : صدق .

قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله .

قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، الله أرسلك ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سننا . قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : صدق . قال : ثم وليّ فقال : والذي بعثك بالحق لا أريد عليهن شيئا ولا أنقص عليهن شيئا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » .

[وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة ، عن أنس بن

مالك رضى الله عنه ^(١) .

وقد رواه مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة .
وعلقه البخاري من طريقه .

وقد أخرجه من وجه آخر بنحوه . فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ،
حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، أنه سمع أنس بن مالك
يقول : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس في المسجد دخل رجل على
جل فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متسكى بين ظهرانيهم قال : فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتسكى .

فقال الرجل : يا ابن عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك .
فقال الرجل : يا محمد إني سئلتك فشدت عليك في المسألة ، فلا تجد عليّ في نفسك . فقال :
سل ما بدا لك . فقال الرجل : أنشدك بربك ورب من كان قبلك ، آله أرسلاك إلى
الناس كلمهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم » .

[قال : فأنشدك الله آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واليلة ؟ قال :
اللهم نعم ^(١)] .

قال : فأنشدك الله ، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم ! » .

[قال : أنشدك الله ، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على
فقرائنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم نعم ^(١)]

قال الرجل : آمفت بما جئت به ، وأنا رسول من وراني من قومي ، وأنا ضيم بن
نعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وقد رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث بن سعد ،
عن سعيد المقبري به .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن الليث به .

والمعجب أن النسائي رواه من طريق آخر عن الليث . قال : حدثني ابن عجلان وغيره
من أصحابنا ، عن سعيد المقبري ، عن شريك ، عن أنس بن مالك . فذكره . وقد رواه
النسائي أيضا من حديث عبيد الله العمري ، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، فلعنه عن
سعيد المقبري من الوجهين جميعاً . والله أعلم .

فصل

وقد قدمنا ^(١) مارواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن
داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قدوم ضِمَاد الأزدي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وإسلامه وإسلام قومه . كما ذكرناه
مبسوطاً بما أغنى عن إعادته هاهنا . والله الحمد والمنة .

وفد طيء مع زيد الخليل رضي الله عنه

[وهو زيد بن مُهلل بن زيد بن منب ، أبو مُكْنِف الطائي ، وكان من أحسن
العرب وأطولهم رجلاً .

وسمى زيد الخليل لخمس أفراس كنَّ له .

قال السهيلي : ولهن أسماء لا يحضرني الآن حفظها] ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم

(١) سبق ذلك في الجزء الأول .

(٢) سقطت من المطبوعة .

زيد الخليل وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلوه وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني من لا أنهم من رجال طيء : « ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخليل ، فإنه لم يبلغ كل الذي فيه » .

ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقطع له فيداً^(١) وأرضين معه ، وكتب له بذلك .

فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ينجُ زيد من حمى المدينة فإنه »^(٢) قال : وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم مَلْدَم - لم يُثبت^(٣) .

قال ابن إسحق : فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة أصابته الحمى فمات بها ، ولما أحس بالموت قال :

أمرتُحَلَّ قَوْمي المِشَارِقَ غُدْوَةً وأُتْرِكَ في بَيْتِ بَنِي مُنْجِدٍ

أَلَا رَبِّ يَوْمَ لو مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ من لم يُبْرِ مِنْهُمْ يَجْهَدُ^(٤)

قال : ولما مات عمدت امرأته لجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها بالنار .

قلت : وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد ، أن علي بن أبي طالب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في تربتها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فيد : موضع بشرقي سلمى أحد جبال طيء . (٢) قال :

(٣) قال السهيلي : الاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى هو أم كلية . ذكر لي أن أبا عبيدة ذكره في مقاتل الفرسان . ولم أره . الروض ٣٤٢/٢ .

(٤) يبرز : يضئ .

وسلم بين أربعة : زيد الخيل ، وعَلَقْمَة بن عَلَاثَة ، والأفرع بن حابس ، وعيينة بن بدر الحديث . وسيأتى ذكره فى بعث على إلى اليمن إن شاء الله تعالى .

قصة عدى بن حاتم الطائى

قال البخارى فى الصحيح : وفد طيء وحديث عدى بن حاتم . حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوَانَة ، حدثنا عبد الملك بن عُمر ، عن عمرو بن حُرَيْث ، عن عدى بن حاتم ، قال : أتينا عمر بن الخطاب فى وفد فجعل يدعو رجلا رجلا يسميهم ، فقلت : أما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى أسلت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا . فقال عدى : لا أبالى إذا .

وقال ابن إسحاق : وأما عدى بن حاتم فكان يقول فيما بلغنى : مارجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومي بالمرباع وكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملكا فى قومي لما كان يصنع بى .

فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لعلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ، أعدذ لى من إبلى أجمالا ذللاً سمانا فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعت بجيش لحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى . ففعل .

ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ، ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : قلت : فقترب إلى أجمالى . فقتربها .

فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : الحق بأهل دينى من النصارى بالشام .
فسلكت الجوشية^(١) وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .
وتمخلفنى خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصابت ،
فقدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبأيا من طيِّ ، وقد بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم هربى إلى الشام .

قال : فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبأيا تحبس بها ، فرَّ بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزَلَةً^(٢) ، فقالت : يا رسول الله
هلك الوالد وغاب الوافد ، فامننْ علىَّ من الله عليك .

قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدىُّ بن حاتم . قال : الغارُّ من الله ورسوله . قالت :
ثم مضى وتركنى ، حتى إذا كان الغد مرَّ بى فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل
ما قال بالأمس .

قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بى وقد ينستُ ، فأشار إلىَّ رجلٌ خلفه أن قومى
فكلميه . قالت : فقممت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد ، فامننْ علىَّ
من الله عليك .

فقال صلى الله عليه وسلم : قد « فعلت » ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك
من يكون لك ثقةً حتى يبلغك إلى بلادك . ثم أذنينى « فسألتُ عن الرجل الذى أشار
إلىَّ أن كلمه ، فقيل لى : على بن أبى طالب .

قالت : وأقمتُ حتى قدم ركبٌ من بليّ أو قضاة ، قالت وإنما أريد أن آتى أخى
بالشام ، فبحث فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت :

(١) الجوشية : موضع بين نجد والشام .

(٢) الجزلة : العاتقة الأصبه الراى .

فكساني وحماني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمتُ الشام .

قال عَدِيّ : فوالله إني لآقاعد في أهلي فنظرت إلى ظَعِينَةٍ تصوّب إلى قومنا^(١)

قال : فقلت ابنةُ حاتم . قال : فإذا هي هي .

فلما وقفتُ علىَّ انسحلتُ^(٢) تقول : القاطعُ الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك

وتركت بقيةَ والدك عورتك ؟ ! قال : قلت : أي أخية لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت .

قال : ثم نزلتُ فأقامت عندي ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تربن في أمر هذا الرجل ؟

قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فلاسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تدلّ في عزّ اليمين وأنت أنت . قال : فقلت : والله إن هذا الرأي .

قال : فخرجت حتى أقدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عَدِيّ بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعمادٌ بي إليه إذ لقيته امرأةً ضعيفةً كبيرةً فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تسكلمه في حاجتها . قال قلت في نفسي : والله ما هذا بملك !

قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوةً ليفاً ، فقذفها إلى فقال : « اجلس على هذه » قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . قال : « بل أنت » .

(١) ابن هشام : تؤمنا .

(٢) انسحلت : جرت بالكلام وفي الأصل : استعجت . وما أنبئته عن ابن هشام ٨٠/٢ .

فجاست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال : « إيه يا عدى بن حاتم ؟ ألم تك رَكُوسِيًّا ^(١) ؟ » قال قلت : بلى .
قال : « أو لم تسكن تسير في قومك بالمرِّباع ؟ » قال قلت : بلى . قال : « فإن ذلك لم يكن يحلُّ لك في دينك » قال : قلت أجل والله .
قال : وعرفت أنه نبيُّ مرسل يعلم ما يُجهل .

ثم قال : « لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوِّهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أبك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم . »
قال : فأسلمتُ .

قال فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لآتكونن ، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإيم الله لآتكونن الثالثة ، لآيفيطنَّ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد وله شواهد من وجوه آخر .

فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت سمالك بن حرب ، سمعت عباد بن حبيش ، يحدث عن عدي بن حاتم ، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بمقرب^(١) فأخذوا عمتي وناسا ، فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فصُّفُّوا له . قالت : يا رسول الله بأنِّ الوافدُ وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ، فمنَّ عليَّ منَّ الله عليك .

فقال : ومن وافدك ؟ قالت : عديُّ بن حاتم . قال : الذي قرَّ من الله ورسوله ، قالت : فمنَّ عليَّ .

فلما رجع ورجلٌ إلى جنبه - نرى أنه عليَّ - قال : سَلِّيهُ حُملَانًا . قال : فسألته فأمر لها .

قال عدي : فأتيتني فقالت : لقد فعلت فعلَةً ما كان أبوك يفعلها . وقالت : إيتيه راغبًا أو راهبا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه .

قال : فأتيتُه فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، فذكر قُرْبَهُم منه ، فعرفت أنه ليس مُلْكٌ كسرى ولا قيصر .

فقال له : يا عدي بن حاتم ما أفرَّك ؟ أفرَّك أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ، ما أفرَّك ؟ أفرَّك أن يقال الله أكبر ؟ فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل ؟

فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر وقال : إنَّ المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى .

قال : ثم سأله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فلكم أيها الناس أن تَرْتَضِخوا من الفضل ، ارتضخ امرؤ بصاع ، ببعض صاع ، بقبضة ، ببعض قبضة . قال شعبة

(١) كذا بالأصل . ولعل الصواب بمقرباء ، اسم مدينة الجولان وهي كورة بدمشق .

- وأكثرت على أنه قال بتمرة ، بشق تمره - وإن أحدكم لاقى الله فقاتل ما أقول : ألم أجعلك سمياً بصيراً ؟ ألم أجعل لك ما لا وولداً فإذا قدّمت . فينظر من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئاً فما يتقى النار إلا بوجهه ، فائقوا النار ولو بشق تمره ، فإن لم تجدوه فبـكلمه ليئنه ، إني لا أخشى عليكم الفاقة لينصرفكم الله وليعطيتكم - أو ليفتحن عليكم - حتى تسير الطعينة بين الحيرة ويثرب ، إن أكثرت ما تخاف السرّاق على طعيزتها .

وقد رواه الترمذى من حديث شعبة وعمر بن أبى قيس ، كلاهما عن سيّاك . ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سيّاك .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يزيد ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى عبيدة - هو ابن حذيفة - عن رجل ، قال : قلت لعدي بن حاتم : حديثٌ بلفظي عنك أحب أن أسمعه منك .

قال نعم : لما بلفظي خروجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت خروجه كراهيةً شديدة ، فخرجت حتى وقعتُ ناحية الروم - وفي رواية حتى قدّمت على قيصر - قال : فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه .

قال قلت : والله لو أتيتُ هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرّنى ، وإن كان صادقاً علمت . قال : فقدّمت فأتيتّه ، فلما قدّمت قال الناس : عدى بن حاتم .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم . ثلاثاً .

قال قلت : إني على دين . قال : أنا أعلمُ بدينك منك .

فقلت : أنت تعلم بدينى منى ؟ قال : نعم . ألسن من الرّكوسية ، وأنت تأكل

مِرْبَاعِ قَوْمِكَ ؟ قلت : بلى . قال : فإن هذا لا يحل لك في دينك . قال : نعم . فلم يبدُ أن قالها فتواضعتُ لها .

قال : أما إنى أعلم الذى يملك من الإسلام ؛ تقول : إنما اتبعه ضَعْفَةُ الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رمّتهم العرب ، أنعرف الخيرة ؟ قلت : لم أرها وقد سمعت بها : قال . فوالذى نفسى بيده ليمتنَّ الله هذا الأمرَ حتى تخرج الظعينة من الخيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، وليفتحنَ كنوز كسرى بن هرمز . قال قلت : كنوز ابن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز ، وليبذلن المسالُ حتى لا يقبله أحد .

قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة [تخرج^(١)] من الخيرة تطوف بالبيت في غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ، والذى نفسى بيده لتسكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها .

ثم قال أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة ، عن رجل - وقل حماد وهشام ، عن محمد بن أبي عبيدة ولم يذكر عن رجل - قال : كنت أسأل الناس عن حديث عدى بن حاتم وهو إلى جنبى ولا أسأله ، قال : فأتيتُه فسألته فقال : نعم . فذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي ، أخبرني الحسن بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا الفُضْر بن شميل ، أنبأنا إسرائيل ، أنبأنا سعد الطائي ، أنبأنا ثعل بن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بيئنا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة ، وأتاه آخر فشكا إليه قَطَعَ السبيل .

(١) من السند ٤ / ٢٥٧ .

قال : يا عدى بن حاتم هل رأيت الخيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبتت عنها . قال :
فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً
إلا الله عز وجل .

قال : قلت في نفسي : فأين دُعَار^(١) طَيِّ الذين سَعَرُوا البلاد ؟!
ولئن طالت بك حياة لفتحن كنوز كسرى بن هرمز . قلت : كسرى بن هرمز ؟
قال : كسرى بن هرمز .

ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من
يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وآية بين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجان ،
فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم .

قال عدى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق
تمر ، فإن لم تجدوا شق تمر فبكلمة طيبة » .

قال عدى : فقد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا
الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة
سترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى عن محمد بن الحكم ، عن النضر بن شميل به بطوله . وقد رواه
من وجه آخر عن سعدان بن بشر ، عن سعد أبي مجاهد الطائى ، عن محمل بن خليفة ،
عن عدى به . ورواه الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة ، عن سعد أبي
مجاهد الطائى به .

ومن روى هذه القصة عن عدى عامر بن شرحبيل الشعبي فذكر نحوه . وقال :
لا تخاف إلا الله والذئب على غنمها .

وثبت في صحيح البخارى من حديث شعبة ، وعند مسلم من حديث زهير بن معاوية ، كلاهما عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن مَعْقِل بن مَقْرَن المزنى ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .
ولفظ مسلم : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل »
طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم .

وقد قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن يوسف ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي ، حدثنا ضرار بن صُرَد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثُمَالى ، عن عبد الرحمن ابن جندب ، عن كَمِيل بن زياد النخعى ، قال : قال على بن أبى طالب : ياسبحان الله ما أُرْهِدَ كثيراً من الناس في خير ! عجبا لرجل يحببته أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه لآخر أهلا ، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل فقال : فذاك أبى وأمى يا أمير المؤمنين ، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . وما هو خير منه .

لما أتى بسبايا طيء وقفت جارية حمراء لَعَساء ذُلُفَاء عَيْطَاء ، شَمَاء الأنف معتدلة القامة والهامة دَرَمَاء الكعبيين خَذَلَة الساقين ^(١) لَفَاء الفخذين تحميصة الخصرين ضامرة الكشحين مَصْقولة المَنتنين . قال : فلما رأيتها أعجبت بها وقلت : لأطابن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في فيئى .

(١) اللعساء : التي لونها أدنى سواد . والذافاء : الصغيرة الأنف مع استواء الأرنبة . والعيطاء : الطويلة العنق . والدرماء : التي وارى كعبيها اللحم . والخذلة : الممتلئة .

فلما تكلمت أنسيت جماها من فصاحتها . فقالت : يا محمد إن رأيت أن تحلّي عفا ولا تُشمت بنا أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومي ، وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويُفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طيّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق .

فقام أبو بُردة بن نيار فقال : يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق ^(١) » .

هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جدا عزيز المخرج .

وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيّ أيام الجاهلية عند ذكرنا ^(٢) من مناقب من أعيان المشهورين فيها ، وما كان بسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان ، إلا أن نفع ذلك في الآخرة معذوق ^(٣) بالإيمان ، وهو ممن لم يقل يوما من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقد زعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيّ فجاء منه بسبايا فيهم أخت عدى بن حاتم ، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم يقل لأحدهما الرسوب والآخر المخذم ، كان الحارث بن أبى شمر ^(٤) قد نذرهما لذلك الصنم .
قل البخرى رحمه الله :

(٢) تقدم في الجزء الأول
(٤) ت : ابن أبى إسحق .

(١) تقدم هذا الحديث في الجزء الأول
(٣) معذوق : معلق .

قصة دَوْس والطُّفيل بن عمرو

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن ابن ذَكْوَان - هو عبد الله بن زياد - ^(١) عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الطُّفيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنْ دَوْسًا قد هلكت وعصت وأبَت ، فادع الله عليهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهدِ دَوْسًا وأتِ بهم » . انفراد به البخارى من هذا الوجه .

ثم قال : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي هريرة قال : لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق : يَا لَيْلَةَ مَنْ طَوَّلَهَا وَعَمَّأَهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ وَأَبْقَى لِي غَلَامٌ فِي الطَّرِيقِ ، فلما قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وبايتمه فبينما أنا عنده إذ طلع الغلامُ ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا غَلَامُكَ . فقلت : هو حر لوجه الله عز وجل فأعتقته .

انفراد به البخارى من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم . وهذا الذى ذكره البخارى من قدوم الطفيل بن عمرو قد كان قبل الهجرة ، ثم إن قَدَّرَ قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح ، لأن دَوْسًا قدِمُوا معهم أبو هريرة ، وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرَ خيبرَ ، ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بعد الفتح فرضَّخ لهم شيئاً من الغنيمة . وقد قدمنا ذلك كله مطولاً فى موضعه .

قال البخارى رحمه الله :

قدوم الأشعرين وأهل اليمن

ثم روى من حديث شعبة ، عن سليمان بن مهران الأعشى ، عن ذكوان أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم » .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

ثم رواه البخاري ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

ثم روى عن إسماعيل ، عن سليمان ، عن ثور ، عن أبي المغيث عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان يمان ، والفتنة هاهنا ، هاهنا يطلع قرن الشيطان » .

ورواه مسلم ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة .

ثم روى البخاري من حديث شعبة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان هاهنا - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء وغِلظ القلوب في الفُدادين عند أصول أذنان الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان . ربيعة ومضر » .

وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو .

ثم روى من حديث سفيان الثوري ، عن أبي صخرة جامع بن شدّاد ، حدثنا صفوان

ابن مُحَرَّز، عن عمران بن حصين، قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشروا يا بني تميم » فقالوا : أما إذ بشرتنا فأعطينا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فجاء ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى به .
وهذا كله مما يدل على فضل وفود أهل اليمن ، وليس فيه تعرض لوقت وفودهم ،
ووفد بنى تميم وإن كان متأخراً قدومهم لا يلزم من هذا أن يكون مقارنا لقدم الأشعرين ، بل
الأشعريون متقدم وفدهم على هذا ، فإنهم قدموا صحبة أبى موسى الأشعرى فى صحبة جعفر
ابن أبى طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة ، وذلك كله حين فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيبر . كما قدمناه مبسوطاً فى موضعه ^(١) ، وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم :
« والله ما أدرى بأيهما أسرُّ أبقدم جعفر أو بفتح خيبر » والله سبحانه وتعالى أعلم .
قال البخارى :

قصة عُمان والبحرين

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان ، سمع محمد بن المنكدر ، سمع جابر بن عبد الله
يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قد جاء مالُ البحرين لقد أعطيتك
هكذا وهكذا وهكذا » ثلاثاً . فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فلما قدم على أبى بكر أمر منادياً فنادى : من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم
دين أو عِدَّة فليأتنى .

قال جابر : فجئت أبى بكر فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو قد جاء

مالُ البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً » قال : فأعرض عني .
قال جابر : فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ، ثم أتيت به
الثالثة فلم يعطني . فقلت له : قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني ، فإما أن تعطيني
وإما أن تبخل عني قال : قلت : تبخل عني ؟ قال : وأى داء أدوأ من البخل : قالها ثلاثاً
ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك .

وهكذا رواه البخاري هاهنا وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد ، عن سفيان بن عيينة به .
ثم قال البخاري بعده : وعن عمرو ، عن محمد بن علي ، سمعت جابر بن عبد الله
يقول : جئته فقال لي أبو بكر : عُدّها فعدّها فوجدتها خمسمائة . فقال : خذ مثلها مرتين .
وقد رواه البخاري أيضاً عن علي بن المديني ، عن سفيان ، هو ابن عيينة ، عن عمرو
ابن دينار ، عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر ، عن جابر . كروايته له عن قتيبة . ورواه أيضاً
هو ومسلم من طرق آخر ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن محمد بن علي ، عن
جابر بنحوه . وفي رواية أخرى له أنه أمره فحنا بيديه من دراهم فعدّها فإذا هي خمسمائة ،
فأضعفها له مرتين يعني فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم .

وفود فروة بن مُسيك المرادي أحد رؤساء قومه

إلى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مُسيك المرادي ، مفارقاً لمالك كنفذة ومباعداً
لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان بين قومه مراد وبين همدان وقعة قبيل الإسلام ، أصابت همدان من قومه
حتى أنخنوهم ، وكان ذلك في يوم يقال له الرّذم ، وكان الذي قاد همدان إليهم الأجدع
ابن مالك . قال ابن هشام : ويقال : مالك بن خريم الهمداني .
قال ابن إسحاق : فقال فروة بن مُسيك في ذلك اليوم :

مَرُونِ عَلَى أَمَاتٍ وَهَنَ خُوصٌ يُبَارِغُنَ الْأَعِنَّةَ يَذْنَحِينَا^(١)
فَإِنْ نُغَلِّبُ فَعَلَّابُونَ قَدِمًا وَإِنْ نُغَلِّبُ فَقَفِيرٌ مُغَلَّبِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ مَنَائِيَا وَطُعْمَةٌ - آخِرِينَا^(٢)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينًا
فَبَيْنَمَا مَانُسَرُّ بِهِ وَنَرَضَى وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سَنِينَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتٌ دَهْرٍ فَأَلْفَى فِي الْأَلَى قُطِيطُوا طَحِينَا^(٣)
فَمَنْ يُغْبِطُ بَرِيْبَ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خُثُونًا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتُ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَ

قال ابن إسحاق: ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقة ملوك كندة قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نِسَائِهَا
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهُ وَحَسَنَ ثَنَائِهَا^(٤)

قال: فلما انتهى فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: - فيما بلغني - يافروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّدَم؟

فقال: يا رسول الله من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرِّدَم لا يسوؤه ذلك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا» واستعمله على مراد وزبيد ومذحيج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص

(١) لفات: موضع من ديار مراد. والخوص: الغائرات العيون من السكلا.

(٢) طينا: شأننا وعادتنا، أو شهوتنا. (٣) ابن هشام: فأليت الأولى.

(٤) ح: فواضلها وحسن ثرائها.

على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد

قال ابن إسحاق : وقد كان عمرو بن معدى كرب قال لقيس بن مكشوح المراءى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال ^(١) إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه أتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه .

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصدقه وأمن به ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعده عمراً وقال : خالفني وترك أمرى ورأى .

فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتُك يوم ذى صنعا . أمراً بادياً رَشَدُهُ
أمرتُك باتقاء اللـ . والمعروف تتَعِدُهُ
خرجت من المني مثل الـ حمير غَرَّهُ وَتَدُهُ
تمنّاني على فرسٍ عليه جالساً أسدُهُ
على مُفَاضَةٍ كالنمى . أَخْلَصَ ماءَ جَدَدُهُ ^(٢)
يردُّ الرمحَ مُفَتْنِي السَّنان عَوائراً قِصَدُهُ ^(٣)
فلو لاقيتني لَلَقِيَتَ لَيْثاً فوقه لِبَدُهُ

(١) ابن هشام : يقول .

(٢) المفاضة : الدرع السابعة . والنهي : العدير . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٣) العوائير : المطايرة : والفصد : القطع المتكسرة .

تُلَاقِي شَنْبَةً شَنْ ۥ ۥ بَرَّائِنَ نَاشِرًا كَتَدُهُ (١)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ تِيَمَمَهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فِيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ (٢)
فَيَذْمُهُ فَيَحْطُمُهُ فَيَخْضَمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ (٣)
ظَلُومَ الشَّرِّكَ فِيمَا أَحْ . رَزَتْ أُنْيَابُهُ وَيَدُهُ

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب في قومه من بني زبيد وعليهم قروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معديكرب فيمن ارتد ، وهما قروة بن مسيك فقال :

وجدنا مُلْكَ قَرَوَةَ شَرًّا مُلْكُ حِمَارٍ سَافٍ مَنُخْرَةٍ بِثَفْرِ (٤)
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدْرِ (٥)

قلت : ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما .

وكان من الشجعان المذكورين والأبطال المشهورين والشعراء المجيدين ، توفي سنة إحدى وعشرين بعد ما شهد فتح نهاوند ، وقيل بل شهد القادسية وقتل يومئذ .

قال أبو عمر بن عبد البر : وكان وفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي .

قلت : وفي كلام الشافعي ما يدل عليه . فالله أعلم .

(١) الشنبث : الأسد . والشن : الحليظ . والبرائن : الخالب ، أو هي بمنزلة الأصابع للإنسان . والناشر : المرتفع . والكتيد : ما بين الكتفين .

(٢) يقتصده : يقتله . (٣) يخضمه : يأكله .

(٤) ساف : شم . والثفر : للسباع وذوى الخالب كالرحم للناقة .

(٥) الحولاء : كالمشيمة للناقة ، وهي جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد .

قال يونس عن ابن إسحاق : وقد قيل إن عمرو بن معد يكرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال في ذلك :

إني بالنبي موقنةً نفسي . ي وإني لم أر النبي عياناً
سيدُ العالمين طراً وأذناً هم إلى الله حين بأن مكانا
جاء بالناموس من لدن الله وكان الأمين فيه المعانا
حكمةً بعد حكمة وضياء فاهتدينا بنورها من عمانا
وركبنا السبيل حين ركبة اه جديداً بكرهنا ورضا
وعبدنا الإله حقاً وكنا للجهالات نعبد الأوثانا
واثقلنا به وكنا عدواً فرجعنا به معاً إخوانا
فعلية السلام والسلام منا حيث كنا من البلاد وكانا
إن نكن لم نر النبي فإننا قد تبعنا سبيله إيماناً

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في وفد كندة .

فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده قد رَجَلُوا جَمَعَهُمْ ^(١) وتكحَّلُوا ، عليهم جُبُيبُ الحَبْرَةِ قد كَفَّفَوهَا بِالْحَرِيرِ .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ قالوا : بلى قال : فما بالُ هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشقوقه منها فألقوه .

(١) الجمجم : جمع جمة وهي شعر الرأس الكثيف .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابنُ آكل المرار .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعه بن الحارث » .

وكانا تاجرين ، إذا شاعا في العرب فسئلا : من أنما ؟ قالا : نحن بنو آكل المرار يعني ينتسبان إلى كندة ليحزرا في تلك البلاد ، لأن كندة كانوا ملوكا ، فاعتقدت كندة أن قریشا منهم ، لقول عباس وربيعه : « نحن بنو آكل المرار » وهو الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى - ويقال ابن كندة .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو ^(١) أمنا ولا نتنفى من أينا » .

فقال لهم الأشعث بن قيس : والله يامعشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

وقد روى [هذا] ^(٢) الحديث متصلا من وجه آخر فقال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثني عقيل بن طلحة ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن هيصم ، عن الأشعث بن قيس ، أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي وفد كندة - قال عثمان - لا يروني أفصلهم ، قال : قلت يا رسول الله : أنا ابن عم إناكم منا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمنا ولا نتنفى من أينا » .

(٢) ليست في ١ .

(١) لا نقفو أمنا : لا نتهمها بالفجور .

قال : قال الأشعث : فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد .

وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، وعن محمد بن يحيى ، عن سليمان بن حرب . وعن هارون بن حبان ، عن عبد العزيز بن المغيرة ، ثلاثهم عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا هُشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، حدثنا الأشعث بن قيس ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقال لي : هل لك من ولد ؟ قلت : غلام ولد لي في تخرجى إليك من ابنة جمد ، ولوددت أن مكانه شبيعُ القوم .

قال : لا تقولان ذلك فإن فيهم قرّة عين وأجرأ إذا قبضوا ، ثم ولئن قلت ذلك إنهم أمجنبة مخزنة إنهم لمجنبة مخزنة .

تفرد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد .

قدوم أعشى بنى مازن على النبي ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني العباس بن عبد العظيم العنبري ، حدثنا أبو سلمة عبيد بن عبد الرحمن الحنفى ، قال : حدثني الجعيد بن أمين بن ذرّوة بن نضلة بن طريف ابن نهشل الحرّ مازنى ، حدثني أبى أمين ، عن أبيه ذرّوة ، عن أبيه نضلة ، أن رجلاً منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله الأعور كانت عنده امرأة يقال لها معاذة خرج في رجب يَمِيرُ أهله من حجر ، فهربت امرأته بعده نُسراً عليه ، فعادت برجل منهم يقال له مُطَرِّف ابن نهشل بن كعب بن قيسع بن ذلف بن أهضم بن عبد الله بن الحرّ ماز ، فجعلها خلف ظهره فلما قدِم لم يجدها في بيته وأخبر أنها نُشِرت عليه وأنها عادت بمطرف بن

نَهْشَل ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ عَمِّ أَعْنَدُكَ امْرَأَتِي مُعَاذَةً فَادْفَعْهَا إِلَيَّ . قَالَ : لَيْسَتْ عِنْدِي ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أُدْفَعْهَا إِلَيْكَ .

قَالَ : وَكَانَ مَطْرَفٌ أَعَزُّ مِنْهُ . قَالَ : نَخْرِجُ الْأَعَشَى حَتَّى آتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَاذَ بِهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبِ إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً مِنَ الذَّرْبِ^(١)
كَالذُّبَّةِ الْعَنْسَاءِ فِي ظِلِّ السَّرْبِ^(٢) خَرَجْتُ أَبْفِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبٍ
نَخْلَقْتَنِي بِنِزَاعٍ وَهَرَبَ أَخْلَقْتَ الْوَعْدَ وَأَطَّتِ بِالذَّنَبِ
وَقَدْ فَتَنِي بَيْنَ عَصْرٍ مُؤْتَشَبٍ وَهْنٌ شَرٌّ غَالِبٌ لِمَنْ غَلَبَ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « وَهْنٌ شَرٌّ غَالِبٌ لِمَنْ غَلَبَ » . فَشَكَا إِلَيْهِ امْرَأَتَهُ وَمَا صَنَعَتْ بِهِ ، وَأَنَّهَا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَطْرَفُ بْنُ نَهْشَلٍ ، فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَطْرَفٍ : انْظُرْ امْرَأَةً هَذَا مُعَاذَةً فَادْفَعْهَا إِلَيْهِ .

فَأَتَاهُ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : يَا مُعَاذَةُ هَذَا كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ فَأَنَا دَايِعُكَ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : خُذْ لِي عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ أَنْ لَا يَعَاقِبَنِي فِيمَا صَنَعْتُ فَأَخَذَ لَهَا ذَلِكَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهَا مَطْرَفُ إِلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَعَمْرُكَ مَا حُبِّي مُعَاذَةً بِالَّذِي يَغْيِرُهُ الْوَاشِي وَلَا قِدَمُ الْعَهْدِ
وَلَا سُرُورٌ مَا جَاءَتْ بِهِ إِذَا أَرَاهَا غَوَاةَ الرَّجَالِ إِذَا يُنَاجُونَهَا بَعْدِي

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم

قال ابن إسحاق : : وقدم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من الأزد ، فأسلم وحسن إسلامه ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بين أسلم من بليته من أهل الشرك من قبائل اليمين .

فذهب فحاصر جرش وبها قبائل من اليمين وقد ضوت^(١) إليهم خشم حين سمعوا بمسيره إليهم ، فأقام عليهم قريبا من شهر فامتنعوا فيها منه ، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريبا من جبل يقال له شكر فظنوا أنه قد ولّى عنهم منهزما ، فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا .

وقد كان أهل جرش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال : « بأي بلاد الله شكر ؟ » فقام الجرشيّان فقالا : يا رسول الله ببلاذنا جبل يقال له كثر . وكذلك تسميه أهل جرش . فقال : إنه ليس بكثر ولكنه شكر . قلا : فما شأنه يا رسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنجر عنده الآن .

قال : فجاس الرجلان إلى أي بكر أو إلى عثمان فقال لهما : ويحكيا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن لينمى قومكما ، فقوميا إليه فأسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فأسألاه ذلك فقال : « اللهم ارفع عنهم » .

فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء وفد أهل جرش بمن بقي منهم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وحسن إسلامهم وحمى لهم حول قريتهم .

قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدي : وكان ذلك في رمضان سنة تسع .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ورسالتهم بإسلامهم مقدمه من تبوك ، وهم الحارث بن كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ومَعَاوِر وهَمْدَان وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَن مَالِك بن مُرَّة الرَّهَآوِي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن ومَعَاوِر وهَمْدَان ، أما بعد ذلك فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلِبًا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرساتم به وخبرنا ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصاحتكم وأطعم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفيقه وما كتب على المؤمنين في الصدقة ، من العقار عُشْر ماسقت العين وسقت السماء وعلى ماسقى الغرب^(١) نصف العُشْر ، وأن في الإبل في الأربعين ابنة لَبُون وفي ثلاثين من الإبل ابن لَبُون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة وفي كل عشر [من الإبل]^(٢) شاتان وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين تَبِيع جَذَع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، إنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

(١) الغرب : الدلو .

(٢) ليست في أ

ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم .

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنتى حر أو عبد دينار وافر^(١) من قيمة المعافر أو عوصه^(٢) ثيابا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ورسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زرة ذى يزن : أن إذا أتاك رسل فأوصيكم^(٣) بهم خيراً ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من تخاليفكم^(٤) وأبلغوها رسلى ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضيا .

أما بعد فإن محمداً يشهد^(٥) أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول خير وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تتخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لحمد ولا لأهل بيته ، وإنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالسكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب فأمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، فأمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا عمارة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ،

(١) الأصل : أو عرضه . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٢) : ١ : مخالفهم .

(١) : ١ : وافر .

(٣) : ١ : فأوصهم .

(٥) : ١ : أشهد .

أن مالك ذى بزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بغيراً أو ثلاثة وثلاثين ناقة .

ورواه أبو داود عن عمرو بن عمرو الواسطي ، عن عمارة بن زاذان الصيدلاني ، عن ثابت البناني ، عن أنس به .

وقد روى الحافظ البيهقي هاهنا - حديث كتاب عمرو بن حزم فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفتقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم ، فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فيه أمره .

فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهداً من رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن . أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوه والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وأن ينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين لهم في الحق ويشدد عليهم في الظلم ، فإن الله حرم الظلم ونهى عنه فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدّون عن سبيل الله » .

وأن يبشّر الناس بالجنة ويعلمها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمره الله به ، والحج الأكبر الحج والأصغر العمرة .

وأن ينهى الناس أن يصلى الرجل في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً

فيخالف بين طرفيه على عاتقيه ، وينهى أن يَحْتَبِيَ الرجل في ثوب واحد ويُفَضِّي بفرجه إلى السماء ، ولا ينقض شعر رأسه إذا عفى في قفاه ، وينهى الناس إن كان بينهم هَيْج أن يدعوا إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى العشائر والقبائل فليعطفوا بالسيوف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له .

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء ، وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمرُوا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يفلّس بالصبح و [أن] يهجر بالهاجرة حتى تَمِيل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُبْدَرَةٌ ، والمغرب حين يُقْبَل الليل لا تُؤخَّر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل .

وأمره أن يأخذ من المغنم خُمْسُ الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقى العين ^(١) وفيما سقت السماء العشر ، وماسقِي الْغَرْبِ فنصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي عشرين أربع شياه ، وفي أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع أو تَبِيعَة جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين ، فمن زاد فهو خير له .

ومن أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه فدانَ دين الإسلام ، فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغيّر عنها ، وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار وافي أو عوضه من الثياب ، فمن أدّى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعا .

صلوات الله على محمد . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته . » .

قال الحافظ البيهقي : وقد روى سليمان بن داود ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولا بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ما ذكرناه في الزكاة والديات وغير ذلك .

قلت : ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سننه مطولا ، وأبو داود في كتاب المراسيل . وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن والله الحمد والمثنة .

وسنذكر بعد الوفود بعث النبي صلى الله عليه وسلم الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم ، معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو قطن ، حدثني يونس ، عن المغيرة بن شبل ، قال : قال جرير : لما دنوت من المدينة أخت راحلتى ثم حملت عيبتى ثم لبست حلتى ، ثم دخلت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فرماني الناس بالحِذْق ، فقلت لجليسي : يا عبد الله هل ذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ذكرك بأحسن الذكر ، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال : يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفَجِّ من خير ذي يمن ، إلا أن على وجهه مسحة مُلْك .

قال جرير : فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني . قال أبو قطن : فقلت له : سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شبل ؟ قال : نعم .

ثم رواه الإمام أحمد ، عن أبي نعيم وإسحاق بن يوسف . وأخرجه النسائي من

حديث الفضل بن موسى ، ثلاثتهم عن يونس ، عن أبي إسحاق السَّبَّيحي ، عن المغيرة ابن شبل - ويقال ابن شُبَيْل - عن عوف البجلي السكوفي ، عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره .

وقد رواه النسائي عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْنَة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير ونُصَّه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسْحَة مُلْك » الحديث .
وهذا على شرط الصحيحين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس بن جرير ، قال : ما حَجَّني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمتُ ولا رَأَيْني إلا تَبَسَّم في وجهي .

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود ، من طرق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم عنه .

وفي الصحيحين زيادة : « وشكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني لا أثبتُ على الخيل فضرَب بيده في صدرِي » وقال : « اللهم ثبتَّه واجعله هادياً مَهْدِيّاً » .

ورواه النسائي ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْنَة ، عن إسماعيل ، عن قيس عنه وزاد فيه : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مِسْحَة مُلْك » فذكر نحو ما تقدم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد السَّماك ، حدثنا الحسن بن سلام السواق ، حدثنا محمد بن مقاتل الحراساني ، حدثنا حصين

ابن عمر الأحمسي ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جرير لأي شيء جئت ؟ قلت : أسلم على يدك يا رسول الله . قال : فالتقي علياً كساءً ثم أقبل على أصحابه فقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

ثم قال : « يا جرير ، أذكرك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وتصلّي الصلاة المكتوبة وتؤدّي الزكاة المفروضة » .

ف فعلت ذلك ، فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسّم في وجهي .
هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد به . وهو في الصحيحين من حديث زياد بن عُلّانة عن جرير به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم ، عن سفيان يعني - أبا وائل - عن جرير ، قال : قلت : يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط .

قال : « أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتنصح المسلم ، وتبّرأ من الشّرك » .

ورواه النسائي من حديث شعبة عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن جرير

وفي طريق أخرى عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي نُخَيْلة ، عن جرير به . فإله أعلم .

ورواه أيضا عن محمد بن قدامة ، عن جرير ، عن مفيرة ، عن أبي وائل والشَّعْبِي عن جرير به . ورواه عن جرير عبدُ الله بن عميرة . رواه أحمد منفرداً به . وابنه عبيد الله بن جرير أحمدُ أيضاً منفرداً به . وأبو جميلة وصوابه نُخَيْلة . ورواه أحمد أيضاً والنسائي .

ورواه أحمد أيضاً عن غنْدَر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن رجل [عن جرير] ^(١) فذكره .

والظاهر أن هذا الرجل هو أبو نُخَيْلة البجلي والله أعلم .

وقد ذكرنا بعث النبي صلى الله عليه وسلم له حين أسلم إلى ذى الخلصة بيت كان يعبدُه خَنَعَم وَجَيْلَة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، يُضَاهَوْنَ به الكعبة التي بمكة ، ويقولون للتي ببكة الكعبة الشامية ، ولبيتهم الكعبة اليمانية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟

فحينئذ شكّا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على الخليل ، فضرب بيده الكريمة في صدره حتى أثرت فيه وقال : « اللهم تَبَّتْه واجله هادياً مهدياً » فلم يسقط بعد ذلك عن فرس .

ونفر إلى ذى الخلصة في خمسين ومائة راكب من قومه من أنحس ، فخرّب ذلك البيت وحرّقه حتى تركه مثل الجمل الأجرب ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيراً

(١) سقط من أ .

يقال له أبو أرطاة فبشره بذلك ، فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحسن ورجالها خمس مرات .

والحديث مبسوط في الصحيحين وغيرهما كما قدمناه^(١) بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العزى على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه .

والظاهر أن إسلام جرير رضى الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد .

فإن الإمام أحمد قال : حدثنا هاشم^(٢) بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن عُلانة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : إنما أسلمت بعد ما أنزلت المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمت .

تفرد به أحمد . وهو إسناد جيد اللهم إلا أن يكون منقطعاً بين مجاهد وبينه .

وثبت في الصحيحين أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير في مسح الخلف ، لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة ، وسيأتى في حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « استمّصت الناس يا جرير » . وإنما أمره بذلك لأنه كان صبيّاً .

وكان ذا شكل عظيم ، كانت نعله طولها ذراعاً ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وكان مع هذا من أغضّ الناس طرفاً . ولهذا روينا في الحديث الصحيح عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : « اصرف^(٣) بصرك » .

(١) سبق ذلك في الجزء الثالث (٢) غير : هشام .

(٣) الأصل : أطرق . وما أثبتته عن صحيح البخارى .

وفادة وائل بن حُجْر بن ربيعة بن وائل بن يَعْمَر الحضرمي بن هُنَيْدَة

أحد ملوك اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كان أحد أقبال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم .
ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه قبل قدومه به ، وقال : يأتيكم
بقيةُ أبناء الملوك . فلما دخل رحَّب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه .
وقال : « اللهم بارك في وائل وولده وولد وولده » .

واستعمله على الأقبال من حضرموت ، وكتب معه ثلاثة كتب ؛ منها كتاب إلى
المهاجر بن أبي أمية ، وكتاب إلى الأقبال والعبَّاهلة ، وأقطعهم أرضا وأرسل معه معاوية
ابن أبي سفيان فخرج معه راجلا ، فشكا إليه حرَّ الرَّمضاء فقال : انتعل ظلَّ الناقة .
فقال : وما يغني عنى ذلك ، لو جعلتني ردِّفًا ؟ فقال له وائل : اسكت فلستَ من
أرداف الملوك .

ثم عاش وائل بن حُجْر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين ، فعرفه معاوية ،
فرحب به وقرَّبه وأدناه ، وأذَّكره الحديث ، وعرض عليه جائزة سنِّية فأبى أن
يأخذها ، وقال : أعطها من هو أحوج إليها مني .

وأورد الحافظ البيهقي بعض هذا ، وأشار إلى أن البخاري في التاريخ روى في
ذلك شيئا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، أنبأنا شعبة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن علقمة
ابن وائل ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعهم أرضا . قال : وأرسل معي
معاوية أن أعطها إياه - أو قال أعلمها إياه - .

قال : فقال معاوية : أرْدِني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال :
فقال : أعطني نعلك . فقلت : انمعل ظل الناقة .
قال : فلما استخلف معاوية أتيته فأقعدني معه على السرير فذكرني الحديث .
قال سَمَّاك : فقال : وددتُ أني كنت حملته بين يدي
وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : صحيح .

وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق أبي رزّين العقيلي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد [حدثني أبي ، حدثنا عبد الله^(١)] : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة ابن مصعب بن الزبير الزبيري : كتبتُ إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث بذلك عنى . قال : حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي ، حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعى الأنصارى القُبائى من بنى عمرو بن عوف ، عن دَلمهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر ، قال دلمهم : وحدثني أبي الأسود ، عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نَهْيَك بن عاصم بن مالك ابن المنتفق .

قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة انسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه]^(٢) حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : « أيها الناس ألا إني قد خبّأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه » . فقالوا : اعلم لنا ما يقول رسول الله . ثم [قال:] ألا لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ، ألا إني مستول هل بلغت ؟ ألا فاسمعوا/تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا .

فجلس الناس وقت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟

فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغى لسقطه ، فقال : « ضَنَّ ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله » وأشار بيده . قلت : وما هي ؟

قال : « عِلْمُ الْمَنِيَّةِ ، قد علم متى مَنِيَّةُ أَحَدِكُمْ ولا تعلمونه ، وعِلْمُ [الْمَتَى حِينَ يَكُونُ فِي الرَّحْمِ قَدْ عَلِمَهُ وَلَا تَعْلَمُونَ] ^(١) وعلم مافي غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الْغَيْثِ يُشْرَفُ عَلَيْكُمْ أَزْلِينَ مُسْتَنِينَ ^(٢) فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب » . قال لقيط : قلت لن نعدم من رب يضحك خيراً . وعلم يوم الساعة .

قلنا : يا رسول الله علّمنا مما لا يعلم الناس ومما تعلم ، فإننا من قَبِيلٍ لَا يَصْدَقُونَ تَصْدِيقَ ^(٣) أَحَدٍ ، من مَذْحِجٍ الَّتِي تَرْبُو عَلَيْنَا وَخَشَمَ الَّتِي تُؤَلِّينَا وَعَشِيرَتَنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا . قال : تَلْبَثُونَ مَالِئْتُمْ ثُمَّ يُتَوَفَى نَبِيِّكُمْ ، ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَالِئْتُمْ ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مَضْرَعٍ قَتِيلٍ ولا مدفن ميت إلا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فيستوى جالسا ، فيقول ربك عز وجل : مَهْمٌ ؟ لما كان فيه - فيقول : يارب أمس اليوم ، فلعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله .

قلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تُفَرِّقُنَا الرِّيحَ وَالْبَلَى وَالسَّبَّاعَ .

فقال : أَنْبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ ، فِي الْأَرْضِ أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ مَدْرَةٌ بِالْيَسَةِ فَقُلْتُ لَا تَحْيَا أَبَدًا . ثُمَّ أَرْسَلَ رَبُّكَ عَلَيْهَا السَّمَاءَ فَلَمْ تَلْبَثْ عَلَيْكَ أَيَّامٌ حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا

(١) من مسند أحمد ١٣/٤ . (٢) الأزل : الشدة . والمستنين : من أصابتهم السنة وهي النقط .

(٣) الأصل والمسد : تصديقنا .

وهي شَرِيبَةٌ^(١) واحدة ، فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض . فتخرجون من الأضواء^(٢) ومن مصارعكم فتنتظرون إليه وينظر إليكم .
قال : قلت يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض ، وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه ؟

فقال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارئون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما^(٣) ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما .

قلت : يا رسول الله فما يفعل ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صحائفكم لا يخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها ، فلعمر إلهك ما يُخْطى وجه أحدكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع على وجهه مثل الرِيْطَةِ^(٤) البيضاء ، وأما الكافر فتخْطمه بمثل الحُمِّ^(٥) الأسود .

ألا ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون ، فتسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الحجر فيقول : حس . فيقول ربك عز وجل : أوانه^(٦) . فتطلعون على حوض الرسول على أظْمَأ^(٧) والله ناهلة عليها ما رأيتم قط ، فلعمر إلهك لا يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قَدَح يطهره من الطَّوْفِ^(٨) والبول والأذى ، وتُجْبَس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً .

قال : قلت : يا رسول الله فبمُ نُبْصِر ؟ قال : مثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

-
- (١) الشربة : الطريقة . والشربة بإسكان الراء : شجر الخنظل .
(٢) الأضواء : القبور .
(٣) ١ : منهما أو ترونهما .
(٤) الريطة : كل ثوب لين رقيق .
(٥) الحُم : الفجم .
(٦) كذا بالأصل والمستند .
(٧) الأصل : أضواء . وما أثبتته عن مسند أحمد .
(٨) الطوف : الحدث .

قال : قلت : يا رسول الله فيم نجزي من سيئاتنا وحسناتنا؟ فقال : الحسنه بمشرا أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو .

قال : قلت : يا رسول الله إما الجنة وإما النار؟ قال : لعمر إلهك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان^(١) إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما [وإن للجنة لثمانية أبواب ، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما^(٢)] .

قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة ، لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة .

قلت : يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير ألا توالد .

قال لقيط : قلت : أقصى ما نحن بالفن ومنتهون إليه ؟ [فلم يحبه النبي صلى الله عليه وسلم] .

قلت : يا رسول الله علام أبايعك؟ فبسط [النبي] يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك ، وألا تشرك بالله إلها غيره . [قال : قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطينيه . قال : قلت : تحل منها حيث شئنا ، ولا يجنى منها امرؤ إلا على نفسه . فبسط يده وقال : ذلك لك ، تحل حيث شئت ولا تجنى عليك إلا نفسك . قال : فانصرفنا عنه .

(١) الأصل : باب

(٢) من مسند أحمد .

ثم قال : إن هذين [لعمري إلهك] من أتقى الناس في الأولى والآخرة ؟ فقال له كعب بن الخُدَّارِيةَ أحد بني كلاب منهم : يا رسول الله بنو المنتفق أهل ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا وأقبلتُ عليه ^(١) .

وذكر تمام الحديث إلى أن قال : فقلت : يا رسول الله هل لأحدٍ ممن مضى خيرٌ في جاهليته ؟ قال : فقال رجل من عَرَض قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار . قال : فلما كانه وقع حرٌّ بين جلدتي وجهي ولحي مما قال لأبي على رؤوس الناس . فهمت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : « وأهلِي لعمري الله ، ما أتيت [عليه] من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل : أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسوءك ، تُجرُّ على وجهك وبطنك في النار .

قال : قلت : يا رسول الله ما فعل بهم ذلك ؟ وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وقد كانوا يحسبون ^(٢) أنهم مصلحون ؟

قال : ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أُمم — يعني نبيًّا — فمن عصى نبيِّه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث غريب جدا ، وألفاظه في بعضها نكارة وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة ، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة .

وفادة زياد بن الحارث الصدائي

رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو أحمد الأسدي بها ، أنبأنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا أبو علي بشر بن موسى ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، حدثني زياد بن نعيم الحضرمي ، سمعت زياد بن الحارث الصدائي يحدث ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأيعته على الإسلام ، فأخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي ، فقلت : يا رسول الله أردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم . فقال لي : اذهب فردهم . فقلت : يا رسول الله إن راحلتى قد كَلَّتْ . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فردهم .

قال الصدائي : وكتبت إليهم كتاباً ، فقدم وفدٌهم بإسلامهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك . فقلت : بل الله هداهم للإسلام فقال : « أفلا أوْمَرَك عليهم » قلت : بلى يا رسول الله . قال : فكتب لي كتاباً أمَرَنِي ، فقلت : يا رسول الله مُر لي بشيء من صدقاتهم . قال : نعم . فكتب لي كتاباً آخر .

قال الصدائي : وكان ذلك في بعض أسفاره ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكُون عاملهم ويقولون : أخذنا بشيء كان بَيْننا وبين قومه في الجاهلية . فقال رسول الله : أَوْ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ قالوا : نعم . فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأنا فيهم فقال : « لا خيرَ في الإمارة لرجل مؤمن » .

قال الصدائي : فدخل قوله في نفسي . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله أعطني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن . فقال السائل : أعطني من الصدقة . فقال رسول الله : إن [الله] لم يَرْضَ في الصَّدَقَاتِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حَكَمَ هُوَ فِيهَا فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أُعْطِيْتُكَ . قَالَ الصَّدَائِيُّ : فَدَخَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي ، أَنِي غَنَى وَأَنِي سَأَلْتُهُ مِنَ الصَّدَقَةِ .

قال : ثم إن رسول الله اعتشى^(١) من أول الليل ، فلزمته وكنت قريباً منه ، فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون منه ولم يبق معه أحد غيري .

فلما كان أو أن صلاة الصبح أمرني فأذنت فجعلت أقول : أقيم يا رسول الله ؟ فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر ويقول : لا . حتى إذا طلع الفجر نزل فبترز ثم انصرف إلى وهو متلذخ أصحابه فقال : هل من ماء يا أخا صُداء ؟ قلت : لا إلا شيء قليل لا يكفيك . فقال : اجعله في إناء ثم ائتني به . ففعلت ، فوضع كفه في الماء . قال : فرأيت بين إصبعين من أصابعه عيناً تغور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أني أستحي من ربي عز وجل لست عينا واستقينا ، باد في أصحابي من له حاجة في الماء » فناديت فيهم فأخذ من أراد منهم شيئاً .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله : « إن أخا صُداء أذن ومن أذن فهو يقيم » . قال الصَّدَائِيُّ : فاقمت .

فلما قضى رسول الله الصلاة أتبعه بالكتابين فقلت : يا رسول الله أعفني من هذين . فقال : ما بدالك ؟ فقلت : سمعتك يا رسول الله تقول : « لا خير في الإمارة لرجل مؤمن » وأنا أومن بالله وبرسوله . وسمعتك تقول للسائل : « من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن » وسألتك وأنا غنى .

فقال : هو ذاك فإن شئت فاقبل ، وإن شئت فدع . فقلت : أدع . فقال لي

(١) اعتشى : سار في وقت العشاء .

رسول الله : « فدأتني على رجل أوثره عليكم » . فدلتته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمره عليهم .

ثم قلنا : يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا وكلّ من حولنا عدوّ ، فادع الله لنا في بئرنّا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق .

فدعا سبع حصيات فعرّ كهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فآلقوا واحدة واحدة واذكروا الله .

قال الصّدّائي : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها - يعني البئر .

وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه .

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث بعد عمرة الجمرانة قيس بن سعد بن عباد في أربعمائة إلى بلاد صدّاء فيوطئها ، فبعثوا رجلاً منهم فقال : جئتكَ لتردّ عن قومي الجيش وأنا لك بهم . ثم قدّم وفدّهم خمسة عشر رجلاً ، ثم رأى منهم حجة الوداع مائة رجل .

ثم روى الواقدي عن الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصّدّائي قصته في الأذان .

وفادة الحارث بن حسنّ البكرى

إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النّجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكرى . قال : خرجت

أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت بالرّبعة فإذا
مَجُوزٌ من بني تميم مُنْقَطَعٌ بها . فقالت : يا عبد الله إن لي إلى رسول الله حاجة ، فهل
أنت مُبْلَغِي إليه ؟

قال : حَمَلَتْها فَأَتَيْتِ المَدِينَةَ ، فإذا المسجدُ غاصَّ بأهله وإذا راية سوداء تحفّق وبلال
مُتَقَلِّدٌ السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما شأنُ الناس ؟ قالوا :
يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً .

قال : فجلست ، فدخل منزله أو قال رَحْله ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت
فسلمت فقال : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت الدائرة عليهم ،
ومررت بعجوز من بني تميم مُنْقَطَعٌ بها فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي بالباب .
فأذن لها فدخلت . فقلت : يا رسول الله إن رأيت أن تجمل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل
الدَّهْناء . فحَمَيْتُ العجوز واستَوْفَزْتُ وقالت : يا رسول الله أين تَضَطَّرُّ مُضْرَكٌ . قال :
قلت : إن مثلي ما قال الأول : مِعْزَى حَمَلْتُ حَتْفَهَا ! حَمَلْتُ هذه ولا أشعر أنها كانت
لي خصماً ! أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد .

قال : وما وافدُ عاد ؟ وهو أعلم بالحديث منه وإنكن يستطعنّه . قلت : إن
عاداً قَحِطُوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قَيْلٌ ، فرّت بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه
الحمر وتغنيه جاريقان يقال لهما الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مُهْرَةٍ فقال :
اللهم إنك تعلم لم أجيء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسقِ عاداً
ما كنت تسقيه . فرّت به سحاباتٌ سود فنودى : منها اختر . فأولماً إلى سحابة منها
سوداء . فنودى منها : خذها رماداً رَمَدَداً ، لا تُبْهِقِي من عاد أحداً . قال : فما بلغني أنه
أرسل عليهم من الريح إلا بقدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا .

قال أبو وائل : وصدق ، وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد^(١) .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث أبي المنذر سلام بن سليمان به . ورواه ابن ماجه عن أنس بن مالك عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن الحارث البكرى ولم يذكر أبا وائل .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عيَّاش ، عن عاصم ، عن الحارث ، والصواب عن عاصم عن أبي وائل عن الحارث . كما تقدم .

وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل مع قومه

قال أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسى ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى ، أنبأنا على بن الجعد [حدثنا] عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو خالد يزيد الأسدى ، حدثنا عَوْن بن أبي جَحِيفَةَ ، عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفى ، عن عبد الرحمن بن أبي عقيل . قال : انطلقت فى وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فأنخنا بالباب وما فى الناس [رجل^(٢)] [أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فما فى الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه . قال : فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك مُلكاً كملك سليمان ؟ قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « فاعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها دنياً فأعطىها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطانى دعوة فاخترتها عند ربى شفاعاً لأمتى يوم القيامة » .

قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه

روى الحافظ البيهقي من طريق أبي جناب الكلبي ، عن جامع بن شدّاد الحاربي ، حدثني رجل من قومي يقال له طارق بن عبد الله ، قال : إني لقائم بسوق ذى الحجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ورجل يتبعه يرميه بالحجارة و [هو] يقول « يا أيها الناس إنه كذاب » فقلت : من هذا ؟ فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت : من هذا الذي يفعل به هذا ؟ قالوا : هذا عمه عبد العزى قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الرّبذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت : لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه ، إذا رجل في طمرين فسلم علينا وقال : من أين أقبل القوم ؟ قلنا من الرّبذة قال : وأين تريدون ؟ قلنا : نريد هذه المدينة . قال : ما حاجتكم منها ؟ قلنا : نمتار من تمرها . قال : ومعنا طعينة لنا ومعنا جل أحمر نخطوم ، فقال : أتبيعوني بجلكم هذا ؟ قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعا من تمر .

قال : فما استوضعنا مما قلنا شيئا ، وأخذ بخطام الجمل وانطلق ، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ما صنعنا ؟ والله ما بعنا جلنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا . قال تقول المرأة التي معنا : والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر ، أنا ضامنة لثمن جلّكم . إذ أقبل الرجل فقال : أنا رسول^(١) الله إليكم ، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ، فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا فاستوفينا .

ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد ، فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس ، فأدركنا من

خطبته وهو يقول : « تصدّقوا فإن الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أمّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك » إذ أقبل رجل من بنى يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية . فقال : « إن أبا لا ينجني على ولد » ثلاث مرات .

وقد روى النسائي فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد ، عن جامع بن شدّاد ، عن طارق بن عبد الله المحاربي بيعضه .

ورواه الحافظ البيهقي أيضا ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن يزيد بن زياد ، عن جامع بن طارق بطوله كما تقدم . وقال فيه : فقالت الظعينة : لا تَلَامُواوا فلقد رأيت وجه رجل لا يَغْدُر ، مارأيت شيئا أشبهه بالقمر ليلة البدر من وجهه .

قدوم وافد قُرُوءة بن عمرو الجذّامي صاحب بلاد مُعَان

بإسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأظن ذلك إما بقبولك أو بعدها

قال ابن إسحاق : وبعث قُرُوءة بن عمرو بن النافرة الجذّامي ثم النّفْأَنِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء .

وكان قُرُوءة عاملا الروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طابوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم . فقال في محبسه ذلك :

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقَرَوَانِ^(١)
 صَدَّ الْخِيَالِ وَسَاءَ مَا قَدَرَأَى وَهَمْتُ أَنْ أُغْفَى وَقَدْ أَبْكَانِي
 لَا تَكْخُلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِنْ عَدَا سَلَمَى وَلَا تَدِينَنَّ لِلْإِنْيَانِ^(٢)
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أَنْتَى وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يَخْصُ لِسَانِي^(٣)
 فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَفْقُدَنَّ أَخَاكُمْ وَلَنْ بَقِيَتْ لِي مَرْفَنٌ مَكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانٍ
 قَالَ : فَلَمَّا أَجَمْتُ الرُّومَ عَلَى صَلْبِهِ عَلَى مَاءٍ لَمْ يَقَالَ لَهُ عِغْرَى^(٤) بِفِلَسْطِينَ . قَالَ :

أَلَا هَلْ أَنَى سَلَمَى بَأَنْ حَلِيلِهِمَا عَلَى مَاءٍ عِغْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرَّوَاحِلِ
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أُمَّهَا مُشْدَبَةً أَطْرَافَهُمَا بِالْمَنَاجِلِ
 قَالَ : وَزَعَمَ الزَّهْرَى أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ :
 بَلَّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْتَى سَلَمَ لِرَبِّي أَعْظَمَى وَمَقَامِي
 قَالَ : ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ
 الْجَنَّةَ مِثْوَاهَ .

قَدُومِ تَيْمِ الدَّارِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِخْبَارِهِ إِيَّاهُ بِأَمْرِ الْجَسَّاسَةِ
 وَمَا سَمِعَ مِنَ الدَّجَالِ فِي خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِهِ

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرَوَيْهِ الْمُرُوزِيُّ بَنِيْسَابُورَ ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ
 مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْقَاضِي ، أَنبَأَنَا أَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادِ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا

(٢) الموهن : نحو من نصب الليل . والقروان : الظهر ، بفتح الظاء .
 (١) تدين : تطيع .
 (٢) يخص : يقطع : والمراد : لا يمنع من الكلام .
 (٣) عغرى : موضع بفلسطين .

يحيى بن جعفر بن الزبير ، أنبأنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت غيلان بن جرير يحدث عن الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس ، قالت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الداري فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر فتأهت به سفينته ، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء ، فلقى إنسانا يجر شَعْرَهُ ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الجساسة . قالوا : فأخبرنا . قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة .

فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال : من أنتم ؟ قلنا : ناس من العرب . قال : ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم ؟ قلنا : قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه . قال : ذلك خير لهم .

قال : أفلا تخبروني عن عين زعر^(١) ما فعلت ؟ فأخبرناه عنها ، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ثم قال : ما فعل نخل بيسان^(٢) هل أطعم بعد ؟ فأخبرناه أنه قد أطعم ، فوثب مثلها ، ثم قال : أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة^(٣) . قالت : فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس ، فقال : هذه طيبة وذلك الدجال .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن ، من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس . وقد أورده الإمام أحمد شاهداً من رواية أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين وقد ذكرنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في كتاب الفتن^(٤) .

وذكر الواقدي وفد المدارس من نَحْم وكانوا عشرة .

(١) زعر : موضع بالحجاز

(٢) بيسان : من أسماء المدينة .

(٣) طيبة : موضع بأرض اليمامة .

(٤) وذلك في كتاب النهاية للمؤلف .

وفد بنى أسد

وهكذا ذكر الواقدي أنه قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول سنة تسع وفدُ بنى أسد ، وكانوا عشرة ؛ منهم ضِرار بن الأزور ، وواصة بن معبد ، وطليحة بن خويلد الذى ادَّعى النبوة بعد ذلك ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ونفاعة بن عبد الله ابن خلف .

فقال له رئيسهم حَضْرَمَى بن عامر : يا رسول الله أتيناك نتدَرَّع الليلَ البهيم في سنة شَهِيَاء ، ولم تبعث إلينا بعثا .

فَنَزَلَ فِيهِمْ : « يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١) » .

وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الرثية ^(٢) ، فغَيَّرَ اسمهم فقال : أنتم بنو الرشد . وقد استهدى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من نفاعة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها ، فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلبها ، فشرب منها وسقاه سُؤْرَهُ ثم قال : « اللهم باركْ فيها وفيمن مَنَحَهَا » . فقال : يا رسول الله وفيمن جاء بها . فقال : « وفيمن جاء بها » .

وفد بنى عَبَسَ

ذكر الواقدي : أنهم كانوا تسعة نفر وسماهم الواقدي . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عاشرُكم » وأمر طلحة بن عبيد الله فمقد لهم لواء وجعل شعارهم : يا عشرة . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن خالد بن سنان العبسى ، الذى

قدّمنا^(١) ترجمته في أيام الجاهلية ، فذكروا أنه لا عَقَبَ له . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم يرصدون غيراً لقريش قدمت من الشام . وهذا يفتنى تقدم وفادتهم على الفتح . والله أعلم .

وفد بني فزارة

قال الواقدي : حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر الجحفي ، عن أبي وجزة السعدي ، قال : لما رجع رسول الله من تبوك وكان سنة تسع ، قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن ، والحارث بن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم على رِكابٍ عجاف ، فجاءوا مقرّين بالإسلام .

وسألهم رسول الله عن بلادهم . فقال أحدهم : يا رسول الله أسندت بلادنا وهلك مواشينا وأجذب جنابنا وغرث عيالنا^(٢) ، فادع الله لنا .

فصعد رسول الله المنبر ودعا فقال : « اللهم اسقِ بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً مَرِيّاً مَرِيّاً طبقاً^(٣) واسعاً عاجلاً غير آجل ، نافعا غير ضار ، اللهم اسقنا سُقياً رحمةً ولا سُقياً عذاب ولا هذم ، ولا غرق ، ولا تحق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء » .

قال : فطرت فأرأوا السماء سَبْتاً^(٤) . فصعد رسول الله المنبر فدعا فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » .
فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب .

(١) سبق ذلك في الجزء الأول .

(٢) أسندت : أصابها السنة : وهى الجذب . والجناب : الناحية . وغرث : جاع .

(٣) المريع : الحبيب . والطبق : الذى يعم الأرض .

(٤) السبت : البرهة .

وفد بنى مُرّة

ذكر الواقدي أنهم قدِموا سنة تسع مَرَجَعَه من تبوك . وكانوا ثلاثة عشر رجلاً منهم الحارث بن عوف ، فأجازهم عليه السلام بعشر أواقٍ من فضة ، وأعطى الحارث بن عوف ثلثي عشرة أوقية .

وذكروا أن بلادهم مُجَدِبَةٌ ، فدعاهم فقال : « اللهم اسقهم الغيث » فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مُطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفد بنى ثعلبة

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن رجل من بنى ثعلبة ، عن أبيه . قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجُمُرانة سنة ثمان ، قدِمنا عليه أربعة نفر فقلنا : نحن رُسل مَنْ خلقنا من قومنا ، وهم يقرؤون بالإسلام . فأمر لنا بضيافة ، وأقننا أياماً ثم جئناه لنودّعه ، فقال لبلال : أجزهم كما تجيز الوفد . فجاء ببقرة^(١) من فضة فأعطى كل رجلٍ منا خمسَ أواقٍ وقال : ليس عندنا درهم . وانصرفنا إلى بلادنا .

وفد بنى محارب

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن أبي وَجْزة السَّعْدِي ، قال : قدِم وفدٌ مُحَارِب سنة عشر في حجة الوداع ، وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث ، وابنه خزيمه بن سواء . فأتزلوا دارَ رَمْلَةٍ بنت الحارث ، وكان بلال يأتيهم بفداء وعشاء ، فأسلموا وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا .

(١) البقرة : قدر كبيرة واسعة ، فسماها بقرة ، من التبقير وهو التوسع أو لأنها تسع بقرة بتمامها . انظر النهاية لابن الأثير ١/١٠٧ .

ولم يكن أحدٌ في تلك المواسم أفظ ولا أغلظَ على رسول الله منهم .
وكان في الوفد رجل منهم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله الذي
أبقاني حتى صدّقتُ بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه القلوب بيد الله
عز وجل » .

ومسح رسول الله وجه خزيمة بن سَواء فصارت غُرّةً بيضاء ، وأجازهم كما يُخيز الوفد
وانصرفوا إلى بلادهم .

وفد بني كلاب

ذكر الواقدي : أنهم قدِموا سنة تسع وم ثلثة عشر رجلا ؛ [فيهم] لبيد بن ربيعة
الشاعر وجَبَّار^(١) بن سُلمى ، وكان بينهما وبين كعب بن مالك خُلةٌ فرحَّب به وأكرمه وأهدى
إليه ، وجاءوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه بسلام الإسلام ، وذكروا
له أن الضَّحَّاك بن سفيان الكلابي سار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله التي أمره الله
بها ، ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذَ صدقاتهم من أغنيائهم فصرَّفها
على فقرائهم .

وفد بني رؤاس بن كلاب

ثم ذكر الواقدي : أن رجلا يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بُجيد بن رؤاس بن
كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعُمة ، قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ،
ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا : حتى نصيبَ من بني عَقِيل مثل
ما أصابوا منا .

فذكر مَقَتَلَةً كانت بينهم ، وأن عمرو بن مالك هذا قَتَلَ رجلا من بني عَقِيل . قال :

فشددت يديّ في غلّ وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغه ما صنعتُ فقال : لئن أتاني لأضربن^(١) ما فوق الغلّ من يده .

فلما جئت سلّمت فلم يردّ عليّ السلام ، وأعرض عني فأنته عن يمينه فأعرض عني ، فأنته عن يساره فأعرض عني ، فأنته من قبل وجهه فقلت : يا رسول الله إن الرب عز وجل ليترضى فيرضى ، فارض عني ، رضى الله عنك . قال : « قد رضيتُ » .

وفد بني عقيل بن كعب

ذكر الواقدي : أنهم قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعهم العقيق - عقيق بني عقيل - وهي أرض فيها نخيل وعبون .

وكتب بذلك كتابا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعا ومطرفا وأنسا ، أعطاهم العقيق ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ، ولم يعطهم حقاً لمسلم » .

فكان الكتاب في يد مطرف .

قال : وقدّم عليه أيضا لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل ، وهو أبو رزّين فأعطاه ماء يقال له النظيم وبأيه على قومه .

وقد قدّمنا قدمه وقصته وحديثه بطوله والله الحمد والمنة .

وفد بني قشير بن كعب

وذلك قبل حجة الوداع ، وقبل حنين ، فذكر فيهم قرّة بن هُبيرة بن [عامر ابن]^(٢) سلمة الخير بن قشير ، فأسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساه برداً ،

(١) الأصل : لأضرب .

(٢) من الإصابة .

وأمره أن يلي صدقات قومه ، فقال قرّة حين رجع :

حَبَّأَهَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَأَمَّنْكَهَا مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مُنْفَدٍ
فَأَضَحَّتْ بَرُوضَ الْخَضِرِ وَهِيَ حَاشِدَةٌ وَقَدْ أُنْجَحَتْ حَاجَاتُهَا مِنْ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهَا فَتَى لَا يُزْدِفُ الدَّمُ رَحْلَهُ يَرَوَى لِأَمْرِ الْعَاجِزِ الْمُسْتَرْدِدِ^(١)

وَفَدَّ بَنِي الْبَكَاءِ

ذكر أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثين رجلاً ؛ فيهم معاوية بن ثور بن
[معاوية بن]^(٢) عبادة بن البكاء ، وهو يومئذ ابن مائة سنة ، ومعه ابن له
يقال له بشر ، فقال : يا رسول الله إني أتبرك بمسك ، وقد كبرتُ وابني هذا برٌّ بي
فامسح وجهه .

فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وأعطاه أعزاً عُفْراً ، وبرك عليهما
فكانوا لا يصيبهما بعد ذلك قحط ولا سنة .

وقال محمد بن بشر بن معاوية في ذلك :

وَأَبَى الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ
أَعْطَاهُ أَحْمَدُ إِذْ أَنَاهُ أَعَزّاً عُفْراً نَوَاحِلَ لَسَنٍ بِالْحَيَاتِ^(٣)
يَمْلَأْنَ وَفَدَّ الْحَيَّ كُلَّ عَشِيَةِ وَيَعُودُ ذَاكَ الْمَلَى بِالْقَدَوَاتِ
بُورَكْنٍ مِنْ مَنَحٍ وَبُورَكٍّ مَانَحاً وَعَلَيْهِ مَنَى مَا حَيَّتْ صَلَاتِ

(١) في الإصابة : تروك لأمر العاجز .

(٢) من الإصابة .

(٣) الحيات :

وفد كنانة

روى الواقدي بأسانيده : أن وائلة بن الأسقع اللّيثي قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فصلّى معه الصبح ثم رجع إلى قومه ، فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبوه : والله لا أحمّلك أبداً .

وسمعت أخته كلامه فأسلت ، وجّهزته حتى سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وهو راكب على بعير لكعب بن عُجْرة .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد إلى أكيذر دومة ، فلما رجعوا عرض وائلة على كعب بن عُجْرة ما كان شارطه عليه من سهمه من الغنيمة ، فقال له كعب : إنما حملتك لله عز وجل .

وفد أشجع

ذكر الواقدي : أنهم قدّموا عام الخندق وهم مائة رجل ، ورئيسهم مسعود بن رُخَيْلة ، فنزلوا شِعْب سَلْع .

نفرج إليهم رسول الله وأمر لهم بأحمال التمر . ويقال : بل قدّموا بعد ما فرغ من بني قريظة ، وكانوا سبع مائة رجل ، فوآدعهم ورجعوا ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وفد باهلة

قدّم رئيسهم مُطَرَف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم ، وأخذ لقومه أماناً وكتب له كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وفد بني سليم

قال : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني سليم يقال له قيس بن نُسْبة ، فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابته ووعى ذلك كله ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم .

ورجع إلى قومه من بنى سليم فقال : قد سمعتُ ترَجة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مَقالٍ خَير ، فما يشبه كلامُ محمد شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه .

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد وهم سبعمائة . ويقال : كانوا ألفاً ، وفيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم ، فأسلموا وقالوا : أجعلنا في مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مقدماً . ففعل ذلك بهم فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا .

وقد كان راشد بن عبد ربه السلمي يعبد صنماً ، فرآه يوماً وتعلبان يبولان عليه فقال : أربُّ يَبُولُ الثعلبانِ برأسه لقد ذلَّ من بالَتْ عليه الثَّعَالِبُ ! ثم شدَّ عليه فكسره ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : غاوى بن عبد العزى . فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه . وأقطعه موضعاً يقال له رُهاط فيسه عين تجرى يقال لها عين الرسول ، وقال : هو خيرُ بنى سليم . وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها .

وفد بنى هلال بن عامر

ذكر في وفدهم : عبد عوف بن أضرم ، فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وقبيصة بن مُحَارِق الذى له حديث في الصدقات .

وذكر في وفد بنى هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن بُجَيْر بن الهدم بن رُوَيْمة بن عبد الله بن هلال بن عامر ، فلما دخل المدينة يَمُّ منزل خالته ميمونة بنت الحارث ، فدخل عليها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله رآه فغضب ورجع . فقالت :

يارسول الله إنه ابن أختي . فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ثم أذن زياداً فدعاه ووضع يده على رأسه ثم حذرهما على طرف أنفه ، فسكنت بنو هلال تقول : مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد .

وقال الشاعر لعلي بن زياد :

يا بْنَ الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ ودعاه بالخير عند المسجدِ
أعني زياداً لا أريد سواه من عابرٍ أو مُتَمِّمٍ أو مُنْجِدِ
ما زال ذاك النورُ في عِرْنِينِهِ حتى تبوأ بيته في مُلْحَدٍ^(١)

وفد بني بكر بن وائل

ذكر الواقدي : أنهم لما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة ؛ فقال : ليس ذاك معكم ، ذاك رجل من إياد تحف في الجاهلية ، فوافى عكاظ والناس مجتمعون ، فكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه .

قال : وكان في الوفد بشير بن الخصاصية ، وعبد الله بن مرثد وحسان بن خوط .

فقال رجل من ولد حسان :

أنا ابنُ حسان بن خوط وأبي رسولُ بكر كلها إلى النبي

وفد تغلب

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب ، فنزّلوا دار رملة بنت الحارث .

فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم النصارى على أن لا يعتنّبوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين منهم .

وفادات أهل اليمن

وفد تجيب

ذكر الواقدي : أنهم قدموا سنة تسع ، وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً ، فأجازهم أكثر مما أجاز غيرهم وأن غلاماً منهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حاجتك ؟ فقال : يا رسول الله ادع الله يغفر لي ويرحمي ويجعل غنای في قلبي . فقال : « اللهم اغفر له وارحمه ، واجعل غناه في قلبه » فكان بعد ذلك من أزهد الناس .

وفد خولان

ذكر أنهم كانوا عشرة ، وأنهم قدموا في شعبان سنة عشر . وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنمهم الذي كان يقال له عم أنس^(١) ، فقالوا : أبدلنا به خيراً منه ولو قد رجعنا لهدمناه . وتعلموا القرآن والشنن ، فلما رجعوا هدموا الصنم ، وأحلوا ما أحل الله وحرّموا ما حرّم الله .

وفد جعفي

ذكر أنهم كانوا يحرّمون أكل القلب ، فلما أسلم وفد منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل القلب ، وأمر به فشوى وناوله رئيسهم وقال : لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه . فأخذه ويده ترعد فأكله وقال :

على أنى أكلت القلب كرمها وترعد حين مسّته بناني

(١) في القاموس : عمناس . بضم العين وسكون الميم والنون المكسورة .

فصل (١)

في قدوم وفد الأزد على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني ، من حديث أحمد بن أبي الخوارى ، قال سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال : حدثني أبي ، عن جدي ، عن سويد بن الحارث ، قال : وفدتُ سبعَ سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكفناه فأعجبه ما رأى من شمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ قلنا مؤمنون .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ؛ خمس منها أمرتُنا بها رُسلك أن تؤمن بها ، وخمس أمرتُنا أن نعمل بها ، وخمس تخلفنا بها في الجاهلية فنحن عليها ، إلا أن تكره منها شيئا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الخمسة التي أمرتُكم بها رُسلى أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتُنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال : « وما الخمسة التي أمرتُكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا : أمرتُنا أن نقول :

لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

فقال : « وما الخمسة الذي تخلفتم بها في الجاهلية ؟ » . قلنا : الشكر عند

الرِّخَاءُ ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشَّيْءَ بالأعداء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُكَّاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فَقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءُ » .

ثم قال : « وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْسًا ، فَيَتِمُّ لَكُمْ عَشْرُونَ خِصْلَةً . إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ ، فَلَا تَجْمَعُوا مَالًا تَأْكُلُونَ ، وَلَا تَبْنُوا مَالًا تَسْكُنُونَ ، وَلَا تَنَافِسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدًا تَزُولُونَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ ، وَارْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ ، وَفِيهِ تَخْلُدُونَ » .

فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها .

ثم ذكر :

وفد كندة

وأنهم كانوا بضعة عشر راكبا عليهم الأشعث بن قيس ، وأنه أجازهم بعشر أواق وأجاز الأشعث ثنتي عشرة أوقية . وقد تقدم .

وفد الصَّدِفِ

قدِمُوا فِي بَضْعَةِ عَشْرٍ رَاكِبًا ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَجَلَسُوا وَلَمْ يَسَلِّمُوا ، فَقَالَ : « أَمْسَلُمُونَ أَنْتُمْ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَهَلَا سَلَّمْتُمْ ؟ » .

فَقَامُوا قِيَامًا فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، اجْلِسُوا » . فَجَلَسُوا وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ .

وفد خُشَيْن

قال : وقدم أبو ثعلبة الخشني ورسول الله يتجهز إلى خيبر ، فشهد معه خيبر ، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلاً منهم فأسلموا .

ثم ذكر وفد بني سعد هذيم وبلي وبهراء وبني عذرة وسلامان وجُهينة وبني كلب والجرميين . وقد تقدم حديث عمرو بن سامة الجرمي في صحيح البخاري .
وذكر : وفد الأزد ووفد غسان والحارث بن كعب وحمدان وسعد المشيرة وعبس ، ووفد الدارين والرهاويين وبني غامد والنخع وبجيلة وخنم ، وحضر موت وذكر فيهم وائل بن حُجر ، وذكر فيهم الملوك الأربعة جنداً ونحو ساء ومشرحاً وبضعة .
وقد ورد في مسند أحمد كُفَنُهم مع أختهم العَمْرَدَة^(١) ، وتكلم الواقدي فيهم كلاماً فيه طول .

وذكر وفد أزد عُمان وغافق وبارق ودؤس وثمالة والجدار وأسلم وجُذام ومهرة وخيبر ونجران وجيشان . وبسط الكلام على هذه القبائل بطول جداً ، وقد قدمنا بعض ما يتعلق بذلك . وفيما أوردناه كفاية والله أعلم .

ثم قال الواقدي :

وافد السَّبَاع

حدثني شعيب بن عباد ، عن المطالب بن عبد الله بن حنطب ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة في أصحابه إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه فعمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن

(١) الأصل : مع أخيهام الغمر . وما أثبتته عن القاموس . باب السين .

تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه ونحذرتهم منه ، فما أخذ فهو رزقه .

قالوا : يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء . فأوماً إليه النبي صلى الله عليه وسلم بأصابعه الثلاث : أي خالسهم . فولّى له عسلان ^(١) .
وهذا مرسل من هذا الوجه .

ويشبه هذا الذئب الذئب الذي ذكر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد هو ابن هارون ، أنبأنا القاسم بن الفضل الحُدّاني ^(٢) ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : عدّا الذئبُ على شاة فأخذها فطلبها الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئبُ على ذنبه ، فقال : ألا تتقى الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ ! فقال : يا عجباً ذئبٌ مُقع على ذنبه يكلمني كلامَ الإنس !

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؛ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ييثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للأعرابي : أخبرهم . فأخبرهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنسَ وتكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، وتخبره نخذه بما أحدث أهله بعده » .

وقد رواه الترمذي عن سفیان بن وكيع بن الجراح ، عن أبيه ، عن القاسم بن الفضل به ، وقال : حسن غريب صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو

(١) العسلان : الاضطراب في العدو وهز الرأس .

(٢) نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بطن من الأزدي قال لهم حدان . الباب ١ / ٢٨٤ .

ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى وابن مهدي .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب هو ابن أبي حمزة ، حدثني عبد الله بن أبي الحسين ، حدثني مهران أن أبا سعيد الخدري حدثه ، فذكر هذه القصة بطولها بأبسط من هذا السياق .

ثم رواه أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر ، قال : وحدث أبو سعيد . فذكره .

وهذا السياق أشبه والله أعلم . وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

فصل

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة ^(١) .

وقد تقصينا الكلام في ذلك أيضا عند قوله تعالى في سورة الأحقاف : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » فذكرنا ماورد من الأحاديث في ذلك والآثار ، وأوردنا حديث سواد بن قارب الذي كان كاهنا فأسلم . وما رواه عن رثيه الذي كان يأتيه بالخبر حين أسلم [الرئي ^(٢)] حين قال له :

عجبتُ للجن وأنجاسها وشدّها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها
ثم قوله :

عجبتُ للجن وأطلابها وشدّها العيس بأفتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس قدامها كأذئابها

فأنهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى بابها
ثم قوله :

عجبتُ للجن وتخبّارها وشدّها العيسَ بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس ذوو الشرِّ كأخيارها
فأنهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفارها

وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكة . وقد قررنا ذلك هناك بما
فيه كفاية والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقي هاهنا حديثاً غريباً جداً ، بل منكرأ أو
موضوعاً ، ولكن تخرجه عزيز أحببنا أن نورده كما أورده . والعجب منه .
فإنه قال في دلائل النبوة : باب قدوم هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس على النبي
صلى الله عليه وسلم وإسلامه .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله ، أنبأنا أبو نصر محمد
ابن حمدويه بن سهل القاري المروزي ، حدثنا عبد الله بن حماد الآملي ، حدثنا محمد بن
أبي معشر ، أخبرني أبي ، عن نافع عن ابن عمر ، قال قال عمر رضى الله عنه : بينا نحن
قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا ، فلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد ثم قال : « نعمةً جنّ وعففتهم من أنت » قال : أنا
هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فما بينك وبين إبليس إلا أبوان ، فكم أتى لك
من الدهر ؟ » قال : قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً ، ليالى قتل قابيل هابيل كفت
غلاما ابن أعوام ، أفهم الكلام وأمر بالآكام وأمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئس عمل الشيخ المتوهم ،
والشاب المتلوم » .

قال : دَرَنِي مِنَ التَّردَادِ ، إِنِّي تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ نُوحٍ فِي مَسْجِدِهِ
مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى وَأَبْكَأَنِي
وَقَالَ : لَا جَرَمَ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

قال : قُلْتُ ، يَا نُوحُ إِنِّي كُنْتُ مِمَّنْ اشْتَرَكُ فِي دَمِ السَّعِيدِ الشَّهِيدِ هَابِيلَ بْنِ آدَمَ ،
فَهَلْ تَجِدُنِي عِنْدَكَ تَوْبَةً ؟ قَالَ : يَا هَامُ هُمَّ بِالْخَيْرِ وَافْعَلْهُ قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، إِنِّي قَرَأْتُ
فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ تَابَ إِلَى اللَّهِ بِالْبَلْغِ أَمْرُهُ مَا بَلَغَ إِلَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قِمْ
فَتَوْضاً وَاسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَتَيْنِ .

قال ففعلت من ساعتى ما أمرنى به . فننادانى : ارفع رأسك ، فقد نزلت توبتك
من السماء . فخررت لله ساجداً .

قال : وَكُنْتُ مَعَ هُودٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى
دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِمْ وَأَبْكَأَنِي ، فَقَالَ : لَا جَرَمَ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

قال : وَكُنْتُ مَعَ صَالِحٍ فِي مَسْجِدِهِ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَاتِبْهُ عَلَى
دَعْوَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى بَكَى وَأَبْكَأَنِي وَقَالَ : أَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

وَكَُنْتُ أَزُورُ يَعْقُوبَ وَكَُنْتُ مَعَ يُوسُفَ فِي الْمَكَانِ الْأَمِينِ ، وَكَُنْتُ أَلْقَى إِبْرَاهِيمَ
فِي الْأُودِيَةِ وَأَنَا أَلْقَاهُ الْآنَ .

وإِنِّي لَقِيتُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ فَعَلَّمَنِي مِنَ التَّوْرَةِ ، وَقَالَ : إِنْ لَقِيتَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

فأقرنه منى السلام . وإني لقيت عيسى ابن مريم فأقرأته عن موسى السلام ، وإن عيسى قال : إن لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فأقرنه منى السلام .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى ثم قال : وعلى عيسى السلام مادامت الدنيا ، وعلىك السلام يا هام بأدائك الأمانة .

قال : يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى ، إنه علمني من التوراة . قال : فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقعت الواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وقال : « ارفع إلينا حاجتك يا هامة ، ولا تدع زيارتنا » .

قال عمر : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلينا ، فلا ندرى الآن أحي هو أم ميت ؟

ثم قال البيهقي : ابن أبي معشر هذا قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه .

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه . والله أعلم ^(١) .

(١) هذا الحديث ظاهر الوضع والاختلاق ، وقد أشار إلى وضعه ابن الجوزي في مقدمة كتابه « الوفا في أخبار المصطفى » .

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران .
وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا .

فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم
لحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ،
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك
بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن
أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه
وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإني قد مت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ، وبعثت
فيهم رُكباناً [قالوا :] ^(١) يابني الحارث أسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم

(١) من ابن هشام .

بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام . شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشّرهم وأنذرهم وأقبل ، وليقبل معك وفدكم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ؛ منهم قيس بن الحصين ذو الغصّة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الحجلّ ، وعبد الله بن قراد الزيّادي ، وشداد بن عبيد الله القناني ، وعمر بن عبد الله الصّبّاني . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهنّد ؟

قيل يا رسول الله : هؤلاء بنو^(١) الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » .

ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجروا استقدّموا » فسكتوا فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد .

(١) ابن هشام : هؤلاء رجال بني الحارث .

ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبد المَدَّان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا رُجِرُوا استَقَدَّمُوا ، قالها أربع مرات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالداً لم يكتب إليَّ أنكم أسلمتم ولم تقالوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم » .

فقال يزيد بن عبد المَدَّان : أما والله ما حَمدناك ولا حمدنا خالداً ^(١) . قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقتم .

ثم قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نك تغلب أحداً . قال : بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم .

قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله ، أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : « صدقتم » ثم أمر عليهم قيس بن الحصين .

قال ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة . قال : ثم بعث إليهم بعد أن ولي وفدُهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم الشئنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره أمره .

ثم أورده ابن إسحاق . وقد قدمناه في وفد ملوك حمير من طريق البيهقي ، وقد رواه النسائي نظير ما ساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد .

(١) زاد في ١ : وليكن . وليست في ابن هشام .

بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع
يدعونهم إلى الله عز وجل

قال البخارى : باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .
حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا عبد الملك ، عن أبى بريدة ، قال : بعث النبى
صلى الله عليه وسلم أبى موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن : قال : وبعث كل واحد منهما على
مخلاف . قال : واليمن مختلفان .
ثم قال : « يَسْرًا وَلَا تُعْصِرَا وَبَشْرًا وَلَا تَنْفِرَا » وفى رواية : وتطاولوا
ولا تختلفا .

وانطلق كل واحد منهما إلى عمله .
قال : وكان كل واحد منهما إذا سار فى أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً
[فسلم عليه] ^(١) فسار معاذ فى أرضه قريباً من صاحبه أبى موسى ، فجاء يسير على بعلة
حتى انتهى إليه ، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه ، وإذا رجل عنده قد جمعت
يداه إلى عنقه ، فقال له معاذ : يا عبد الله بن قيس أيمم ^(٢) هذا ؟ قال : هذا رجل كفر
بعد إسلامه . قال : لا أنزل حتى يُقتل . قال : إنما جىء به لذلك فانزل . قال : ما أنزل
حتى يُقتل فأمر به فقتل .

ثم نزل . فقال : يا عبد الله كيف تقرأ القرآن ؟ قال : أتفوقه ^(٣) تفوقاً . قال :
فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ قال : أنا أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم ،

(١) من البخارى ٢ / ٢٦١

(٢) أيمم : قال القسطلانى : هذا ، وأصله أى ما . وأى استفهامية وما بمعنى شيء ،
خذفت الألف تخفيفاً . إرشاد السارى ٦ / ٤١٨ . (٣) أتفوقه : أقرأه شيئاً بعد شيء .

فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسبُ نَوْمِي كما أحتسبُ قَوْمِي .

انفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه .

ثم قال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن الشَّيبَانِي ، عن سعيد بن أبى بُرْدَةَ ، عن أبيه ، عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تُصنع بها ، فقال : ما هي ؟ قال : البِتْع والمِزْر . فقلت لأبى بُرْدَةَ : ما البِتْع ؟ قال : نَبِيذ العسل ، والمِزْر نَبِيذ الشعير . فقال : « كل مُسْكِر حرام » .

ورواه جرير وعبد الواحد ، عن الشَّيبَانِي ، عن أبى بُرْدَةَ . ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبى بردة .

وقال البخارى : حدثنا حِجَاب ، أخبرنا عبد الله ، عن زكريا بن أبى إسحاق ، عن يحيى بن عبد الله بن صَيْفِي ، عن أبى مَعْبَد مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتى قوماً أهلَ كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حِجَاب » .

وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المعيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد [السَّكُونِي ^(١)] ، عن معاذ بن جبل ، قال : لما بعثه رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى ألا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، ولعلك أن تمرّ بمسجدي هذا وقبري .

فبكي معاذ خَشَعًا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا » .

ثم رواه عن أبي اليَمَانِ ، عن صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السَّكُونِي ؛ أن معاذ لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته ؛ فلما فرغ قال : « يا معاذ إنك عسى ألا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، ولعلك أن تمرّ بمسجدي هذا وقبري » .

فبكي معاذ خَشَعًا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لَا تَبْكُ يَا مُعَاذُ ، لِلْبُكَاءِ أَوَانٌ ، الْبُكَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا أبو زياد يحيى بن عُبَيْدِ الْغَسَّانِي ، عن يزيد بن قُطَيْبٍ ، عن معاذ أنه كان يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال : « لعلك أن تمرّ بقبري ومسجدي ، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم يقاتلون على الحق مرتين ؛ فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك ، ثم يَفِيثُونَ إلى الإسلام ، حتى تبادر المرأة زوجها والولد والدّه والأخُ أخاه ، فانزل بين الحيّين السَّكُونُ وَالسَّكاسِكُ » .

وهذا الحديث فيه إشارة ، ظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضى الله عنه لا يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؛ وكذلك وقع ، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع ،
(١٣ - السيرة : ٤)

ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن معاذ ، أنه لما رجع من اليمن قال : يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك ؟ قال : « لو كنت أمرُ بشرٍ أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وقد رواه أحمد عن ابن نمير ، عن الأعمش ، سمعت أبا ظبيان يحدث عن رجل من الأنصار ، عن معاذ بن جبل ، قال : أقبل معاذٌ من اليمن فقال : يا رسول الله إني رأيت رجالاً . فذكر معناه .

فقد دار على رجل مُبهم ، ومثله لا يُحتج به ، ولا سيما وقد خالفه غيره ممن يعتد به ، فقالوا : لما قدم معاذ من الشام كذلك . رواه أحمد .

وقال أحمد : حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخارت الناس بخلاق حسن » .

قال وكيع : وجدته في كتابي عن أبي ذر ، وهو السماع الأول . وقال سفيان مرة عن معاذ .

ثم قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن ليث ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، أنه قال : يا رسول الله أوصني . فقال : « اتق الله

حيثما كنت . قال : زِدْنِي . قال : أتبع السيئة الحسنة تمحُها . قال : زدني . قال : خالق الناس بخلق حسن .

وقد رواه الترمذى فى جامعه عن محمود بن غيلان ، عن وكيع ، عن سفيان الثورى به وقال : حسن .

قال شيخنا فى الأطراف : وتابعه فضيل بن سليمان ، عن ايث بن أبى سليم ، عن الأعمش عن حبيب به .

وقال أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمي ، عن معاذ بن جبل ، قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلتَ وحُرقت ، ولا تَعُنَّ [والديك] وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشرب خمرأ فإنه رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية يحل سخطُ الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس ، وإذا أصاب الناس موتٌ وأنت فيهم فابث ، وأنفق على عيالك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً ، وأحبهم فى الله عز وجل . »

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا بَقِيَّة ، عن السَّري بن يَنْعَم ، عن ثُريح ، عن مسروق ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن ، قال : « إياك والتَّعَنُّم فإن عبادَ الله ليسوا بالمتَّعِّمين . »

وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا أبو بكر - يعنى ابن عيَّاش - حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن معاذ ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ،

وأمرني أن آخذ من كل حالمٍ ديناراً أو عِدْلَهُ من المَعَاوِرِ ، وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مُسَنَّةً ، ومن كل ثلاثين بقرة تَبِيعاً حَوَلياً ، وأمرني فيما سَقَت السماء العُشْر وما سَقَى بالِدٌّ وإلى نصفِ العُشْرِ » .

وقد رواه أبو داود من حديث أبي معاوية ، والنسائي من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن معاذ به .

وقال أحمد : حدثنا معاوية ، عن عمرو وهارون بن معروف ، قلا : حدثنا عبد الله ابن وهب ، عن حَيَّوَة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سلمة بن أسامة ، عن يحيى بن الحكم ، أن معاذاً قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُصَدِّقُ ^(١) أهلَ اليمنَ ، فأمرني أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تَبِيعاً . قل هارون : والتببيع : الجَذَعُ أو الجَذَعَة - ومن كل أربعين مُسَنَّةً .

فعرَضُوا عَلَى أَن آخِذَ مَا بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ وَمَا بَيْنَ السَّتِينَ وَالسَّبْعِينَ وَمَا بَيْنَ الثَّمَانِينَ وَالتَّسْعِينَ ، فَأَيُّتُ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ لَهُمْ : أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ .

فَقَدِمْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ آخِذَ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ تَبِيعاً ، وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسَنَّةً ، وَمِنْ السَّتِينَ تَبِيعِينَ ، وَمِنْ السَّبْعِينَ مُسَنَّةً وَتَبِيعاً ، وَمِنْ الثَّمَانِينَ مُسَنَّتَيْنِ ، وَمِنْ التَّسْعِينَ ثَلَاثَةَ أَتْبَاعَ ، وَمِنْ الْمِائَةِ مِسْفَةً وَتَبِيعِينَ ، وَمِنْ الْعِشْرَةِ وَمِائَةِ مِسْفَتَيْنِ وَتَبِيعاً ، وَمِنْ الْعِشْرِينَ وَمِائَةَ ثَلَاثَ مُسَنَّاتٍ أَوْ أَرْبَعَةَ أَتْبَاعَ .

• قال : وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا آخذَ فِيهِ بَيْنَ ذَلِكَ شَيْئاً .

(١) أُصَدِّقُ : أَجْمَعُ صَدَقَاتِهِمْ .

إلا أن يبلغ مُسِنَّةً أو جَدْعًا . وزعم أن الأوقاص^(١) لإفريضة فيها .

وهذا من أفراد أحد ، وفيه دلالة على أنه قدِمَ بعد مَصيره إلى اليمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أنه لم يرَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كما تقدم في الحديث .
وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أبي بن كعب بن مالك ، قال : كان معاذ بن جبل شابا جميلا سَمُحًا من خير شبابِ قومه ، لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه ، حتى كان عليه دَيْنٌ أغلقَ ماله ، فسكَّم رسول الله في أن يكلمَ غرماءه . ففعل ، فلم يضعوا له شيئًا ، فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فدعاه رسول الله فلم يَبْرَحْ أن باع ماله وقَسَمه بين غرمائه . قال : فقام معاذ ولا مال له .

قال : فلما حجَّ رسول الله بعث معاذًا إلى اليمين ، قال : فكان أول من تَجَرَّ في هذا المال معاذٌ .

قال : فقدم على أبي بكر الصديق من اليمين وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فقال : هل لك أن تطيعني فتدفع هذا المال إلى أبي بكر ، فإن أعطاكه فاقبله ؟ قال : فقال معاذٌ : لن^(٢) أدفعه إليه ، وإنما بعثني رسول الله لِيَجْبُرَنِي .

فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبي بكر ، فقال : أرسل إلى هذا الرجل نخذ منه ودَعْ له . فقال أبو بكر : ما كنت لأفعل ، إنما بعثه رسول الله لِيَجْبُرَهُ ، فلست آخذ منه شيئًا .

قال : فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال : ما أراني إلا فاعلَ الذي قلتَ ، إني رأيتني البارحة في النوم - فيما يحسب عبد الرزاق قال - أُجرُّ إلى النار وأنت آخذٌ بحُجْرَتِي^(١) .

قال : فانطلق إلى أبي بكر بكل شيء جاء به ، حتى جاءه بسوطه وحلف له أنه لم يكتمه شيئاً . قال فقال أبو بكر رضى الله عنه : هو لك لا آخذ منه شيئاً .

وقد رواه أبو ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، فذكره إلا أنه قال : حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على طائفة من اليمين أميراً ، فسكت حتى قبض رسول الله ، ثم قدم في خلافة أبي بكر وخرج إلى الشام .

قال البيهقي : وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بمكة مع عتّاب ابن أسيد ليعلم أهلها ، وأنه شهد غزوة تبوك ؛ فلا شبهة أن بعثه إلى اليمين كان بعد ذلك . والله أعلم .

ثم ذكر البيهقي لقصة منام معاذ شاهداً من طريق الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، وأنه كان من جملة ما جاء به عميدفاني بهم أبا بكر ، فلما رد الجميع عليه رجع بهم ثم قام يصلي فقاموا كلهم يصلون معه . فلما انصرف قال : لمن صليتم ؟ قالوا : لله . قال : فأنتم له عتقاء . فأعتقهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي عَون ، عن الحارث ابن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة ، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص ، عن معاذ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمين قال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد وإنى لا آلو .
قال : فضرب رسول الله صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله
لما يرضى رسول الله » .

وقد رواه أحمد عن وكيع ، عن عَفَّان ، عن شعبة بإسناده ونفذه .
وأخرجه أبو داود والترمذى من حديث شعبة به ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من
هذا الوجه وليس إسناده عندى بمتصل .

وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه ، إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان
— وهو المصلوب أحد الكذابين — عن عبادة بن نسي^(١) ، عن عبد الرحمن بن غنم ،
عن معاذ به نحوه .

وقد روى الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو
ابن أبي حكيم ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن يحيى بن معمر ، عن أبي الأسود الدبلى قال :
كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودى مات وترك أخا مسلما .

فقال معاذ : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام يزيد
ولا ينقص » فورثه .

ورواه أبو داود من حديث ابن بُريدة به .
وقد حُكي هذا المذهب عن معاوية بن أبي سفيان وراويه^(٢) يحيى بن معمر القاضى
وطائفة من السلف ، وإليه ذهب إسحاق بن راهويه .

وخالفهم الجمهور ، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم ، محتجّين بما ثبت في الصحيحين

(١) هو عبادة بن نسي السكندى ، قاضى طبرية توفى سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب ١١٤/٥

(٢) غير ١ : ورواه عن .

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يرثُ الكافرُ المسلمَ ولا المسلمُ الكافرَ » .

والمقصود أن معاذاً رضى الله عنه كان قاضياً للنبي صلى الله عليه وسلم باليمن وحاكماً في الحروب ، ومصدّقاً إليه تدفع الصدقات ، كما دلّ عليه حديثُ ابن عباس المتقدم . وقد كان بارزاً للناس يصلّي بهم الصلوات الخمس ، كما قال البخارى : حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن عمرو بن ميمون ، أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » فقال رجل من القوم : لقد قرأت عين أمّ إبراهيم !

انفرد به البخارى .

ثم قال البخارى :

باب بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ

حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه قال : مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ، ومن شاء فليقبل . فكنت فيمن عَقَّبَ معه . قال : ففغنمت أواق ذات عدد .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا علي بن سويد ابن منجوف ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس ، وكنت أبغض علياً فأصبح وقد اغتسل ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟

فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرتُ ذلك له فقال : « يا بُرَيْدَةُ تُبَغِّضُ ^(١) علياً ؟ » فقلت : نعم . فقال : « لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » .

انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الجليل ، قال : انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابنا بُرَيْدَةَ ، فقال عبد الله بن بُرَيْدَةَ : حدثني أبي بُرَيْدَةَ قال : أَبْغَضْتُ علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط ، قال : وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً .

قال : فبمث ذلك الرجل على خيل ، فصحبته ما أصبح به إلا على بغضه علياً . قال :

فأصبنا سَبِيًّا قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابعث إلينا من يَحْمُسُه. قال: فبعث إلينا عليًّا وفي السَّبْيِ وصيفة من أفضل السَّبْيِ.

قال: نَحْمُسُ وقسم نخرج ورأسه يَقْطُرُ، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ فقال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السَّبْيِ، فإني قَسِمْتُ وَخَسَمْتُ فصارت في الخُمس، ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صارت في آل عليٍّ ووقعتُ بها.

قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: ابعتني. فبعثنِي مصدِّقًا. قال: فجملت أقرأ الكتاب وأقول: صدَّق. قال: فأمسك يدي والكتاب فقال: «أَتُبْغِضُ عليًّا؟» قال: قلت: نعم. قال: «فلا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدِّدْ له حبًّا، فوالذي نفس محمد بيده لَنَصِيبُ آل عليٍّ^(١) في الخمس أفضلُ من وصيفة.»

قال: فما كان من الناس أحدٌ بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلى من عليٍّ.

قال عبد الله بن بُريدة: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث غير أبي بُريدة.

تفرد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية المقيي أبو صالح البصري، وثقه ابن معين وابن حبان. وقال البخاري: إنما يُتهم في الشيء بعد الشيء.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن خاله عمرو بن شأس الأسلمي، وكان من أصحاب الحديبية، قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فجفأني على بعض الجفاء، فوجدتُ في نفسي عليه.

(١) ت: آل محمد.

فلما قدّمت المدينة اشتدّ كَيْتُهُ فِي مَجَالِسِ الْمَدِينَةِ وَعِنْدَ مَنْ لَقِيَتْهُ ، فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا رَأَيْتِي أَنْظُرَ إِلَى عَيْنِيهِ نَظَرَ إِلَيَّ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ قَالَ : « إِنَّهُ وَاللَّهِ يَأْمُرُونَ بِنَاسٍ لَقَدْ آذَيْتَنِي » فَقُلْتُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! أَعُوذُ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ أَنْ أُوْذِيَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ : « مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي » .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ مَعْقِلٍ ابْنِ سِنَانٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نِيَّارٍ ، عَنْ خَالِهِ عَمْرٍو بْنِ شَاسٍ . فَذَكَرَهُ بِمَعْنَاهُ .

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ : أَنَبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنَبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْمَرْكَزِيُّ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ أَبِي السَّفَرِ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ يَوْسُفَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ الْبَرَاءُ : فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَأَقْبَلْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَجِيبُوهُ ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْبَلَ خَالِدًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَ مَعَ خَالِدٍ فَأَحَبَّ أَنْ يُعَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ فَلِيُعَقَّبَ مَعَهُ .

قَالَ الْبَرَاءُ : فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَبَ مَعَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَنُو فَصْلٍ بَنُو عَلِيٍّ ، ثُمَّ صَفَّيْنَا صَفًّا وَاحِدًا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسَلَمْتُ هَمْدَانَ جَمِيعًا ، فَكُتِبَ عَلَيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ » .

قال البيهقي : رواه البخارى مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطان ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عُجْرة ، عن أبي سعيد الخدرى ، أنه قال : بعث رسول الله على بن أبي طالب إلى اليمن .

قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه ، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خلا - فأبى علينا وقال : إنما لكم فيها سهمكم كما للمسلمين .

قال : فلما فرغ على وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنسانا ، وأمرع هو وأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم » .

قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان على منعمنا إياه ففعل ، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد رُكبت ، ورأى أثر الركب قدّم الذى أمره ولامه .

فقلت : أما إن الله على لئن قدمت المدينة لأذكرن رسول الله ولأخبرنه ما لقينا من الغيلة والتصديق .

قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه ، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأيته وقف معى ورحب بى وسألتنى وسأله . وقال : متى قدمت ؟ فقلت قدمت ، البارحة . فرجع معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، فقال : ائذن له .

فدخلت فحييت رسول الله وحياني ، وأقبل عليّ وساءلني عن نفسي وأهلي وأخفي
المسألة ، فقلت : يا رسول الله ما لقينا من عليّ من الغلظة وسوء الصُّحبة والتضييق .

فاتّأد رسول الله ، وجعلت أنا أعدّد ما لقينا منه ، حتى إذا كنت في وسط كلامي
ضرب رسول الله عليّ نخذي ، وكنت منه قريباً ، وقال : « يا سعد بن مالك بن الشهيد ،
مَهْ بعضَ قولك لأخيك عليّ ، فوالله لقد علمت أنه أخشن في سبيل الله » . قال :
فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ، ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم
ولا أدري ؟ ! لا جرم والله لا أذكّره بسوء أبداً . را ولا علانية .

وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقد قال بونس عن محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي عمر ، عن
يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكّانة قال : إنما وجدَ جيشُ عليّ بن طالب الذين كانوا
معه باليمن ، لأنهم حين أقبلوا خلفَ عليهم رجلاً وتعجّل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال : فعمد الرجل فكسا كلَّ رجل حُلّةً ، فلما دنّوا خرج عليهم عليٌّ يستقبلهم ،
فإذا عليهم الحلّ . قال عليّ : ما هذا ؟ قالوا : كسانا فلان : قال : فما دعاك إلى هذا قبل
أن تقدّم علي رسول الله فيصنع ما شاء ؟ فنزع الحلل منهم .

فلما قدموا على رسول الله اشتكوه لذلك ، وكانوا قد صالحوا رسول الله ، وإِما
بعث عليّاً إلى جزية موضوعة .

قلت : هذا السياق أقرب من سياق البيهقي .

وذلك أن عليّاً سبقهم لأجل الحج وساق معه هدياً وأهلّ بإهلال النبي

صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يمكث حراماً . وفي رواية البراء بن عازب أنه قال : له إنى سُنْتُ الهدى وقرنتُ .

والمقصود أن علياً لما كثرت فيه القليل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التى أطلقها لهم نائبه ، وعلى معذور فيما فعل لكن اشتهر الكلام فيه فى الصحيح ، فلذلك - والله أعلم - لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه ورجع إلى المدينة فرَّ بغير خُم قام فى الناس خطيباً فبراً ساحةً على ورفع من قدره وثبَّه على فضله ، ليزيل ما وقرَّ فى نفوس كثير من الناس . وسيأتى هذا مفصلاً فى موضعه إن شاء الله . وبه الثقة .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى نُعم ، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : بعث على بن أبى طالب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمين بذهبية فى أديم مقروظ لم تُحصَل^(١) من ترابها .

قال : فقسمها بين أربعة ؛ بين عُيَينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل .

فقال رجل من أصحابه : كفا نحن بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تأمنونى ؟ وأنا أمينٌ من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً » .

قال : فقام رجل غائر العينين مُشرف الوجنتين ناشِزُ الجبهة كَثَّ اللحية مخلوق

(١) الذهبية : القطعة من الذهب . والمقروظ : المدبوغ . وتُحصَل : تخلص .

الرأس مشعر الإزار فقال : يا رسول الله اتق الله . فقال : ويلك أو لست أحق الناس أن يتقى الله . قال : ثم ولى الرجل .

قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا لعله أن يكون يصلّى . قال خالد : وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم .

قال ثم نظر إليه وهو مُقف فقال : « إنه يخرج من ضِئفى^(١) هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » — أظنه قال : لن أدر كتهم لأقتلهم قتلَ ثمود .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر من كتابه ، ومسلم فى كتاب الزكاة من صحيحه من طرق متعددة إلى عمارة بن القعقاع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البختري ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن .

قال : فقلت : تبعثنى إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لى بالقضاء ؟ قال : « إن الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك » قال : فما شككتُ فى قضاء بين اثنين . ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن سمالك ، عن حنشل ، عن على ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . قال فقلت : يا رسول الله تبعثنى إلى قوم أسنّ منى وأنا حدث لا أبصر القضاء ؟

(١) الضئفى : الأصل .

قال فوضع يده على صدرى وقال : « اللهم ثبّت لسانه واهد قلبه ، يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول ، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك » .

قال : فما اختلف على قضاء بعدُ - أو ما أشكل على قضاء بعد .

ورواه أحمد أيضا وأبو داود من طرق ، عن شريك ، والترمذى من حديث زائدة كلاهما عن سِمَاك بن حرب ، عن حَنَش بن العتمر ، وقيل ابن ربيعة الكنانى الكوفى ، عن على به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن عبد الله ابن أبي الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن نفراً وطئوا امرأة في طهر ، فقال على لاثنين : أنطيان نفسا لذا ^(١) ؟ فقالا لا . فأقبل على الآخرى فقال : أنطيان نفسا لذا ؟ فقالا لا . فقال : أنتم شركاء متشاكسون .

فقال : إني مُقرع بينكم ، فأبكم قرع أغرمته ثاى الدية وألزمته الولد .

قال : فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا أعلم إلا ما قال على .

وقال أحمد : حدثنا شُرَيْح بن النعمان ، حدثنا هُشَيْم ، أنبأنا الأجلح ، عن الشعبي ، عن أبي الخليل ، عن زيد بن أرقم ، أن علياً أتى في ثلاثة نفر إذ كان في اليمن اشتركوا في ولد ، فأقرع بينهم فضمّن الذى أصابته القرعة ثاى الدية وجعل الولد له .

قال زيد بن أرقم : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقضاء على ، فضحك حتى بدت نواجذه .

ورواه أبو داود عن مُسَدَّد ، عن يحيى القطان ، والنسائي عن على بن حُجْر ،

عن علي بن مُسهر ، كلاهما عن الأجلح بن عبد الله ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن الخليل .

وقال النسائي في رواية عبد الله بن أبي الخليل عن زيد بن أرقم . قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل اليمن فقال : إن ثلاثة نفر أتوا علياً يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد . فذكر نحو ما تقدم . وقال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روياه — أعني أبا دواد والنسائي — من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن الشعبي ، عن أبي الخليل أو ابن الخليل ، عن علي بن أبي حمزة . فأرسله ولم يرفعه .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم . فذكر نحو ما تقدم .

وأخرجه أبو داود والنسائي جميعاً عن حنّس بن أصرم ، وابن ماجه عن إسحاق ابن منصور ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن صالح الهمداني ، عن الشعبي ، عن عبد خير ، عن زيد بن أرقم به ..

قال شيخنا في الأطراف : لعل عبد خير هذا هو عبد الله بن الخليل ولكن لم يضبط الراوى اسمه .

قلت : فعلى هذا يقرّوى الحديث وإن كان غيره كان أجوداً لمتابعتيه له ، لكن الأجلح ابن عبد الله الكندي فيه كلام ما .

وقد ذهب إلى القول بالقرعة في الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا سيمك ، عن حنّس ،

عن علي قال : بعثني رسول الله إلى الين فأنهيننا إلى قوم قد بنوا زُبَيْة^(١) للأسد ،
 فيبناهم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتملّق بأخر ، ثم تملّق آخر^(٢) بأخر حتى صاروا
 فيها أربعة ، فجرّهم الأسد ، فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحتهم كلهم .
 فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم عليّ على تعبئة
 ذلك ، فقال : تريدون أن تقاتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ ! إني أقضي بينكم
 قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حَجَزْ بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبيّ صلى الله عليه
 وسلم فيكون هو الذي يقضي بينكم ، فمن عدّا بعد ذلك فلا حقّ له .

اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية
 والدية كاملة ، فلأول الربع لأنه هلك ، والثاني ثلث الدية ، والثالث نصف الدية ،
 والرابع الدية .

فأبوا أن يرضوا فأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عند مقام إبراهيم ، فقصّوا
 عليه القصة . فقال : أنا أحكم بينكم . فقال رجل من القوم : يا رسول الله إن عليّاً قضى
 علينا . فقصّوا عليه القصة فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن سِماك بن حرب ،
 عن حنّس ، عن علي . فذكره .

كتاب حجة الوداع في سنة عشر

ويقال لها حجة البلاغ ، وحجة الإسلام ، وحجة الوداع

لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها . وسميت حجة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها ، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها .

وقد قيل إن فريضة الحج نزلت عامئذ ، وقيل سنة تسع . وقيل سنة ست . وقيل قبل الهجرة وهو غريب .

وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضّحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ^(١) .

وسياتى إيضاح هذا كله .

والمقصود ذكر حجّته عليه السلام كيف كانت ، فإن النّقلة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً ، بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم ، وتفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً لا سيما من بعد الصحابة رضى الله عنهم .

ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات ، ونجمع بينها جمعاً يُشلج قلب من تأمله وأنعم النظر فيه وجمع بين طريقي الحديث وفهم معانيه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومأخريهم .

وقد صنّف العلامة أبو محمد بن حَزَم الأندلسي رحمه الله مجلداً في حجة الوداع أجاد في أكثره ، ووقع له فيه أوهام سنّبه عليها في مواضعها . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة
وأنه اعتمر قبلها ثلاثَ عمرَ

كما رواه البخاري ومسلم عن هُدَبة ، عن همام ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عمرَ كلهن في ذى القعدة إلا التي في حجته . الحديث وقد رواه يونس بن بُكَيْر ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة مثله . وقال سعد بن منصور عن الدَّرَاوَردي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمرَ : عمرة في شوال ، وعمرتين في ذى القعدة .

وكذا رواه ابن بكير عن مالك ، عن هشام بن عروة .
وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله اعتمر ثلاثَ عمرَ كلهن في ذى القعدة .

وقال أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال اعتمر رسول الله أربعَ عمرَ : عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث داود العطار وحسنه رمزي .

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجعرانة . وسيأتى فى فصل من قال إنه عليه السلام حج قارناً وبالله المستعان .

فالأولى من هذه العُمر : عمرة الحديبية التى صُدَّ عنها . ثم بعدها عمرة القضاء ويقال بل عمرة القِصاص ، ويقال عمرة القَضِيَّة . ثم بعدها عمرة الجعرانة مَرَجَعَهُ مِنْ الطائف ، حين قسم غنائم حنين . وقد قدمنا ذلك كله فى مواضعه . والرابعة عمرته مع حجته .

وسنبين اختلاف الناس فى عمرته هذه مع الحجة ، هل كان مُتَمَتِّعاً ، بأن أوقع العمرة قبل الحجة وحلَّ منها ، أو منعه من الإحلال منها سَوَقَهُ الْهُدَى ، أو كان قارناً لها مع الحجة . كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك ، أو كان مُفَرِّداً لها عن الحجة ، بأن أوقعها بعد قضاء الحجة . قال : وهذا هو الذى يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعى .

وسياتى بيان هذا عند ذكرنا إحرامه صلى الله عليه وسلم كيف كان مفرداً أو متمتعا أو قارناً .

قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثني زيد بن أرقم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حجَّ بعد ما هاجر حجةً واحدة .

قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى .

وقد رواه مسلم من حديث زهير ، وأخرجاه من حديث شعبة . زاد البخارى وإسرائيل ثلاثتهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى ، عن زيد به . وهذا الذى قال أبو إسحاق من أنه عليه السلام حج بمكة حجةً أخرى ، إن أراد أنه

لم يقع منه بمكة إلا حجة واحدة كما هو ظاهر لفظه ، فهو بعيد .

فإنه عليه السلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحج ويدعو الناس إلى الله ويقول :
« مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِيَنِي حَتَّى أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي ، فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي
عَزَّوَجَلَّ » .

حتى قيض الله له جماعة الأنصار يلتقونه ليلة العقبة ، أى عشية يوم النحر عند
بحر العقبة ثلاث سنين متتاليات ، حتى إذا كانوا آخر سنة بابعوه ليلة العقبة الثانية ، وهي
ثالث اجتماعهم به ، ثم كانت بعدها الهجرة إلى المدينة . كما قدمنا ذلك مبسوطا في
موضعه . والله أعلم .

وفي حديث جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ،
قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في الناس
بالحج ، فاجتمع بالمدينة بشر كثير ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من
ذي القعدة أو لأربع ، فلما كان بذي الحليفة صلى ثم استوى على راحلته ، فلما أخذت به
في البداء لبى وأهللنا لا ننوى إلا الحج .

وسياتى الحديث بطوله . وهو في صحيح مسلم ، وهذا لفظ البيهقي من طريق أحمد بن
حنبل ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن جعفر بن محمد به .

باب

تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع
بعد ما استعمل عليها أبا دُجَانَةَ سِمَاك بن خَرْشَةَ الساعدي
ويقال سَبَاع بن عُرْفُطَةَ الْفِقَارِي
حكاهما عبد الملك بن هشام

قال محمد بن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من
سنه عشر تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج ثلث ليل بقين من
ذى القعدة .

وهذا إسناد جيد .

ورواه الإمام مالك في موطئه ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة ، عن
عائشة ، ورواه الإمام أحمد عن عبد الله بن زُمَيْر ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن
عمرة عنها .

وهو ثابت في الصحيحين وسنن النسائي وابن ماجه ومصنف ابن أبي شيبة ، من
طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع
رسول الله ثلث بقين من ذى القعدة لا نرى إلا الحج . الحديث بطوله كما سيأتى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا
موسى بن عُقبة ، أخبرني كريب عن ابن عباس ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم

من المدينة بعد ما ترَجَّلَ وادَّهَنَ ولبس إزاره ورداءه ، ولم يَنْهَ عن شيء من الأُردية ولا الأُزُر إلا المِزْعَفَةَ التي تَرَدَعُ^(١) على الجِلْدِ ، فأصبح بذى الحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البيداء ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدم مكة لخمس خلون من ذى الحجة .

تفرَّد به البخارى .

فقوله : « وذلك لخمس بقين من ذى القعدة » إن أراد به صبيحة يومه بذى الحليفة صح قول ابن حزم فى دعواه أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم الخميس وبات بذى الحليفة ليلة الجمعة . وأصبح بها يوم الجمعة ، وهو اليوم الخامس والعشرون من ذى القعدة .

وإن أراد ابن عباس بقوله « وذلك لخمس من ذى القعدة » يومَ انطلاقه عليه السلام من المدينة بعدما ترَجَّلَ وادَّهَنَ ولبس إزاره ورداءه ، كما قالت عائشة وجابر أنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذى القعدة ، بعد قول ابن حزم وتعدُّر المصير إليه وتعيين القول بغيره ، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة ، إن كان شهر ذى القعدة كاملاً .

ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة كان يوم الجمعة ، لما رواه البخارى : حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ابن مالك ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء ، حمد الله عز وجل وسبح [وكَبَّرَ]^(٢) ثم أهلَّ بحج وعمره .

وقد رواه مسلم والنسائى جميعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن

(٢) من البخارى .

(١) تردع : تغيّر اللون إلى الصفرة .

أبى قلابة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن محمد - يعنى ابن المنكدر - وإبراهيم بن ميسرة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين .

ورواه البخارى عن أبى نعيم ، عن سفيان - هو الثورى - به ، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن بكير ، حدثنا ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر عن أنس قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بذى الحليفة حتى أصبح ، فلما ركب راحلته واستوت به أهل .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن المنكدر التميمى ، عن أنس بن مالك الأنصارى ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فى مسجده بالمدينة أربع ركعات ، ثم صلى بنا العصر بذى الحليفة ركعتين آمناً لا يخاف فى حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين ، وهما على شرط الصحيح .

وهذا ينفى كون خروجه عليه السلام يوم الجمعة قطعاً .

ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس ، كما قال ابن حزم ، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لأنه لا خلاف أن أول ذى الحجة كان يوم الخميس ، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة بلا نزاع .

فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لبقى في الشهر ست ليال قطعاً ، ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء . فهذه ست ليال .

وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر أنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة ، وتعذر أنه يوم الجمعة لحديث أنس ، فتعین على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت ، وظن الراوى أن الشهر يكون تاماً ، فاتفق في تلك السنة نقصانه ، فانسلخ يوم الأربعاء واستهل شهر ذى الحجة ليلة الخميس . ويؤيده ما وقع في رواية جابر : لخمس بقين أو أربع .

وهذا التقرير على هذا التقدير لا يحيد عنه ولا بد منه . والله أعلم .

باب

صفة خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة للحج

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن عبيد الله ، هو ابن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرس ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة يصلى في مسجد الشجرة وإذا رجع صلى بذي الحليفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : وجدت في كتابي عن عمرو بن مالك ، عن يزيد بن زريع ، عن هشام ، عن عذرة بن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : حج على رحل رث وتحمته قطيفة وقال : « حِجَّة لا رياء فيها ولا سُمعة » .

وقد علقه البخارى في صحيحه فقال : وقال محمد بن أبي بكر المقدمى ، حدثنا يزيد بن

زُرَيْع ، عن عَزْرَةَ بن ثابت ، عن ثُمَامَةَ قال : حجَّ أنسٌ على رَحْلٍ رَثٍّ ولم يكن شحيجاً . وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على رَحْلٍ وكانت زَامِلَتُهُ^(١) .
هكذا ذكره البزار والبخارى معلقاً مقطوع الإسناد من أوله .

وقد أسنده الحافظ البيهقي في سننه فقال : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ ، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع . فذكره .

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من وجه آخر ، عن أنس بن مالك ، فقال : حدثنا علي بن الجعد ، أنبأنا الربيع بن صبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، قال : حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ وقطيفة تساوى - أو لا تساوى - أربعة دراهم . فقال : « اللهم حِجَّةً لا رياءَ فيها » .

وقد رواه الترمذي في الشَّائِل^(٢) من حديث أبي داود الطيالسي ، وسفيان الثوري وابن ماجه من حديث وَكِيع ابن الجراح ، ثلاثهم عن الربيع بن صبيح به .
وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي ، فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، قال : صدرتُ مع ابن عمر فررت بنا رُقُقَةً يمانية ورَحَالَهُمُ الْأَدَمَ وَخُطُمُ إِبِلِهِمُ الْخُرَزُ^(٣) ، فقال عبدالله : من أحبَّ أن ينظر إلى أشبه رُقُقَةٍ وردت العام برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قدِمُوا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرُقُقَةِ .

(١) الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع .

(٢) في باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم . الشَّائِل ١٢٠/٢ .

(٣) الخرز : نبات من النجيل منظوم من أعلاه إلى أسفله .

ورواه أبو داود عن هَمَّاد، عن وكيع، عن إسحاق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه عن ابن عمر .

وقال الحافظ أبو بكر البیهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو طاهر الفقيه وأبو زكريا بن أبي إسحاق وأبو بكر بن الحسن وأبو سعيد بن أبي عمرو : قالوا حدثنا أبو العباس هو الأصم ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن الحكم ، أنبأنا سعيد بن بشير القرشي ، حدثنا عبد الله بن حكيم السكّاني - رجل من أهل اليمن من موالِيهم - عن بشر بن قدامة الضَّبَّاني ، قال : أبصرت عيناى حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفات مع الناس على ناقة له حمراء قصواء تحته قطيفة بولانية وهو يقول « اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا مباهاة ولا سُعة » . والناس يقولون : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، أن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حُجَّاجاً حتى أدرگنا بالعَرَج ^(١) نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلست إلى جنب أبي ، وكانت زمالة ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه ، فطلع عليه وليس معه بعيره ، فقال : أين بعيرك ؟ فقال أضلته البارحة . فقال أبو بكر : بعير واحد أضله ! فطفق يضربه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول : « انظروا إلى هذا الحُرِّ وما يصنع ! » .

وكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رَزْمَة . وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس به .

(١) العرج : منزل بطريق مكة .

(٢) الزمالة : المركوب والأداة ، وما كان معهما في السفر . النهاية ١٤١/٢ .

فأما الحديث الذى رواه أبو بكر البزار فى مسنده قائلا : حدثنا إسماعيل بن حفص ، حدثنا يحيى بن اليان ، حدثنا حمزة الزيات ، عن عمران بن أعين ، عن أبي الطفيل عن أبي سعيد ، قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاةً من المدينة إلى مكة قدر بطوا أوساطهم ومشيههم خلط الهرولة .

فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد ، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف وشيخه متروك الحديث . وقد قال البزار : لا يروى إلا من هذا الوجه ، وإن كان إسناده حسنا عندنا .

ومعناه أنهم كانوا فى عمرة إن ثبت الحديث ، لأنه عليه السلام إنما حجَّ حجة واحدة وكان راكباً وبعض أصحابه مشاة .

قلت : ولم يعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى شيء من عمره ماشياً ، لافى الحديث ولا فى القضاء ولا الجعرانة ولا فى حجة الوداع .

وأحواله عليه السلام أشهر وأعرف من أن تخفى على الناس ، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله . والله أعلم .

فصل

تقدم أنه عليه السلام صلى الظهر بالمدينة أربعاً ، ثم ركب منها إلى الخليفة وهى وادى العقيق ^(١) فصلى بها العصر ركعتين .

فدل على أنه جاء الخليفة نهراً فى وقت العصر فصلى بها العصر قصراً ، وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، ثم صلى بها المغرب والعشاء وبات بها حتى أصبح فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحي من الليل بما يعتمده فى الإحرام .

(١) وادى العقيق : قرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، عن موسى بن عُبَبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أتى في المعرّس من ذى الحليفة فقيل له : إنك يبطّحاء مباركة .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث موسى بن عُبَبة به .

وقال البخارى : حدثنا الحُمَيْدَى ، حدثنا الوليد وبشر بن بَكْر ، قالا : حدثنا الأوزاعى ، حدثنا يحيى ، حدثني عِكْرمة ، أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر ^(٢) يقول : سمعت رسول الله بوادى العقيق يقول : « أتانى الليلة آت من ربى فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك وَقُلْ : عُمرَة فى حِجَّة » .

تفرّد به دون مسلم .

فالظاهر أن أمره عليه السلام بالصلاة فى وادى العقيق هو أمرٌ بالإقامة به إلى أن يصلى صلاة الظهر ، لأن الأمر إنما جاءه فى الليل وأخبرهم بعد صلاة الصبح ، فلم يبقَ إلا صلاة الظهر ، فأمر أن يصلّيها هنالك وأن يوقع الإحرام بعدها .

ولهذا قال : أتانى الليلة آتٍ من ربى عز وجل فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك ، وَقُلْ عُمرَة فى حِجَّة .

وقد احتج به على الأمر بالقران فى الحج ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك . كما سيأتى بيانه قريباً .

والمقصود أنه عليه السلام أمر بالإقامة بوادى العقيق إلى صلاة الظهر ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، فأقام هنالك وطاف على نسائه فى تلك الصبيحة وكن تسمع نسوة ، وكلهن خرج معه ، ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر . كما سيأتى فى حديث

(٢) الأصل : ابن عمر . وما أثبتته عن صحيح البخارى .

أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ، ثم أشعر بدنته ، ثم ركب فأهل .

وهو عند مسلم .

وهكذا قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أشعث - هو ابن عبد الملك - عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته ، فلما علا شرف البيداء أهل .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، والنسائي عن إسحاق بن راهوية ، عن النضر بن شميل عن أشعث بمعناه ، وعن أحمد بن الأزهر ، عن محمد بن عبد الله بن نصارى ، عن أشعث أنهم منه .

وهذا فيه ردٌّ على ابن حزم ، حيث زعم أن ذلك في صدر النهار .

وله أن يعتضد بما رواه البخاري من طريق أيوب ، عن رجل ، عن أنس أن رسول الله بات بذي الحليفة حتى أصبح ، فصلى الصبح ثم ركب راحلته ، حتى إذا استوت به البيداء أهل بعمره وحج .

ولسكن في إسفاده رجل منهم والظاهر أنه أبو قلابة . والله أعلم .

قال مسلم في صحيحه : حدثنا يحيى بن حبيب الخارثي ، حدثنا خالد - يعني ابن الخارث - حدثنا شعبة ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، سمعت أبي يحدث عن عائشة أنها قالت : كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً .

وقد رواه البخاري من حديث شعبة ، وأخرجاه من حديث أبي عوانة .

ومسلم ومُسْنَدُ وسفيان بن سعيد الثوري ، أربعتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر به .

وفي رواية لمسلم عن إبراهيم بن محمد بن المنْشَر ، عن أبيه قال : سألت عبد الله بن عمر عن الرجل يتطيَّب ثم يُصبح مُحرِّماً . قال : ما أحبُّ أنى أصبح محرِّماً أنْضَح طيباً ، لأنَّ أَطْلَى الفَطِرَانِ ^(١) أحبُّ إلى من أن أفعل ذلك .

فَقَالَت عائشة : أَنَا طَيِّبَتُ رسول الله عند إحرامه ، ثم طاف في نسائه ثم أصبح مُحرِّماً .

وهذا اللفظ الذي رواه مسلم يقتضى أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطيَّب قبل أن يطوف على نسائه ، ليكون ذلك أطيبَ لنفسه وأحبَّ إليهن ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيَّب أيضاً للإحرام طيباً آخر .

كما رواه الترمذى والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرَّد لإِهْلَالِهِ واغتسل .

وقال الترمذى : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عَدِيّ أنبأنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يُحرِّمَ غسل رأسه بِخَطْمِيٍّ وَأَشْنَانِ ^(٢) ودهنه بشيء من زيت غير كثير . الحديث تفرَّد به أحمد .

وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله : أنبأنا سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن عثمان بن عمار ، سمعت أبا يقول : سمعت عائشة تقول : طَيِّبَتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لحِمْهِ وَلِحْلِهِ قلت لها : بأى طيب ؟ قالت بأطيب الطَّيِّب .

وقد رواه مسلم من حديث سفيان بن عُيَيْنَةَ وأخرجه البخارى من حديث وهب عن

(١) صحيح مسلم : بقطران حديث ١١٩٢ . (٢) الخطمى والأشنان : نوعان من النباتات .

هشام بن عروة ، عن أخيه عثمان ، عن أبيه عروة عن عائشة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدالله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، قالت : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه حين يُحْرَم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم : حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا محمد بن أبي بكر : أنبأنا ابن جريج ، أخبرني عمر بن عبدالله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة قالت : طيبت رسول الله بيدي بذريعة^(١) في حجة الوداع للحل والإحرام .

وروى مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين لحرمه حين أحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم : حدثني أحمد بن منيع ، ويعقوب الدورقي قالا : حدثنا هشيم ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرَم [ويحل]^(٢) ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شعبة وزهير بن حرب^(٣) ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كأني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي .

ثم رواه مسلم من حديث الثوري وغيره ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ،

(٣) الذريعة : نوع من الطيب : قال النووي : هي فتات قصب طيب يجاء به من الهند .

(١) ليست في صحيح مسلم . كتاب الحج حديث رقم ١١٩١ - ط الحلي .

(٢) في صحيح مسلم زيادة : وأبو سعيد الأشج قالوا . الحج حديث ١١٩٠ .

عن الأسود ، عن عائشة قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الْمِسْكِ فِي مَفْرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري ومسلم من حديث الأعمش ، كلاهما عن منصور ، عن إبراهيم عن الأسود عنها .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، عن الحكم بن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة .

وقال أبو داود الطيالسي : أَنبَأَنَا أَشْعَثُ ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عائشة ، قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الطَّيِّبِ فِي أَصُولِ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عن إبراهيم النَّخَعِيُّ ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : كَأْنِي أَنْظَرُ إِلَى وَرَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، عن إبراهيم النَّخَعِيُّ ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : رَأَيْتُ الطَّيِّبَ فِي مَفْرَقِ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه السلام تطيب بعد الغسل ، إذ لو كان الطيب قبل الغسل لذهب به الغسل ولما بقي له أثر ، ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام . وقد ذهب طائفة من السلف منهم ابن عمر إلى كراهة التطيب عند الإحرام . وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة ، فقال الحافظ البيهقي : أَنبَأَنَا

أبو الحسين بن بشران - ببغداد - أنبأنا أبو الحسن على بن محمد المصري ، حدثنا يحيى ابن عثمان بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي العَمر ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر عن عائشة ، أنها قالت : طَيَّبَت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالغالية الجيدة عند إحرامه .

وهذا إسناد غريبٌ عزيزٌ المخرَج .

ثم إنه عليه السلام لبَّد رأسه ليكون أحفظَ لما فيه من الطَّيب وأضوَن له من استقرار التراب والغبار .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله ما شأنُ الناس حَلَّوا من العمرة ولم تحلِّ أنت من عمرتك ؟ قال : « إني لبَّدت رأسي وقلَّدت هَذي ، فلا أحِلُّ حتى أنحر » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، وله طرق كثيرة عن نافع .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا لأصم ، أنبأنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا عبيد الله بن عمر القَوَاريري ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّد رأسه بالعسل .

وهذا إسناد جيد .

ثم إنه عليه السلام أشعر الهدى وقلَّده ^(١) وكان معه بذى الحليفة .

قال الليث ، عن عَقِيل ، عن الزهري ، عن سالم عن أبيه ، تمتَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهدى فساقَ معه الهدى من ذى الحليفة .

وسياتى الحديث بتمامه ، وهو في الصحيحين والـكلام عليه إن شاء الله .

(١) الإشعار : أن يجعل لها شعيرة ، أى علامة تميز بها . والتقليد : إلباسها ما يعلم به أنها هدى .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ بن هشام - هو الدستوائي - حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته .

وقد رواه أهل الشئْن الأربعة ، من طرق عن قتادة .

وهذا يدل على أنه عليه السلام أعطاى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في هذه البدنة ، وتولّى إشعار بقية الهدى وتقليده غيره ، فإنه قد كان معه هدي كثير^(١) ، إما مائة بدنة أو أقل منها بقليل . وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثاً وستين بدنة وأعطى علياً فذبح ماغبر^(٢) .

وفي حديث جابر أن علياً قدم من اليمن بيذن للنبي صلى الله عليه وسلم .
وفي سياق ابن إسحاق أنه عليه السلام أشرك علياً في بُذنه والله أعلم . وذكر غيره أنه ذبح هو وعليّ يوم النحر مائة بدنة .
فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذى الحليفة ، وقد يكون اشترى بعضها بعد ذلك وهو مُحْرَم .

(١) ج : كان هدياً كثيراً . (٢) غير : بقى .

باب

بيان الموضع الذى أهلّ منه عليه السلام واختلاف الناقلين لذلك
وترجيح الحق فى ذلك

ذِكْرُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْرَمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِى بَدَى الْحَلِيفَةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ :

تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ،
عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عُمَرَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِوَادَى الْعَقِيقِ يَقُولُ : أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ : صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِى الْمُبَارَكِ وَقُلْ
عُمْرَةَ فِي حِجَّةٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : بَابُ الْإِهْلَالِ عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحَلِيفَةِ :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ .ح. وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : مَا أَهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
- يَعْنِي مَسْجِدَ ذِي الْحَلِيفَةِ -

وَقَدْ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ ، مِنْ طَرُقٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ .

وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْلِمِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمٍ وَنَافِعٍ وَحُمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ،
ثَلَاثَتِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَذَكَرَهُ . وَزَادَ فَقَالَ : لَتَيْكَ اللَّهُمَّ لَتَيْكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهَا مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ سَالِمٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ

ابن عمر : يَبْذَاؤُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تَكْذِبُونَ فِيهَا ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا أَهْلٌ رَسُولَ اللَّهِ [إِلَّا] مِنْ عِنْدِ الْمَسْجِدِ .

وقد روى عن ابن عمر خلافُ هذا ، كما يأتي في الشق الآخر . وهو ما أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عبيد بن جريح ، عن ابن عمر . فذكر حديثاً فيه أن عبد الله قال : وأما الإهلال فإني لم أر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَهْلُ حتى تَنْبَعَثَ به راحلتهُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني خُصَيْف ابن عبد الرحمن الجزري ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : يا أبا العباس ، عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أَوْجَبَ ؟ !

فقال : إني لأعلم الناس بذلك . إنما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة ، فمن هناك اختلفوا .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجاً ، فلما صلى في مسجده بذى الحليفة ركعتيه أَوْجَبَ في مجلسه ، فأهَلَ بالحج حين فرغ من ركعتيه ، فسمع ذلك منه قومٌ فحفظوا عنه ، ثم ركب ، فلما استقلت به ناقتهُ أهَلَ ، وأدرك ذلك منه أقوامٌ ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالاً ، فسمعوه حين استقلت به ناقتهُ يَهْلُ ، فقالوا : إنما أهَلَ رسول الله حين استقلت به ناقتهُ .

ثم مضى رسول الله ، فلما علا شرف البَيْداء أهَلَ ، وأدرك ذلك منه أقوامٌ فقالوا :

(١) المراد بالبَيْداء هنا : شرف أمام ذى الحليفة ؛ سميت ببذاء لأنه ليس فيها بناء ولا أثر . ومعنى تكذبون فيها : تنسبون إلى الرسول أنه أهل منها ، ولم يفعل .

إنما أهل رسول الله حين علا شرف البيداء ، وإيم الله لقد أوجب في مُصَلَّاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا شرف البيداء .

فمن أخذ بقول عبد الله بن عباس [أنه] أهل في مُصَلَّاه إذا فرغ من ركعتيه - وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قُتيبة ، عن عبد السلام بن حرب ، عن خُصيف به نحوه .

وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرف أحدا رواه غير عبد السلام . كذا قال ، وقد تقدم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه - وكذلك رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن القطيعى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ثم قال : خُصيف الجزرى غير قوى ، وقد رواه الواقدى بإسناد له عن ابن عباس . قال البيهقى : إلا أنه لا ينفع متابعة الواقدى ، والأحاديث التى وردت فى ذلك عن عمر وغيره مسانيدها قوية ثابتة والله تعالى أعلم -

قلت : فلو صح هذا الحديث لكان فيه جمع لما بين الأحاديث من الاختلاف وبسط لعذر من نقل خلاف الواقع ، ولكن فى إسناده ضعف . ثم قد روى عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما تقدم عنهما كما سننبه عليه ونبينه .

وهكذا ذكر من قال إنه عليه السلام أهل حين استوت به راحلته . قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام بن يوسف ، أنبأنا ابن جُرَيْج ، حدثنى محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً وبذى الحليفة ركعتين ، ثم بات حتى أصبح بذى الحليفة ؛ فلما ركب راحلته واستوت به أهل .

وقد رواه البخارى ومسلم وأهل السنن من طرق عن محمد بن المنكدر وإبراهيم بن ميسرة ، عن أنس .

وثبت فى الصحيحين من حديث مالك ، عن سعيد المقبرى ، عن عبيد بن جريح ، عن ابن عمر قال :

وأما الإهلالُ فإني لم أَر رسول الله يُهلُّ حتى تنبعثَ به راحلته .

وأخرج فى الصحيحين من رواية ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله كان يركب راحلته بذى الحليفة ثم يُهلّ حين تستوى به قائمة .

وقال البخارى : باب من أهلّ حين استوت به راحلته :

حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنى صالح بن كيسان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أهلّ النبي صلى الله عليه وسلم حين استوت به راحلته قائمة .

وقد رواه مسلم والنسائى من حديث ابن جريج به .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا على بن مسهر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله فى الفرز^(١) وانبعثت به راحلته قائمة أهلّ من ذى الحليفة .

انفرد به مسلم من هذا الوجه ، وأخرجاه من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عنه .

ثم قال البخارى : باب الإهلال مُستقبل القبلة :

قال أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا صلى الغداة بذى الحليفة أمر براحلته فرحلت ثم ركب ، فإذا استوت به استقبل القبلة

(١) الفرز : ركاب كور اليعير .

قائماً ثم يلبي حتى يبلغ الحرم ، ثم يمسك ، حتى إذا جاء ذا طوى^(١) بات به حتى يَضُبح ، فإذا صلى الغداة اغتسل ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .
ثم قال : تابعه إسماعيلُ ، عن أيوب في الغسل .

وقد علق البخارى أيضاً هذا الحديث في كتاب الحج ، عن محمد بن عيسى ، عن حماد ابن زيد ، وأسنده فيه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، عن إسماعيل ، هو ابن عليّة .
ورواه مسلم عن زهير بن حرب ، عن إسماعيل ، وعن أبي الربيع الزهراني وغيره ، عن حماد بن زيد ، ثلاثهم عن أيوب ، عن أبي تيممة السخيتاني به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن إسماعيل بن عليّة به .

ثم قال البخارى : حدثنا سليمان أبو الربيع ، حدثنا فُلَيْح ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة أذهن بدهن ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي ثم يركب ، فإذا استوت به راحلته قائمة أحرّم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وروى مسلم عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، قال : بيّداؤكم هذه التي تكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، والله ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند الشجرة حين قام به بغيره .

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه ، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد ، ولكن بعد ما ركب راحلته واستوت به على البيداء ، يعنى الأرض وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء .

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة .

ثم قال البخارى فى موضع آخر^(١): حدثنا محمد بن أبى بكر المَقْدِسِى ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُقبة ، حدثنى كُريب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ما ترَجَّل وادَّهَن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، ولم يبقَ عن شيء من الأُردية والأُزُر تلبس إلا المزْعَفرة التى تَرَدَع على الجلد ، فأصبح بذى الحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهلٌ هو وأصحابه وقد بُدِنه ، وذلك لخمس بقين [من ذى القعدة ، فقدم مكة لأربع ليالٍ خالون^(٢)] من ذى الحجة . فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بُدِنه لأنه قلَّدها ، ثم نزل بأعلى مكة عند الحَجُون وهو مُهَلَّ بالحج ولم يَقْرَب السكبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يَحِلُّوا ، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلَّدها ، ومن كانت معه امرأته فهى له حلال والطيب والثياب .

انفرد به البخارى .

وقد روى الإمام أحمد عن سَهْز بن أسد وحجاج ورواح بن عباد وعفان بن مُسلم ، كلهم عن شعبة قال : أخبرنى قتادة ، قال سمعت أبا حسان الأعراج الأجرد ، وهو مسلم ابن عبد الله البصرى ، عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للظَّهر بذى الحليفة ، ثم دعا بيدته فأشعر صفحة سَفاها الأيمن وسَلَّت^(٣) الدَّم عنها وقلَّدها نعلين ، ثم دعا براحلته ، فلما استوت على البيداء أهلٌ بالحج .

ورواه أيضا عن هُشيم ، أنبأنا أصحابنا منهم شعبة . فذكر نحوه .

ثم رواه الإمام أحمد أيضا عن رَواح وأبى داود الطيالسى ووكيع بن الجراح ، كلهم

(١) الحديث فى باب مالا يلبس الحرم من الثياب والأُردية والأُزُر . صحيح البخارى ١/١٩٧ ط الأمانة

(٢) سقط من الأصل ، وأثبتها من البخارى .

(٣) سات الدم : قشيره حتى أظهر دما .

عن هشام الدستوائي ، عن قتادة به ، نحوه .
ومن هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه وأهل السنن في كتبهم .

فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه السلام أهل حين استوت به راحلته أصبح
وأثبت من رواية خُصيف الجزري ، عن سعيد بن جبير عنه . والله أعلم .
وهكذا الرواية المُنْبَتة المفسرة أنه أهل حين استوت به الراحلة مُقدّمة على الأخرى ،
لاحتمال أنه أراد أنه أخرّم من عند المسجد حين استوت به راحلته ، وتكون رواية ركوبه
الراحلة فيها زيادة علم على الأخرى . والله أعلم .

ورواية أنس في ذلك سالمة عن المعارض ، وهكذا رواية جابر بن عبد الله في صحيح
مسلم ، من طريق جعفر الصادق عن أبيه ، عن أبي الحسين زين العابدين ، عن جابر في
حديثه الطويل الذي سيأتي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل حين استوت به راحلته
سالمة عن المعارض . والله أعلم .

وروى البخاري من طريق الأوزاعي ، سمعت عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، أن
إلهال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي الخليفة حين استوت به راحلته .

فأما الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبي الزناد ، عن عائشة بنت
سعد ، قالت : قال سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ طريق الفرع ^(١) أهل
إذا استعقّت به راحلته ، وإذا أخذ طريقاً أخرى أهل إذا علا على شرف البيداء .
فرواه أبو داود والبيهقي من حديث ابن إسحاق وفيه غرابة ونكارة . والله أعلم .

فهذه الطرق كلها دالة على القطع أو الظن الغالب أنه عليه السلام أخرّم بعد
الصلاة وبعد ما ركب راحلته وابتدلت به للسير . زاد ابن عمر في روايته : وهو
مُسْتَقْبِل الْقِبْلَةِ .

(١) الفرع : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

باب

بَسْطُ الْبَيَانِ لِمَا أَحْرَمَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُجَّتِهِ هَذِهِ مِنَ الْإِفْرَادِ
أَوْ التَّمَتُّعِ أَوْ الْقِرَافِ

ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُفْرَدًا

رَوَايَةَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ :

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ : أَنبَأَنَا مَالِكٌ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .
وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُوَيْسٍ وَيُحْيَى بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مَالِكٍ . وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، عَنْ مَالِكٍ بِهِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنِي الْمُنْكَدِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَفْرَدَ الْحَجَّ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا شُرَيْحٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ
عَائِشَةَ ، وَعَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ أَبِي عُلُقَمَةَ عَنْ أُمِّهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ عَنْهَا .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ،
عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الْحَجَّ .

وقال : حدثنا رَوْح ، حدثنا مالك ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل
وكان يتيمًا في حجر عُرْوَة - عن عُرْوَة بن الزبير عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أفرَدَ الحُجَّجَ .

ورواه ابن ماجه عن أبي مصعب عن مالك كذلك .

ورواه النسائي عن قتيبة ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة عن عائشة : أن
رسول الله أهلَّ بالحُجَّجِ .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة عن
عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَنَّا من أهلَّ بالحُجَّجِ ومَنَّا من أهلَّ
بالعُمرة ، ومَنَّا من أهلَّ بالحُجَّجِ والعُمرة ، وأهلَّ رسول الله بالحُجَّجِ ؛ فأما من أهلَّ بالعُمرة
فأَحَلُّوا حين طافوا بالبيت وبالصفاء والمرورة ، وأما من أهلَّ بالحُجَّجِ أو بالحُجَّجِ والعُمرة فلم
يَحَلُّوا إلى يوم النحر .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف والقَعْنِيّ وإسماعيل بن أبي أُوَيْس ،
عن مالك . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك به .

وقال أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أهلَّ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحُجَّجِ وأهلَّ ناسًا بالحُجَّجِ والعُمرة ، وأهلَّ ناسًا بالعُمرة .
ورواه مسلم عن ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ به نحوه .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن
محمد ، عن علقمة بن أبي علقمة ، عن أمه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر الناس في حجة الوداع . فقال : من أحبَّ أن يبدأ بعُمرة قبل الحُجَّجِ فليفعل . وأفرَدَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُجَّجَ ولم يَعْتَمِر .

فإنه حديث غريب جداً ، تفرّد به أحمد بن حنبل ، وإسناده لا بأس به ، ولكن لفظه فيه نكارة شديدة وهو قوله : « فلم يعتمر » .

فإن أريد بهذا أنه لم يعتمر مع الحج ولا قبله هو قول من ذهب إلى الإفراد . وإن أريد أنه لم يعتمر بالكليّة لا قبل الحج ولا معه ولا بعده ، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به . ثم هو مخالف لما صحّ عن عائشة وغيرها من أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن في ذى القعدة إلا التي مع حجّته .

وسيتأتى تقرير هذا في فصل القرآن مستقصى . والله أعلم .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قائلين مسنده : حدثنا رَوْح ، حدثنا صالح بن أبى الأخضر ، حدثنا ابن شهاب ، أن عروة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أهلّ رسول الله بالحج والعمرة في حجة الوداع وساق معه الهدى ، وأهلّ ناسٌ معه بالعمرة وساقوا الهدى ، وأهلّ ناس بالعمرة ولم يسوقوا هدياً . قلت عائشة : وكنت بمن أهلّ بالعمرة ولم أسق هدياً .

فلما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال] : من كان منكم أهلّ بالعمرة فساق معه الهدى فليطّف بالبيت وبالصفاء والمروة ولا يحلّ منه شيء حرّم منه حتى يقضى حجّه وينحر هديه يوم النحر ، ومن كان منكم أهلّ بالعمرة ولم يسق معه هدياً فليطّف بالبيت وبالصفاء والمروة ثم ليقصّر وليحلّل ثم ليهل بالحج وليهدّ ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

قالت عائشة : قدّم رسول الله الحجّ الذى خاف فوّته وأخّر العمرة .

فهو حديث من أفراد الإمام أحمد ، وفي بعض ألفاظه نكارة . ولبعضه شاهد في الصحيح ، وصالح بن أبى الأخضر ليس من عليّة أصحاب الزّهري ، لا سيما إذا خالفه غيره كما هاهنا ، في بعض ألفاظ سياقه هذا .

وقوله : « فقدّم الحجّ الذي يخاف فوّته وأخر العُمرة » لا يلتزم مع أول الحديث : « أهلٌ بالحج والعمرة » .

فإن أراد أنه أهلٌ بهما في الجملة وقدّم أفعال الحجّ ، ثم بعد فراغه أهلٌ بالعمرة كما يقوله من ذهب إلى الإفراد ، فهو مما نحن فيه هاهنا .

وإن أراد أنه أخر العمرة بالكلية بعد إحرامه بها ، فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه . وإن أراد أنه اكتفى بأفعال الحج عن أفعال العمرة ودخلت العمرة في الحجّ ، فهذا قول من ذهب إلى القرآن ، وهم يؤولون قول من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج أى أفرد أفعال الحج وإن كان قد نوى معه العمرة . قالوا : لأنه قد روى القرآن كلٌّ من روى الإفراد كما سيأتى بيانه . والله تعالى أعلم .

رواية جابر بن عبد الله في الإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بالحج . إسناده جيد على شرط مسلم .

ورواه البيهقي عن الحسّاء وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : أهلّ رسول الله في حجته بالحج ليس معه عمرة .

وهذه الزيادة غريبة جداً . ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظ . والله أعلم . وفي صحيح مسلم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، قال : وأهلّنا بالحج لسنا نعرف العمرة .

وقد روى ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن الدّرّاوردى وحاتم بن إسماعيل ،

كلاهما عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرَدَ الحجَّ ، وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا حبيب - يعني المعلم - عن عطاء حدثني جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ هو وأصحابه بالحج ليس مع أحد منهم هَدَى إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة .
وذكر تمام الحديث . وهو في صحيح البخاري بطوله ، كما سيأتي عن محمد بن المنثري عن عبد الوهاب .

رواية عبد الله بن عمر للإفراد

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد ، حدثنا عباد - يعني ابن عباد - حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : أَهَلَّأْنَا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحج مُفْرَدًا .

ورواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عون ، عن عباد بن عباد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ بالحج مُفْرَدًا .
وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلٌ بالحج - يعني مُفْرَدًا .
إسناده جيد ولم يُخَرِّجوه .

رواية ابن عباس للإفراد

روى الحافظ البيهقي من حديث روح بن عبادة ، عن شعبة ، عن أبوب ، عن

أبى العالية البراء ، عن ابن عباس ، أنه قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ،
فقدِم لأربع مضين من ذى الحجة ، فصلَّى بنا الصبح بالبطحاء ، ثم قال : من شاء أن
يجعلها عمرةً فليجعلها .

ثم قال : رواه مسلم ، عن إبراهيم بن دينار ، عن ابن رَوْح .

وتقدم من رواية قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم صَلَّى الظهر بذي الحليفة ، ثم أتى ببدنة فأشعر صفحة سنامها الأيمن ، ثم
أتى براحله فركبها ، فلما استوت به على البيداء أهلَّ بالحج .
وهو فى صحيح مسلم أيضا .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطنى : حدثنا الحسين بن إسماعيل ، حدثنا أبو هشام ،
حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثنا أبو حصين ، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه ،
قال : حجَّجتُ مع أبى بكر ، فجرَّد ، ومع عمر فجرَّد ، ومع عثمان فجرَّد .
تابعه الثورى عن أبى حُصَيْن .

وهذا إنما ذكرناه هاهنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم إنما يفعلون هذا
عن توقيف ، والمراد بالتَّجريد هاهنا الإفراد والله أعلم .

وقال الدارقطنى : حدثنا أبو عبيد الله القاسم بن إسماعيل ومحمد بن مخلد ، قالا : حدثنا
على بن محمد بن معاوية الرزاز ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ،
عن ابن عمر : أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل عتَّاب بن أسيد على الحج فأفرَّد ، ثم
استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرَّد الحج ، ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فأفرَّد
الحج ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فبعث عمر فأفرَّد الحج ،
ثم حج أبو بكر فأفرَّد الحج ، وتوفى أبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرحمن بن عوف

فأفرد الحج ، ثم حج فأفرد الحج ، ثم حُصر عثمان فأقام عبدُ الله بن عباس للناس فأفرد الحج .

في إسناده عبد الله بن عمر العُمري وهو ضعيف ، لكن قال الحافظ البيهقي : له شاهد بإسناد صحيح .

ذكر من قال إنه عليه السلام حج متمتعاً

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، أن عبد الله بن عمر قال : تمتّع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهل فساق الهدى من ذى الحليفة ، وبدأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، وكان من الناس من أهدى فساق الهدى من ذى الحليفة ومنهم من لم يُهدِ .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قل للناس : « مَنْ كان منكم أهدى فإنه لا يحلُّ من شيء حَرَمَ منه حتى يَقْضَى حَجُّهُ ، ومن لم يكن أهدى فليطُفْ بالبيت وبالصفاء والمروة وليتَصَّر وليجْلِلْ ثم إيهل بالحج وليُهدِ ، فمن لم يجد هدياً فليصُم ثلاثة أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله » .

وظاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، استلم [الرُّكنَ] أولَ شيءٍ ثم خَبَّ ثلاثة أشواط من السَّبْع ومشي أربعة أطواف ، ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ، ثم سلم فأنصرف فأتى الصفا فطاف بالصفاء والمروة ، ثم لم يَحُللْ من شيء حَرُمَ منه حتى قضى حَجَّه ونحر هديه يوم النحر ، وأفاض فطاف بالبيت ، وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أهدى فساق الهدى من الناس .

قال الإمام أحمد : وحدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب ،

عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة إلى الحج وتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى هذا الحديث البخاري عن يحيى بن بكير ، ومسلم وأبو داود ، عن عبد الملك بن شعيب ، عن الليث ، عن أبيه ، والنسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك الخرمي ، عن حُجَّين بن المنني ، ثلاثهم عن الليث بن سعد ، عن عَقِيل ، عن الزهري عن عروة عن عائشة . كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله .

وهذا الحديث من المشكِّلات على كل من الأقوال الثلاثة .

أما قول الأفراد : ففي هذا إثباتُ عمرةٍ إما قبلَ الحج أو معه .

وأما على قول التمتع الخاص ، فلا نُه ذكر أنه لم يحلَّ من إحرامه بعد ما طاف بالصفاء للرؤة ، وليس هذا شأن التمتع .

ومن زعم أنه إنما منعه من التحلل سَوَقُ الهدى ، كما قد يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلُّوا من العمرة ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لبَدْتُ رأسي وقلدتُ هَذِي فلا أحلُّ حتى أنحر . فقولهم بعيدٌ ، لأن الأحاديث الواردة في إثبات القرآن تردُّ هذا القول وتأتى كونه عليه السلام إنما أهلَّ أولاً بعمرة ثم بعدَ سعيه بالصفاء والرؤة أهلَّ بالحج ؛ فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح بل ولا حسن ولا ضعيف .

وقوله في هذا الحديث : « تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج » إن أريد بذلك التمتع الخاص ، وهو الذي يحل منه بعد السعي فليس كذلك ، فإن في سياق الحديث ما يردُّه ، ثم في إثبات العمرة المقارنة لحجه عليه السلام ما ياباه .

وإن أريد به التمتع العام دخل فيه القرآن وهو المراد .

وقوله : « وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج » إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحج ، بأن قال : لبيك اللهم عمرة وحجاً . فهذا سهل ولا ينافي القرآن .

وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج متأخياً ولكن قبل الطواف فقد صار قارئاً أيضاً .

وإن أريد به أنه أهلّ بالعمرة ثم لما فرغ من أفعالها تحلل أو لم يتحلل بسوق الهدى كما زعمه زاعمون ، ولكنه أهلّ بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منى ، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا ، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نقله ومخالفته الأحاديث الواردة في إثبات القرآن كما سيأتى ، بل والأحاديث الواردة في الأفراد كما سبق . والله أعلم .

والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عَقِيل ، عن الزُّهْرَى ، عن سالم ، عن ابن عمر مرزوى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أفرد الحج زمن محاصرة الحَجَّاج لابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كاثن بينهم شيء ، فلو أخرت الحج عامك هذا ؟ فقال : إذا أفعل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم . يعنى زمن حُصِرَ عام الحديبية فأحرم بعمرة من ذى الحليفة ثم لما علا شرف البيداء قال : ما أرى أمراً إلا واحداً . فأهلّ بحج معها ، فاعتقد الراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل ، سواء بدأ فأهلّ بالعمرة ثم أهل بالحج ، فرووه كذلك . وفيه نظر لما سنينه .

وبيان هذا في الحديث الذى رواه عبد الله بن وهب ، أخبرنى مالك بن أنس وغيره ، أن نافعاً حدثهم أن عبد الله بن عمر خرج فى الفتنة معتمراً وقال : إن صُدِّدْتُ عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فأهلّ بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على

ظَاهِرَ الْبَيْدَاءِ التَّفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا أَمْرُهَا إِلَّا وَاحِدٌ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أُوجِبْتُ الْحَجَّ مَعَ الْعُمْرَةِ . نَخْرُجُ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ مُجْزٍ عَنْهُ ، وَاهْدَى .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ صَاحِبُ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ . وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ بِهِ . وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ ، عَنْ نَافِعٍ بِهِ نَحْوُهُ ؛ وَفِيهِ : ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَرَادَ الْحَجَّ عَامَ نَزَلِ الْحِجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ كَاثِنٌ بَيْنَهُمْ قِتَالًا ، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَصْدُوكَ . قَالَ : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» إِذَا أَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أُوجِبْتُ عُمْرَةً .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِظَاهِرِ الْبَيْدَاءِ قَالَ : مَا أَرَى شَأْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ إِلَّا وَاحِدًا ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أُوجِبْتُ حَجًّا مَعَ عُمْرَتِي . فَأَهْدَى هَدِيًّا اشْتَرَاهُ بِقُدَيْدٍ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْحَرْ وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ شَيْءٍ حَرَمَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَحْلِقْ وَلَمْ يَقْصُرْ ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ النَحْرِ فَنَحَرَ وَحَلَقَ ، وَرَأَى أَنَّ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الْأَوَّلِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : كَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ دَخَلَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَظَهَرَهُ ^(١) فِي الدَّارِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ الْعَامَ بَيْنَ النَّاسِ قِتَالٌ فَيَصْدُوكَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَلَوْ أَقَمْتَ ؟

قَالَ : قَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَالَ كِفَارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ،

(١) الظَّهَرُ : الْمَرْكُوبُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْحَجِّ وَأَحْضَرَ مَرْكُوبَهُ لِيَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ .

فإن يُحَلَّ^(١) بيني وبينه أفعَل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إذا أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إني أشهدكم أني قد أوجبتُ مع عمرتي حجًّا . ثم قدِمَ فطاف لهما طوافاً واحداً .
وهكذا رواه البخاري عن أبي النعمان ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب بن أبي تميمة السختياني ، عن نافع به . ورواه مسلم من حديثهما عن أيوب به .

فقد اقتدى ابن عمر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في التحلل عند حَصْرِ الْعَدْوِ والاكتفاء بطواف واحد عن الحج والعمرة .
وذلك لأنه كان قد أحرَمَ أولاً بعمرة ليسكون متمتعاً ، نخشى أن يكون حَصْرٌ ، فجمعهما وأدخل الحجَّ قبل العمرة قبل الطواف فصار قارناً .
وقال : ما أرى أمرهما إلا واحداً - يعني : لا فرق بين أن يُحصر الإنسان عن الحج أو العمرة أو عنهما - فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول ، كما صرح به في السياق الأول الذي أوردناه ، وهو قوله : ورأى أن قد قَضَى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول .

قال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أنه اكتفى عن الحج والعمرة بطواف واحد - يعني بين الصفا والمروة .
وفي هذا دلالة على أن ابن عمر رَوَى الْقِرَانَ .

ولهذا روى النسائي عن محمد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع : أن ابن عمر قرَنَ الحجَّ والعمرة فطاف طوافاً واحداً .

ثم رواه النسائي ، عن علي بن ميمون الرقي ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ابن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب السخثياني ، وعبد الله بن عمر ، أربعتهم عن نافع : أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهلَّ بعمره ، فخشى أن يُصدَّ عن البيت . فذكر تمام الحديث من إدخاله الحج على العمرة وصيرورته قارناً .

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر : « إذا أصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله : « كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم » . اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فأهلَّ بالعمرة ثم أهل بالحج فأدخله عليها قبل الطواف ، فرواه بمعنى ما فهم .

ولم يُرد ابن عمر ذلك ، وإنما أراد ما ذكرناه . والله أعلم بالصواب .

ثم بتقدير أن يكون أهلَّ بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف فإنه يصير قارناً لا متمتعاً المتمتع الخاص ، فيكون فيه دلالة لمن ذهب إلى أفضلية التمتع . والله تعالى أعلم .

وأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام عن قتادة ، حدثني مُطَرِّف ، عن عمران ، قال : تمتعنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال رجلُ بَرَأيه ما شاء .

فقد رواه مسلم ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن همام ، عن قتادة به .

والمراد به التمتع التي أعمُّ من القران والتمتع الخاص .

وبدل على ذلك ما رواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ،

عن مُطَرِّف ، عن عبد الله بن الشَّخِير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمره . وذكر تمام الحديث .

وأكثر السلف يُطلقون المتعة على القران ، كما قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن شعبة ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : اختلف علىَّ وعثمان رضى الله عنهما وهما بمُصَفات في المتعة ، فقال علىَّ : ما تريد إلى أن تنهى عن أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك علىَّ بن أبى طالب أهلكهما جميعا .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن الحكم بن عيينة ، عن على بن الحسين ، عن مروان بن الحكم عنهما به . وقال على : ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحدي من الناس .

ورواه مسلم من حديث شعبة أيضا ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عنهما . فقال له على : لقد علمت إنما تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أجل ، ولا كنا كنا خائفين .

وأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث غُنْدَر ، عن شعبة ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة ، عن مسلم بن مخراق القرَّي^(١) ، سمع ابن عباس يقول : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمره وأهل أصحابه بحج ، فلم يحل رسول الله ولا من ساق الهدى من أصحابه وحل بقيتهم .

فقد رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ، وروح بن عبادة عن شعبة ، عن مسلم القرَّي ، عن ابن عباس ، قال : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج . وفى رواية أبى داود : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج ، فمن كان منهم لم يكن له متعة هذى حلَّ ، ومن كان معه هدى لم يحل . الحديث .

(١) الأصل : المقرئ . وهو تحريف ، وما أنبته عن صحيح مسلم ٤ / ٥٦ .

فإن صحَّحنا الروايَين جاء القرآنُ ، وإن توقَّعنا في كل منهما وقف الدليل ، وإن رجَّحنا روايةَ مسلم في صحَّيحه في روايةِ العمرة ، فقد تقدَّم عن ابن عباس أنه روى الأفراد وهو الإحرام بالحج ، فتكون هذه زيادةً على الحج ، فيجىء القول بالقران ، لاسيما وسيأتي عن ابن عباس ما يدل على ذلك .

وروى مسلم من حديث غُنْدَر ومعاذ بن معاذ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله قال : هذه عمرَةٌ استمتعنا بها ، فمن لم يكن معه هَدْيٌ فليحلَّ الحلَّ كله ، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

وروى البخارى عن آدم بن أبي إياس ، ومسلم من حديث غُنْدَر ، كلاهما عن شعبة ، عن أبي جَمْرَةَ ^(١) ، قال : تمتعتُ فنهاني ناسٌ فسألت ابن عباس فأمرنى بها ، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول [لى ^(٢)] : حجٌّ مبرور ومُتعة ^(٣) متقبَّلة ، فأخبرت ابن عباس فقال : الله أكبر ! سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

والمراد بالمتعة هاهنا القرآن .

وقال القَعْنَبِيُّ وغيره ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عامَ حَجِّ معاويةَ بن أبي سفيان يذكر التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمرَ الله . فقال سعد : بئس ما قلت يا ابن أخي .

(١) هو نصر بن عمران الضبعى ، كما في صحيح البخارى .

(٢) من صحيح البخارى .

(٣) صحيح البخارى : وعمرة . القسطلانى ١٣٤/٣ .

فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها . فقال سعد : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه .

ورواه الترمذى والنسائى عن قتيبة ، عن مالك . وقال الترمذى : صحيح .

وقال عبد الرزاق ، عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان التيمي ، حدثني غنيم بن قيس ، سألت سعد بن أبي وقاص : عن التمتع بالعمرة إلى الحج قال : فعلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافرٌ في العرش - - - يعنى مكة - - - ويعنى به معاوية .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسفيان الثورى ويحيى بن سعيد وسروان الفزارى ، أربعهم عن سليمان التيمي ، سمعت غنيم بن قيس ، سألت سعدا عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعرش .

وفى رواية يحيى بن سعيد - - - يعنى معاوية -

وهذا كله من باب إطلاق التمتع على ما هو أعم من التمتع الخاص وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها ثم الإحرام بالحج ومن القران ، بل كلام سعد فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتمار فى أشهر الحج ، وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بعد كافرٌ بمكة قبل الحج ، إما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه ، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح ، وروينا أنه قصر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص فى بعض عمره ، وهى عمرة الجعرانة لا محالة . والله أعلم .

ذكرُ حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً ، وسرّد الأحاديث في ذلك

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قد تقدم مارواه البخارى من حديث أبي عمرو الأوزاعى ، سمعت يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى العقيق يقول : أتانى آتٍ من ربى عز وجل فقال : صلّ في هذا الوادى المبارك وقلُ عُمرّة في حجة .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ ببغداد ، أنبأنا أحمد بن سليمان ، قال : قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع ، حدثنا أبو زيد الهروى ، حدثنا على بن المبارك ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثنا عكرمة ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقيق فقال : صلّ في هذا الوادى المبارك ركعتين . وقل : عُمرّة في حجة ، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

ثم قال البيهقى : رواه البخارى عن أبي زيد الهروى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سيّار ، عن أبي وائل ، أن رجلاً كان نصرانياً يقال له الصّبّ بن مَعْبِد ، فأراد الجهاد فقبل له : ابدأ بالحج ، فأثنى الأشعرى فأمره أن يَهْل بالحج والعمرة جميعاً ، ففعل ، فبينما هو يلجئ إذ مرّ بزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة ، فقال أحدهما لصاحبه : لَهَذَا أضلُّ من بعيرِ أهله . فسمعها الصّبّ فكبر ذلك عليه فلما قدِم أتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له . فقال له عمر : هُذيتَ

لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : وسمعتُه مرَّةً أُخرى يقول : وَقَفْتُ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطَّان ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن أبي وائل ، عن الصَّبِيِّ بن مَعْبَد ، عن عمر بن الخطاب فذكره . وقال : إنهما لم يَقُولَا شيئاً ، هُدِيتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورواه عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثَّورِي ، عن منصور ، عن أبي وائل به .
ورواه أيضا عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحَكَم عن أبي وائل وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عَبْدِة بن أبي لُبَابَةَ ، عن أبي وائل ، قال : قال الصَّبِيُّ بن مَعْبَد : كنت رجلا نصرانيا فأسلمتُ ، فأهللتُ بحج وعمره ، فسمعتُ يزيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أهلٌّ بهما ، فقالا : لَهَذَا أَضَلُّ من بعير أهله . فسكنا نَحْلَ عَلِيٍّ بكلمتهما جبِلٌ ، فقدمت على عمر فأخبرته ، فأقبل عليهما فلامهما ، وأقبل عليَّ فقال : هُدِيتَ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال عَبْدَةُ : قال أبو وائل : كثيرا ما ذهبت أنا ومسروق إلى الصَّبِيِّ بن مَعْبَد نسأله عنه .

وهذه أسانيد جيِّدة على شرط الصحيح . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة به .

وقال النسائي في كتاب الحج من سننه : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا أبي ، عن جَمْرَةَ السَّكْرِي ، عن مُطَرِّف ، عن سلمة بن كهيل ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها في كتاب الله وقد فعلها النبي صلى الله عليه وسلم .

إسناد جيد .

رواية أمير المؤمنين : عثمان وعلى رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : اجتمع على وعثمان بعُصفان ، وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال عليّ : ما تريد إلى أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه ؟ فقال عثمان : دَعْنَا مِنْكَ .

هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً .

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : اختلف على وعثمان وهما بعُصفان في المتعة ، فقال : عليّ ما تريد إلى أن تنهى عن أمرٍ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما رأى ذلك علي بن أبي طالب أهلّ بهما جميعاً .

وهكذا لفظ البخاري .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن علي بن الحسين ، عن مروان بن الحكم ، قال : شهدت عثمان وعليّاً ، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يُجمَعَ بينهما ، فلما رأى عليّ أهلّ بهما : لَبَّيْكَ بِعُمرة وحج . قال : ما كنت لأَدْعِ سُنَّةَ النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد .

ورواه النسائي من حديث شعبة به ، ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين ، عن علي بن الحسين به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن شقيق : كان عثمان ينهى عن المتعة وعليّ يأمر بها ، فقال : عثمان لعلي : إنك

لَكَذَا وَكَذَا . ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَا نَتَمَتُّعُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال : أَجَلٌ ، وَلَكِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

فهذا اعتراف من عثمان رضي الله عنه بما رواه عليٌّ رضي الله عنهما ، ومعلوم أن عليًّا رضي الله عنه أحرَمَ عام حجة الوداع بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ساقَ الهدْيَ ، وأمره عليه السلام أن يمكثَ حرَّامًا ، وأثركه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه . كما سيأتي بيانه .

وروى مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن المقداد بن الأسود دخل على عليٍّ بن أبي طالب بالسُّقْيَا وهو يَنْجَعُ بَكْرَاتٍ لَهُ دَقِيقًا وَخَبَطًا^(١) ، فقال : هذا عثمان ابن عفان يَنْهَى عن أن يُقَرَّنَ بين الحج والعمرة . فخرج عليٌّ وَعَلَى يَدِهِ أَثَرُ الدَّقِيقِ وَالْخَبَطِ - مَا أَنْسَى أَثَرَ الدَّقِيقِ وَالْخَبَطِ عَلَى ذِرَاعَيْهِ - حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ : أَنْتَ تَنْهَى أَنْ يُقَرَّنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعَمَرَةِ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ : ذَلِكَ رَأْيِي . فَخَرَجَ عَلِيٌّ مُغَضَّبًا وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ بِحِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا .

وقد قال أبو داود في سننه : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْبَيْتِ . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي قَدُومِ عَلِيٍّ .

قال عليٌّ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ صَنَعْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : إِنَّمَا أَهْلَلْتُُ بِإِهْلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : إِنِّي قَدْ سَقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَنْتُ .

(١) البكرات : الإبل الفتيمة . وينجع : يبق . والخبط : ورق الشجر ينفض ويخفف ويطحن ويخلط بدقيق وغيره ، ثم تسقاه الإبل . .

وقد رواه النسائي من حديث يحيى بن معين بإسناده ، وهو على شرط الشيخين .
وعَلَّاهُ الحافظ البيهقي بأنه لم يذكر هذا اللفظ في سياق حديث جابر الطويل .
وهذا التعليل فيه نظر ، لأنه قد روى القرآن من حديث جابر بن عبد الله . كما
سيأتى قريباً . إن شاء الله تعالى .

وروى ابن حبان في صحيحه ، عن علي بن أبي طالب ، قال : خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة وخرجت أنا من اليمن ، وقلت : لبيك بإهلالٍ كإهلال
النبي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فإنني أهلتُ بالحج والعمرة جميعاً .

رواية أنس بن مالك رضى الله عنه

وقد رواه عنه جماعة من التابعين ، ونحن نوردهم مرتبين على حروف المعجم .
بكر بن عبد الله المزني عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، حدثنا حميد الطويل ، أنبأنا بكر بن عبد الله
المزني ، قال سمعت أنس بن مالك يحدث ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي
بالحج والعمرة جميعاً ، فحدثت بذلك ابن عمر ، فقال : لبي بالحج وحده . فلقيت أنساً
فحدثته بقول ابن عمر ، فقال : ما تعدُّونا إلا صبياناً ! سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : لبيك عمرةً وحجاً .

ورواه البخاري عن مُسَدَّدٍ ، عن بشر بن الفضل ، عن حميد به . وأخرجه مسلم عن
شُرَيْح بن يونس ، عن هُشَيْم به . وعن أمية بن بسطام ، عن يزيد بن زريع ، عن
حبيب بن الشهيد ، عن بكر بن عبد الله المزني به .

ثابت البُنَانِي عن أنس

قال الإمام أحمد حدثنا وَكِيع ، عن ابن أبي ليلي ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لبيك بعمره وحِجَّة معاً .
تفرَّد به من هذا الوجه الحسن البصري عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أَشْعَث ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قَدِمُوا مَكَّةَ وَقَدِ لَبُّوا بِحِجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا طَافُوا بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَحِلُُّوا وَأَنْ يَجْعَلُوا عُمْرَةً ، فَكَانَ الْقَوْمُ هَابُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْلَا أَنِّي سَقَيْتُ هَدِيًّا لَأَحَلَّتْ . فَأَحَلَّ الْقَوْمُ وَتَمَتَّعُوا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسن بن قَزَعة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا أَشْعَث ، عن الحسن ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أَهْلٌ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحِجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ طَافُوا بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحِلُُّوا فَهَابُوا ذَلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحِلُّوا فَلَوْلَا أَنْ مَعِيَ الْهُدْيَ لَأَحَلَّتْ . فَحَلُّوا حَتَّى حَلُّوا إِلَى النِّسَاءِ .

ثم قال البزار : لانعم رواه عن الحسن إلا أَشْعَثُ بن عبد الملك .

مُحَمَّدُ بْنُ تَيْرُوبَةَ الطَّوِيلُ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حميد ، سمعت أنساً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَبَّيْكَ بِحِجٍّ وَعُمْرَةٍ وَحِجٍّ .

هذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ولا أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لكن رواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن هُشَيْم ، عن يحيى بن أبي

إسحاق وعبيد العزيز بن صهيب وحميد ، أنهم سمعوا أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ بهما جميعا : لبَّيك عمرة وحجا ، لبَّيك عمرة وحجا . وقال الإمام أحمد : حدثنا يعمر بن يُسر ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدْنا كثيرة وقال : لبَّيك بعمره وحج ، وإنى لَمُعد نخذ ناقته اليسرى .
تفرد به أحمد من هذا الوجه أيضا .

حميد بن هلال العدوى البصري عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن المنثري ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك . ح . وحدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبيد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة وحميد بن هلال ، عن أنس ، قال : إني رَدَفَ أبي طلحة وإن ركبته لتمسُّ ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبيُّ بالحج والعمرة .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

وقد تأوَّنه البزار على أن الذي كان يلبيُّ بالحج والعمرة أبو طلحة . قال : ولم يُنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا التأويل فيه نظر ولا حاجة إليه ، لحيء ذلك من طُرُق عن أنس ، كما مضى وكسبائي . ثم عَوَّد الضمير إلى أقرب المذكورين أوَّلَى ، وهو في هذه الصورة أقوى دلالة والله أعلم .

وسيباني في رواية سالم بن أبي الجعد ، عن أنس ، صريحُ الردِّ على هذا التأويل .

زيد بن أسلم عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : روى سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخِي ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ بحج وعمره .
حدثناه الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِي ومحمد بن مسكين ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس .

قلت : وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي بأبسط من هذا السياق ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أنبأنا العباس بن الوليد بن يزيد ، أخبرني أبي ، حدثنا شعيب بن عبد العزيز ، عن زيد ابن أسلم وغيره ؛ أن رجلاً أتى ابنَ عمر فقال : بِمَ أَهْلٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عمر : أَهْلٌ بالحج فانصرف .

ثم أتاه من العام المقبل ، فقال : بِمَ أَهْلٌ رسولُ الله ؟ قال : ألم تأتني عامَ أول ؟ قال : بلى ، ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قرَن . قال ابن عمر : إن أنس بن مالك كان يَدْخُلُ على النساء وهن مُكشَّفات الرؤوس ، وإني كنت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسني لُعابها أسمعُه يلبيُّ بالحج .

سالم بن أبي الجعد الغطفاني السكوفي عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس بن مالك ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه جمع بين الحج والعمرة ، فقال : لَبَّيْكَ بعمرة وحجَّة معا .

حَسَنٌ ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عَوَّانة ، حدثنا عثمان بن المغيرة ،

عن سالم بن أبي الجعد ، عن سعد مولى الحسن بن علي ؛ قال : خرجنا مع علي فأتينا ذا الحليفة فقال علي : إني أريد أن أجمع بين الحج والعمرة ، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول ، ثم لي قال : لبيك بحجة و عمرة معا .

قول : وقال سالم : وقد أخبرني أنس بن مالك ، قال : والله إن رجلي لتمسُّ رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليُهل بهما جميعا .

وهذا أيضا إسناد جيد من هذا الوجه ولم يخرجوه .

وهذا السياق يردّ على الحافظ البزار ما تأوّل به حديثُ حميد بن هلال ، عن أنس كما تقدم والله أعلم .

سليمان بن طَرْخان التيمي عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن أنس بن مالك ، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بهما جميعا . ثم قال البزار : لم يروّه عن التيمي إلا ابنه المعتمر ، ولم يسمعه إلا من يحيى بن حبيب العربي عنه .

قلت : وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

سُوَيْد بن حُجَّير عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي قزعة سُوَيْد بن حُجَّير ، عن أنس بن مالك ، قال : كنت رديف أبي طلحة ، فكانت ركبة أبي طلحة تسكاد أن تصيب ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلُّ بهما .

وهذا إسناد جيد ، تفرد به أحمد ولم يخرجوه . وفيه ردٌّ على الحافظ البزار صريح .

عبد الله بن زيد أبو قِلَابَةَ الجُرُمِيّ عنه :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَرُ ، عن أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ ، عن أنس ، قال : كنت رَدِيفَ أَبِي طَلْحَةَ وهو يسير النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فَإِنَّ رَجُلِي لَتَمْسُ غَرَزَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فسمعته يُلَبِّي بالحج والعمرة معا .

وقد رواه البخاري من طرق ، عن أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ ، عن أنس ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهرَ بالمدينة أربعاء والعصر بذي الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب راحلته حتى استوت به على البَيْدَاءِ حمد الله وسبح وكبَّر ، وأهلَّ بحج وعمرة وأهلَّ الناس بهما جميعا .

وفي رواية له : كنت رَدِيفَ أَبِي طَلْحَةَ وإنهم ليصرخون بهما جميعا ، الحج والعمرة . وفي رواية له عن أيوب ، عن رجل ، عن أنس ، قال : ثم بات حتى أَصْبَحَ فصلى الصبح ، ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البَيْدَاءُ أهلَّ بعمرة وحج .

عبد العزيز بن صُهَيْب :

تقدمت روايته عنه مع رواية حُمَيْد الطَوِيل عنه ، عند مسلم .

علي بن زيد بن جُدْعَانَ عنه :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثنا علي بن حكيم ، عن شريك ، عن علي بن زيد ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبَّى بهما جميعا .

هذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرج به أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم .

قَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنِيّ ، قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قَتَادَةُ ، قال : سألت أنسَ بن مالك قلت : كم حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حِجَّةٌ واحدة واعتَمَرَ أربعَ مرات ، عُمَرَتُهُ زَمَنَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، وعُمَرَتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وعُمَرَتُهُ مِنَ الْجُعْرَانَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنِيمَةَ حُنَيْنٍ ، وعُمَرَتُهُ مَعَ حِجَّتِهِ .
وأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ هَمَامِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ الزُّبَيْرِيُّ مَوْلَاهُمْ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ ، سمعت أنسَ بن مالك يقول : أَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِجَّةٍ وَعَمْرَةٍ .
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ .

يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ الْخَضْرَمِيُّ عَنْهُ :

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، أَنبَأَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِي بِالْحِجِّ وَالْعَمْرَةِ جَمِيعًا يَقُولُ : لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا ، لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا .
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مُسْلِمًا رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ، عَنْ هُشَيْمٍ بِهِ .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا عبد الأعلى ، عن يحيى ، عن أنس ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، قال : فسمعتَه يَقُولُ : لَبَّيْكَ عَمْرَةً وَحِجًّا .

أَبُو أَسْمَاءَ الصَّيْقَلِيُّ عَنْهُ

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زُهَيْرٌ . وحدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا

زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقِل ، عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا نَصْرَح بالحج ، فلما قَدِمنا مكة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعلها عُمرَةً .
وقال : لو استقبلتُ من أَمْرِي ما استدبرتُ لجعلتها عمرَةً ، ولكنني سَفَت الهدى وقرَنت الحج بالعمرة .

ورواه النسائي ، عن هناد ، عن أبي الأُخوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقِل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بهما .

أبو قُدّامة الحنفي ، ويقال : إن اسمه محمد بن عبيد ، عن أنس :
قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عباد ، حدثنا شعبة ، عن يونس بن عبيد ،
عن أبي قُدّامة الحنفي ، قال : قلت لأنس بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي ؟

فقال : سمعته سبعَ مرات يلبي بعمرة وحجة .
تفرد به الإمام أحمد ، وهو إسناد جيد قوى والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .
وروى ابن حِبَّان في صحيحه ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرَن بين الحج والعمرة وقرن القومُ معه .

وقد أورد الحافظ البيهقي بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك ، ثم شرع يعمل ذلك بكلام فيه نظر .

وحاصله أنه قال : والاشتباه وقع^(١) لأنس لا لمن دونه ، ويحتمل أن يكون سمعه

صلى الله عليه وسلم يعلم غيره كيف يهل بالقرآن لا أنه يهل بهما عن نفسه والله أعلم .

قال : وقد روى ذلك عن غير أنس بن مالك وفي ثبوته نظر .

قلت : ولا يخفى ما في هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمله ، وربما أنه كان ترك هذا الكلام أولى منه ، إذ فيه تطرُّق احتمال إلى حفظ الصحابي مع تواتره عنه ، كما رأيت آنفاً ، وفتح هذا يفضي إلى محذور كبير . والله تعالى أعلم .

حديث البراء بن عازب في القرآن .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، أنبأنا علي بن محمد المصري ، حدثنا أبو غسان مالك بن يحيى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمر كلهن في ذى القعدة . فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حج معها .

قال البيهقي : ليس هذا بمحفوظ . قلت : سيأتى بإسناد صحيح إلى عائشة نحوه .

رواية جابر بن عبد الله

رضى الله عنهما

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : أخبرنا أبو بكر بن أبي داود . ومحمد بن جعفر ابن رُميس والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد وعثمان بن جعفر اللبَّان وغيرهم ، قالوا : حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، حدثنا زيد بن الحُبَّاب ، حدثنا سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج ، حجبتين قبل أن يهاجر وحجة قرن معها عمرة .

وقد روى هذا الحديث الترمذى وابن ماجه ، من حديث سفيان بن سعيد الثورى به .

أما الترمذى فرواه عن عبد الله بن أبي زياد ، عن زيد بن الحباب ، عن سفيان به ثم قال : غريب من حديث سفيان ، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب . ورأيت عبد الرحمن بن عبد الرحمن ، يعنى الداريمى ، روى هذا الحديث فى كتبه عن عبد الله بن أبي زياد ، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه ، ورأيت لا يعدّه محفوظاً . قال : وإنما روى عن الثورى عن أبي إسحاق ، عن مجاهد مرسلًا .

وفى السنن الكبير للبيهقى قال أبو عيسى الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا الحديث فقال : هذا حديث خطأ وإنما روى هذا عن الثورى مرسلًا . قال البخارى : وكان زيد بن الحباب إذا روى خطأ ، ربما غلط فى الشيء . وأما ابن ماجه فرواه عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى ، عن عبد الله بن داود الخريزى^(١) ، عن سفيان به . وهذه طريق لم يقف عليها الترمذى ولا البيهقى ، [وربما]^(٢) ولا البخارى حيث تكلم فى زيد بن الحباب ظاناً أنه انفرد به وليس كذلك . والله أعلم .

طريق أخرى عن جابر :

قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّن الحجّ والعمرة ، وطاف لهما طوافاً واحداً .

(١) نسبة إلى الخريبة ، وهى محلة بالبصرة . ثوبى سنة ٢١١ . الباب ١/٣٥٩ .

(٢) ليست فى ١ .

ثم قال : هذا حديث حسن . وفي نسخة صحيح .

ورواه ابن حبان في صحيحه عن جابر ، قال : لم يطفُ النبي صلى الله عليه وسلم إلا طوافاً واحداً لحجه ولعمرته .

قلت : حجاج هذا هو ابن أُرطاة ، وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة . ولكن قد روى من وجه آخر ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أيضاً .

كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا مقدّم بن محمد ، حدثني عمي القاسم ابن يحيى بن مقدم ، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِمَ قَرْنَ بين الحج والعمرة وساق الهدى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقلد الهدى فليجعلها عمرة .

ثم قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

انفرد بهذه الطريق البزار في مسنده ، وإسنادها غريب جداً ، وليست في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه . والله أعلم .

رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا حجاج - هو ابن أُرطاة - عن الحسن ابن سعد ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة .

ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية بإسناده ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرَنَ بين الحج والعمرة .
الحجاج بن أُرطاة فيه ضعف والله أعلم .

رواية سُراقَة بن مالك بن جُعشم

قال الإمام أحمد : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا داود - يعنى ابن سُويد - سمعت
عبد الملك الزَّرَاد ، يقول : سمعت النِّزَال بن سَبْرَة صاحب علىّ يقول : سمعت سُراقَة
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دخلت العمرةُ في الحج إلى
يوم القيامة .

قال : وقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

رواية سعد بن أبى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تمتع بالحج
إلى العمرة وهو القِرَان

قال الإمام مالك عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب ، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبى وقاص ، والضحاك بن قيس عام حجٍّ معاويةً
ابن أبى سفيان يذكُر التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل
أمر الله . فقال سعد : بئس ما قلت يا ابن أخى !
فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب كان يَنْهى عنها . فقال سعد : قد صنعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذى : هذا
حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سليمان - يعنى التَّيْمى - حدثنى
غُثَيْم ، قال سألت ابن أبى وقاص عن المتعة فقال : فعلناها وهذا كافر بالعرش
- يعنى معاوية -

هكذا رواه مختصراً .

وقد رواه مسلم في صحيحه ، من حديث سفيان بن سعيد الثوري وشعبة ومروان
الفزاري ويحيى بن سعيد القطان ، أربعتهم عن سليمان بن طرخان التيمي ، سمعت غنيم
ابن قيس ، سألت سعد بن أبي وقاص عن المتعة فقال : قد فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعرش
قال يحيى بن سعيد في روايته - يعني معاوية - .

ورواه عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان
التيمي ، عن غنيم بن قيس ، سألت سعدا عن التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال : فعلتها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعرش - يعني مكة ويعني به معاوية - .
وهذا الحديث الثاني أصح إسناداً ، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً ، والأول صحيح
الإسناد ، وهذا أصرح في المقصود من هذا . والله أعلم .

رواية عبد الله بن أبي أوفى^(١)

قال الطبراني : حدثنا سعيد بن محمد بن المغيرة المصري ، حدثنا سعيد بن سليمان ،
حدثنا يزيد بن عطاء ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال :
إنما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجاً بعد
ذلك العام .

رواية عبد الله بن عباس في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني القطان - عن عمرو ،
عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة
الحديبية ، وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن داود بن عبد الرحمن العطار

المكي ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس به ، وقال الترمذى : حسن غريب . ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة مرسلا .

ورواه الحافظ البيهقي من طريق أبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي ، عن الحسن بن الربيع وشهاب بن عباد ، كلاهما عن داود بن عبد الرحمن المطار . فذكره . وقال : والرابعة التي قرن مع الحجة .

ثم قال أبو الحسن علي بن عبد العزيز : ليس أحد يقول في هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن . ثم حكى البيهقي عن البخارى أنه قال : داود بن عبد الرحمن صدوق ، إلا أنه ربما يتهم في الشيء .

وقد تقدم ما رواه البخارى من طريق ابن عباس ، عن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق : أتانى آت من ربي فقال : صل في هذا الوادى المبارك وقل : عمرة في حجة . فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قد تقدم فيما رواه البخارى ومسلم من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن سالم عن ابن عمر ، أنه قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهدى فساق الهدى من ذى الحليفة ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج ، وذكر تمام الحديث في عدم إحلاله بعد السعى .

فلم كما قررناه أولا أنه عليه السلام لم يكن متمتعا التمتع الخاص وإنما كان قارنا ، لأنه حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعا ، اكتفى بطواف واحد بين الصفا والروة عن حنجه وعمرته .

وهذا شأن القارن على مذهب الجمهور . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف طوافاً واحداً لإقرانه ، لم يحلّ بينهما ، واشترى من الطريق - يعنى المدى - وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات ، إلا أن يحيى بن يمان وإن كان من رجال مسلم فى أحابته عن الثورى نكارة شديدة . والله أعلم .

ومما يرجح أن ابن عمر أراد بالإفراد الذى رواه إفراد أفعال الحج ، لا الإفراد الخاص الذى يشير إليه أصحاب الشافعى ، وهو الحج ثم الاعتار بعده فى بقية ذى الحجة ، قول الشافعى : أنبأنا مالك ، عن صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، أنه قال : لأن أعتمر قبل الحج وأهْدِي أحبُّ إلى من أن أعتمر بعد الحج فى ذى الحجة .

رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد - يعنى الزُّبَيْرى - حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قرن خشية أن يُصد عن البيت وقال : إن لم يكن حجة فَعُمْرة .

وهذا حديث غريب سنداً ومتناً ، تفرد بروايته الإمام أحمد .

وقد قال أحمد فى يونس بن الحارث الثقفى هذا : كان مُضْطَرَب الحديث . وضعفه وكذا وضعفه يحيى بن معين فى رواية عنه والنسائى .

وأما من حيث المتن فقوله : « إنما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يُصد عن البيت » فمن الذى كان يصدّه عليه السلام عن البيت وقد أُطِدَّ (١) الله له الإسلام وفتح البلد الحرام ، وقد نودى برحاب منى أيام الموسم فى العام الماضى : أن لا يحجَّ بعد العام

(١) أُطِدَّ : نبت .

مُشْرِك ولا يطوفن بالبيت عريان وقد كان معه عليه السلام في حجة الوداع قريب من أربعين ألفاً ، فقوله : « خشية أن يصد عن البيت » عجيب .

وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلي بن أبي طالب حين قال له علي : لقد علمتَ أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أجل ولكننا كنا خائفين .
ولست أدري علامَ يُحمَل هذا الخوف من أى جهة كان ! إلا أنه تضمن رواية الصحابي لما رواه وحمله على معنى ظنّه ، فما رواه صحيح مقبول ، وما اعتقده ليس بمعصوم فيه ، فهو موقوف عليه وليس بحجة على غيره ، ولا يلزم منه ردُّ الحديث الذي رواه . وهكذا قول عبد الله بن عمرو ، لو صح السند إليه . والله أعلم .

رواية عمران بن حصين رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالوا : حدثنا شعبة عن حميد بن هلال سمعت مُطَرِّفاً قال : قال لى عمران بن حصين : إني محدّثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حجة وعمرة ثم لم يَنْه عنه حتى مات ، ولم ينزل قرآن فيه يحرمه ، وإنه كان يسلم على فلما اكتويتُ أمسك عني ، فلما تركته عاد إلى .

وقد رواه مسلم عن محمد بن المنثري ومحمد بن بشار ، عن غنْدَر ، وعن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، والنسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث ، ثلاثهم عن شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن مُطَرِّف ، عن عمران به .

ورواه مسلم من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير ، عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين حج وعمرة . الحديث .

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حديث شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن مطرف صحيح . وأما حديثه عن قتادة عن مطرف فإنما رواه عن شعبة كذلك بَقِيَّةُ بن الوليد . وقد رواه غُنْدَرٌ وغيره عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

قلت : وقد رواه أيضاً النسائي في سننه ، عن عمرو بن عليّ الفلاس ، عن خالد بن الحارث ، عن شعبة . وفي نسخة عن سعيد بدل شعبة ، عن قتادة ، عن مطرف ، عن عمران ابن الحصين فذكره . والله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث همام عن قتادة عن مطرف عن عمران بن الحصين قال : تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات صلى الله عليه وسلم .

رواية الهرماس بن زياد الباهلي

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمران بن علي أبو محمد من أهل الري ، وكان أصله أصبهانيا ، حدثنا يحيى بن الضريس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن الهرماس ، قال : كنت رِذْفُ أبي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وهو يقول : « لَبَّيْكَ بِحُجَّةٍ وَعَمْرَةٍ مَعًا » .

وهذا على شرط الشَّيْنِ ، ولم يخرجوه .

رواية حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن نافع عن ابن عمر ، عن حفصة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : مالك لم تحل من عمرتك ؟ قال : « إني لَبَدْتُ رَأْسِي وَقَلَّدْتُ هَدْيِي ، فَلَا أُحِلُّ حَتَّى أَتُحْرَمَ » .

وقد أخرجه في الصحيحين من حديث مالك وعبيد الله بن عمر . زاد البخاري

وموسى بن عُقبة . زاد مسلم : وابن جريج ، كلهم عن نافع عن ابن عمر به .
وفى لفظهما أنها قالت : يا رسول الله ما شأنُ الناس حَلَّوا من العِمرَةِ
ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « إني قَلَّتُ هَذِي وَلَبَّدْتُ رَأْسِي ، فلا أَحِلَّ
حتى أَنحر » .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، قال : قال نافع : كان عبد الله
ابن عمر يقول : أخبرتنا حفصةُ زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمر أزواجه أن يَحْلِلْنَ عامَ حِجَةِ الوداع . فقالت له فلانة : ما يمنعك أن تحل ؟
قال : « إني لَبَّدْتُ رَأْسِي وَقَلَّتُ هَذِي ، فليست أَحِلَّ حتى أَنحر هَذِي » .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن أبي إسحاق ،
حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، أنها قالت : لما أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه أن يَحْلِلْنَ بعمرَةٍ ، قلن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟
قال : « إني أَهْدَيْتُ وَلَبَّدْتُ ، فلا أَحِلَّ حتى أَنحر هَذِي » .

ثم رواه أحمد عن كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، عن نافع ، عن ابن عمر ،
عن حفصة . فذكره .

فهذا الحديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متلبساً بعمرَةٍ ولم يحل منها ،
وقد علم بما تقدم من أحاديث الأفراد أنه كان قد أهل بحج أيضاً ، فدل مجموع ذلك أنه
قارنٌ ، مع ماسلف من رواية من صرح بذلك . والله أعلم .

رواية عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ،
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حِجَةِ الوداع فَأَهْلَلْنَا بعُمرة . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان معه هَذِي

فليهل بالحج مع العمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا ، فقدِمْتُ مكة وأنا حائض ، فلم أُطِفْ بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انقضى رأسك وامتشطى وأهلى بالحج ودعى العمرة . ففعلتُ .

فلما قضيتُ الحجَّ أرسلاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالرحمن بن أبي بكر إلى التَّعْنِيم ، فاعتَمَرْتُ . فقال : هذه مكانَ عمرتك .

قالت : فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم حلُّوا ، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى ، وأما الذين جَمَعُوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحداً .

وكذلك رواه مسلم من حديث مالك ، عن الزهري فذكره .

ثم رواه عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزَّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ حجة الوداع ، فأهَلَّتْ بعمرة ، ولم أكن سَقْتُ الهدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه هدى فليهل بالحج مع عمرته لا يحل حتى يحل منهما جميعا . وذكر تمام الحديث كما تقدم .

والمقصود من إيراد هذا الحديث هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه هدى فليهل بحج وعمرة » .

ومعلوم أنه عليه السلام قد كان معه هدى ، فهو أول وأولى من ائتمر بهذا ، لأن المخاطب داخل في عموم متعلق خطابه على الصحيح .

وأياها فإنها قالت : « وأما الذين جَمَعُوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً »

يعنى بين الصفا والمروة . وقد روى مسلم عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما

طاف بين الصفا والمروة طوافاً واحداً ، فعلم من هذا أنه كان قد جمع بين الحج والعمرة .
وقد روى مسلم من حديث حماد بن زيد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ،
عن عائشة ، قالت : فكان الهدى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
ودّوى البسار .

وأيضاً فإنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحلل من الذسكين ، فلم
يكن متمتعاً ، وذكرت أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعمرها من التمتع .
وقالت : يا رسول الله ينطلقون بحج وعمره وأنطلق بحج ! فبعثها مع أخيها عبد الرحمن بن
أبي بكر فأعمرها من التمتع .

ولم يُذكر أنه عليه السلام اعتمر بعد حجته ، فلم يكن مُفرداً ، فلم أنه كان قارناً ،
لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر في حجة الوداع . والله أعلم .

وقد تقدم مارواه الحافظ البيهقي من طريق يزيد بن هارون ، عن زكريا بن أبي زائدة
عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، أنه قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
عمر كلهن في ذي القعدة ، فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حجَّ معها
وقال البيهقي في الخلفيات : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا أبو محمد
ابن حسان الأصبهاني ، أنبأنا إبراهيم بن شريك ، أنبأنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ،
حدثنا أبو إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتمر ثلاثاً سوى العمرة التي قرنها مع حجة الوداع .

ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا بأس به ، لكن فيه إرسال . مجاهد لم يسمع من عائشة
في قول بعض المحدثين .

قلت : كان شعبة يُنكره ، وأما البخارى ومسلم فإنهما أثبتاه . والله أعلم .

وقد روى من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر وعروة بن الزبير وغير واحد عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه الهدى عام حجة الوداع . وفى إعمارها من التعميم ومصادقتها له منهبطاً على أهل مكة ويتوته بالخصب حتى صلى الصبح بمكة ثم رجع إلى المدينة .

وهذا كله مما يدل على أنه عليه السلام لم يعتمر بعد حجته تلك ، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقله .

ومعلوم أنه لم يتحلل بين النُسكين ، ولا روى أحد أنه عليه السلام بعد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة حلق ولا قصر ولا تحلل ، بل استمر على إحرامه باتفاق ، ولم يُنقل أنه أهلَّ بحج لما سار إلى منى ، فعلم أنه لم يكن متمتعاً .

وقد اتفقوا على أنه عليه السلام اعتمر عام حجة الوداع فلم يتحلل بين النُسكين ولا أنشأ إحراماً للحج ولا اعتمر بعد الحج ، فلزم القرآن . وهذا مما يفسر الجواب عنه والله أعلم .

وأيضاً فإن رواية القرآن مُثبتة لما سكّت عنه أو نفاه من روى الأفراد والتمتع ، فهى مقدّمة عليها ، كما هو مقرر فى علم الأصول .

وعن أبى عمران أنه حج مع مواليه ، قال : فأتيت أمّ سلمة فقلت : يا أمّ المؤمنين إني لم أحج قط ، فأيهما أبدأ بالعمرة أم بالحج ؟ قالت : ابدأ بأيهما شئت .

قال : ثم أتيت صفية أمّ المؤمنين فسألتها فقلت لى مثل ما قالت لى ، ثم جئت أم سلمة فأخبرتها بقول صفية فقلت لى أم سلمة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا آل محمد من حجّ منكم فليُهلّ بعمرة فى حجة » .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، وقد رواه ابن حزم فى حجة الوداع من حديث الليث ابن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم ، [عن^(١) أبى عمران ، عن أم سلمة به .

فصل

إن قيل : قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السلام أفرد الحج ، ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحج والعمرة ، فما الجمع من ذلك ؟ فالجواب : أن روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ، ودخلت العمرة فيه نيةً وفعلًا ووقتًا .

وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنهما ، كما هو مذهب الجمهور في القارن خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، حيث ذهب إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ، واعتمد على ما روى في ذلك عن علي بن أبي طالب وفي الإسناد إليه نظر .

وأما من روى التمتع ثم روى القِران ، فقد قدمنا الجواب عن ذلك ، بأن التمتع في كلام السلف أعم من التمتع الخاص والقِران ، بل ويُطلقونه على الاعتِمَار في أشهر الحج وإن لم يكن معه حج . كما قال سعد بن أبي وقاص : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا - يعنى معاوية - يومئذ كافر بالعرش - يعنى بمكة .

وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين ، إما الحديبية أو القضاء ، فأما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية قد أسلم ، لأنها كانت بعد الفتح ، وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر ، وهذا بيّن واضح . والله أعلم .

فصل

إن قيل : فما جوابكم عن الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهنائي^(١) ، واسمه حيوان بن خالد ، أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

(١) في المشتهر ٢٧٩/١ : السبائي .

عن صُفِّف^(١) النور؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وأنا أشهد . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الذهب إلا مُقَطَّعًا^(٢)؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُقَرَّنَ بين الحِجِّ والعمرة قالوا : اللهم لا . قال : والله إنها لمعین .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنَّائِي ، قال : كنت في ملاٍّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند معاوية فقال معاوية : أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله نهى عن جلود النور أن يُرْكَبَ عليها؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى عن لباس الذهب إلا مُقَطَّعًا؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وتعلمون أنه نهى عن المُتَمَتِّعَةِ؟ - يعني مُتَمَتِّعَةَ الحِجِّ - قالوا : اللهم لا .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنَّائِي ، أنه شهد معاوية وعنده جَمْعٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم معاوية : أتعلمون أن رسول الله نهى عن ركوب جلود النور؟ قالوا : نعم . قال : تعلمون أن رسول الله نهى عن لبس الحرير؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعلمون أن رسول الله نهى عن جمع بين حج وعمرة؟ قالوا : اللهم لا . قال : فوالله إنها لمعین .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن قتادة ، وزاد : ولستكنكم نسيتم . وكذا رواه أشعث بن نزار وسعيد بن أبي عروبة وهما عن قتادة بأصله ورواه مطر الوراق وبهيس بن فهذان ، عن أبي شيخ ، في مقعة الحِجِّ .

(١) الصُفِّف : جمع صُفِّفَة ، وهي ما يفرش تحت السرج .

(٢) المُقَطَّع : الشيء اليسير منه كالحلقة . النهاية ٢٩٦/٣ .

قد رواه أبو داود والنسائي من طرق عن أبي شيخ الهنائي به ، وهو حديث جيد الإسناد .

وَيُسْتَقْرَبُ مِنْهُ رَوَايَةُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّهْيُ عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَجِّ ، وَالْعُمْرَةِ .
ولعل أصل الحديث النهي عن المتعة ، فاعتقد الراوي أنها مُتَعَةُ الْحَجِّ وَإِنَّمَا هِيَ مُتَعَةُ النِّسَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أُولَئِكَ الصَّحَابَةِ رَوَايَةُ فِي النَّهْيِ عَنْهَا .
أو لعل النهي عن الإقْران^(١) في التمر ، كما في حديث ابن عمر ، فاعتقد الراوي أن المراد الإقْران في الحج ، وليس كذلك .

أو لعل معاوية رضى الله عنه إنما قال : أتعلمون أنه نهى عن كذا ، فبناه بما لم يسم فاعله ، فصريح الراوي بالرفع إلى النبي ﷺ ، وهم في ذلك ، فإن الذي كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يكن نهيه عن ذلك على وجه التحريم والحتم ، كما قدمنا . وإنما كان ينهى عنها لتفرد عن الحج بسفر آخر ، لتكثر زيارة البيت .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يهابونه كثيراً ، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً ، وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له : إن أباك كان ينهى عنها . فيقول : لقد خشيت أن تقع عليكم حجارة من السماء ! قد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفسنة رسول الله تُدْبِعُ أو سنة عمر بن الخطاب ؟ !

وكذلك كان عثمان بن عفان رضى الله عنه ينهى عنها ، وخالفه على بن أبي طالب كما تقدم ، وقال : لا أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول أحد من الناس .
وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن

(١) الإقْران : الجمع بين التمرتين في الأكل .

يحرّمه ولم يَنْه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات .
أخبرناه في الصحيحين .

وفي صحيح مسلم عن سعد ، أنه أنكر على معاوية إنكاره المتعة وقال : قد فعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يومئذ كافر بالعرش . يعنى معاوية ، أنه كان حين فعلوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً بمكة يومئذ .

قلت : وقد تقدم أنه عليه السلام حج قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة في ذلك ، ولم يكن بين حجة الوداع وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحدٌ وثمانون يوماً .

وقد شهد الحجة ما يُنفي عن أربعين ألف صحابي قولاً منه وفعلًا ، فلو كان قد نهى عن القرآن في الحج الذي شهدته منه الناس لم ينفرد به واحد من الصحابة ويرده عليه جماعة منهم ممن سمع منه ومن لم يسمع .

فهذا كله مما يدل على أن هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضي الله عنه . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني حيوة ، أخبرني أبو عيسى الخراساني ، عن عبد الله بن القاسم الخراساني ، عن سعيد بن المسيّب ، أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج .

وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر . ثم إن كان هذا الصحابي عن معاوية ، فقد تقدم الكلام على ذلك ، ولكن في هذا النهي عن المتعة لا القرآن . وإن كان عن غيره فهو مُشكّل في الجملة ، لكن لا على القرآن . والله أعلم .

ذكر مُسْتَنَد من قال إنه عليه الصلاة والسلام أَطْلَقَ الإِحْرَامَ

ولم يَمَيِّنْ حُجًّا ولا عُمْرَةً أولاً ، ثم بعد ذلك صرّفه إلى مَعَيَّن .
وقد حُكِيَ عن الشافعي أنه الأفضل ، إلا أنه قول ضعيف .

قال الشافعي رحمه الله : أنبأنا سفيان ، أنبأنا ابن طاوس وإبراهيم بن مَيْسَرَةَ وهشام ابن حُجَيْر ، سمعوا طاوساً يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يَسْمَى حُجًّا ولا عُمْرَةً ينتظر القضاء ، فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة ، فأمر أصحابه من كان منهم أهلاً بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعلها عُمْرَةً ، وقال : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سَقَتُ الهدى ، ولكن أَبَدْتُ رَأْسِي وسَقَتُ هَدْيِي فليس لي حِلٌّ إِلَّا هَدْيِي » .

فقام إليه سُرَاقَةُ بن مالك ، فقال : يا رسول الله اقض لنا قضاءً ، كأَما ولدوا اليوم ، أَعُمِّرْتَنَا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل للأبد ، دخلت العُمْرَةُ في الحج إلى يوم القيامة » .

قال : فدخَلَ على من اليمين فسأله النبي صلى الله عليه وسلم : بِمِ أَهْلَلْتَ ؟ فقال أحدهما : لِبَيْتِكَ إِهْلَالَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : لِبَيْتِكَ حِجَّةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

وهذا مُرْسَلٌ عن طاوس وفيه غَرَابَةٌ .

وقاعدة الشافعي رحمه الله أنه لا يَقْبَلُ المرسل بمجردِهِ حتى يَمْتَضِدَ بغيرِهِ ، اللهم إلا أن يكون عن كبار التابعين كما عوِّلَ عليه كلامه في الرسالة ، لأن الغالب أنهم لا يُرْسِلُونَ إلا عن الصحابة . والله أعلم .

وهذا المرسل ليس من هذا القبيل ، بل هو يخالف للأحاديث المتقدمة كلها ،
أحاديث الأفراد وأحاديث التمتع وأحاديث القرآن ، وهي مُسَنَدَة صحيحة كما تقدم ،
فهي مقدّمة عليه ، ولأنها مُثَبِّتَة أمراً نفاه هذا المرسل ، والمُثَبِّت مقدّم على النافي لو
تسكافاً ، فكيف والمسند صحيح ، والمرسل من حيث [هو] لا ينهض حجة لانتقطاع
سنده . والله تعالى أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ،
حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا مُحَاضِر ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن
الأسود ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكُرُ حجاً
ولا عمرة ، فلما قَدِمْنَا أَسْرَمْنَا أَنْ نَحْلَ ، فلما كانت ليلة النَّفَرِ حاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيٍّ .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حَلَقَيْ عَقْرَى ^(١) ! ما أراها إلا حابستكم » . قال :
هل كنت طُفْتُ يومَ النَّحْرِ ؟ قالت : نعم . قال : فانفري . قالت : قلت : يا رسول الله
إني لم أكن أَهْلًا . قال : « فاعتمري من التَّعْنِيمِ » قال : فخرج معها أخوها . قالت :
فلقينا مُدْجَلًا . فقال : مَوْعِدُكِ كَذَا وكَذَا .

هكذا رواه البيهقي .

وقد رواه البخاري عن محمد ، قيل هو ابن يحيى الذهلي ، عن مُحَاضِر بن المورِّع به .
إلا أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نَذْكُرُ إلا الحج .
وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة .

لكن روى مسلم عن سُويد بن سعيد ، عن علي بن مُسْنَرٍ ، عن الأعمش ، عن

(١) حلق عقرى : أى تعمر قومها وتخلقهم . والعقرى : الحائض . يضرب للنشاور .

إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر حجاً ولا عمرة .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه الحج . وهذا أصحُّ وأثبت . والله أعلم .

وفى رواية لها من هذا الوجه : خرجنا نلبي ولا نذكر حجاً ولا عمرة . وهو محمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية ، وكانوا قد سمّوه حال الإحرام ، كما فى حديث أنس : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لبيك اللهم حجاً وعمرة » وقال أنس : وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً .

فأما الحديث الذى رواه مسلم من حديث داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن جابر وأبي سعيد الخدرى ، قالوا : قدِمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صُراخاً . فإنه حديث مُشكَل على هذا . والله أعلم .

ذكر تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشافعي : أخبرنا مالك ، عن نافع عن عبد الله بن عمر ، أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » .

وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها : لَبَّيْكَ لَكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ .

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، كلاهما عن مالك به . وقال مسلم : حدثنا محمد بن عباد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عُبَيْدَةَ ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، [و] عن نافع مولى عبد الله بن عمر وحمة بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استوت به راحلته قائمةً عند مسجد ذي الحليفة أهل فقال : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » .

قالوا : وكان عبد الله يقول : هذه ^(١) تلبية رسول الله . قال نافع : وكان عبد الله يزيد مع هذا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ . حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، قال : تَلَقَّيْتُ التَّلْبِيَةَ مِنْ [فِ] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فذكر بمثل حديثهم .

حدثني حَرَمَةُ بْنُ يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : فَإِنْ ^(٢) سَأَلَ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

١ الأصل : في تلبية ، وما أنبأته عن مسلم . (٢) الأصل : قال ، وما أنبأته عن مسلم .

عليه وسلم يُهلّ ملبّداً يقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » لا يزيد على هؤلاء الكلمات .

وإن عبد الله بن عمر كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزكع بذى الحليفة ركعتين ، فإذا استوت به للنساقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلّ بهؤلاء الكلمات .

وقال عبد الله بن عمر : كان عمر بن الخطاب يُهلّ بإهلال النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات ، وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرفقاء إليك والعمل .

هذا لفظ مسلم ، وفي حديث جابر من التلبية كما في حديث ابن عمر ، وسيأتي مطولاً قريباً ، رواه مسلم منفرداً به .

وقال البخارى بعد إيراده من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ماتقدم : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن أبي عطية ، عن عائشة ، قالت : إني لأعلم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك » .

تابعه أبو معاوية عن الأعمش . وقال شعبة : أخبرنا سليمان ، سمعت خثيمة ، عن أبي عطية ، سمعت عائشة .
تفرّد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن سليمان ابن مهران الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن أبي عطية الوادى ، عن عائشة . فذكر مثل ما رواه البخارى سواء .

ورواه أحمد عن أبي معاوية ، وعبد الله بن مُنِير ، عن الأعمش ، كما ذكره البخارى سواء .
ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر ورّوح بن عباد ، عن شعبة ، عن سليمان بن مهران
الأعمش به كما ذكره البخارى . وكذلك رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن
شعبة سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضّيل ، حدثنا الأعمش ، عن عمارة بن عُمر ، عن
أبى عطية ، قال قالت عائشة : إني لأعلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجئ .
قال : ثم سمعتها تلجئ فقالت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد
والنعمه لك والملك لا شريك لك .

فزاد فى هذا السياق وحده : والملك لا شريك لك .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة أن عبد الله بن الفضل
حدثه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أنه قال : كان من تلبية رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ » .

وقد رواه النسائى عن قتيبة ، عن مُحمّد بن عبد الرحمن ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة
وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شَيْبَة ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن عبد العزيز به .
قال النسائى : ولا أعلم أحدا أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز . ورواه
إسماعيل بن أمية مرسلًا .

وقال الشافعى : أنبأنا سعيد بن سالم القدّاح ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرنى مُحمّد الأعرج ،
عن مجاهد ، أنه قال : كان النّبى صلى الله عليه وسلم يُظهر من التلبية : لبيك اللهم لبيك .
فذكر التلبية .

قال : حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو فيه ، فزاد فيها : لبيك إن العيشَ عيشُ الآخرة .
قال ابن جريج : وحسبتُ أن ذلك يومَ عرفة .
هذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو أحمد يوسف ابن محمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا محبوب بن الحسن ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بعرفات فلما قال : لبيك اللهم لبيك . قال : إنما الخيرُ خيرُ الآخرة .

وهذا إسناد غريب ، وإسناده على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أسامة بن زيد ، حدثني عبد الله بن أبي كَبِيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإلهال فإنه من شعائر الحج .
تفرد به أحمد .

وقد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن أبي كَبِيد ، عن المطلب ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره .
وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي كَبِيد ، عن المطلب بن حنطب ، عن خالد بن السائب ، عن زيد بن خالد ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرُ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج .

وكذا رواه ابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن وَكِيع ، عن الثوري به . وكذلك رواه شعبة وموسى بن عُقبة ، عن عبد الله بن أبي لييد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سُفيان ، عن عبد الله بن أبي لييد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن خَلَاد بن السائب ، عن زيد بن خالد الجُهَنِي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني جبرائيل فقال : يا محمد مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في كتاب « الأطراف » : وقد رواه معاوية عن هشام ، وقبيصة ، عن سُفيان الثوري ، عن عبد الله بن أبي لييد ، عن المطلب ، عن خَلَاد بن السائب ، عن أبيه ، عن زيد بن خالد به .

وقال أحمد : حدثنا سُفيان بن عُيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك ابن أبي بكر بن الحارث بن هشام ، عن خَلَاد بن السائب بن خالد ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أتاني جبرائيل فقال : مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإِهلال .

وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك . وحدثنا رُوَح ، حدثنا مالك ، يعني ابن أنس ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خَلَاد بن السائب الأنصاري ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أتاني جبرائيل فأمرني أن أمر أصحابي - أو من معي - أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإِهلال - يريد أحدهما .

وكذلك رواه الشافعي عن مالك . ورواه أبو داود عن القَعْنَبِي ، عن مالك به ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن جُرَيْج ، والترمذي والنسائي وابن ماجه

من حديث سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحافظ البيهقي : ورواه ابن جريج ، قال : كتب إلى عبد الله بن أبي بكر فذكره . ولم يذكر أبا خلاد في إسناده .

قال : والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك ، عن خلاد بن السائب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . قاله البخارى وغيره . كذا قال . وقد قال الإمام أحمد في مسند السائب ابن خلاد بن سويد أبي سَهلة الأنصارى : حدثنا محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جُريج ، وحدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُريج ، قال : كتب إلى عبد الله بن أبي بكر محمد بن عمرو ابن حزم ، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خلاد ابن السائب الأنصارى ، عن أبيه السائب بن خلاد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتانى جبرائيل فقال : إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والإهلال . وقال رَوْح : بالتلبية أو الإهلال .

قال : لا أدرى أيننا ، وهل أنا أو عبد الله أو خلاد في الإهلال أو التلبية .

هذا لفظ أحمد في مسنده . وكذلك ذكره شيخنا في أطرافه عن ابن جريج كرواية

مالك وسفيان بن عيينة . قاله أعلم .

فصل

في إيراد حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه
في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو وحده مَنْسِكٌ مستقل ، رأينا أن إirاده هاهنا أَنْسَبَ ، لتضمّنه التلبية وغيرها ،
كما سلف وما سيأتى .

فنورد طُرُقَه وألفاظه ، ثم نُدبِعه بشواهد من الأحاديث الواردة في معناه .
وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثني أبي ،
قال : أُنِيتُنا جابر بن عبد الله وهو في بنى سَلَمَةَ ، فسألناه عن حجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَكَثَ في المدينة تسع سنين لم يحج ، ثم
أَذَّنَ في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌّ في هذا العام .

قال : فنزل المدينة بشرٍّ كثير ، كلهم يلتمس أن يَأْتُمَّ برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويفعل ما يفعل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس^(١) بقين من ذى القعدة ، وخرجنا معه حتى
إذا أتى ذا الخليفة نُفِست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي ثم استنْفِري^(٢) بثوب ، ثم أهلي .

(١) : لعشر .

(٢) الاستنْفار : أن يدخل لإزاره بين فخذيه ملوياً .

نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا استوت به ناقته على البَيْداء أَهْلَ بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وإني الناسُ ، والناس يزبدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع فلم يقل لهم شيئاً .

فَنظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ ، وَمِنْ خَلْفِهِ كَذَلِكَ ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

قال جابر : ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء علمناه .

فخرجنا لا ننوي إلا الحجَّ ، حتى إذا أتينا الكعبة فاستلم نبي الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود ، ثم رَمَلَ ثَلَاثَةً وَمَشَى أَرْبَعَةً ، حتى إذا فرغ عَمَدَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَصَلَّى خَلْفَهُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » ^(١) .

قال أحمد : وقال أبو عبد الله - يعني جعفر - : فقرأ فيهما بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون .

ثم استلم الحجر وخرج إلى الصفا ثم قرأ : « إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » ^(٢) . ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به . فرقى على الصفا ، حتى إذا نظر إلى البيت كَبَّرَ ، ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَتَّخِذُ وَعْدَهُ وَصَدَقَ وَعْدُهُ وَهَزَمَ - أَوْ غَلَبَ - الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثم دعا . ثم رجع إلى هذا الكلام .

ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الودى رَمَلَ ، حتى إذا صعد مشى ، حتى أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت ، فقال عليها كما قال على الصفا ، فلما كان السابع عند

المروة قال : يا أيها الناس إني لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أسقُ الهدى ولجعلتها عمرةً ، فمن لم يكن معه هدى فليجِلَّ وليجعلها عمرة . فحلَّ الناسُ كلهم .

فقال سراقه بن مالك بن جُعشم وهو في أسفل الوادي : يا رسول الله ، ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبَّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال : للأبد . ثلاث مرات . ثم قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

قال : وقدم على من اليمين بهدى وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من هدى المدينة هدياً ، فإذا فاطمة قد حَلَّت ولبست ثياباً صديفاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أمرني به أبي . قال : على بالكوفة : قال جعفر « قال » أى هذا الحرف لم يذكره جابر . فذهبت مُحَرَّشاً^(١) أستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذى ذكرت فاطمة ، قلت : إن فاطمة لبست ثياباً صديفاً واكتحلت وقالت : أمرني أبي . قال : صدقت صدقت ، أنا أمرتها به .

وقال جابر : وقال لعلى : بم أهلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أهلٌ بما أهلَّ به رسولك . قال : ومعى الهدى . قال : فلا تحلَّ .

قال : وكان جماعة الهدى الذى أتى به على من اليمين والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ، فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين ثم أعطى علياً فنحر ماغبر ، وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة^(٢) فجعلت فى قدر ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد نحرتُ هاهنا ، ومئى كلها منحر . ووقف

(١) محرشاً : مغرباً الرسول بمؤاخذتها .

(٢) البضعة : القطعة من اللحم .

بعرفة فقال : وقفتُ هاهنا ، وعرفة كلها مَوْقِف . ووقوف بالمزدلفة وقال : وقفت هاهنا ، والمزدلفة كلها مَوْقِف .

هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث ، وقد اختصر آخره جداً .
ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في المناسك من صحيحه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله فذكره .
وقد أَعْلَمْنَا في الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم ، إلى قوله عليه السلام اعلى : صدقتُ صدقت ، ماذا قلتَ حينَ فَرَضْتَ الحجَّ ؛ قال : قلت : اللهم إني أَهْلُ بما أَهْلٌ به رسولك صلى الله عليه وسلم . قال : فإنَّ معي الهدى . قال : فلا تحل . قال : فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمين والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

قال : فخلَّ الناسُ كلهم وقصَّروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهأوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة له من شعر فضربت له بَنَمْرَة ^(١) .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشكُّ قريش إلا أنه ^(٢) واقفٌ عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت له بَنَمْرَة ، فنزل بها .

(١) نمرة : موضع بجانب عرفات ، وليس منها . (٢) إلا أنه : في أنه . فلا زائدة ، وإن في موضع نصب على إسقاط الجار . والشعر الحرام : جبل في المزدلفة يقال له قرح .

حتى إذا زاغت ^(١) الشمسُ أمر بالقصواء فرجّلت له ، فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ^(٢) كان مُستَرَضَعًا في بني سعد فقتلته هذيل ، وربّ الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله .

واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلّمت فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تنكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لم تصلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدّيت . فقال بإصبعه السّبابة يرفعها إلى السماء وينكتها ^(٣) على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات . ثم أذن ثم أقام ، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصّخرات ، وجعل جبَل المشاة ^(٤) بين يديه واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصّفرة قليلاً حتى غاب القُرس ، وأرْدَف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شَنَقَ ^(٥) للقصواء الزمام حتى إن رأسها لتصيب مؤرك ^(٦)

(١) زاغت : مالت . (٢) قيل اسمه آدم ، وقيل تمام . الروض الأف ٢ .

(٣) ينكتها : يقلبها ويردها مشيراً إلى الناس وفي مسلم : إلى الناس . .

(٤) جبل المشاة : يروى بالخاء وبالجيم . ومعناه بالجيم الطريق . وبالحاء مجتمع المشاة .

(٥) شَنَق : ضيق . (٦) المؤرك : الموضع الذي يجعل عليه الراكب رجله .

رَحَلَهُ ويقول بيده اليمنى : أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ . كَلَّا أَتَى جَبَلًا مِنْ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ .

حَتَّى أَتَى الْمَزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يَسْبَحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَصَلَّى الْفَجْرَ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمُشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا فَحَمَدَ اللَّهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أُسْفِرَ جَدًّا .

فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَأَرْذَفَ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَيْبَضَ وَسِيًّا ، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَ طُعْنُ يَحْزَبِ بْنِ ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَخَوَّلَ الْفَضْلُ يَدَهُ إِلَى الشَّقِ الْآخَرِ ، فَخَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الشَّقِ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَصَرَفَ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِ الْآخَرَ يَنْظُرُ .

حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يَكْبُرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا [مِثْلَ] حَصَى الْخَذْفِ ^(١) ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي .

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسَتِينَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَاغِبَرًا ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا .

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُمْ يَسْتَقُونَ عَلَى زَمْزَمَ ، فَقَالَ : انْزَعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَوْلَا أَنْ

(١) الْخَذْفُ : حَصَى صَفَرٍ يَرْمِي بِأَصْبَعَيْنِ . وَهُوَ مُصَدَّرٌ سَمِيَ بِهِ .

يَغْلِبُكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعَتْ مَعَكُمْ . ففأولوه دلوًا فشرب منه .

ثم رواه مسلم عن عمر بن حفص ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر
فذكره بنحوه .

وذكر قصة أبي سَيَّارَةَ^(١) ، وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُرمي^(٢) وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : نَحَرْتُهَا هَنَا وَمَنَى كُلُّهَا مَنَحَرٌ ، فأنحروا في رحالكُم . ووقفتُ
هاهنا وعرفهُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ، ووقفتُ هاهنا وجمَعُ^(٣) كُلُّهَا مَوْقِفٌ .

وقد رواه أبو داود بطوله عن الثَّقَلَيْنِ وعثمان بن أبي شيبة ، وهشام بن عمار وسليمان
ابن عبد الرحمن . وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء ، أربعتهم عن حاتم بن
إسماعيل ، عن جعفر ، بنحو من رواية مسلم . وقد رمزنا لبعض زياداته عليه .

ورواه أبو داود أيضًا والنسائي ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن سعيد القطان ،
عن جعفر به . ورواه النسائي أيضًا عن محمد بن المثنى ، عن يحيى بن سعيد ببعضه ، عن
إبراهيم بن هارون البَلْخِي ، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه .

(١) الأصل أبي سنان ، وهو تحريف (٢) العرمي : ما لا سرج عليه . (٣) جمع : المزدلفة .

ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب

من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته

قال البخارى : باب المساجد التي على طريق المدينة ، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن أبي بكر القُدَمِيّ ، قال : حدثنا فضيل بن سليمان ، قال : حدثنا موسى بن عُقبة ، قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّى فيها ويحدث أن أباه كان يصلّى فيها ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلّى في تلك الأمكنة .

وحدثني نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يصلّى في تلك الأمكنة ، وسألتُ سالمًا فلا أعلمه إلا وافق نافعًا في الأمكنة كلها ، إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء .

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عِيَاض ، قال : حدثنا موسى بن عُقبة ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر وفي حجته حين حج تحت سَمُرَة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو في حج أو عمرة هَبَط من بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التي على شَفِير الوادي الشرقية فعرّس ^(١) ثمّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليه المسجد ، كان ثمّ خَلِيج ^(٢) يصلّى عبد الله عنده في بطنه كُنُوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ يصلّى ، فدحا ^(٣) السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلّى فيه .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الرّوحاء ، وقد كان عبد الله يُعلم المكان الذى كان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ثمّ عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رَمِيَّةٌ بحجر أو نحو ذلك .

وأن ابن عمر كان يصلى إلى العِرق الذى عند مُنْصَرَفِ الرّوحاء ، وذلك العِرق انتهاء طَرَفِهِ على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتنى ثمّ مسجدٌ ، فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العِرق نفسه ، وكان عبد الله يروح من الرّوحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلّى فيه الظهر ، وإذا أقبل من مكة فإن مرّ به قبل الصبح بساعة أو من آخر السّحر عَرَّسَ حتى يصلى بها الصبح .

وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحَةٍ^(١) ضخمة دون الرّوَيْثَةِ^(٢) عن يمين الطريق ووجاه الطريق فى مكان بَطِيحٍ^(٣) سهّل ، حتى يَفْضَى من أكمةٍ دُونِينَ بَرِيدِ الرّوَيْثَةِ بَيْلَيْنِ ، وقد انكسر أعلاها فانشق فى جوفها ، وهى قائمة على ساق وفى ساقها كُثْبٌ كثيرة .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طَرَفِ تَلْعَةٍ^(٤) من وراء العِراجِ وأنت ذاهب إلى هَضْبَةٍ ، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رَضَمٌ من حجارة عن يمين الطريق عند سَلَمَاتٍ^(٥) الطريق بين أولئك السَلَمَاتِ كان

(١) السرحة : الشجرة لا شوك فيها

(٢) الرويثة : منهل من المناهل بين مكة والمدينة : المراد .

(٣) البطح : المسيل الواسع

(٤) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انخفض .

(٥) السلمات : أشجار السلم .

عبد الله يروح من العَرَج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة ، فيصلى الظهر في ذلك المسجد .
وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرَحات عن
يسار الطريق في مَسِيلٍ دُونَ هَرَشَى^(١) ؛ ذلك المَسِيلُ لاصقٌ بِكَرَاعِ هَرَشَى ، بينه وبين
الطريق قريب من غَلَوَة^(٢) وكان عبد الله يصلى إلى سَرَحة هي أقرب السَرَحات إلى
الطريق ، وهي أطولهن .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَنُزِلُ في المَسِيلِ
الذى في أدنى مَرِّ الظُّهْرَانِ قَبْلَ المَدِينَةِ حين يهبط من العَفْرَاوَاتِ ، ينزل في بطن ذلك
المَسِيلِ عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين الطريق إِلَّا رَمِيَّةٌ بِحَجَرٍ .

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طُوًى
وبييت حتى يصبح يصلى الصبح حين يَقدِّم مكة ، ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك على أَكْمَةٍ غليظة ، ليس في المسجد الذى بُنِيَ ثُمَّ ، ولكن أسفل من ذلك على
أَكْمَةٍ غليظة .

وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فُرُضَتَى الجبل الذى
بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذى بُنِيَ ثُمَّ يسار المسجد بطرف
الأَكْمَةِ ، مُصَلَّى النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأَكْمَةِ السوداء ، تدع من
الأَكْمَةِ عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تصلى مُسْتَقْبِلَ الفُرُضَتَيْنِ من الجبل الذى بينك
وبين الكعبة .

(٢) الغلوة: قدر مراماة السهم .

(١) هَرَشَى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة

تفرد البخاری رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه ، إلا أن مُسنداً روى منه عند قوله في آخره : « وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بدى طوى » إلى آخر الحديث ، عن محمد بن إسحاق المُسَبِّحِي ، عن أنس عن عياض ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر فذكره . وقد رواه الإمام أحمد بطوله عن أبي قُرَّة موسى بن طارق ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر به نحوه .
وهذه الأماكن لا يُعرف اليوم كثيرٌ منها أو أكثرها ، لأنه قد غُيِّرَ أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك ، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم .

ولما أوردها البخاری رحمه الله في كتابه لعل أحداً يهتدى إليها بالتأمل والتفرُّس والتوسُّم ، أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً في زمان البخاری . والله تعالى أعلم .

باب

دخول النبي ﷺ إلى مكة شرفها الله عز وجل

قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى بن عبد الله ، حدثني نافع ، عن ابن عمر ، قال : بات النبي صلى الله عليه وسلم بذي طُوًى حتى أصبح ، ثم دخل مكة . وكان ابن عمر يفعلُه .

ورواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به ، وزاد : « حتى صلى الصبح ، أو قال : حتى أَصْبَحَ » .

وقال مسلم : حدثنا أبو الزبيع الزَّهْرَانِي ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان لا يقدِّم مكة إلا بات بذي طُوًى حتى يصبح ويفتسل ، ثم يدخل مكة نهائراً ، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله .

ورواه البخارى من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب به .

ولهما من طريق أخرى ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، كان إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طُوًى . وذكره .

وتقدم آنفاً ما أخرجاه من طريق موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت بذي طوى حتى يُصبح ، فيصلّى الصبح حين يقدِّم مكة ، ومُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أكمة غليظة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فرُضَتِ الجبل الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذى بُنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ، ومُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم يصلى مستقبلاً الفرضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة .

أُخرجاه في الصحيحين .

وحاصل هذا كله : أنه عليه السلام لما انتهى في مسيره إلى ذى كُوَيْ وهو قريب من مكة مُتَآخِمْ لِلْحَرَمِ ، أمسك عن التلبية ، لأنه قد وصل إلى المقصود ، وبات بذلك المسكان حتى أصبح ، فصلى هنالك الصبح في المسكان الذى وصفوه بين فُرُخَى الجبل الطويل هنالك . ومن تأمل هذه الأما كن المشار إليها بعين البَصيرة عَرَفَهَا معرفةً جيدةً وتَعَيَّنَ له المسكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة ، ثم ركب ودخلها نهراً جهرَةً علانية من الثنية العليا التى بالبطحاء . ويقال كدَاء ليراه الناس ويُشرف عليهم ، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه .

قال مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى .
أُخرجاه في الصحيحين من حديثه

ولهما من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من الثنية العليا التى فى البطحاء ، وخرج من الثنية السفلى . ولهما أيضاً من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مثل ذلك .

ولما وقع بصره عليه السلام على البيت قال ما رواه الشافعى فى مسنده : أخبرنا سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، وزد من شرفه وكرمه ، ومن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبرّاً » .

قال الحافظ البيهقي : هذا منقطع ، وله شاهد مُرسل عن سفيان الثوري ، عن أبي سعيد الشامي ، عن مَكْحُول ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحِينَما ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبرّاً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبرّاً » .

وقال الشافعي : أنبأنا سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، قال : حَدَّثْتُ عَنْ مِقْسَمٍ ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تُرْفَعُ الْأَيْدِي فِي الصَّلَاةِ وَإِذَا رَأَى الْبَيْتَ ، وَعَلَى الصَّافَا وَالْمُرْوَةِ ، وَعَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَبَجَمْعٍ ، وَعِنْدَ الْجَمْرَتَيْنِ وَعَلَى الْمَيْتِ » .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباس ، وعن نافع عن ابن عمر ، مرةً موقوفاً عليهما ومرةً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر الميِّت .
قال : وابن أبي ليلى هذا غير قوى .

ثم إنه عليه السلام دخل المسجد من باب بنى شَيْبَةَ .

قال الحافظ البيهقي : روينا عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : يَدْخُلُ الْحَرَمَ مِنْ حَيْثُ شَاءَ .

قال : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبَةَ وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصَّافَا .

ثم قال البيهقي : وهذا مرسل جيد .

وقد استدلل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بنى شَيْبَةَ ، بما رواه من طريق أبي دَوَادٍ الطَّيَالِسِيِّ ، حدثنا حماد بن سلمة ، وقيس بن سلام ، كلهم عن سِمَاك بن حَرْب

عن خالد بن عُرْعة ، عن علي رضي الله عنه ، قال : لما انهدم البيتُ بعد جُرْمِ بنته قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه ، فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شَيْبَةَ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كلَّ فخذٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه وأخذوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

وقد ذكرنا^(١) هذا مبسوطاً في باب بناء الكعبة قبل البعثة . وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شَيْبَةَ بهذا نظر . والله أعلم .

صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخارى : حدثنا أصبغ بن الفرج ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن ، قال : ذكرت لعروة قال : أخبرتنى عائشة : أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضعاً ثم طاف ثم لم تكن عمرة ، ثم حج أبو بكر وعمر مثله ، ثم حججت مع أبي الزبير ، فأول شيء بدأ به الطواف ، ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه ، وقد أخبرتنى أمى أنها أهدت هى وأختها والزبير وفلان وفلان بعمره ، فلما مسحوا الركن حَلُّوا .

هذا لفظه . وقد رواه في موضع آخر عن أحمد بن عيسى ، ومسلم ، عن هارون بن سعيد ، ثلاثهم عن ابن وهب به .

وقولها : « ثم لم تكن عمرة » يدل على أنه عليه السلام لم يتحلل بين النسكين .

ثم كان أول ما ابتدأ به عليه السلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف ، كما قال جابر : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعا .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، عن عمر ، أنه جاء إلى الحجر فقبله وقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبه وزهير بن حرب وابن أبي عمير ، جميعاً عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إني لأعلم^(١) أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

(١) مسلم : إني لأقبلك وأعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيدة وأبو معاوية ، قالا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر أنى الحجر فقال : أما والله لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك . ثم دنا فقبله .

فهذا السياق يقتضى أنه قال ما قال ثم قبله بعد ذلك ، بخلاف سياق صاحبي الصحيح . فإله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ويحيى واللفظ لوكيع ، عن هشام ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب أنى الحجر فقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . وقال : ثم قبله .

وهذا منقطع بين عروة بن الزبير وبين عمر .

وقال البخارى أيضا : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ، أخبرنى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال للركن : أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك . فاستلمه .

ثم قال : وما لنا والرَّمْل ، إنما كننا راءينا به المشركين ولقد أهلكهم الله . ثم قال : شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه . وهذا يدل على أن الاستلام تأخر عن القول .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا ورقاء ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وقال : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا حرملة ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، هو ابن

يزيد الأيلي ، وعمرو ، وهو ابن دينار . ح . وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، أن أباه حدثه أنه قال : قبل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال : أما والله لقد علمت أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

زاد هارون في روايته : قال عمرو : وحدثني بمثلها زيد بن أسلم ، عن أبيه أسلم - يعني عن عمر - به .

وهذا صريح في أن التقبيل تقدم على القول . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أن عمر قبل الحجر ثم قال : قد علمت أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك . هكذا رواه الإمام أحمد .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، عن محمد بن أبي بكر الملقب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر ، قبل الحجر وقال : إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر ، ولكنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك .

ثم قال مسلم : حدثنا خلف بن هشام والمقدمي وأبو كامل وقتيبة ، كلهم عن حماد قال خلف : حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس ، قال : رأيت الأصم - يعني عمر - يقبل الحجر ويقول : والله إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر ، وأنت لا تضروا ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

وفي رواية الملقب وأبي كامل : رأيت الأصم .

وهذا من أفراد مسلم دون البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس به . ورواه أحمد أيضا عن غُندَر ، عن شعبة ، عن عاصم الأحول به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غفلة ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولكني رأيت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم بك حَفِيًّا .

ثم رواه أحمد عن وكيع ، عن سفيان الثوري به . وزاد : فقبله والتزمه .

وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الرحمن بن مهدي بلا زيادة ، ومن حديث وكيع بهذه الزيادة : قبل الحجر والتزمه وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حَفِيًّا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب أكبَّ على الركن وقال : إني لأعلم أنك حجر ، ولو لم أر حبيبي صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبليتك « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

وهذا إسناد جيد قوى ، ولم يخرجوه .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن عثمان القرشي ، من أهل مكة ، قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه ، وقال ابن عباس : رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه . ثم قال عمر : لو لم أر النبي صلى الله عليه وسلم قبله ما قبلته .

وهذا أيضا إسناد حسن ، ولم يخرجوه إلا النسائي ، عن عمرو بن عثمان ، عن

الوليد بن مسلم ، عن حفظة بن أبي سفيان ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر
فذكر نحوه .

وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد أيضا من حديث يعلى بن أمية عنه ،
وأبو يعلى الموصلى فى مسنده من طريق هشام بن حشيش بن الأشقر ؛ عن عمر .
وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعُزَّوه وعِلَّاه فى الكتاب الذى جمعناه فى مُسند
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والله الحمد والمنة .

وبالجملة فهذا الحديث مَرَوَى من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه . وهى تفيد القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن .

وليس فى هذه الرواية أنه عليه السلام سجد على الحجر ، إلا ما أشعر به رواية
أبى داود الطيالسى ، عن جعفر بن عثمان ، وليست صريحة فى الرفع .

ولكن رواه الحافظ البيهقى من طريق أبى عاصم النبيل ، حدثنا جعفر بن عبد الله ،
قال : رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال : رأيت خالك ابن
عباس قبله وسجد عليه . وقال ابن عباس : رأيت عمر قبله وسجد عليه . ثم قال :
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت .

قال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا الطبرانى ، أنبأنا
أبو الزُّنْبَاع ، حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى ، حدثنا يحيى بن يمان ، حدثنا سفيان بن
أبى حسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجد على الحجر .

قال الطبرانى : لم يَرَوْه عن سفيان إلا يحيى بن يمان .
وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد ، عن الزبير بن عري ، قال : سأل رجل

ابن عمر عن استلام الحجر . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله . قال : أرايتَ إن زُجِّتْ أرايتَ إن غُلِبَتْ ؟ قال : اجعل أرايتَ باليمن ^(١) ! رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله .
تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما تركتُ استلامَ هذين الركنين فى شدة ولا رخاء منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما . فقلت لنافع : أكان ابن عمر يمشى بين الركنين ؟ قال : إنما كان يمشى ليكون أيسر لاستلامه .

وروى أبو داود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد العزيز بن أبى رَوَاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر فى كل طوفة » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا ليث ، عن ابن شهاب ، عن سالم ابن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لم أر النبى صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة ، عن الليث بن سعد به .
وفى رواية عنه أنه قال : ما أرى النبى صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم .

وقال البخارى : وقال محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جريج ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن أبى الشعثاء ، أنه قال : ومن يتقى شيئاً من البيت !

(١) أى أتركها بعيداً عنك

وكان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عباس : إنه لا يستلم هذان الركنان . فقال له : ليس من البيت شيء مهجور . وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن .
انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى .

وقال مسلم في صحيحه : حدثني أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن قتادة بن دعامه حدثه ، أن أبا الطفيل البكري حدثه ، أنه سمع ابن عباس يقول : لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم غير الركنين اليمانيين
انفرد به مسلم .

فالذي رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس ، أنه لا يستلم الركنان الشاميان ، لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم ، لأن قريشا قصرت بهم النفقة ، فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه . كما تقدم بيانه ^(١) .

وودَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لو بناه فتممه على قواعد إبراهيم ، ولكن خشى من حداثة عهد الناس بالجاهلية ، فتذكروهم .

فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق .

فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جداً وهو والله المظنون به !

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة » .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن يحيى .

وقال النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن جريج ، عن يحيى بن عبيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليماني والحجر : « ربَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ^(١) » .

ورواه أبو داود ، عن مسدد ، عن عيسى بن يونس ، عن ابن جريج به .

وقال الترمذي : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخل المسجد فاستلم الحجر ، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم أتى المقام فقال : « واتخذوا من مقام إبراهيم ^(٢) مُصَلًّى » فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت ، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا ، أظنه قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم .

وهكذا رواه إسحاق بن راهويه ، عن يحيى بن آدم . ورواه الطبراني عن النسائي وغيره ، عن عبد الأعلى بن واصل ، عن يحيى بن آدم به .

ذكر رماله عليه الصلاة والسلام في طوافه واضطباعه

قال البخارى : حدثنا أصبغ بن الفرّج ، أخبرني ابن وهب ، عن يونس ، عن
ابن شهاب ، عن سالم عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدّم
مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يَحْبُ^(١) ثلاثة أشواط من السبع .

ورواه مسلم عن أبي الطاهر بن السرح ، وحرّملة ، كلاهما عن ابن وهب به .
وقال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا فليح ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سعى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشواط ومشى أربعة
في الحج والعمرة .

تابعه الليث : حدثني كثير بن فرقد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

انفرد به البخارى . .

وقد روى النسائي عن محمد وعبد الرحمن ابني عبد الله بن عبد الحكم ، كلاهما عن
شعيب بن الليث ، عن أبيه الليث بن سعد ، عن كثير بن فرقد ، عن نافع ، عن
ابن عمر به .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض ،
حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدّم ، سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة ثم
سجد سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة .

(١) يحب : يسرع ، وهو ضرب من الرمل .

ورواه مسلم من حديث موسى بن عُبَبة .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يَحْبُ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ويمشى أربعة ، وأنه كان يسعى بطنَ المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة » .

ورواه مسلم من حديث عبيد الله بن عمر . وقال مسلم : أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : رمّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا .

ثم رواه من حديث سليم بن أخضر ، عن عبيد الله بنحوه

وقال مسلم أيضا : حدثني أبو الطاهر ، حدثني عبد الله بن وهب ، أخبرني مالك وابن جريج ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمّل ثلاثة^(١) أطواف من الحجر إلى الحجر . وقال عمر بن الخطاب : فيم الرّمْلان والكشفُ عن المناكب ، وقد أظّد الله الإسلامَ ونفى الكفر ؟ ومع ذلك لا نترك شيئا كنا نفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي ، من حديث هشام بن سعيد ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه عنه

وهذا كلاء ردّ على ابن عباس ومن تابعه من أن الرّمْل ليس بسنة ، لأن رسول الله إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة - يدعى في عمرة القضاء - وقال المشركون : إنه يقدّم عليكم وفدٌ وهنّهم حتى يثرب . فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرمّلوا

الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وهذا ثابت في الصحيحين ، وتصريحه بغير سببه في صحيح مسلم أظهر .

فكان ابن عباس يُنكر وقوع الرَّمَل في حجة الوداع .

وقد صح بالنقل الثابت كما تقدم ، بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر ،

ولم يمش ما بين الركنتين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهي الضَّعْف .

وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس ، أنهم رملوا في عمرة الجعرانة

واضططبعوا ^(١) .

وهو ردُّ عليه ، فإن عمرة الجعرانة لم يَبْقَ في أيامها خوفٌ ، لأنها بعد الفتح

كما تقدم .

رواه حماد بن سلمة ، عن عبدالله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرملُوا بالبيت

واضططبعوا ووضعوا أُرْدِيَتَهُمْ تحت آباطهم وعلى عواتقهم .

ورواه أبو داود من حديث حماد بنحوه ، ومن حديث عبدالله بن خثيم ، عن أبي

الطُّفَيْل ، عن ابن عباس به .

فأما الاضططباع في حجة الوداع فقد قال قبيصة والفريابي ، عن سفیان الثوري ، عن

ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير بن شعبة ، عن يعلى بن أمية ، عن أمية ، قال : رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مُضْطَبَعًا .

رواه الترمذی من حديث الثوري ، وقال : حسن صحيح .

(١) الاضططباع : أن يدخل الرداء من تحت لبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ، ويبدى منكبه الأيمن

ويطلى الأيسر ، سمي به لإبداء أحد الضبعين .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن يعلى ، عن أبيه ، قال : طاف رسول الله مُضْطَبَعًا بِبُرْدٍ أَخْضَر .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن الثوري ، عن ابن جريج ، عن ابن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قَدِم طاف بالبيت وهو مُضْطَبَعٌ بِبُرْدٍ لَهُ خَضَرَمِي . وقال جابر في حديثه المتقدم : حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَلَ ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ : « واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًى » فجعل المقام بينه وبين البيت . فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما : « قل هو الله أحد » . و « قل يا أيها الكافرون » .

فإن قيل : فهل كان عليه السلام في هذا الطواف راكباً أو ماشياً ؟
فالجواب : أنه قد ورد بقلان ، قد يُظن أنهما متعارضان ، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما ورفع اللبس عند من يتوهم فيهما تعارضاً . وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال البخاري رحمه الله : حدثنا أحمد بن صالح ويحيى بن سليمان ، قالا : حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره في حجة الوداع يستلم الركن بِمَحْجَنٍ (١) .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا الترمذي ، من طرق عن ابن وهب .
قال البخاري : تابعه الدارقوتدي ، عن ابن أخي الزهري ، عن عمه .
وهذه المتابعة غريبة جداً .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن الثنئي ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ،

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ،
كلما أتى الركن أشار إليه .

وقد رواه الترمذى من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وعبد الوارث ،
كلاهما عن خالد بن مهران الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه .

وقال : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن خالد الحذاء ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، فلما أتى
الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكَبَّرَ .

تابعه إبراهيم بن طهمان ، عن خالد الحذاء .

وقد أسند هذا التعليق هاهنا فى كتاب الطواف ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى
عامر ، عن إبراهيم بن طهمان به .

وروى مسلم عن الحكم بن موسى ، عن شعيب بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف فى حجة الوداع حول
الكعبة على بعير يستلم الركن ، كراهية أن يضرب عنه الناس .

فهذا إثبات أنه عليه السلام طاف فى حجة الوداع على بعير ، ولكن حجة الوداع
كان فيها ثلاثة أطواف : الأول طواف القدوم ، والثانى طواف الإفاضة وهو طواف
القرض وكان يوم النحر ، والثالث طواف الوداع .

فلعل ركوبه صلى الله عليه وسلم كان فى أحد الآخرين أو فى كليهما ، فأما الأول
وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه . وقد نص الشافعى على هذا كله . والله أعلم وأحكم .
والدليل على ذلك ما قاله الحافظ أبو بكر البهقى فى كتابه الشئب الكبير : أخبرنا

أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، حدثنا الفضل ابن محمد بن المسيّب ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق هو - ابن يسار رحمه الله - عن أبي جعفر ، وهو محمد بن علي بن الحسين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلنا مكةَ عند ارتفاع الضحى ، فأتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بابَ المسجد فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، حتى فرغ . فلما فرغ قَبِلَ الحجرَ ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه . وهذا إسناد جيد .

فأما ما رواه أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا خالده بن عبد الله ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِمَ مكةَ وهو يشتكى ، فطاف على راحلته فلما أتى على الركن استلمه بِمِخْجَنٍ ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين .

تفرّد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف .

ثم لم يذكر أنه في حجة الوداع ، ولا ذكر أنه في الطواف الأول من حجة الوداع . ولم يذكر ابن عباس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم ، وكذا جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب في طوافه لضعفه ، وإنما ذكرنا كثرة الناس وغشيانهم له ، وكان لا يجب أن يُضَرَّ بها بين يديه . كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله .

ثم هذا التقبيل الثاني الذي ذكره ابن إسحاق [في روايته]^(١) بعد الطواف . وبعد ركعتيه أيضاً ، ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر . قال فيه ، بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف : ثم رجع إلى الركن فاستلمه .

وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شذبة وابن ميمر جميعاً ،

عن أبي خالد ، قال أبو بكر : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبّل يده . قال : وما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطوافات ، أو في آخر استلام فعل مثل هذا . لما ذكرنا أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعف كان به ، أو لثلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أذى به .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوالده ، مارواه أحمد في مسنده : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي يعفور العبدى ، قال : سمعت شيخا بمكة في إمارة الحجاج يحدث عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا عمر إنك رجل قوى ، لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وكبر .

وهذا إسناد جيد ، لكن راويه عن عمر مُبهم لم يُسم .

والظاهر أنه ثقة جليل ، فقد رواه الشافعى عن سفيان بن عيينة ، عن أبي يعفور العبدى واسمه وقْدَان ، سمعت رجلا من خزاعة حين قُتل ابن الزبير وكان أميراً على مكة يقول : قال رسول الله لعمر : يا أبا حفص إنك رجل قوى ، فلا تزاحم على الركن ، فإنك تؤذى الضعيف ، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض .

قال سفيان بن عيينة : هو عبد الرحمن بن الحارث ، كان الحجاج استعمله عليها مُنصرفه منها حين قُتل ابن الزبير .

قلت : وقد كان عبد الرحمن هذا جليلاً نبيلاً كبير القدر ، وكان أحد نفر الأربعة الذين ندبهم عثمان بن عفان في كتابة المصاحف التي نفذها إلى الآفاق ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق .

ذكر طوافه عليه السلام بين الصفا والمروة

روى مسلم في صحيحه عن جابر ، في حديثه الطويل المتقدم ، بعد ذكره طوافه عليه السلام بالبيت سبعاً وصلاته عند المقام ركعتين . قال : ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » أبداً بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله أُنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل ، حتى إذا انصبّت قدماه في الوادي رمّل ، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فرقى عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن هارون البلخي ، أبو حفص ، حدثنا ابن جريج ، عن بعض بني يعلى بن أمية ، عن أبيه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعا بين الصفا والمروة يبرّده نجراني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن المؤمل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، حدثنا عطية ، عن حبيبة بنت أبي نجران^(١) قالت : دخلت دار حصين في نسوة من قريش والنبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، قالت : وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعى وهو يقول لأصحابه . « اسمعوا إن الله كتب عليكم السعى » .

(١) الأصل غير منقوطة . وما أنبته عن هامش المشقة للذهبي ١ / ١١٢

وقال أحمد أيضاً : حدثنا سُريح ، حدثنا عبد الله بن المؤمل ، حدثنا عطاء بن أبي رباح ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة بنت أبي تَجْرَةَ قالت : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يَدُور به إزارُهُ وهو يقول : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي .

تفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن موسى بن عبيدة ، عن صفية بنت شيبة ، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول : « كتب عليكم السعي فاسعوا » .

وهذه المرأة هي حبيبة بنت أبي تَجْرَةَ المصرِّح بِذِكْرِها في الإسنادين الأولين . وعن أم ولد شيبة بن عثمان ، أنها أبصرت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لَا يُقَطَّعُ الْأَبْطَحُ إِلَّا شَدًّا » .

رواه النسائي ، والمراد بالسعي ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة ومنها إليها ، وليس المراد بالسعي ها هنا الهرولة والإسراع ، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً ، بل لو مشى الإنسان على هيئته في السَّيِّع الطوافات بينهما ولم يرمل في المسيل ، أجزأه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافاً في ذلك .

وقد نقله الترمذي رحمه الله عن أهل العلم . ثم قال : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن كثير بن جَهْمَان ، قال : رأيت ابنَ عمر يمشي في المسعى فقالت : أتمشي في السعي بين الصفا والمروة ؟ فقال : لئن سمعت فقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسعى ، ولئن مشيت لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ، وأنا شيخ كبير .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عطاء بن السائب ، عن كثير بن جهمان السلمي الكوفي ، عن ابن عمر .

فقول ابن عمر : إنه شاهد الحائض منه صلى الله عليه وسلم يحتمل شيئين : أحدهما : أنه رآه يسعى في وقت ماشياً لم يَنْزِجْه برَمَلٍ فيه بالسكبية . والثاني : أنه رآه يسعى في بعض الطريق ويمشي في بعضه .

وهذا له قوة ، لأنه قد روى البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة .

وتقدم في حديث جابر أنه عليه السلام : نزل من الصفا فلما انصببت قدماه في الوادي رَمَل ، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة .

وهذا هو الذي تستحبه العلماء فاطبة ، أن الساعي بين الصفا والمروة - وتقدم في حديث جابر - يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَرْمَلَ فِي بَطْنِ الْوَادِي فِي كُلِّ طَوَافَةٍ فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، وَحَدِّدُوا ذَلِكَ بِمَا بَيْنَ الْأُمِّيَالِ الْخَضِرِ ، فَوَاحِدٌ مُفْرَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ الصَّفا مِمَّا بِلَى الْمَسْجِدِ ، وَاثْنَانِ مَجْتَمِعَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْوَةِ مِمَّا بِلَى الْمَسْجِدِ أَيْضاً .

وقال بعض العلماء : ما بين هذه الأميال اليوم أوسع من بطن المسيل الذي رَمَلَ فِيهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالله أعلم .

وأما قول محمد بن حزم في الكتاب الذي جمعه في حجة الوداع : ثم خرج عليه السلام إلى الصفا فقرأ : « إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ، فَطَافَ

بين الصفا والمروة أيضا سبعا راكبا على بعير يَحْبُ ثَلَاثًا ويمشي أربعا . فإنه لم يُتَابَع على هذا القول ولم يتفوّه به أحد قَبْلَهُ ، من أنه عليه السلام حَبَّ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ بين الصفا والمروة ومشي أربعا .

ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يَذْكُرْ عليه دليلاً بالسكّية ، بل لما انتهى إلى موضع الاستدلال عاينه قال : ولم نجد عدد الرَّمَلِ بين الصفا والمروة منصوصاً ، ولكنه متفق عاينه .
هذا لفظه .

فإن أراد بأن الرَّمَلِ في الثلاث الطَّوْفَاتِ الأول ، على ما ذكر ، متفق عليه ، فليس بصحيح ، بل لم يقله أحد .

وإن أراد أن الرَّمَلِ في الثلاث الأول في الجملة متفق عليه ، فلا يُجْدِي له شيئاً ولا يحصل له مقصودا ، فإنهم كانوا انفقوا على الرمل في الثلاث الأول في بعضها ، على ما ذكرناه ، كذلك انفقوا على استحبابه في الأربع الآخر أيضا .
فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرَّمَلِ فيها مخالف لما ذكره العلماء . والله أعلم .

وأما قول ابن حزم إنه عليه السلام كان راكبا بين الصفا والمروة ، فقد تقدم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعي بطن المسيل .
أخرجاه .

وللترمذى عنه : إن أسعى فقد رأيت رسول الله يسعي ، وإن مشيت فقد رأيت رسول الله يمشي .

وقال جابر : فلما انصبّت قدماه في الوادي رَمَل ، حتى إذا صعد مشي .
رواه مسلم .

وقالت حَبِيبَةُ بِنْتُ أَبِي تَجْرَآةَ : يَسْعَى يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ مِنْ شِدَّةِ السَّعَى .
رواه أحمد .

وفي صحيح مسلم عن جابر كأن تقدم أنه رَقِيَ عَلَى الصَّفَاحِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ . وَكَذَلِكَ عَلَى الْمَرُوءَةِ .
وقد قدمنا من حديث محمد بن إسحاق ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنَاخَ بِعَمِيرِهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، يَعْنِي حَتَّى طَافَ ، ثُمَّ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ رَكِبَهُ حَالًا مَخْرَجًا إِلَى الصَّفَا .

وهذا كله مما يقتضى أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً .

ولكن قال مسلم : حدثنا عبدُ بنُ حميد ، حدثنا محمد - يعنى ابن بكر - أخبرنا ابن جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ عَلَى بَعِيرٍ ، لِيَرَاهُ النَّاسُ وَلِيَشْرَفَ وَلِيَسْأَلُوهُ ، فَإِنَّ النَّاسَ عَشَوْهُ وَلَمْ يَطُفِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَصْحَابُهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ إِلَّا طَوَافًا وَاحِدًا .

ورواه مسلم أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن علي بن مُسْهِرٍ ، وعن علي بن خُشْرَمٍ ، عن عيسى بن يونس ، وعن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، كلهم عن ابن جُرَيْجٍ بِهِ . وليس في بعضها : وبين الصفا والمروة .

وقد رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد الْقَطَّانِ ، عن ابن جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ .

ورواه النسائي عن الْقَلَّاسِ عَنْ يَحْيَى ، وعن عمران بن يزيد ، عن سعيد بن إسحاق ،
كلاماً عن ابن جُرَيْجٍ بِهِ .

فهذا محفوظ من حديث ابن جريج . وهو مُشْكِلٌ جداً ، لأن بقية الروايات عن جابر وغيره تدل على أنه عليه السلام كان ماشياً بين الصفا والمروة . وقد تكون رواية أبي الزبير عن جابر لهذه الزيادة وهى قوله : وبين الصفا والمروة مُقَحَّمَةٌ أو مُدْرَجَةٌ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابِ . والله أعلم .
أو أنه عليه السلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطَّوْفَانِ على قدميه ، وشوهد منه ما ذُكِرَ ، فلما ازدحم الناس عليه وكثروا رَكِبَ ، كما يدل عليه حديث ابن عباس الآتى قريباً .

وقد سلم ابن حَزْمٌ أن طوافه الأول بالبيت كان ماشياً ، وحل ركوبه في الطواف على ما بعد ذلك . وادعى أنه كان راكباً في السعى بين الصفا والمروة قال : لأنه لم يطف بينهما إلا مرة واحدة ، ثم تأول قول جابر : حتى إذا انصبت قدماء في الوادى رَمَلَ . بأنه يَصْدُقُ ذلك وإن كان راكباً ، فإنه إذا انصب بعيره فقد انصب كله وانصبت قدماء مع سائر جسده . قال : وكذلك ذُكِرَ الرَّمْلُ يعنى به رَمَلَ الدابة براكبها . وهذا التأويل بعيد جداً . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا أبو سَلمة موسى ، حدثنا حماد ، أنبأنا أبو عاصم الغنوى ، عن أبي الطفيل ، قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَمَلَ بالبيت وأن ذلك من سُنَّته ^(١) . قال : صدقوا وكذبوا . فقلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رَمَلَ رسولُ الله ، وكذبوا ليس بسُنَّة ، إن قريشاً قالت زمن الحُدَيْبِيَّة : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النَّعْفِ ^(٢) ، فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قِبَلِ قُعَيْقِعَانَ ، فقال رسول الله لأصحابه : ارملوا بالبيت ثلاثاً . وليس بسُنَّة .

(١) : وأن ذلك سنة . (٢) النعف : الدود وهو يضرب المستحقر .

قلت : يزعم قومك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير ، وأن ذلك سنة . قال : صدقوا وكذبوا . قات : ما صدقوا وكذبوا ؟ قال : صدقوا ، قد طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير ، وكذبوا ليست بسنة ، كان الناس لا يُدفعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يُضرفون عنه ، فطاف على بعير ليستمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تغاله أيديهم .
هكذا رواه أبو داود .

وقد رواه مسلم عن أبي كامل ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الجريزي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، فذكر فضل الطواف بالبيت كمنحوا ما تقدم ثم قال : قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا ، أسنة هو ؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة . قال : صدقوا وكذبوا . قلت : فما قولك صدقوا وكذبوا ؟

قال : إن رسول الله كثر عليه الناس يقولون : هذا محمد هذا محمد حتى خرج العوائق من البيوت ، وكان رسول الله لا يُضرب الناس بين يديه ، فلما كثر عليه الناس ركب قال ابن عباس : والمشى والسعى أفضل .

هذا لفظ مسلم . وهو يقتضى أنه إنما ركب في أثناء الحال . وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم .

وأما ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي الطنيل ، قال : قلت لابن عباس : أراني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فصِّفه لى . قلت : رأيته عند المروة على ناقة وقد كثر الناس عليه . فقال ابن عباس : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم كانوا لا يُضربون عنه ولا يُكْرهون .

فقد تفرد به مسلم ، وليس فيه دلالة على أنه عليه السلام سعى بين الصفا والمروة راكباً ، إذ لم يقيّد ذلك بحجة الوداع ولا غيرها . وبتقدير أن يكون ذلك في حجة الوداع فمن الجائز أنه عليه السلام بعد فراغه من السعى وجلسه على المروة وخطبته الناس وأمره بإيام من لم يسق الهدى منهم أن يفسخ الحج إلى العمرة ، فخل الناس كلهم إلا من ساق الهدى ، كما تقدم في حديث جابر . ثم بعد هذا كله أتى بناقته فركبها وسار إلى منزله بالأبطح ، كما سذكروه قريباً ، وحينئذ رآه أبو الطفيل عامر بن واثلة البكري ، وهو معدود في صفار الصحابة .

قلت : قد ذهب طائفة من العراقيين كأبي حنيفة وأصحابه والثوري إلى أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ، وهو مروى عن عليّ وابن مسعود ومجاهد والشعبي . ولهم أن يحتجوا بحديث جابر الطويل ، ودلالته على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشياً ، وحديثه هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى بينهما راكباً على تعداد الطواف بينهما مرة ماشياً ومرة راكباً .

وقد روى سميد بن منصور في سننه عن علي رضي الله عنه ، أنه أهلّ بحجة وعمره ، فلما قدم مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرة ، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجته ، ثم أقام حراماً إلى يوم النحر .

هذا لفظه . ورواه أبو ذرّ الهروي في مناسكه عن علي ، أنه جمع بين الحج والعمرة فطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل .

وكذلك رواه البيهقي ودارقطني والنسائي في خصائص علي . فقال البيهقي في سننه : أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا علي بن عمير الحافظ ، أنبأنا أبو محمد بن صاعد ، حدثنا محمد بن زُنْبُور ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن مالك

ابن الحارث ، أو منصور عن مالك بن الحارث ، عن أبي نصر ، قال : لقيتُ عليًّا وقد أهْلَتْ بالحج وأهْلٌ هو بالحج والعمرة ، فقلت : هل أستطيع أن أفعل كما فعلتَ ؟ قال : ذلك لو كنت بدأت بالعمرة . قلت : كيف أفعل إذا أردتُ ذلك ؟ قال : تأخذ إداوةً من ماء فتُفِيضُها عليك ، ثم تُهَلِّ بِهَما جميعاً ثم تطوف لهما طوافين وتسمي لهما سعيين ولا يحل لك حرام دون يوم النحر .

قال منصور : فذكرت ذلك لمجاهد قال : ما كنا نَبْنِي إلا بطواف واحد ، فأما الآن فلا نفعل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه سفيان بن عُيينة وسُفيان الثوري وشُعْبة عن منصور ، فلم يذكر فيه السعي . قال : وأبو نصر هذا مجبول . وإن صح فيحتمل أنه أراد طواف القدوم وطواف الزيارة .

قال : وقد روى بأسانيد آخر عن عليّ مرفوعاً وموقوفاً ، ومدارها على الحسن بن عمار وحفص بن أبي داود وعيسى بن عبد الله وحماد بن عبد الرحمن ، وكلهم ضعيف لا يحتاج بشيء مما رَوَوْه في ذلك . والله أعلم .

قلت : والمنقول في الأحاديث الصَّحاح خلاف ذلك ^(١) .

فقد قدَّمنا عن ابن عمر في صحيح البخاري أنه أهْلٌ بعمرة وأدخل عليها الحج ، فصار قارناً ، وطاف لهما طوافاً واحداً بين الحج والعمرة . وقال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث الدَّراوَرْدِي ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين الحج والعمرة طاف لهما طوافاً واحداً وسمي لهما سعيًا واحداً » .

قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب .

قلت : إسناده على شرط مسلم .

وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين ، فإنها كانت ممن أهلَّ بعمره لعدم سوق الهدى معها ، فلما حاضت أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتهلَّ بحج مع عمرتها ، فصارت قارئةً ، فلما رجعوا من منى طلبت أن يُعمرها من بعد الحج ، فأعمرها تطييباً لقلبها ، كما جاء مصرحاً به في الحديث .

وقد قال الإمام أبو عبد الله الشافعى : أنبأنا مُسلم - هو ابن خالد - الزَّنجى ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة : طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك .

وهذا ظاهره الإرسال ، وهو مُسنَد في المعنى ، بدليل ما قال الشافعى أيضا : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن عطاء ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعى : وربما قال سفيان : عن عطاء ، عن عائشة وربما قال : عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة . فذكره .

قال الحافظ البيهقى : ورواه ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة موصولا . وقد رواه مسلم من حديث وهيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن عائشة بمثله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابرا يقول : دخل رسول الله على عائشة وهى تبكى ، فقال : مالك تبكين ؟ قالت : أبكى أن الناس حلَّوا ولم أحلَّ وطافوا بالبيت ولم أطف ، وهذا الحج قد حضر .

قال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم ، فاعتسلى وأهِّلَ بحج . قالت : ففعلتُ ذلك ، فلما طهرتُ قال : « طوفى بالبيت وبين الصفا والمروة ثم قد حلَّلت من حجك

وعمرتك» قلت : يا رسول الله إني أجد في نفسي من عمرتي أني لم أكن طُفْتُ حتى حججت
قال : « اذهب بها يا عبد الرحمن فأغمرها من التَّغْمِغِ » .

وله من حديث ابن جريج أيضا : أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابراً قال : لم
يُطِف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً .
وعند أصحاب أبي حنيفة رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين
ساقوا الهدى كانوا قد قرنوا بين الحج والعمرة ، كما دل عليه الأحاديث المتقدمة .
والله أعلم .

وقال الشافعي : أنبأنا إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، قال
في القارن : يطوف طوافين ويسعى سعيًا .

قال الشافعي : وقال بعض الناس : طوافان وسعيان . واحتج فيه برواية ضعيفة عن
علي ، قال جعفر : يُروى عن علي قولنا ، ورويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم .
لسكن قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، ومحمد بن رافع ، قالا : حدثنا
أبو عاصم ، عن معروف - يعني ابن خربوذ المسكي - حدثنا أبو الطفيل ، قال : رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بمِخْجَنٍ ثم يقبله .
زاد محمد بن رافع : ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعاً على راحلته .

وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن معروف بن خربوذ
به . بدون الزيادة التي ذكرها محمد بن رافع . وكذلك رواه عبيد الله بن موسى عن
معروف بدونها . ورواه الحافظ البيهقي عن أبي سعيد بن أبي عمرو ، عن الأصم ، عن
يحيى بن أبي طالب ، عن يزيد بن أبي حكيم ، عن يزيد بن مالك ، عن أبي الطفيل
بدونها . قاله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن الحسن وأبو زكريا بن أبي إسحاق ، قالا :

حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبيد الله بن موسى وجعفر بن عون ، قالوا : أنبأنا أيمن بن نابل ، عن قدامة بن عبد الله بن عمار قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي بين الصفا والمروة على بعير لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إِلَيْكَ إِلَيْكَ .

وقال البيهقي : كذا قالوا . وقد رواه جماعة غير أيمن فقالوا : يرمى الجمرة يوم النحر . قال : ويحتمل أن يكونا صحيحين .

قلت : رواه الإمام أحمد في مسنده ، عن وكيع وقران بن تمام ، وأبي قُرّة موسى ابن طارف قاضي أهل اليمن ، وأبي أحمد محمد بن عبد الله الزبيري ومُعْتَمِر بن سليمان ، عن أيمن بن نابل الحبشي أبي عمران المكي نزيل عَسْقَلان مولى أبي بكر الصديق ، وهو ثقة جليل من رجال البخاري ، عن قدامة بن عبد الله بن عمار السِّكَلَابِي ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر من بطن الوادي على ناقه صَهْبَاء لا ضرب ولا طَرْد ولا إِلَيْكَ إِلَيْكَ .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن مَنِيع ، عن مروان بن معاوية . وأخرجه النسائي عن إسحاق بن راهويه . وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه ، كلاهما عن وكيع ، كلاهما عن أيمن بن نابل ، عن قدامة . كما رواه الإمام أحمد . وقال الترمذي : حسن صحيح .

فصل

قال جابر في حديثه : حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال : « إني لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى » . رواه مسلم .

ففيه دلالة على من ذهب إلى أن السعى بين الصفا والمروة أربعة عشر ، كلُّ ذهاب وإياب يُحسب مرَّةً . قاله جماعة من أكابر الشافعية .

وهذا الحديث ردُّ عليهم ، لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة .

ولهذا قال أحمد في روايته في حديث جابر : فلما كان السابع عند المروة قال : « أيها الناس إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن لم يكن معه هدى فليَحِلَّ وليجعلها عمرة » فحلَّ الناسُ كلهم .

وقال مسلم : فحلَّ الناسُ كلهم وقصَّروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى .

فصل

روى أمره عليه السلام لمن لم يسق الهدى بفسخ الحج إلى العمرة خلق من الصحابة يطول ذكرنا لهم ها هنا ، وموضع سرِّ ذلك كتاب الأحكام الكبير . إن شاء الله .

وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي : كان ذلك من خصائص الصحابة ، ثم نسخ جواز الفسخ لغيرهم . وتمسكوا بقول أبي ذر رضى الله عنه : لم يكن فسْخُ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم .

وأما الإمام أحمد فردَّ ذلك ، وقال : قد رواه أحد عشر صحابيا ، فأين تقع هذه الرواية من ذلك ؟ وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما بوجوب الفسخ على كل من لم يسق الهدى ، بل عنده أنه يحلّ شرعاً إذا طاف بالبيت ، ولم يكن ساق هدياً صار حلالاً بمجرد ذلك ، وليس عنه النسك إلا الإقتران لمن ساق الهدى أو التمتع لمن لم يسق . فالله أعلم

قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد الملك بن جريج ، عن عطاء ، عن جابر . وعن طاوس عن ابن عباس ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صُبحَ رابعةٍ من ذى الحجة يهلّون بالحج لا يخلطه شيء ، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرةً وأن نحلّ إلى نسائنا ، ففشت في ذلك ^(٢) المقالة .

قال عطاء : قال جابر : فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً ! قال جابر - بكفه - فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بلغنى أن قوما يقولون كذا وكذا . والله لأننا أبرئ وأنتى لله منهم ، ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معى الهدى لأحللت .

فقام سراقه بن جعشم فقال : يا رسول الله هي لنا أو للأبد ؟ فقال : بل للأبد .

وقال مسلم : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، هو ابن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أنه قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله بحج مفرد ، وأقبلت عائشة بعمرة ، حتى إذا كنا بسرف عرّكت ^(١) حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفاء والمروة ، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلّ منا من لم يكن معه هدى . قال : فقلنا : حلّ ماذا ؟ قال : الحل كله فواقفنا النساء وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثيابا وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال .

فهذان الحديثان فيهما التصريح بأنه عليه السلام قدِم مكة عام حجة الوداع لصبح رابعة ذى الحجة ، وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضحى لأن أول ذى الحجة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف ، لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنص حديث عمر بن الخطاب الثابت في الصحيحين . كما سيأتى

فلما قدِم عليه السلام يوم الأحد رابع الشهر ، بدأ كما ذكرنا بالطواف بالبيت ثم بالسعى بين الصفا والمروة ، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر من لم يكن معه هدى أن يحلّ من إحرامه حتماً ، فوجب ذلك عليهم لا محالة ففعلوه وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه السلام لم يحلّ من إحرامه لأجل سؤقه الهدى ، وكانوا يُحبّون موافقته عليه السلام والتأسي به ، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عُمره .

أى لو أعلم أن هذا يشقّ عليكم لكنت تركت سوق الهدى حتى أحلّ كما أحلّتم .

ومن هنا تتّضح الدلالة على أفضلية التمتع ، كما ذهب إليه الإمام أحمد ، أخذاً من هذا ، فإنه قال : لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارناً ، ولكن التمتع أفضل لتأسفه عليه .

وجوابه : أنه عليه السلام لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل من القرآن في حق من ساق الهدى ، وإنما تأسف عليه لئلا يشقّ على أصحابه في بقائه على إحرامه وأمره لهم بالإحلال .

ولهذا - والله أعلم - لما تأمل الإمام أحمد هذا السرّ نص في رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضل في حق من لم يسق الهدى ، لأمره عليه السلام من لم يسق الهدى من أصحابه بالتمتع ، وأن القرآن أفضل في حق من ساق الهدى ، كما اختار الله

عز وجل لنبيه صلوات الله وسلامه عليه في حجة الوداع وأمره له بذلك كما تقدم .
والله أعلم .

فصل

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأمره
بالفسخ لمن لم يسق الهدى ، والناس معه حتى نزل بالأبطح شرق مكة فأقام هنالك
بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس ،
كل ذلك يصلي بأصحابه هنالك ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها .

قال البخاري : باب من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع
بعد الطواف الأول :

حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، قال
أخبرني كريب ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة
فطاف سبعا وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع
من عرفة .

انفرد به البخاري .

فصل

وقديم - في هذا الوقت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْبِخٌ بالبطحاء خارج مكة -
على من اليمن .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه - كما قدمنا - إلى اليمن أميراً بعد خالد بن
الوليد رضى الله عنهما .

فلما قدِم وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَلَّت ، كما حل أزواجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لم يسوقوا الهدى ، واكتحلَّت ولبست ثيابا صَدِيفًا فقال : من أمرِك بهذا ؟ قالت : أبى .

فذهب مُحَرِّشًا عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنها حَلَّت ولبست ثيابا صَدِيفًا واكتحلَّت ، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسول الله .

فقال : صدقت صدقت صدقت . ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم أهلت حين أَوْجَبْتَ الحج ؟ قال : بإهلال كَاهِلَالِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . قال : فإن معي الهدى فلا تحِلْ .

فكان جماعةُ الهدى الذى جاء به على من اليمين والذى أتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة واشتراه فى الطريق مائةً من الإبل ، واشتركا فى الهدى جميعا . وقد تقدم هذا كله فى صحيح مسلم رحمه الله .

وهذا التقرير يردُّ الرواية التى ذكرها الحافظ أبو القاسم الطَّبْرَانِي رحمه الله من حديث عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عليًّا تلقى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إلى الجحفة . والله أعلم .

وكان أبو موسى فى جُحْلَةٍ من قدِم مع على ، واسكنه لم يَسْقُ هديًا ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحِلَّ بعد ما طاف للعمرة وسعى ، ففسخ حجَّه إلى العمرة وصار متمتعًا ، فكان يفتى بذلك فى أثناء خلافة عمر بن الخطاب . فلما رأى عمرُ بن الخطاب أن يُفرد الحجَّ عن العمرة ترك فتياه مهابةً لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، عن أبيه ، قال : رأيت بلالًا يؤذن ويدور ويُتَبَّعُ فاه هاهنا وهاهنا وإصبعاه فى أذنيه . قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له حمراء أراها من أدَم . قال : فخرج بلال

بين يديه بالعِزَّة^(١) فرَكَّزها فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال عبد الرزاق : وسمعتُه بمكة قال : بالبَطْحَاءِ يَمْرُؤُ بين يديه الكلب والمرأة والحمار
وعليه حُلَّة حمراء ، كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقِيهِ . قال : سَفِيَانُ نَرَاهَا حَبْرَةً .
وقال أحمد : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
قال : نَبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْطَحِ وهو في قبة له حمراء ، فخرج بلال بفضله
وضوئه ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ . قال : فَأَذَّنَ بِلَالٌ ، فَكُنْتُ أَتَّبِعُ فَاهُ هَكَذَا وَهَكَذَا
— يَعْنِي يَمِينًا وَشِمَالًا — قال : ثُمَّ رُكِبَتْ لَهُ عَزَّةٌ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه جبة له حمراء أو حُلَّة حمراء ، وكَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقِيهِ ، فصلى بنا إلى عَزَّةِ
الظَهْرِ أو العَصْرِ ركعتين ، تمر المرأة والكلب والحمار لا يُمنع ، ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى
أتى المدينة .

وقال مرة : فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين .
وأخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري .
وقال أحمد أيضا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ؛ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ وَحُجَّاجٌ ، عَنْ الْحَكَمِ ، سَمِعْتُ
أَبَا جُحَيْفَةَ قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء ، فتوضأ وصلى
الظهر ركعتين وبين يديه عَزَّةٌ .

وزاد فيه عَوْنُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ : وَكَانَ يَمْرُؤٌ مِنْ وَرَائِنَا الْحِمَارَ وَالْمَرْأَةَ .
قال حجاج في الحديث : ثُمَّ قَامَ النَّاسُ فَعَمَلُوا بِأَخْذُونِ يَدِهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ
قال : فَأَخَذْتُ يَدَهُ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلَاجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا
من المسك .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث شعبة بن عامر .

(١) العِزَّة : رميح بين العَصَا والرمح فيه زج .

فصل

فأقام عليه السلام بالأبطح - كما قدمنا - يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء . وقد حلَّ الناسُ إلّا من ساق الهدى .

وقدِم في هذه الأيام على بن أبي طالب من اليمن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال ، ولم يَعد عليه السلام إلى الكعبة بعد ما طاف بها . فلما أصبح عليه السلام يوم الخميس صلى بالأبطح الصبح من يومئذ ، وهو يوم التَّروية ، ويقال له يوم مَنى لأنه يُسار فيه إليها .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب قبل هذا اليوم ، ويقال للذي قبله فيما رأيته في بعض التعاليق يومُ الزينة ، لأنه يزِين فيه البُدن بالجلال^(١) ونحوها فإله أعلم .

قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الجلودى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن مهران ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا أبو قُرّة ، عن موسى بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يومَ التَّروية خطب الناسَ فأخبرهم بمناسكهم .

فركب عليه السلام قاصداً إلى منى قبل الزوال ، وقيل بعده ، وأُحرَم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى منى ، وانبعثت رواحلهم نحوها .

قال عبد الملك ، عن عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، قدِمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحللنا ، حتى كان يوم التروية وجعلنا مكة منا بظَهْر ، لبينا بالحج . ذكره البخارى تعليقا مجزوما .

(١) الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن جابر ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخلطنا أن نُحْرَمَ إذا توجهنا إلى منى . قال : وأهلنا من الأبطح .

وقال عبيد بن جريج لا بن عمر : رأيته إذا كنت بمسكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم يُهَلَّ أنت حتى يوم التروية ؟ فقال : لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يهَلُّ حتى تنبعث به راحلته .

رواه البخارى فى جملة حديث طويل ^(١) .

قال البخارى : وسئل عطاء عن المجاور منى يابى بالحج . فقال : كان ابن عمر يلجى يوم التروية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته .

قلت : هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حج معتمراً ، يحل من العمرة ، فإذا كان يوم التروية لا يلبى حتى تنبعث به راحلته متوجهاً إلى منى ، كما أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بعد ما صلى الظهر وانبعثت به راحلته .

لكن يوم التروية لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالأبطح ، وإنما صلاحها يومئذ بمنى ، وهذا مما لا نزاع فيه .

قال البخارى : باب أين يصل الظهر يوم التروية .

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا إسحاق الأزرق ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : سألت أنس بن مالك قال : قلت : أخبرنى بشيء عَقَلَت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهر والمصر يوم التروية ؟ قال : بمنى . قلت : فأين صلى العصر يوم التمر ؟ قال : بالأبطح . ثم قال : افعل كما يفعل أمراؤك !

(١) الحديث بطوله فى صحيح البخارى فى كتاب اللباس : باب النعال السنية وغيرها . ٢٥٠/٤ ط الأُميرية

وقد أخرج بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان الثوري به . وكذلك رواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به . وقال الترمذى : حسن صحيح يستغرب من حديث الأزرق ، عن الثوري .

ثم قال البخارى : أنبأنا على ، سمع أبا بكر بن عيَّاش ، حدثنا عبد العزيز بن رُفيع ، قال : لقيت أنس بن مالك . وحدثني إسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن عبد العزيز ، قال :

خرجتُ إلى منى يوم التَّروية فلقيت أنسًا ذاهبًا على حمار ، فقلت : أين صلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم الظهر ؟ فقال : انظر حيث يصلى أسراؤك فصل .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو كُدَيْنة ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خمس صلوات بمنى . وقال أحمد أيضا : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو نَحْيَةَ يَحْيَى بن يعلى التَّيْمِي ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس] ^(١) ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية بمنى وصلى الغداة يوم عرفة بها .

وقد رواه أبو داود عن زهير بن حَرْب ، عن أخوص ، عن جواب ، عن عمار بن رزيق ، عن سليمان بن مهران الأعمش به . ولفظه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى .

وأخرجه الترمذى عن الأشج ، عن عبد الله بن الأجلح ، عن الأعمش بمعناه . وقال : ليس هذا مما عدّه شعبة فيما سمعه الحكم عن مِقْسَم .

وقال الترمذى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : صلى بنا رسول الله بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم غدا إلى عَرَقات . ثم قال : وإسماعيل بن مسلم قد تكلم فيه .

وفي الباب عن عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك .
وقال الإمام أحمد : حدثنا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه راح إلى منى يوم التروية
وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يُظلل به رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني
من الحر - .

تفرد به أحمد .

وقد نص الشافعي على أنه عليه السلام ركب من الأبطح إلى منى بعد الزوال ، ولكنه
إنما صلى الظهر بمنى ، فقد يستدل له بهذا الحديث . والله أعلم .

وتقدم في حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : فخل الناس كلهم وقصروا
إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى
فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب
والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة له من شعر فضربت
له بئيرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام ،
كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بئيرة ،
فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب
الناس . وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا
في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي ، ودماء الجاهلية موضوعة
وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وكان مسترضعا في بني سعد فقتلته
هذيل . وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع

كله ، واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تسكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال : بإصبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد . ثلاث مرات .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : أنبأنا علي بن حجر ، عن مغيرة ، عن موسى بن زياد بن حذيم بن عمرو السعدي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع : « اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحُرْمَةِ يومكم هذا كحُرْمَةِ شهركم هذا كحُرْمَةِ بلدكم هذا .

وقال أبو داود : باب الخطبة على المنبر بعرفة : حدثنا هناد ، عن ابن أبي زائدة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من بني ضَمْرَةَ ، عن أبيه أو عمه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر بعرفة .

وهذا الإسناد ضعيف ، لأن فيه رجلاً مُبْنِهما . ثم تقدّم في حديث جابر الطويل أنه عليه السلام خطب على ناقته القَصْواء .

ثم قال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا عبد الله بن داود ، عن سلمة بن خُبَيْط ، عن رجل من الحلي ، عن أبيه نُبَيْط ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفة على بعير أحمر يخطب .

وهذا فيه مُبْنِهم أيضاً ، ولاكن حديث جابر شاهد له .

ثم قال أبو داود : حدثنا هناد بن السري وعثمان بن أبي شيبة ، قالا : حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن أبي عمرو ، قال : حدثني العداء بن خالد بن هُوْذَةَ . وقال هناد : عن

عبد المجيد ، حدثني خالد بن العلاء بن هوذة ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم عرفة على بعير قائماً في الرككَيْنِ .

قال أبو داود : رواه ابن العلاء عن وكيع كما قال هناد . وحدثنا عباس بن عبدالمعظم ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا عبد المجيد أبو عمرو ، عن العلاء بن خالد بمعناه .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات : « من لم يجد نعلين فليلبس الخفين ، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للأجر » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أيها الناس إن رسول الله يقول : هل تدرون أي شهر هذا ؟ فيقولون : الشهر الحرام . فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا . وذكر تمام الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني إيث بن أبي سليم ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة في حاجة ، فبلغته ثم وقفت تحت ناقته وإن لعابها ليقع على رأسي ، فسمعتة يقول : « أيها الناس إن الله أدّى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لو ارث . والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مآليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عمرو بن خارجة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

قلت : وفيه اختلاف على قتادة . والله أعلم .
وسند ذكر الخطبة التي خطبها عليه السلام بعد هذه الخطبة يوم النحر ، وما فيها من
الحكم والمواظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله .

قال البخارى : باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة :
حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن محمد بن أبي بكر الثقفى ، أنه سأل أنس بن
مالك وهما غاديان من منى إلى عرفة : كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان يهل منا المهل فلا يُنكر عليه ويكبر المكبر منا فلا
ينكر عليه .

وأخرجه مسلم من حديث مالك وموسى بن عتبة ، كلاهما عن محمد بن أبي بكر بن
عوف بن رباح الثقفى الحجازى ، عن أنس به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن
عبد الله ، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتى بعبد الله بن
عمر فى الحج ، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس - أو زالت
الشمس - فصاح عند فسطاطه : أين هذا ؟ فخرج إليه . فقال ابن عمر : الرواح . فقال :
الآن ؟ قال : نعم . فقال : أنظرنى حتى أفيض على ماء . فنزل ابن عمر حتى خرج ، فسار
بينى وبين أبي فقلت^(١) : إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فأقصر الخطبة ومجّل الوقوف
فقال ابن عمر : صدق .

ورواه البخارى أيضا عن القعنبي عن مالك . وأخرجه النسائى من حديث أشهب
وابن وهب ، عن مالك .

ثم قال البخارى ، بعد روايته هذا الحديث : وقال الليث : حدثنى عقيل ، عن ابن

(١) القائل : سالم بن عبد الله للحجاج بن يوسف .

شهاب ، عن سالم ، أن الحجاج عام نزل بآبن الزبير سأل عبد الله : كيف تصنع في هذا الموقف ؟ فقال : إن كنت تريد السنة فهِجِّر بالصلاة يوم عرفة . فقال ابن عمر : صدق ، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة . فقلت لسالم : أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هل يبتغون بذلك إلا سنة ؟

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عوف ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة فنزل بنمرة وهي منزل الإمام الذي ينزل به بعرفة ، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجراً ، فجمع بين الظهر والعصر .

وهكذا ذكر جابر في حديثه بعد ما أورد الخطبة المقدمة قال : ثم أذن بلال ثم أقام ، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً .

وهذا يقتضى أنه عليه السلام خطب أولاً ثم أقيمت الصلاة ، ولم يتعرض للخطبة الثانية . وقد قال الشافعى : أنبأنا إبراهيم بن محمد وغيره ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه وعن جابر في حجة الوداع^(١) ، قال : فراح النبي صلى الله عليه وسلم إلى الموقف بعرفة فخطب الناس الخطبة الأولى ثم أذن بلال ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان ، ثم أقام بلال فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر .

قال البيهقى : تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى .

قال مسلم : عن جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير ، عن كريب ، عن ميمونة ، أن الناس شكوا في صيام النبي صلى الله عليه وسلم

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِحِلَابٍ^(١) وَهُوَ وَقَفَ فِي الْمَوْقِفِ ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .
وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعِيدٍ الْأَيْلِيِّ ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ بِهِ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ ، أَنْبَأَنَا مَالِكٌ ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ
عُمَيْرٍ ، عَنْ عُمَيْرِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا
يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ صَائِمٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ
بَصَائِمٌ . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ لَبَنٍ وَهُوَ وَقَفَ عَلَى بَعِيرِهِ فَشَرِبَهُ .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ أَيْضًا . وَأَخْرَجَاهُ مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي النَّضْرِ بِهِ .
قُلْتُ : أُمُّ الْفَضْلِ هِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَصَّتْهُمَا وَاحِدَةً . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . وَصَحَّ إِسْنَادُ الْإِرْسَالِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهَا ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ تَعَدَّدَ
الْإِرْسَالُ مِنْ هَذِهِ وَمِنْ هَذِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، قَالَ : لَا أَدْرِي أَسَمِعْتُهُ مِنْ سَعِيدِ
ابْنِ جُبَيْرٍ أَمْ عَنْ بَنِيهِ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ وَهُوَ يَأْكُلُ رُمَّانًا ،
وَقَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الْفَضْلِ بَابِنَ فَشَرِبَهُ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ : أَنَّهُمْ تَمَارَوْا فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَأَرْسَلَتْ أُمُّ فَضْلٍ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ بَابِنَ فَشَرِبَهُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَبُو بَكْرِ ، قَالَا : أَنْبَأَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ
عَطَاءٌ : دَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الطَّعَامِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَصُصْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَرَّبَ إِلَيْهِ حِلَابَ فِيهِ ابْنُ يَوْمَ عَرَفَةَ فَشَرِبَ مِنْهُ ، فَلَا تَصُصْ
فَإِنَّ النَّاسَ مُسْتَفْتُونَ بِكُمْ . وَقَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ وَرَوْحٌ : إِنَّ النَّاسَ يَسْتَفْتُونَ بِكُمْ .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : قال : بَدَّنا رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فَوَقَّصَتْهُ أَوْ قَل فَأَوْقَصَتْهُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اغسلوه بماء وسِدْر وكفنوه في ثوبين ولا تُمَسِّوه طيبا ولا تَحْمَرُّوا رَأْسَهُ ولا تَحْنَطُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد .

وقال النسائي : أنبأنا إسحاق بن إبراهيم ، هو ابن راهويه ، أخبرنا وكيع ، أنبأنا سفيان الثوري ، عن بكير بن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يعمر الدَّيْلِي ، قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، وأتاه أناسٌ من أهل نجد فسألوه عن الحج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجُّ عرفة ، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تمَّ حَجُّهُ » .

وقد رواه بقية أصحاب السنن من حديث سفيان الثوري . زاد النسائي وشعبة عن بُكَيْرٍ

ابن عطاء به .

وقال النسائي : أنبأنا قتيبة ، أنبأنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني عمرو بن عبد الله ابن صفوان أن يزيد بن شيبان قال : كنّا وقوفاً بعرفة مكانا بعيداً من الموقف ، فأنا ابنُ مِرْبَعٍ الأنصاري فقال : إني رسول رسول الله إليكم يقول ، لكم : « كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال

الترمذي : هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وابن مِرْبَعٍ اسمه زيد بن مِرْبَعٍ الأنصاري ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد .

قال : وفي الباب عن علي وعائشة وجُبَيْر بن مُطْعَمٍ والنَّزَّيْد بن سُويْد . وقد تقدم

من رواية مسلم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقفتُ هاهنا وعرفة كلها موقفٌ : زاد مالك في مؤلفه : وارفموا عن بطن عرفة .

فصل

فيما حُفِظَ من دعائه عليه السلام وهو واقف بعرفة

قد تقدم أنه عليه السلام أفطر يوم عرفة ، فدلَّ على أن الإفطار هناك أفضل من الصيام ، لما فيه من التقوى على الدعاء ، لأنه المقصود الأهم هناك . ولهذا وقف عليه السلام وهو راكب على الراحلة من لَدُن الزوال إلى أن غربت الشمس .

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده ، عن حَوْشَب بن عَقِيل ، عن مَهْدَى المجَرى ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نَهَى عن صوم يوم عرفة بعرفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدَى ، حدثنا حَوْشَب بن عَقِيل ، حدثني مَهْدَى الحاربي ، حدثني عكرمة مولى ابن عباس ، قال : دخلتُ على أبي هريرة في بيته فسألتُه عن صوم يوم عرفة بعرفات ، فقال : نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم عرفة بعرفات . وقال عبدُ الرحمن مرةً : عن مَهْدَى العَبْدِي .

وكذلك رواه أحمد عن وكيع ، عن حَوْشَب ، عن مَهْدَى العَبْدِي فذكره . وقد رواه أبو داود عن سليمان بن حرب ، عن حَوْشَب ، والنسائي عن سليمان بن مَعْبَد ، عن سليمان بن حرب به . وعن الفلاس عن ابن مَهْدَى به . وابن ماجه عن أبي بكر بن أنى شعبة وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن حَوْشَب .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو أسامة الكلابي ، حدثنا حسن بن الربيع ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن حوشب بن عقيل ، عن مَهْدِي الهَجَرِي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة .

قال البيهقي : كذا قال الحارث بن عبيد ، والحفوط : عن عكرمة عن أبي هريرة

وروى أبو حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي ، في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ، أنه سئل عن صوم يوم عرفة فقال : حَبَّجْتُ مع رسول الله فلم يَصُمْه ، ومع أبي بكر فلم يَصُمْه ، ومع عمر فلم يَصُمْه ، وأنا فلا أصومه ولا آمر به ولا أنهي عنه .

قال الإمام مالك عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عباس ، عن طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَفْضَلُ الدَّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » .

قال البيهقي : هَذَا مُرْسَلٌ . وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً ، وإسناده ضعيف .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَفْضَلُ الدَّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

والإمام أحمد أيضاً عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،

له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَةَ ، أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابورى ، حدثنا أحمد بن داود بن جابر الأَحْمَسِي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى ، حدثنا فَرَج ابن فضالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعائى ودعاء الأنبياء قَبْلِي عَشِيَّة عَرَفَة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وقال لإمام أحمد : حدثنا يزيد ، يعنى ابن عبد ربه الجرجى ، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد ، حدثنى جُبَيْر بن عمرو القرشى ، عن أبى سعيد الأنصارى ، عن أبى يحيى مولى آل الزبير ابن العوام ، عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَاللَّائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وأنا على ذلك من الشاهدين يارب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى مناسكه : حدثنا الحسن بن مثنى بن معاذ العنبرى حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة ، عن على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي عَشِيَّة عَرَفَة : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وقال الترمذى فى الدعوات : حدثنا محمد بن حاتم المؤدّب ، حدثنا على بن ثابت ، حدثنا قيس بن الربيع ، وكان من بنى أسد ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصّين ، عن على رضى الله عنه ، قال : كان أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ عَرَفَة فى الموقف : « اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول ، اللهم لك

صلاتي ونُسكِي ونَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَلَكَ رَبُّ تَرَانِي ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَسةِ
الصدر وَشَتَاتِ الْأَمْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَهْبُتُ بِهِ الرِّيحُ .

ثم قال : غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوى .

وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ،
عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أكثر دعاء مَنْ كان قبلي
ودعائي يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا . اللهم
اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ، اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الصدر وَشَتَاتِ
الأمر وَشَرِّ فِتْنَةِ القَبْرِ وَشَرِّ مَا يَلِدُجُ في الليل وَشَرِّ مَا يَلِجُ في النهار وَشَرِّ مَا تَهْبُتُ بِهِ الرِّيحُ
وَشَرِّ بَوَاقِي الدَّهْرِ » .

ثم قال : تفرد به موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف وأخوه عبد الله لم يُذكر عليّاً .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا يحيى بن عثمان النخعي ، حدثنا يحيى بن بكير ،
حدثنا يحيى بن صالح الأيبي ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن
ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « اللهم
إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرَى مَكَانِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ،
أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقَرَّبُ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ بِمَسْأَلَةِ
الْمُسْكِينِ وَأَبْتِهْلِ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الدَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَضَعْتَ لَكَ
رَقَبَتَهُ وَفَاضَتْ لَكَ عَظْمَتُهُ ، وَذَلَّ لَكَ جَسَدُهُ وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي بِدَعَائِكَ
رَبّاً شَقِيحاً وَكُنْ بِي رَءُوفاً رَحِيماً ، يَا خَيْرَ الْمُسْتَوَلِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا عبد الملك ، حدثنا عطاء ، قال : قال
أسامة بن زيد : كنت رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بمرفات ، فرفع يديه يدعو ،

فمالت به ناقته فسقط خطامها . قال : فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى .

وهكذا رواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن هُشَيْم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، حدثنا ابن جُرَيْج ، عن حسين ابن عبد الله الهاشمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة يداه إلى صدره كاستطعام المسكين .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا عبد القاهر بن السري ، حدثني ابن إسكفانة بن العباس بن مرداس ، عن أبيه ، عن جده عباس بن مرداس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأُمَّته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأوحى الله إليه : إني قد فعلتُ إلا ظلمَ بعضهم بعضاً ، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها . فقال : يا رب إنك قادر على أن تُثيبَ هذا المظلومَ خيراً من مظلمته وتغفرَ لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية .

فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء ، فأجابه الله تعالى : إني قد غفرت لهم ^(١) . فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله تبسّمتَ في ساعة لم تكن تبسّم فيها ؟ قال : تبسّمتُ من عدو الله إبليس ، إنه لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحشو التراب على رأسه .

(١) ذكر الزرقاني في شرح المواهب ١٨٩/٨ أن ابن حجر صنف في هذا الحديث كراساً سماه : وقوة الحجاج في عموم مغفرة للحجاج ، ثم قال : وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث ابن مرداس . وقال الطبري : إنه محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وقاها .

ورواه أبو داود السَّجِسْتَانِي فِي سَنَنِهِ ، عَنْ عِيسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُرْكَتِيِّ وَأَبِي الْوَلِيدِ الْعِيَالِيِّ ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ ابْنِ لَكْنَانَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ . مُخْتَصَرًا .

ورواه ابن ماجه ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ بِهِ . مَطْوًى .

ورواه ابن جرير فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيْفِ الْعِجْلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ ابْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ ابْنِ لَكْنَانَ ، يُقَالُ لَهُ أَبُو لُبَّابَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ فَذَكَرَهُ .

وَقَالَ الْخَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيِّ ^(١) ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ سَمْعٍ قَتَادَةَ يَقُولُ : حَدَّثَنَا جُلَّاسُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَغَفَرَ لَكُمْ إِلَّا التَّبِعَاتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَوَهَبَ مُسِيئَتَكُمْ لِحُسْنِكُمْ . وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ ، فَادْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ » .

فَلَمَّا كَانُوا بِجَمْعٍ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَصَالِحِكُمْ وَشَقَّعَ صَالِحِيكُمْ فِي طَالِحِيكُمْ ، تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فَتَمُتُّهُمْ ثُمَّ تَفْرُقُ الرَّحْمَةُ فِي الْأَرْضِ فَتَقَعَ عَلَى كُلِّ تَائِبٍ مِمَّنْ حَفَظَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ . وَإِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ عَلَى جِبَالٍ عُرْفَاتٍ يَنْظُرُونَ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِمْ ؛ فَإِذَا نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ دَعَا هُوَ وَجُنُودُهُ بِالْوَيْلِ وَالتَّبُورِ ، كُنْتُ أَسْتَفْزِمُهُمْ حَقَبًا مِنَ الدَّهْرِ [خَوْفٌ] ^(٢) الْمَغْفَرَةِ فَغَشَّيْتَهُمْ . فَيَتَفَرَّقُونَ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالتَّبُورِ .

(١) إنبسة إلى دبر : قرية باليمن .

(٢) بياض بأصل .

ذكر ما نزل على رسول الله من الوحي المنيف

في هذا الموقف الشريف

قال الإمام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العَمَيْس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأى آية هي ؟ قال : قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

فقال عمر : والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في يوم الجمعة .

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون . وأخرجه أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قيس بن مسلم به .

ذكر إفاضة عليه السلام من عرفات إلى المشعر الحرام

قال جابر في حديثه الطويل : فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً قليلاً حين غاب القرص ، فأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شقق لناقته القسواء الرسام حتى إن رأسها ليصيب مؤرك رجله ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة . كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً .
رواه مسلم .

وقال البخاري : باب السير إذا دفع من عرفة .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سئل أسامة وأنا جالس : كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق^(١) فإذا وجد فجوة نص .
قال هشام : - والنص - فوق العنق .

ورواه الإمام أحمد وبقية الجماعة إلا الترمذي من طرق عدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أسامة بن زيد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة . قال : فلما وقعت الشمس دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع حطمة^(٢) الناس خلفه قال : رؤيداً أيها الناس ، عليكم السكينة إن البر ليس بالإيضاع^(٣) .

(١) العنق : نوع من سير الإبل فيه إسراع .

(٢) الحطمة : ازدحام الناس ودفع بعضهم بعضاً .

(٣) الإيضاع : الإسراع .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التحم عليه الناس أُعْنَقَ وإذا وجد فُرْجَةً نَصَّ ، حتى أتى المزدلفة فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة .

ثم رواه الإمام أحمد من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني إبراهيم بن عُبَيْة ، عن كَرِيب ، عن أسامة بن زيد . فذكر مثله . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وأنا رديفه ، فجعل يكبح راحلته حتى إن ذفراها^(١) ليكاد يصيب قادمة الرّاحل . ويقول : « يا أيها الناس عليكم السّكينة والوقار ، فإن البرّ ليس في إبطاع الإبل » .

وكذا رواه عن عفان ، عن حماد بن سلمة به ، ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به .

ورواه مسلم عن زهير بن حَرْب ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن جحوه . قال : وقال أسامة : فما زال يسير على هيئته حتى أتى جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن ابن أبي ذئب ، عن شُعْبَةَ ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، أنه رَدِفَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة حتى دخل الشَّعْب ، ثم أَهْرَاقَ الماء وتوضأ ، ثم ركب ولم يصل . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هَمَّام ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الشَّعْبِي ، عن أسامة بن زيد ، أنه حدثه قال : كنت رديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفات ، فلم ترفع راحلته رجلكها غاديةً حتى بلغ جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن عتبة ، عن كريب ، عن ابن عباس ، أخبرني أسامة بن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم أَرْدَفَهُ من عرفة ، فلما أتى الشَّعْبَ نزل فبال ، ولم يقل أَهْرَاقَ الماءَ ، فصَبْتُ عليه فتوضأ وضوءاً خفيفاً فقلت : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أَمَامَكَ .

قال : ثم أتى المَزْدَةَ فصلّى المغرب ، ثم حلَّوا رِحَالَهُمْ وَأَعْنَتُهُ ثم صلى العشاء . كذا رواه الإمام أحمد عن كريب ، عن ابن عباس عن أسامة بن زيد ، فذكره . ورواه النسائي عن الحسين بن حُرَيْث^(١) ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن عتبة ومحمد ابن أبي حَرْمَلَةَ ، كلاهما عن كريب ، عن ابن عباس ، عن أسامة . قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : والصحيح : كريب عن أسامة .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن موسى بن عتبة ، عن كريب ، عن أسامة بن زيد ، أنه سمعه يقول : دَفَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ، فنزل الشَّعْبَ فبالَ ثم توضأ فلم يُسْمِعِ الوضوءَ ، فقلت له : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أَمَامَكَ . فجاء المَزْدَلَةَ فتوضأ فأَسْمِعَ ، ثم أقيمت الصلاة فصلّى المغرب ، ثم أناخ كلُّ إنسان بغيره في مَنْزِلِهِ ، ثم أقيمت الصلاة فصلّى العشاء ولم يصل بينهما .

وهكذا رواه البخاري أيضاً عن القَعْنَبِيِّ ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، والنسائي عن قتيبة عن مالك ، عن موسى بن عتبة به . وأخرجه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن موسى بن عتبة أيضاً .

ورواه مسلم من حديث إبراهيم بن عتبة ومحمد بن عتبة ، عن كريب ، كنفجور رواية أخيهما موسى بن عتبة عنه .

وقال البخاري أيضاً : حدثنا قتيبة ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حَرْمَلَةَ ، عن كريب ، عن أسامة بن زيد ، أنه قال : رَدِفْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما

(١) الحديث في سنن النسائي ٤٦١/٢ : حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة أناخ فبال ؛ ثم جاء فصبت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفاً . فقلت : الصلاة يا رسول الله ؟ قال : الصلاة أمامك ؛ فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة ؛ فصلى ثم ردف الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع . قال كريب : فأخبرني عبد الله بن عباس عن الفضل ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى بلغ الجحرة .

ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى . ويحيى بن أيوب ؛ وعلى بن حجر ؛ أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عمر بن ذر ؛ عن مجاهد عن أسامة بن زيد ؛ أن رسول الله أرذفه من عرفة . قال : فقال الناس : سيخبرنا صاحبنا ما صنع . قال : فقال أسامة : لما دفع من عرفة فوقف كف رأس رحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرجل أو كاد يصيبه ، يشير إلى الناس بيده : السكينة السكينة السكينة . حتى أتى جمعاً ثم أردف الفضل بن عباس ، قال فقال الناس : سيخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله . فقال الفضل : لم يزل يسير سيراً ليئناً كسيره بالأمس ، حتى أتى على وادى محسّر فدفع فيه حتى استوت به الأرض .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا إبراهيم بن سويد ، حدثني عمرو ابن أبي عمرو مولى المطلب ، أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة السكوني ، حدثني ابن عباس أنه دفع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال : « أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإبضاع » .

تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائي

هذا من طريق عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد . **فَاللَّهُ أَعْلَمُ .**

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا المسعودي ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : لما أفاض رسول الله من عرفات أَوْضَعَ النَّاسَ ، فَأَمَرَ رسول الله منادياً ينادي : أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ الْبَرُّ بِإِبْضَاعِ الْخَيْلِ وَلَا الرَّكَّابِ . قال : فما رأيت من رافعة يديها غادبةً حتى نزل جَمْعًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين وأبو نعيم ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عبد العزيز ابن رُفَيْع ، قال : حدثني مَنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : لَمْ يَنْزِلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَاتٍ وَجَمَعَ إِلَّا أُرِيقَ الْمَاءُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عبد الملك ، عن أنس بن سيرين ، قال : كُفْتُ مَعَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ بِعَرَفَاتٍ ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ رَاحَ رُحْتُ مَعَهُ حَتَّى الْإِمَامُ ، فَصَلَّى مَعَهُ الْأَوَّلَى وَالْعَصْرَ ، ثُمَّ وَقَفَ وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَتَّى أَفَاضَ الْإِمَامُ فَأَفْضَنَا مَعَهُ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَضِيقِ دُونَ الْمَازِمِينَ ^(١) فَأَنَاحَ وَأَنَحْنَا ، وَنَحْنُ نَحْسَبُ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَصَلِّيَ ، فَقَالَ غُلَامُهُ الَّذِي يَمْسُكُ رَاحِلَتَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرِيدِ الصَّلَاةِ ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَكَانِ قَضَى حَاجَتَهُ ، فَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ .

وقال البخاري : حدثنا موسى ، حدثنا جُوَيْرِيَّةُ ، عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَمُرُّ بِالشَّعْبِ الَّذِي أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَدْخُلُ فَيَنْتَفِضُ وَيَتَوَضَّأُ وَلَا يَصَلِّي حَتَّى يَجِيءَ جَمْعًا .

تفرد به البخاري رحمه الله من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا آدم بن أبي ذئب ، عن الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا

(١) الْمَازِمَانُ : مَضِيقُ بَيْنَ جَمْعٍ وَعَرَفَةٍ ، وَآخِرُ بَيْنِ مَكَّةَ وَمِنَى .

بإقامة ، ولم يسبِّح بينهما ولا على إثر واحدة منهما .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا .

ثم قال مسلم : حدثني حرَملة ، حدثني ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخبره أن أباه قال : جمع رسول الله بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة ، فصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين . فكان عبد الله يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله .

ثم روى مسلم من حديث شعبة عن الحكم ، وسامة بن كهيل ، عن سعيد بن جبیر ، أنه صلى المغرب بجمع والعشاء بإقامة واحدة . ثم حدث عن ابن عمر أنه صلى مثل ذلك . وحدث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك .

ثم رواه من طريق الثوري ، عن سامة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عمر ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع ، صلى المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين بإقامة واحدة .

ثم قال مسلم : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن جبیر ، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، قال : قال سعيد بن جبیر : أفضنا مع ابن عمر ، حتى أتينا جمعا فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة ، ثم انصرف فقال : هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان .

وقال البخاري : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثني يحيى بن سعيد ، حدثني عدي بن ثابت ، حدثني عبد الله بن يزيد الخطمي ، حدثني أبو يزيد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة .

ورواه البخاري أيضا في المغازي عن القعنبي ، عن مالك ، ومسلم من حديث سليمان

ابن بلال والليث بن سعد، ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عدى بن ثابت .
ورواه النسائى أيضاً عن الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة عن عدى بن
ثابت به .

ثم قال البخارى : باب من أذن وأقام لكل واحدة منهما :

حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت عبد الرحمن
ابن يزيد يقول : حجَّ عبد الله فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعمّة أو قريباً من ذلك ، فأمر رجلاً
فأذن وأقام ثم صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين ، ثم دعا بعشائه فتعشى ثم أمر أرى
رجلاً فؤذن وأقام . قال عمرو : لا أعلم الشك إلا من زهير . ثم صلى العشاء ركعتين
فلما طلع الفجر قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى هذه الساعة إلا هذه الصلاة
فى هذا المكان من هذا اليوم . قال عبدالله : هما صلاتان تحوّلان عن وقتها : صلاة
المغرب بعد ما يأتى الناس المزدلفة ، والفجر حين يبرز الفجر . قال : رأيت النبى صلى الله
عليه وسلم يفعله .

وهذا اللفظ وهو قوله : « والفجر حين يبرز الفجر » أئبى وأظهر من الحديث
الآخر الذى رواه البخارى عن حفص بن عمر بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن عمارة
عن عبد الرحمن عن عبدالله بن مسعود قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين : جمع بين المغرب والعشاء وصلاة الفجر قبل ميقاتها .

ورواه مسلم من حديث أبى معاوية وجريير عن الأعمش به .

وقال جابر فى حديثه : ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ،
فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة .

وقد شهد معه هذه الصلاة عروة بن مضرّس بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا ابن أبى خالد وزكريا ، عن الشعبى ، أخبرنى

عروة بن مُضَرَّس ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجتمع فقلت : يا رسول الله جئتك من جبلٍ طيءٍ أنعبت نفسي وأنصيت راحتي ، والله ما تركتُ من جبلٍ إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال : من شهد معنا هذه الصلاة يعني صلاة الفجر يجتمع ووقف معنا حتى يُفَيضَ منه ، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهاراً ، فقد تمَّ حجُّه وقضى تَفَثَهُ ^(١) .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً وأهل السنن الأربعة من طرق ، عن الشَّعْبِي ، عن عروة ابن مُضَرَّس . وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصل

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم طائفةً من أهله بين يديه من الليل قبل حطمة الناس من المزدلفة إلى مِنَى .

قال البخارى : باب من قدَّم ضَعْفَهُ أهله بالليل ، فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر .

حدثنا يحيى بن بُسْكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم : كان عبد الله بن عمر يقدِّم ضَعْفَةَ أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليلى ، فيذكرون الله ما بدا لهم ، ثم يدفَعون قبل أن يقف الإمام وقبل أن يَدْفَع ، فنهَم من يقدِّم منى لصلاة الفجر ومنهم من يقدِّم بعد ذلك ، فإذا قدموا رموا الجمرَةَ . وكان ابن عمر يقول : أُرْخَص في أولئك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَمْعِ بَلَيْل .

(١) التفت : انشعث ، وما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق العانة وغير ذلك .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، أخبرني عبد الله بن أبي يزيد ،
سمع ابن عباس يقول : أنا ممن قدّم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة
في ضعفة أهله .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرني عطاء ، عن ابن عباس ، قال : بعث بي
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بسحر مع ثقله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا سلمة بن كهيل ، عن
الحسن العُمرّي ، ^(١) عن ابن عباس ، قال : قدّمنا رسول الله أغيلة بن عبد المطلب على حرائثنا
فجعل يُلطّح ^(٢) أنخاذاً بيده ويقول : أبنّي لا ترموا الجمرَةَ حتى تطلع الشمس . قال ابن
عباس : ما أخال أحداً يرى الجمرَةَ حتى تطلع الشمس .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري فذكره . وقد رواه
أبو داود ، عن محمد بن كثير ، عن الثوري به . والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد ،
عن سفيان بن عُيينة ، عن سفيان الثوري به . وأخرجه بن ماجه عن أبي بكر بن أبي
شيبه ، وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن مسعر وسفيان الثوري ، كلاهما عن سلمة
بن كهيل به .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن الحكم
ابن عُيينة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : مرّ بنا رسول الله ليلة النحر وعلينا سَواذٌ
من الليل ، فجعل يضرب أنخاذاً ويقول : أبنّي أفيضوا لا ترموا الجمرَةَ حتى
تطلع الشمس .

ثم رواه الإمام أحمد من حديث المسعودي ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ،

(١) نسب إلى عريثة بن نذير . . بطن من بجيلة . الباب ١٣٣/٢ .

(٢) يُلطّح : يضرب بطن كفه .

قال : قدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضَعْفَةَ أَهْلِهِ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ لَيْلٍ ، فَجَعَلَ يُوَصِّيهُمْ أَنْ لَا يَرْمُوا جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، حدثنا الوليد بن عَقْبَةَ ، حدثنا حمزة الزيات بن حبيب ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَدِّمُ ضَعْفَةَ أَهْلِهِ بِقَلَسٍ ^(١) وبأمرهم - يعني أن لا يَرْمُوا الجَمْرَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ - . وكذا رواه النسائي عن محمود بن غَيْلَانَ ، عن بشر بن السَّرِيِّ ، عن سفيان ، عن حبيب . قال الطبراني : وهو ابن أبي ثابت . عن عطاء ، عن ابن عباس . نَفَرَجَ حَمَزَةُ الزِّيَّاتِ مِنْ عُمْدَتِهِ وَجَادَ إِسْنَادُ الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيى ، عن ابن جريج ، حدثني عبد الله مولى أسماء ، عن أسماء ، أنها نزلت ليلة جَمَعَ عِنْدَ الْمَزْدَلِفَةِ ، فَقَامَتْ تَصَلِّيَ فَصَلَّتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ : يَا بَنِيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ ؟ قُلْتُ : لَا . فَصَلَّتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ : هَلْ غَابَ الْقَمَرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : فَارْتَحِلُوا . فَارْتَحَلْنَا فَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتْ الْجَمْرَةَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَصَلَّتْ الصُّبْحَ فِي مَنْزِلِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا هَنْتَاهُ مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ غَلَسْنَا . فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِلظُّعْنِ .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج به .

فإن كانت أسماء بنت الصديق رَمَتِ الْجَمَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، كَمَا ذَكَرَ هَاهُنَا ، عَنْ تَوْقِيفِ فُرَايْتِهَا مُقَدِّمَةً عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ حَدِيثِهَا أَصَحُّ مِنْ إِسْنَادِ حَدِيثِهِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : إِنْ الْعُلَمَاءُ أَخْفَ حَالًا مِنَ النِّسَاءِ وَأَنْشَطَ ، فَلِهَذَا أَمَرَ الْعُلَمَاءُ بِأَنْ لَا يَرْمُوا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَأَذِنَ لِلظُّعْنِ فِي الرَّمْيِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، لِأَنَّهُمْ أَثْقَلُ حَالًا وَأَبْلَغُ فِي التَّسْتَرِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) القلَس : ظلمة آخر الليل .

وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف ، فحدث ابن عباس مقدّم على فعلها .
 لكن يقوّى الأول قول أبي داود : حدثنا محمد بن خَلَّاد الباهلي ، حدثنا يحيى ، عن
 ابن جُرَيْج ، أخبرني عطاء ، أخبرني مُخْبِر عن أسماء ، أنها رَمَت الجِرةَ بلبيل . قلت : إنا رمينا
 الجِرةَ بلبيل . قالت : إنا كنا نصنع هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .
 وقال البخاري : حدثنا أبو نُعَيْم ، حدثنا أَفْلَحُ بنُ مُحمَّد ، عن القاسم ، عن محمد ،
 عن عائشة ، قالت : نزلنا المزدلفةَ فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ
 قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ ، وكانت امرأةً بَطِيئَةً ، فأذن لها فدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ ، وأقمنا نحن
 حتى أصبحنا ، ثم دَفَعْنَا بَدَقْعَهُ فَلَأَنَّ أَكُونَ استأذنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
 استأذنتُ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحَ بِهِ .

وأخرجه مسلم عن القَعْنَبِيِّ عن أَفْلَحِ بنِ مُحمَّد به . وأخرجاه في الصحيحين من حديث
 سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة به .
 وقال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن الضحاک
 - يعني ابن عثمان - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : أرسل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بِأُمِّ سلمة ليلةَ النحر فرمَت الجِرةَ قَبْلَ الفجر ، ثم مَضَتْ
 فَأَفَاضَتْ ، وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود
 - يعني عندها - .

انفرد به أبو داود ، وهو إسناد جيد قوى رجاله ثقات .

ذكر تَلْبِيئَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَزْدَلِفَةِ

قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو الأَخْوَص ، عن حُصَيْن ، عن
 كثير بن مُذَرِّك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله ونحن يَجْمَعُ : سمعتُ الذي
 أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

فصل

في وقوفه عليه السلام بالمشعر الحرام ، ودفعه من المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاؤه في وادي مُحَسَّر

قال الله تعالى : « فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ^(١) » الآية وقال جابر في حديثه : فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القِصْوَاءَ حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله عز وجل وكبَّره وهله ووحَّده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدًّا ، ودفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس وراءه .

وقال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : شهدت عمر صلي بجمع الصبح ثم وقف فقال : إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، ويقولون أشرق ثبير ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض قبل أن تطلع الشمس .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : خرجت مع عبد الله إلى مكة ثم قدمنا جَمْعًا ، فصلى صلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة والعشاء بينهما ، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ، قائل يقول : طلع الفجر . وقائل يقول : لم يطلع الفجر . ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين حوَّلنا عن وقتهما في هذا المكان : المغرب فلا تقدّم الناس جَمْعًا حتى يقيموا ، وصلاة الفجر هذه الساعة . ثم وقف حتى أسفر ثم قال : لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنة . فلا أدري : أقوله كان أسرع أو دفع عثمان ، فلم يزل

يلجى حتى رمى جرة العقبة يوم النحر .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العباسي ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن نخرمة ، عن المسور بن نخرمة ، قال : خطبنا رسول الله بعرفة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمام الرجال على رؤوسها ، هذين يخالف لهديبهم . وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمام الرجال على رؤوسها ، هذين يخالف لهديبهم » .

قال : ورواه عبد الله بن إدريس ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن نخرمة مرسلا . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان ، سمعت الأعمش ، عن الحكم عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس .

وقال البخاري : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، عن يونس الأثيلي ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، أن أسامة كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى . قال : فكلهما قال : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلجى حتى رمى جرة العقبة .

ورواه ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وروى مسلم من حديث الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال في عشيّة

عرفة وغداةَ جَمَعَ للناس حين دَفَعُوا : عليكم بالسكينة . وهو كافٌ نَاقَتَهُ حتى دخل مُحَسَّرًا وهو من مَنَى . قال : عليكم بحصى الخذف الذى يرمى به الجمره . قال : ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى الجمره .

وقال الحافظ البيهقي : باب الإيضاح فى وادى مُحَسَّر^(١) . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو عمرو المقرئ وأبو بكر الورَّاق ، أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار وأبو بكر بن أبى شيبة ، قالا : حدثنا حاتم بن اسماعيل ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر فى حج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : حتى إذا أتى مُحَسَّرًا حَرَّكَ قليلاً . رواه مسلم فى الصحيح ، عن أبى بكر بن شيبة .

ثم روى البيهقي من حديث سفيان الثورى ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السَّكِينَةُ وأمرهم بالسكينة وأَوْضَعَ فى وادى مُحَسَّر ، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف . وقال : خذوا عني مناسككم ، لعلى لأراكم بعد عامى هذا .

ثم روى البيهقي من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبى رافع ، عن على ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من إجمَع حتى أتى مُحَسَّرًا ، فقرع ناقته حتى جاوز الوادى فوقف ، ثم أردف الفضل ثم أتى الجمره فرماها .

هكذا رواه مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن الحارث بن عِيَّاش بن أبى ربيعة ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن

(١) محسر : وادٍ قرب المزدلفة .

عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال : هذا الموقف وعرفة كلها موقف . وأفاض حين غابت الشمس وأردف أسامة ، فجعل يُعَنِّقُ على بعيره ، والناس يَضْرِبُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، لا يلتفت إليهم ، ويقول : السكينة أيها الناس .

ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلاتين ، المغرب والعشاء ، ثم بات حتى أصبح ثم أتى قُزَحَ^(١) فوقف على قُزَحَ فقال : هذا الموقف وجمع كلها موقف . ثم سار حتى أتى محسراً فوقف عليه فقرع دابته فخبث حتى جاز الوادي ثم حبسها ، ثم أردف الفضل وسار حتى أتى الجرة فرماها ثم أتى المنحَر فقال : هذا المنحر ومنى كلها منحَر . قال : واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت : إن أبي شيخ كبير قد أَفْنَدَ^(٢) وقد أدركته فريضة الله في الحج ، فهل يُجْزَى عنه أن أؤدّي عنه ؟ قال : نعم . فأدّى عن أبيك .

قال : ولوى عنق الفضل ، فقال له العباس : يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : « رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما » .

قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله حلفت قبل أن أنحر . قال : انحر ولا حرج . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله إني أفضت قبل أن أخلق . قال : اخلق أو قصر ولا حرج .

ثم أتى البيت فطاف ثم أتى زمزم فقال : يا بني عبد المطلب سقايتم ، ولولا أن يغلبكم الناس عليها لنزعت معكم .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن آدم ، عن سفيان الثوري . ورواه الترمذي عن بنّادار ، عن أبي أحمد الزبيري . وابن ماجه عن علي بن محمد عن يحيى ابن آدم . وقال الترمذي : حسن صحيح لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه .

(١) قُزَحَ : جبل بالزدلفة . (٢) أفند : أنكر عقله وأخطأ في رأيه لهرمه .

قلت : وله شواهد من وجوه صحيحة مخرجة في الصحاح وغيرها . فمن ذلك : قصة الختمية ، وهو في الصحيحين من طريق الفضل ، وتقدمت في حديث جابر . وسنذكر من ذلك ما تيسر .

وقد حكى البيهقي بإسناده عن ابن عباس أنه أنكر الإسراع في وادي مُحَسَّر وقال : إنما كان ذلك من الأعراب . قال : والمُثَبَّت مُقَدَّم على النافي . قلت : وفي ثبوته عنه نظر والله أعلم .

وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ، وصحَّ من صَنِيعِ الشَّيْخِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ ، فروى البيهقي عن الحاكم عن النَّجَّاد وغيره ، عن أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ الْمُسْتَهْلِ المعروف بِدُرَّانٍ ، عن الْقَعْنَبِيِّ ، عن أَبِيهِ ، عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، أن عمر كان يُوضِعُ ويقول :
إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِيلًا وَضِيئُهَا مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا^(١)

(١) الوضين : حزام الرجل . والقلق : المتسم ، كناية عن هزال الناقة .

ذَكَرَ رَمِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ وَحَدَّهَا يَوْمَ النَّحْرِ ، وَكَيْفَ رَمَاهَا وَمَتَى رَمَاهَا ، وَمِنْ أَى مَوْضِعٍ رَمَاهَا وَبِكَمْ رَمَاهَا ، وَقَطَعَهُ التَّلْبِيَّةَ حِينَ رَمَاهَا

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنه عليه السلام لم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ :

وقال البيهقي : أنبأنا الإمام أبو عثمان ، أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة ، أنبأنا جدى - يعنى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - حدثنا علي بن حجر ، حدثنا شريك ، عن عامر بن شقيق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : رَمَقْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ بأول حصاة .

وبه عن ابن خزيمة : حدثنا عمر بن حفص الشيباني ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي بن الحسين عن ابن عباس ، عن الفضل . قال : أفضتُ مع رسول الله من عرفات فلم يزل يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ يكبرُ مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة .

قال البيهقي : وهذه زيادة غريبة ليست فى الروايات المشهورة عن ابن عباس ، عن الفضل وإن كان ابن خزيمة قد اختارها .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبانُ بن صالح ، عن عكرمة ، قال : أفضت مع الحسين بن علي ، فما أزالُ أسمعُه يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ ، فلما قَذَفَهَا أَمْسَكَ . فقلت : ما هذا ؟ فقال : رأيتُ أبى عليَّ بنَ أبى طالب يلجئ حتى رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ ، وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

وتقدم من حديث الليث عن أبي الزبير ، عن أبي مَعْبَدٍ ، عن ابن عباس ، عن أخيه

الفضل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس في وادى مُحَسَّرٍ بحصى الخذف الذى يُرمى به الجمرة .

رواه مسلم .

وقال أبو العالية : عن ابن عباس ، حدثنى الفضل ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة يوم النحر : هات فالقط لى حصّى . فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهن فى يده فقال : « بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » .

رواه البيهقى .

وقال جابر فى حديثه : حتى أتى بطن مُحَسَّرٍ فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرۃ الكبرى ، حتى أتى الجمرۃ فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى .

رواه مسلم .

وقال البخارى : وقال جابر رضى الله عنه : رمى النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى ، ورمى بعد ذلك بعد الزوال .

وهذا الحديث الذى علقه البخارى أسنده مسلم من حديث ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير سمع جابراً ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرۃ يوم النحر ضحى ، وأما بعدُ فإذا زالت الشمس .

وفى الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : رمى عبد الله من بطن الوادى فقلت : يا أبا عبد الرحمن إن ناساً يرمونها من فوقها . فقال : والذى لا إله غيره هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

لفظ البخارى .

وفي لفظ له من حديث شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه أتى الجرة الكبرى فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى بسبع وقال : هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

ثم قال البخاري : باب من رمى الجمار بسبع يكبر مع كل حصاة : قاله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا إنما يعرف في حديث جابر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر كما تقدم ، أنه أتى الجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصي الخذف . وقد روى البخاري في هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه رمى الجرة من بطن الوادي بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة . ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وروى مسلم من حديث ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، سمع جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله يرمى الجرة بسبع مثل حصي الخذف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رمى الجرة جرة العقبة يوم النحر راكباً .

ورواه الترمذي عن أحمد بن منيع ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، وقال : حسن . وأخرجه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن الحجاج بن أرطاة به .

وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديث يزيد بن [أبي] ^(١) زياد ، عن سليمان بن عمرو بن الأخوص ، عن أمه أم جندب الأزدية ، قالت : رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار من بطن الوادى وهو راكب يكبّر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستتره ، فسألت عن الرجل فقالوا : الفضل بن عباس . فازدحم الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ، وإذا رميتم الجمره فارموه بمثل حصى الخذف » .
لفظ أبى داود .

وفى رواية له قالت : رأيت عند جمره العقبة راكبا ورأيت بين أصابعه حجرا ، فرمى ورمى الناس ولم يُقم عندها .
ولابن ماجه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند جمره العقبة وهو راكب على بغلة وذَكَر الحديث .
وذَكَر البغلة هاهنا غريب جداً .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، سمعت جابر ابن عبد الله يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمره على راحلته يوم النحر ويقول : « لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِى لَا أَدْرِ لَعَلِّى لَا أَحِجُّ بَعْدَ حِجَّتِى هَذِهِ » .
وروى مسلم أيضاً من حديث زيد بن أبى أنيسة ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته أم الحصين ، سمعتها تقول : حَجَّجْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، فرأيت حين رمى جمره العقبة وانصرف وهو على راحلته يوم النحر وهو يقول : « لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِى لَا أَدْرِ لَعَلِّى لَا أَحِجُّ بَعْدَ حِجَّتِى هَذِهِ » .

وفى رواية قالت : حَجَّجْتُ مع رسول الله حجة الوداع ، فرأيت أسامة وبلالا أحدهما أَخَذَ بِخِطَامِ نَافَةِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتَرُهُ مِنَ الْحَرِّ ، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعُقْبَةِ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا أيمن بن نابل

حدثنا قدامة بن عبد الله السكلاّبي ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى
جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر على ناقة له صهباء^(١) ، لا ضرب ولا رَد
ولا إليك^(٢) !

ورواه أحمد أيضا عن وكيع ومُعْتَمِر بن سليمان وأبي قُرّة موسى بن طارق الزبيدي،
ثلاثهم عن أيمن بن نابل به . ورواه أيضا عن أبي قُرّة عن سفيان الثوري عن أيمن .
وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث وكيع به . ورواه الترمذي عن أحمد بن مَنِيع ،
عن مروان بن معاوية ، عن أيمن بن نابل به . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، حدثنا عبد الله - يعني العُمري - عن
نافع ، قال : كان ابن عمر يرمي جمرة العقبة على دابته يوم النحر ، وكان لا يأتي سائرهما
بعد ذلك إلا ماشيا . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يأتيها إلا ماشيا
ذاهما وراجعا .

ورواه أبو داود عن القَعْنَبِي ، عن عبد الله العُمري به .

فصل

قال جابر : ثم انصرف إلى المنحَر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا فنحر
ماغبر وأشركه في هذيه ، ثم أمر من كل بدنة بيضعة ، فجعلت في قِذَر فطبخت فأكلا
من لحمها وشربا من مرقها .

وسنتكلم على هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن حميد الأعرج ،
عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من أصحاب النبي

(١) الصهباء : التي يضرب لونها إلى الحمرة .

(٢) إليك إليك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

صلى الله عليه وسلم ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمنى ونزلهم منازلهم فقال : لينزل المهاجرون هاهنا . وأشار إلى مئمنة القبلة والأنصار هاهنا . وأشار إلى ميسرة القبلة . ثم لينزل الناس حولهم .

قال : وعلمهم مناسكهم ، ففتحت أسماع أهل منى حتى سمعوه في منازلهم . قال : فسمعتة يقول : ارموا الجرة بمثل حصي الخذف .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل إلى قوله : ثم لينزل الناس حولهم . وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأبو داود عن مسدد ، عن عبد الوارث ، وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن عبد الوارث ، عن حميد بن قيس الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كأننا نسمع ما يقول . الحديث .

ذكر جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرك على بن أبي طالب في الهدى ، وأن جماعة الهدى الذى قدّم به على من اليمن والذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بدنة .

قال ابن حبان وغيره : وذلك مناسب لعمره عليه السلام ، فإنه كان ثلاثا وستين سنة !

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا زهير ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج مائة بدنة نحر منها بيده ستين وأمر ببقيتها

فَنَحَرَتْ وَأَخَذَتْ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَضْعَةً فَجَمَعَتْ فِي قِدْرٍ فَأَكَلَ مِنْهَا وَحَسَّاءٌ مِنْ مَرَقِهَا .
قال : وَنَحَرَ يَوْمَ الْحَدِيدِيَّةِ سَبْعِينَ ، فِيهَا جَمَلٌ أَبِي جَهْلٍ ، فَلَمَّا صُدَّتْ عَنِ الْبَيْتِ حَفَّتْ
كَأَنَّهَا تَحْنُ إِلَى أَوْلَادِهَا .

وقد روى ابن ماجه بعضه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وعلى بن محمد عن وكيع ،
عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني
رجل ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن ابن عباس ، قال : أَهْدَى
رَسُولُ اللَّهِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ مِائَةَ بَدَنَةٍ ، نَحَرَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ بَدَنَةً [بِيَدِهِ] ^(١) ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا فَنَحَرَ
مَا بَقِيَ مِنْهَا . وقال : أَقْسَمَ لِحُومِهَا وَجُلُودِهَا وَجِلَالِهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا تَعْطِينَ جِزَارًا مِنْهَا
شَيْئًا ، وَخَذَلْنَا مِنْ كُلِّ بَعِيرٍ جَدِيَّةً ^(٢) مِنَ لَحْمٍ ، وَاجْعَلْهَا فِي قِدْرٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ
لَحْمِهَا وَنَحْسُوَ مِنْ مَرَقِهَا . ففعل .

وثبت في الصحيحين من حديث مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن علي ، قال : أَمَرَنِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقُومَ عَلَى بَدَنِهِ وَأَنْ أَنْصَدَّقَ بِلَحُومِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتْهَا ،
وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجِزَارَ مِنْهَا شَيْئًا وقال : نَحْنُ نَعْطِيهِ مِنْ عَفْدِنَا .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا
عبد الله بن المبارك ، عن حرملة بن عمران ، عن عبد الله بن الحارث الأزدي ، سمعت
عرفة بن الحارث قال : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى بِالْبُدْنِ فَقَالَ :
ادْعُ لِي أَبَا حَسَنٍ . فدعى له علي . فقال : خذْ بِأَسْفَلِ الْحَرْبَةِ . وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَاهَا ، ثُمَّ طَعَنَّا بِهَا الْبُدْنَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَكِبَ بَغْلَتَهُ وَأَرْدَفَ عَلِيًّا .
تفرد به أبو داود ، وفي إسناده ومثله غرابة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم ، عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس ، قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجرة العقبة ثم ذبح ثم حلق .
وقد ادعى ابن حزم أنه ضحى عن نسائه بالبقر وأهدى بمنى بقرة ، وضحى هو بكبشين أملحين .

صفة حلقه رأسه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم
قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق في حجته .
ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهوية - عن عبد الرزاق .
وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول : حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته .
ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة عن نافع به .
وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر قال : حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من أصحابه وقصّر بعضهم .

ورواه مسلم من حديث الليث ، عن نافع به . وزاد : قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله المحلقين » مرة أو مرتين . قالوا : يا رسول الله والمقصّرين ؟ قال : والمقصّرين .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع وأبو داود الطيالسي ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته ، أنها سمعت رسول الله في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثاً والمقصّرين مرة . ولم يقل وكيع : في حجة الوداع .

وهكذا روى هذا الحديث مسلم من حديث مالك وعُبَيْدُ اللَّهِ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، وعُمارة عن أَبِي زُرْعَةَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، والعلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ .

وقال مسلم : حدثنا يَحْيَى بن يَحْيَى ، حدثنا حفص بن غِيَاث ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مَنًى فأتى الجرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر . ثم قال للحلاق : خذ . وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس .

وفي رواية له أنه حلقَ شِقَّهُ الأيمن فقسَّمه بين الناس من شَعْرَةِ وشعرتين ، وأعطى شقه الأيسر لأبي طلحة . وفي رواية له أنه أعطى الأيمن لأبي طلحة وأعطاه الأيسر وأمره أن أن يقسّمه بين الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه . وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شَعْرَةٌ إلا في يد رجل . انفرد به أحمد .

فصل

ثم ابس عليه السلام ثيابه وتطيّب بعد ما رمى جرة العقبة ونحر هديه وقبل أن يطوف بالبيت طيّبه عائشة أم المؤمنين .

قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله بن المديني ، حدثنا سفيان - هو ابن غِيَفَةَ - حدثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، وكان أفضل أهل زمانه ، أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول : إنه سمع عائشة تقول : طيبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي

هاتين حين أُحْرِمَ ، وَلِحِلِّهِ حينَ أُحِلَّ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ ، وَبَسَطَتْ يَدَيْهَا .

وقال مسلم : حدثنا يعقوب الدَّوْرَقِيُّ وأحمد بن مَنِيع ، قالا : حدثنا هُشَيْمٌ ، أخبرنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كنت أطيَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرَمَ ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مِسْك .

وروى النسائي من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : طيبتُ رسول الله لحرمه حين أُحْرِمَ وَلِحِلِّهِ بعد ما رمى جرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت .

وقال الشافعي : أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم ، قال قالت عائشة : أنا طيبت رسول الله لحله وإحرامه .

ورواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ عن الزهري ، عن سالم ، عن عائشة . فذكره .
وفي الصحيحين من حديث ابن جُرَيْج : أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يخبران عن عائشة أنها قالت : طيبت رسول الله بيدي بذريرة في حجة الوداع للحل والإحرام .

ورواه مسلم من حديث الضحاك بن عثمان ، عن أبي الرجال ، عن أمه عمرة ، عن عائشة به .

وقال سفيان الثوري : عن سلمة بن كهيل ، عن الحسن العوفي ، عن ابن عباس أنه قال : إذا رميت الجرة فقد حللت من كل شيء كان عليكم حراما إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت . فقال رجل : والطيب يا أبا العباس ؟ فقال له : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَضْمَخُ رأسه بالمسك ، أفطيَّب هو أم لا !

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبو عبيدة ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ ، عن أبيه وأمه

زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : كانت الليلة التي يدور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النحر ، فكان رسول الله عندي ، فدخل وهبُ بن زَمعة ورجل من آل أبي أمية متَمَصِّين . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضنأ ؟ قالا : لا . قال : فانزعا قميصكما فنزعاها . فقال له وهب : ولمَ يا رسول الله ؟ فقال : هذا يوم أُرخص لكم فيه إذا رميتُم الجرة ونحرتم هدياً إن كان لكم فقد حللتم من كل شيء حرمتُم منه إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فإذا رَمِيتُم ولم تفيضوا صِرْتُم حُرماً كما كنتم أول مرة حتى تطوفوا بالبيت .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ويحيى بن مَعِين ، كلاهما عن ابن أبي عَدَى ، عن ابن إسحاق فذكره .

وأخرجه البيهقي عن الحاكم ، عن أبي بكر بن أبي إسحاق ، عن أبي المثني العنبري ، عن يحيى بن مَعِين . وزاد في آخره :

قال أبو عبيدة : وحدثني أمُّ قيس بنت مَحْصَن ، قالت : خرج من عندي عكاشة ابن مَحْصَن في نفر من بني أسد متَمَصِّين عشية يوم النحر ، ثم رجعوا إلينا عشياً وقمصهم على أيديهم يحملونها ، فسألتهم فأخبروها بمثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوهب بن زَمعة وصاحبه .

وهذا الحديث غريب جداً ، لا أعلم أحداً من العلماء قال به .

ذكر إفاضته عليه السلام إلى البيت العتيق

قال جابر : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأفاض^(١)] إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبدالمطلب وهم يَسْقُونَ على زمزم . فقال : « انزعوا بنى عبدالمطلب ، فلولاً أن يغلبكم الناسُ على سقايكم لنزعتُ معكم » فناولوه دلواً فشرب منه .
رواه مسلم .

ففي هذا السياق ما يدل على أنه عليه السلام ركب إلى مكة قبل الزوال فطاف بالبيت ، ثم لما فرغ صلى الظهر هناك .
وقال مسلم أيضاً : أخبرنا محمد بن رافع ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى .

وهذا خلاف حديث جابر ، وكلاهما عند مسلم .
فإن عللنا بهما أمكن أن يقال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ثم رجع إلى منى فوجد الناس ينتظرونه فصلى بهم . والله أعلم .

ورجوعه عليه السلام إلى منى في وقت الظهر ممكن ، لأن ذلك الوقت كان صيفاً والنهار طويل ، وإن كان قد صدر منه عايه السلام أفعال كثيرة في صدر هذا النهار ، فإنه دفع فيه من المزدلفة بعد ما أسفر الفجر جداً ، ولكنه قبل طلوع الشمس ، ثم قدم منى فبدأ برمي جرة العقبة بسبع حصيات ، ثم جاء فنحر بيده ثلاثاً وستين بدنة ونحر على بقية المائة ، ثم أخذت من كل بدنة بضعمة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل كل من ذلك اللحم وشرب من ذلك المرق . وفي غضون ذلك حلق رأسه عليه السلام وتطيب ، فلما فرغ من هذا كله ركب إلى البيت .

وقد خطب عليه السلام في هذا اليوم خطبة عظيمة: ولست أدري أكانت قبل ذهابه إلى البيت أو بعد رجوعه منه إلى منى . فإله أعلم .

والقصد أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكباً ، ولم يطف بين الصفا والمروة ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضي الله عنهما . ثم شرب من ماء زمزم ومن نبيذ تمرٍ من ماء زمزم .

فهذا كله مما يقوَّى قول من قال : إنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، كما رواه جابر . ويحتمل أنه رجع إلى منى في آخر وقت الظهر فصلى بأصحابه بمنى الظهر أيضاً .

وهذا هو الذي أشكل على ابن حزم فلم يدر ما يقول فيه ، وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه . والله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا علي بن بحر وعبد الله بن سعيد المصنف ، قالا : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى فسكث بها ليالي أيام التشريق يرمى الجمرة إذا زالت الشمس ، كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

قال ابن حزم : فهذا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه السلام صلى الظهر يوم النحر بمكة . وما والله أعلم أضبط لذلك من ابن عمر .

كذا قال : وليس بشيء ، فإن رواية عائشة هذه ليست ناصّةً أنه عليه السلام صلى الظهر بمكة ، بل محتملة إن كان الحفظ في الرواية : « حتى صلى الظهر » . وإن كانت الرواية « حين صلى الظهر » وهو الأشبه فإن ذلك دليل على أنه عليه السلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت ، وهو محتمل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعلى هذا فيبقى مخالفاً لحديث جابر ، فإن هذا يقتضى أنه صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت ، وحديث جابر يقتضى أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلى الظهر وصلاً بمكة .

وقد قال البخارى : وقال أبو الزبير ، عن عائشة ، وابن عباس ، أخر النبي صلى الله عليه وسلم - يعنى طواف الزيارة إلى الليل - .

وهذا الذى علقه البخارى قد رواه الناس من حديث يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وفرج بن ميمون ، عن سفيان الثورى ، عن أبي الزبير عن عائشة وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر إلى الليل . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث نفيان به . وقال الترمذى . حسن .

وقال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن عائشة وابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار ليلاً .

فإن حُمل هذا على أنه أخر ذلك إلى ما بعد الزوال كأنه يقول إلى العشيّ ، صحّ ذلك وأما إن حُمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جداً ومخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه السلام طاف يوم النحر نهاراً ، وشرب من سقاية زمزم .

وأما الطواف الذى ذهب فى الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع . ومن الرواة من يعبر عنه بطواف الزيارة ، كما سنذكره إن شاء الله . أو طواف زيارة مخضّة قبل طواف الوداع وبعد طواف الصّدّر الذى هو طواف الفرض .

وقد ورد حديث سنذكره فى موضعه : أن رسول الله كان يزور البيت كلّ ليلة من ليالى منى ، وهذا بعيد أيضاً والله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقى من حديث عمرو بن قيس ، عن عبد الرحمن ، عن القاسم

عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله أَذِنَ لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظَهيرةً ، وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلاً .

وهذا حديث غريب جداً أيضاً . وهذا قول طاوس وعروة بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَ الطواف يوم النحر إلى الليل .

والصحيح من الروايات وعليه الجمهور : أنه عليه السلام طاف يوم النحر بالنهار ، والأشبه أنه كان قبل الزوال ، ويحتمل أن يكون بعده . والله أعلم .

والمقصود أنه عليه السلام لما قَدِمَ مكة طاف بالبيت سَبْعاً وهو راكب ، ثم جاء زمزمَ وبنو عبد المطلب يَسْتَقُونَ منها ويسقون الناس ، فتناول منها دلوّاً فشرب منه وأَفْرَغَ عليه منه .

كما قال مسلم : أخبرنا محمد بن مِهَالٍ الضَّرِير ، حدثنا يزيد بن زُرَّيع ، حدثنا حُمَيْد الطَّوِيل ، عن بكر بن عبد الله المزني ، سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة : قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فأتيناه بإناء فيه نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة . وقال : «أحسنتم وأَجَلْتُم هَكَذَا فاصنعوا» .

قال ابن عباس : فنحن لانريد أن نغيّر ما أَمَرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية عن بكر أن أَعْرَابِيَا قال لابن عباس : مَالِي أَرَى بَنِي عَمِّكَ يَسْقُونَ اللَّبَنَ وَالْعَسَلَ وَأَنْتُمْ تَسْقُونَ النَّبِيذَ ، أَمِنْ حَاجَةٍ بِكُمْ أَمْ مِنْ بُحْلِ ؟ فذكر له ابن عباس هذا الحديث .

وقال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا حَمَّاد ، عن حُمَيْد ، عن بَكْر ، عن عبد الله أن أَعْرَابِيَا قال لابن عباس : مَا شَأْنُ آلِ مَعَاوِيَةَ يَسْقُونَ الْمَاءَ وَالْعَسَلَ ، وَآلُ فُلَانٍ يَسْقُونَ اللَّبَنَ ، وَأَنْتُمْ تَسْقُونَ النَّبِيذَ ، أَمِنْ بُحْلِ بِكُمْ أَمْ حَاجَةٌ ؟

فقال ابن عباس : ما بنا بخلٌ ولا حاجة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا وردَّ يده أسامة بن زيد فاستسقى فسقيناه من هذا - يعنى نبذ السَّقاية - فشرب منه وقال : « أحسنتم هكذا فاصنعوا » .

ورواه أحمد ، عن رَوْح ومحمد بن بكر ، عن ابن جُرَيْج ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس فذكره .

وروى البخارى عن إسحاق بن سليمان [حدثنا خالد] عن خالد [الْحَذَاء] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فَأَتَتْ رسولَ الله بشارب من عندها . فقال : اسقنى . فقال : يا رسول الله إنهم يحملون أيديهم فيه . قال : اسقنى . فشرب منه .

ثم أتى زمزمَ وهم يَسْقُونَ ويمملون فيها . فقال : اعملوا فإنكم على عملٍ صالح . ثم قال : لولا أن تُغلبوا لَنَزَعْتُ حتى أضع الحبلَ على هذه - يعنى عاتقه - وأشار إلى عاتقه .

وعنده من حديث عاصم عن الشَّعْبِي ، أن ابن عباس قال : سقيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم . قال عاصم : فحلف عكرمة : ما كان يومئذ إلا على بعير وفى رواية : ناقته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعير واستلم الحجر بِمِخْجَنٍ كان معه . قال : وأتى السقاية فقال : اسقونى . فقالوا : إن هذا يخوضه الناس ولكننا نأتيك به من البيت . فقال : لا حاجة لى فيه اسقونى مما يشرب الناس .

وقد روى أبو داود عن مُسَدَّد ، عن خالد الطَّحَّان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله مكة ونحن نستقى فطاف على راحلته . الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح وعفان ، قالا : حدثنا حماد ، عن قيس ، وقال عفان في حديثه : أنبأنا قيس عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلوأ فشرب ، ثم مَجَّ فيها ثم أفرغناها في زمزم . ثم قال : لولا أن تغلبوا عليها لنزعت يدي .

انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم .

فصل

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يُعِدَّ الطوافَ بين الصفا والمروة مرة ثانية بل اكتفى بطوافه الأول . كما روى مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : لم يَطُفْ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحداً .

قلت : والمراد بأصحابه هاهنا الذين ساقوا الهدى وكانوا قارنين .

كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمائشة : — وكانت أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة — : « يَكْفِيكَ طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرْوَةِ الْحَجَّكَ وَعِمْرَتَكَ » .

وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عامٌّ في القارين والمتمتعين . ولهذا نص الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طواف واحد عن حجه وعمرته ، وإن تحلل بينهما تحلل .

وهو قول غريب ، مأخذه ظاهر عموم الحديث . والله أعلم .

وقال أصحاب أبي حنيفة في المتمتع كما قال المالكية والشافعية : أنه يجب عليه طوافان وسعيان ، حتى طردت الحنفية ذلك في القارن ، وهو من أفراد مذهبهم أنه يطوف

طوافين وبسعى سعيين ، ونقلوا ذلك عن علي موقوفا . وروى عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد قدمنا الكلام على ذلك كله عند الطواف ، ويئنا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة . والله أعلم .

فصل

ثم رجع عليه السلام إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة ، كما دل عليه حديث جابر . وقال ابن عمر : رجع فصلى الظهر بمنى .

رواهما مسلم كما تقدم قريبا . ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة ومنى والله أعلم . وتوقف ابن حزم في هذا المقام فلم يحزم فيه بشيء ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه . فالله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم ، عن أبيه عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فكث بها ليالي أيام التشريق يرمى الجرات إذا زالت الشمس ، كل جرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

رواه أبو داود منفردا به .

وهذا يدل على أن ذهابه عليه السلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال . وهذا ينافي حديث ابن عمر قطعاً وفي منافاته لحديث جابر نظر . والله أعلم .

فصل

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت

بها الأحاديث ونحن نذكر منها ما يسره الله عز وجل .

قال البخارى : باب الخطبة أيام منى :

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا فضيل بن غزوان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : يا أيها الناس أى يوم هذا . قالوا : يوم حرام قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر هذا ! قالوا : شهر حرام . قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » قال : فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ! اللهم قد بلغت .

قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لو صيته إلى أمته : فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

ورواه الترمذى عن الفلاس عن يحيى القطان به . وقال : حسن صحيح .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن محمد بن سيرين أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه ورجل أفضل فى نفسى من عبد الرحمن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى بكرة رضى الله عنه ، قال : خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أتندرون أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس هذا يوم النحر ؟ قلنا بلى . قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى . قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس بالبلد الحرام ؟ قلنا : بلى .

قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد

الغائب فرُئِبَ مبلغٌ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض .

ورواه البخارى ومسلم من طرق ، عن محمد بن سيرين به . ورواه مسلم من حديث عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، عن أبيه فذكره . وزاد فى آخره : ثم انكشفوا إلى كبشين أملحين فذبحهما وإلى جذعة من الغنم فقسمها بيننا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فى حجته فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ؛ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . ثم قال : ألا أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس يوم الفجر ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليست البلدة [الحرام] قلنا : بلى قال : فإن دماءكم وأموالكم - لأحسبه قال : وأعراضكم - عليكم حرام كحُرْمَةِ يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فىسألکم عن أعمالکم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضُلَّالاً يضرب بعضكم رقابَ بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليملغ الشاهد الغائب ، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه .

هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ . وهكذا رواه أبو داود عن مسدد . والنسائى عن عمرو بن زُرَّارة ، كلاهما عن إسماعيل - وهو ابن عُلَيَّة - عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي بَكْرَةَ به .

وهو منقطع لأن صاحبها الصحيح أخرجاه من غير وجه عن أبوب وغيره ، عن محمد ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه به .

وقال البخارى أيضا : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم بمى : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن هذا يوم حرام ، أفندرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بلد حرام . قال : أفندرون أى شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهر حرام . قال : فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

وقد أخرجه البخارى فى أما كن متفرقة من صحيحه ، وبقية الجماعة إلا الترمذى ، من طرق عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن جده عبد الله بن عمر فذكره .

قال البخارى : وقال هشام بن الغار^(١) أخبرنى نافع ، عن ابن عمر [قال] وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج بهذا^(٢) وقال : هذا يوم الحج الأكبر . فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد . وودّع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع .

وقد أسند هذا الحديث أبو داود ، عن مؤمل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم . وأخرجه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، كلاهما عن هشام بن الغار ابن ربيعة الجرشي أبى العباس الدمشقي به .

(١) بحذف الياء ولانباتها ، فاعل من الغزو .

(٢) قال ابن حجر : بهذا ، أى بالحديث الذى تقدم من طريق محمد بن زيد عن جده . قال : وأراد المصنف بذلك أصل الحديث وأصل معناه لكن السياق مختلف . . وفسر الكرماني لفظة « بهذا » بقوله : وقف متلبساً بهذا الكلام المذكور — يريد التفويض بقوله : الله ورسوله أعلم — والباء فى بهذا تنعلق بقوله : وقف النبي . انظر إرشاد السارى ٣ / ٢٤٤

وقيامه عليه السلام بهذه الخطبة عند الجرات يحتمل أنه بعد رميه الجرة يوم النحر وقبل طوافه . ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى منى ورميه بالجرات .

لكن يقوى الأول ما رواه النسائي حيث قال : حدثنا عمرو بن هشام الحراني ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يحيى بن حصين الأحمسي ، عن جدته أم حصين قالت : حججت في حجة النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت بلالا آخذاً بقود راحلته وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يُظله من الحر وهو مُحْرَم حتى رمى جرة العقبة . ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولاً كثيراً

وقد رواه مسلم من حديث زيد بن أبي أنيسة ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدته أم الحصين قالت : حججت مع رسول الله حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذاً بخطام ناقة رسول الله والآخر رافع ثوبه يستتره من الحر حتى رمى بجرّة العقبة . قالت : فقال رسول الله قولاً كثيراً . ثم سمعته يقول : « إن أمر عليكم عبدٌ مُجَدِّع - حسبها قالت أسود - يُقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد الله ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح - وهو ذكوان السّمان - عن جابر ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أيُّ يوم أعظم حرمةً ؟ قالوا : يومنا هذا . قال : أي شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : شهرنا هذا . قال : أي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : بلدنا هذا . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال اللهم اشهد .

انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط الصحيحين . ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ عن أبي معاوية ، عن الأعمش به .

وقد تقدم حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر في خطبته عليه السلام يوم عرفة . فإله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . فذكر معناه .

وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به . وإسناده على شرط الصحيحين . فإله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو هشام ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : « فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » .

ثم قال البزار : رواه أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد . وجمعهما إنا أبو هشام . عن حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد .

قلت : وتقدم رواية أحمد له عن محمد بن عبيد الطنّافسي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله ، فلهذا عند أبي صالح عن الثلاثة . والله أعلم .

وقال هلال بن يساف ، عن سلمة بن قيس الأشجعي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « إنما هن أربع ، لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ولا تسرقوا » .

قال : فما أنا بأشجع عليهم متى حين سمعتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أحمد والنسائي من حديث منصور ، عن هلال بن يساف . وكذلك رواه سفيان بن عيينة والثوري عن منصور .

وقال ابن حزم في حجة الوداع : حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العُدري ، حدثنا أبو ذرّ عبد الله بن أحمد الهروي الأنصاري ، حدثنا أحمد بن عبيد الله الحافظ بالأهواز ، حدثنا سهل بن موسى بن شيرزاد ، حدثنا موسى بن عمرو بن عاصم ، حدثنا أبو العوام ، حدثنا محمد بن جُحادة ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : شهدت رسول الله في حجة الوداع وهو يخطب وهو يقول : « أُمّك وأباك وأختك وأخاك ثم أدّناك أدناك » قال : فجاء قوم فقالوا : يا رسول الله قتلنا بنو بَرَبوع . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجنّني نفس على أخرى » ثم سأله رجل نسي أن يرمى الجمار ، فقال : « ارم ولا حرج » ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله نسيت الطواف فقال : طُفْ ولا حرج . ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح قال : اذبح ولا حرج . فما سأله يومئذ عن شيء إلا قال : « لا حرج لا حرج » .

ثم قال : « قد أذهب الله الحرج إلا رجلاً اقترض امرءاً مسلماً فذلك الذي حرج وهلك » . وقال « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً إلا الهرم » .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن بعض هذا السياق من هذه الطريق . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثني شعبة ، عن علي بن مُدريك ، سمعت أبا زُرعة يحدث عن جرير - وهو جده - ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : في حجة الوداع : يا جرير استنصت الناس . ثم قال : في خطبته : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

ثم رواه أحمد ، عن غُثَدر وعن ابن مهدي ، كل منهما عن شعبة به . وأخرجه في الصحيحين من حديث شعبة به .

وقال أحمد : حدثنا ابن مُثَمِّر ، حدثنا اسماعيل ، عن قيس ، قال بلغنا أن جريراً قال : قال رسول الله : استنصت الناس . ثم قال عند ذلك : « لا أعرفن بعد ما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .
ورواه النسائي من حديث عبد الله بن مُثَمِّر به .

وقال النسائي : حدثنا هناد بن السري ، عن أبي الأخوص ، عن ابن غرقدة ، عن سليمان بن عمرو ، عن أبيه ، قال : شهدت رسول الله في حجة الوداع يقول : أيها الناس . ثلاث مرات . أيّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الحج الأكبر .

قال : « فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، ولا يتجنّى جانٍ على ولده ، ألا إن الشيطان قد بيّس أن يُعبد في بلدكم هذا ، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى ، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية بوضع ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »
وذكر تمام الحديث .

وقال أبو داود : باب من قال يخطب ^(١) يوم النحر : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا عكرمة - هو ابن عمار - حدثنا الهرمّاس بن زياد الباهلي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على ناقته المضيئة يوم الأضحى بمئى .

ورواه أحمد والنسائي من غير وجه ، عن عكرمة بن عمار ، عن الهرمّاس . قال : كان أبي مُرَدِّفٍ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمئى يوم النحر على ناقته المضيئة .

(١) أبو داود ٣٠٧/١ : خطب .

لفظ أحد ، وهو من ثلاثيات المسند . والله الحمد .

ثم قال أبو داود : حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني ، حدثنا الوليد ^(١) ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا سليم بن عامر [الكلاعي ^(٢)] سمعت أبا أمامة يقول : سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يوم النحر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر الكلاعي ، سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على الجذعاء واضع رجله في العرّز يتطاوّل ليُسمع الناس . فقال بأعلى صوته : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من طوائف الناس : يا رسول الله ماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « اعبدوا ربكم وصَلُّوا خمسكم وضُوموا شهركم وأطيعوا إذا أُمِرتُمْ ، تدخلوا جنة ربكم » .

فقلت : يا أبا أمامة مثل من أنت يومئذ ؟ قال : أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة أراحم البعير أرحزه قدما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه أحمد أيضا عن زيد بن الحباب ، عن معاوية بن صالح ، وأخرجه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكوفي ، عن زيد بن الحباب ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا إسماعيل بن عباس ، حدثنا شَرَحْبِيل ابن مسلم الخولاني ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته عام حجة الوداع : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله ، ومن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مآله فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة ، لا تُنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها » .

(١) أبو داود : حدثنا الوليد بن جابر ، حدثنا سليم . (٢) من سنن أبي داود ٣٠٧/١

فقيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ قال : ذاك أفضل أموالنا . ثم قال رسول الله :
« العارية مؤدّاة والمنحة مردودة ، والدين مقضى ، والزعيم غريم » .

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث إسماعيل بن عيَّاش ، وقال الترمذى : حسن .
ثم قال أبو داود رحمه الله : باب متى يخطب^(١) يوم النحر : حدثنا عبد الوهاب بن
عبد الرحيم الدمشقي ، حدثنا مروان ، عن هلال بن عامر المزني ، حدثني رافع بن عمرو
المزني ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى
على بغلة شهباء وعلى يعبّر عنه والناس بين قائم وقاعد .

ورواه النسائي عن دُحيم ، عن مروان الفزاري به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هلال بن عامر المزني ، عن أبيه ،
قال : رأيت رسول الله يخطب الناس بمنى على بغلة وعليه بُرد أحمر . قال : ورجل من
أهل بدر بين يديه يعبّر عنه .

قال : فجئت حتى أدخلت يدي بين قدمه وشراكه . قال : فجعلت أعجب
من برّدها .

حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا شيخ من بني فزارة ، عن هلال بن عامر المزني ، عن أبيه ،
قال : رأيت رسول الله على بغلة شهباء وعلى يعبّر عنه .

ورواه أبو داود من حديث أبي معاوية ، عن هلال بن عامر .

ثم قال أبو داود : باب ما يذكّر الإمام في خطبته بمنى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا
عبد الوارث ، عن حميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ
التيمي ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كفا
نسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع السَّابِطَيْنِ

(١) أبو داود : أى وقت يخطب .

ثم قال بحصى الخذف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مُقدّم المسجد ، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد ، ثم نزل الناسُ بعد ذلك .

وقد رواه أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه . وأخرجه النسائي من حديث ابن المبارك ، عن عبد الوارث كذلك .

وتقدم رواية لإمام أحمد له عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجل من الصحابة . قاله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث ابن جريج ، عن الزهري ، عن عيسى بن طلحة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّنا هو يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا وكذا . ثم قام آخر فقال : كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعَلْ وَلَا حَرْجَ » .

وأخرجه من حديث مالك . زاد مسلم : ويونس عن الزهري به . وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها . ومجمله كتاب الأحكام وبالله المستعان .
وفي لفظ الصحيحين قال : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال : افعَلْ وَلَا حَرْجَ .

فصل

ثم نزل عليه السلام بمنى حيث المسجد اليوم ، فيما يقال ، وأنزل المهاجرين يَمْنَةً والأنصار يَمْرَةً والناس حَوْلَهُمْ من بعدهم .

وقال الحافظ البيهقي : أبو عبد الله الحافظ أنبأنا علي بن محمد بن عُقبة الشَّيباني بالكوفة ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسرائيل ، عن

إبراهيم بن مهاجر، عن يوسف بن ماهك، عن أم مُسَيِّكة، عن عائشة، قالت : قيل يا رسول الله : ألا نَبْنِي لَكَ بِنَى بِنَاء يُظَلَّكَ ؟ قال : لا ، مَنَى مَنَاخُ من سَبَق .

وهذا إسناد لا بأس به ، وليس هو في المسند ولا في السكتب الستة من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر محمد بن خَلَّاد الباهلي ، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج [حدثني حَرِيز^(١)] أو أبو حَرِيز الشكُّ من يحيى ، أنه سمع عبد الرحمن بن قُرُوح يسأل ابنَ عمر قال : إنا نقبايع بأموال الناس فيأتى أحدنا مكة فيمبِّيت على المال ، فقال : أمّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبات ببنى وظلَّ .

انفرد به أبو داود^(٢) .

ثم قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا ابنُ ثُمير وأبو أسامة ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر قال استأذن العباسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالى مَنَى من أجل سِقَايته فأذن له .

وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن ثُمير . زاد البخارى : وأبى ضَمْرَة أنس بن عياض . زاد مسلم : وأبى أسامة حماد بن أسامة .

وقد علَّقه البخارى عن أبى أسامة وعُقبة بن خالد ، كلهم عن عبيد الله ابن عمر به .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه ببنى ركعتين ، كما ثبت عنه ذلك فى الصحيحين من حديث ابن مسعود وحارثة بن وهب رضى الله عنهما .

ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القَصْر النَّسْكُ ، كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم . قالوا : ومن قال : إنه عليه السلام كان يقول ببنى لأهل مكة : آمَنُوا

فإنّا قومٌ مُسَفَّرٌ : فقد غَلِطَ إنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو نازل بالأنطح ، كما تقدم . والله أعلم .

وكان صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام منى بعد الزوال كما قال جابر فيما تقدم ، ماشياً كما قال ابن عمر فيما سلف ، كل جمرَةً بسبع حصيات يكبرُ مع كل حصاة . ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عز وجل ولا يقف عند الثالثة .

قال أبو داود : حدثنا علي بن بحر ، وعبد الله بن سعيد المَعْنِيّ ، قالَا حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فكث بها [ليالي ^(١)] أيام التشريق ، يرمى الجمرَةَ إذا زالت الشمس ، كل جمرَة بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة ويقف عند الأولى والثانية فيطيل المقام ويتضرّع ، ويرمي الثالثة لا يقف عندها .
انفرد به أبو داود .

وروى البخاري من غير وجه ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أنه كان يرمى الجمرَة الدنيا بسبع حصيات يكبرُ على إثر كل حصاة ، ثم يتقدم ثم يسهل ، فيقوم مستقبل القبلة طويلاً ويدعو ويرفع يديه ثم يرمى الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ، ويدعو ، ويرجع يديه ، ويقوم طويلاً . ثم يرمى جمرَة ذاتِ العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها ، ثم ينصرف فيقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

وقال وبرة بن عبد الرحمن : قام ابن عمر عند العقبة بقدر قراءة سورة البقرة . وقال أبو نِجَاز : حرّرتُ قيامه بقدر قراءة سورة يوسف .
ذكرها البيهقي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن أبي القداح ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَخَّصَ للرَّعَاءِ أن يرموا يوماً وبرَّعوا يوماً .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر وأنبأنا رَوْح ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبي القدَّاح بن عاصم بن عدى ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَخَّصَ للرَّعَاءِ أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ، ثم يَدْعُوا يوماً وليلة ثم يرموا الغد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن بكر ، عن أبيه ، عن أبي القداح بن عاصم بن عدى عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَخَّصَ لرِعَاءِ الإبل في البيتوتة بَمَنَى حتى يرموا يوم النحر ثم يرمون يوم النحر ثم يرمون الغد أو من بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النَّفَر .

وكذا رواه عن عبد الرزاق عن مالك بنحوه . وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك ومن حديث سفيان بن عيينة به . قال الترمذى : ورواية مالك أصحُّ ، وهو حديث حسن صحيح .

فصل

فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه السلام

خطب الناس بَمَنَى في اليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها

قال أبو داود : باب أى يوم يخطب : حدثنا محمد بن العلاء ؛ أنبأنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجلين من بني بكر ، قالا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته ،

وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى .
انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ربيعة بن عبد الرحمن ابن حصين^(١) ، حدثني جدتي سراء بنت نهبان - وكانت ربة بيت في الجاهلية - قالت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الروس فقال : أيّ يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس أوسط أيام التشريق ؟
انفرد به أبو داود .

قال أبو داود : وكذلك قال عمّ أبي حُرّة^(٢) الرقاشي أنه خطب أوسط أيام التشريق .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد متصلاً مطولاً فقال : حدثنا عثمان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي حُرّة الرقاشي ، عن عمه ، قال : كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس . فقال : يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم ؟ قالوا : في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى أن تلقوه .

ثم قال : « اسمعوا مني تعيشوا ، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يحل مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب نفس منه . ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة ، وإن أول دم يوضع دم [ابن] ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب كان مُسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ، ألا إن كل رباً في الجاهلية موضوع وإن الله قضى

(١) سنن أبي داود ٣٠٧/١ : ابن حصن .

(٢) الأصل أبو حمزة . وما أثبتته عن سنن أبي داود ٣٠٧/١ . وميزان الاعتدال ٦٢١/١ .

(٢٦ - السيرة - ٤)

أَنْ أُولَ رِبَا يَوْضَع رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَكُمْ رَعُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ .

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . ثُمَّ قَرَأَ : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كِفَارًا يُضْرَبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بُئِيَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنَّهُ فِي التَّخْرِيشِ يَدْنُكُمْ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ ^(١) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، وَإِنْ لَهْنُ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، أَلَا يُوْطِئُنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَسْكُرْهُنَّ . فَإِنْ خِفْتُمْ نَشْوَزَهُنَّ فَمِظُّوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤْذِهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَ عَلَيْهَا .

وَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ ثُمَّ قَالَ : لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ .

قَالَ حُمَيْدٌ : قَالَ الْحَسَنُ حِينَ بَلَغَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ : قَدْ وَاللَّهِ بَلَغُوا أَقْوَامًا كَانُوا أَسْعَدَ بِهِ .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ مِنْ سَنَنِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ ، عَنْ أَبِي حُرَيْرَةَ الرَّقَاشِيِّ - وَاسْمُهُ حَنِيفَةُ - عَنْ عَمِّهِ بَعْضُهُ ^(٢) فِي النِّشْوَزِ .

قال ابن حزم : جاء أنه خطب يوم الرؤوس وهو اليوم الثانى من يوم النحر بلا خلاف عند أهل مكة ، وجاء أنه أوسط أيام التشريق ، فتَحْمَلُ على أن أوسط بمعنى أشرف كما قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » وهذا المسلك الذى أخذه ابن حزم بعيد والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدثنا أبو همام محمد بن الزبرقان ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار وصدقة بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » فعرف أنه الوداع فأمر بإحلاله القصواء فرحلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة ، فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإن كل دم كان فى الجاهلية فهو هَدَر ، وإن أول دمائكم أَهْدِر دم [ابن] ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هُذَيْل . وكل ربا فى الجاهلية فهو موضوع ، وإن أول ربا كم أضع ربا العباس بن عبد المطلب .

أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر منها أربعة حُرُم زجب - مُضَر - الذى بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم « ذلك الدِّين القيم فلا تَظَلُّوا فيهن أنفسكم » الآية « إنما النِّسْيُ زيادةٌ فى السَّكْفِ يُضِلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله » كانوا يحلون صفر عاما ويحرمون المحرم عاما ، ويحرمون صفر عاما ويحلون المحرم عاما ، فذلك النِّسْيُ .

يا أيها الناس من كان عنده ودعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد ببلادكم آخر الزمان ، وقد يرضى عنكم ، بِمُخَقَّرات الأعمال ، فاحذروه

على دينكم بمحقرات الأعمال ، أيها الناس إن النساء عندكم عَوَانٍ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن حق ولهن عليكم حق ، ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يعصينكم في معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإن ضربتم فاضربوا ضرباً غير مبرح . ولا يحل لامرئٍ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه ، أيها الناس إني قد تركت فيكم ، ما إن أخذتم به لم تضلوا ، كتاب الله ، فاعملوا به .

أيها الناس أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا بلد حرام . قال : أى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمه هذا اليوم في هذا البلد وهذا الشهر ، ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم ، لاني بعدى ولا أمة بعدكم . ثم رفع يديه فقال : اللهم اشهد .

ذكر إيراد حديث فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت في كل ليلة من ليالي منى

قال البخارى : يُذَكَّرُ عن أبي حسان عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت في أيام منى .
هكذا ذكره معلقاً بصيغة التريض .

وقد قال الحافظ البيهقي : أخبرناه أبو الحسن بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار ، حدثنا العمري ، أنبأنا ابن عرعة ، فقال : دفع إلينا معاذ بن هشام كتاباً قال : سمعته من أبي ولم يقرأه . قال : فكان فيه : عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة مادام بمنى . قال : وما رأيت أحداً واطأه عليه .

قال البيهقي : وروى النورى في الجامع عن ابن طاوس ، عن طاوس ، عن ابن عباس ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقيض كل ليلة - يعني ليالى منى - وهذا مرسل .

فصل

اليوم السادس من ذى الحجة قال بعضهم: يقال له يوم الزينة ، لأنه يزِين فيه البدن بالجلال وغيرها .

واليوم السابع يقال له يوم التزوية ، لأنهم يتزوون فيه من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده .

واليوم الثامن يقال له يوم منى لأنهم يرحلون فيه من الأبطح إلى منى .

واليوم التاسع يقال له يوم عرفة ، لوقوفهم فيه بها .

واليوم العاشر يقال له يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر .

واليوم الذى يليه يقال له يوم القَرّ ، لأنهم يَقَرّون فيه ، ويقال له يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحى ، وهو أول أيام التشريق .

وثانى أيام التشريق يقال له يوم النُفَر الأولى ، لجواز النفر فيه ، وقيل هو اليوم الذى

يقال له يوم الرؤوس . واليوم الثالث من أيام التشريق يقال له يوم النفر الآخر . قال الله

تعالى : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ^(١) » الآية .

[فلما ن يوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث من أيام التشريق] ^(٢) ، وكان يوم الثلاثاء ، ركب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فنفر بهم من منى فنزل الحصب ، وهو واد بين مكة ومنى فصلى به العصر .

كما قال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا سفيان

الثوري ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال سألت أنس بن مالك : أخبرني عن شيء عَقَلْتَهُ
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين صلى الظهر يوم التَّروِيَةِ ؟ قال : بِنَى . قلت : فأين
صلى العصر يوم النَّفَرِ ؟ قال : بالأبطح ، افعل كما يفعل أمراؤك .

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم النفر بالأبطح ، وهو المحصب . فأنه أعلم .
قال البخاري : حدثنا عبد المتعال بن طالب ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن
الحارث ، أن قتادة حدثه ، أن أنس بن مالك حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى
الظهر والعصر [والمغرب]^(١) والعشاء ، ورقد رقدة في المحصب ثم ركب إلى البيت فطاف به .
قلت : يعني طواف الوداع .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد بن الحارث ، قال : سئل
عبد الله عن المحصب فحدثنا عبيد الله عن نافع قال : نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر وابن عمر .

وعن نافع : أن ابن عمر كان يصلي بها - يعني المحصب - الظهر والعصر ، أحسبه
قال : والمغرب . قال خالد : لأشك في العشاء ، ثم يهجع هَجْعَةً وَيَذْكُرُ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نوح بن ميمون ، أنبأنا عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصب .

هكذا رأيت في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العُمري عن نافع .
وقد روى الترمذي هذا الحديث عن إسحاق بن منصور . وأخرجه ابن ماجه عن
محمد بن يحيى ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح .

قال الترمذي : وفي الباب عن عائشة وأبي رافع وابن عباس ، وحديث ابن عمر

حسن غريب ، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر به .
وقد رواه مسلم عن محمد بن مهران الرازي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح .
ورواه مسلم أيضاً من حديث صخر بن جويرية ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان ينزل
الحصْب^(١) ، وكان يصلي الظهر يوم النفر بالحصبة .

قال نافع : قد حصَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده .
وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن أيوب وحميد ،
عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم جمع الجمعة ، ثم دخل - يعني مكة - فطاف بالبيت .
ورواه أحمد أيضاً عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن بكر ، عن ابن عمر فذكره .
وزاد في آخره : وكان ابن عمر يفعله . وكذلك رواه أبو دواد عن أحمد بن حنبل .
وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني
الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ألف يوم النحر بمنى : « نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » -
يعني بذلك الحصْب - الحديث .

ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي . فذكر
مثله سواء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن علي بن
الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ، قال : قلت يا رسول الله أين تنزل
غداً - في حجته - ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل منزل ! ثم قال : نحن نازلون غداً إن شاء الله

(١) ت : كان يرى الحصْب سنة .

بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ - يَعْنِي الْمَحْصَبَ - حَيْثُ قَامَتِ قَرِيشًا عَلَى الْكُفْرِ .
وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ حَالَتِ قَرِيشًا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ أَنْ لَا يَنَافِكُوهُمْ وَلَا يَبَايَعُوهُمْ
وَلَا يُؤْوِيَهُمْ - يَعْنِي حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ .
ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : « لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ » قَالَ الزَّهْرِيُّ :
وَالْخَيْفُ : الْوَادِي .
أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ .

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ فِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصَدَ النُّزُولَ فِي الْمَحْصَبِ مُرَافَعَةً
لَمَّا كَانَ تَمَالًا عَلَيْهِ كِغَارَ قَرِيشٍ لَمَّا كَتَبُوا الصَّحِيفَةَ فِي مُصَارَمَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَلَبِ
حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .
وَكَذَلِكَ نَزَلَهُ عَامَ الْفَتْحِ ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ نَزُولُهُ سُنَّةً مُرَغَّبًا فِيهَا ، وَهُوَ أَحَدُ
قَوْلِي الْعُلَمَاءِ .

وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، أَنبَأَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : إِنَّمَا كَانَ مَنَزَلًا يَنْزِلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَسْمَحَ لخُرُوجِهِ
- يَعْنِي الْأَبْطَحَ - .

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ هِشَامٍ بِهِ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ : إِنَّمَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَحْصَبَ لِيَكُونَ
أَسْمَحَ لخُرُوجِهِ ، وَلَيْسَ بِسُنَّةٍ ، فَمَنْ شَاءَ نَزَلَهُ وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَنْزِلْهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُو عَنْ
عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَيْسَ التَّخَصُّيبُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا هُوَ مَنَزَلٌ نَزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سفیان - وهو ابن عيينة - به .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل وثمان بن أبي شيبة المَعْنِيّ ومُسَدَّد ، قالوا : حدثنا سفیان ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع : لم يأمرني ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أنزله ، ولكن ضربت قبته فنزله . قال مسدد : وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم . وقال عثمان - يعني [في] ^(١) الأبطح - .

ورواه مسلم عن قتيبة وأبي بكر وزهير بن حرب عن سفیان بن عيينة به .
والمقصود أن هؤلاء كلهم اتفقوا على نزول النبي صلى الله عليه وسلم في الحصب لما نقر من منى ، ولكن اختلفوا : فمنهم من قال : لم يقصد نزوله وإنما نزله اتفاقاً ليكون أسمع لخروجه . ومنهم من أشعر كلامه بقصده عليه السلام نزوله ، وهذا هو الأشبه .

وذلك أنه عليه السلام أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه ، كما قال ابن عباس ، فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت - يعني طواف الوداع - فأراد عليه السلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع وقد نفر من منى قريب الزوال ، فلم يكن يمكنه أن يحج البيت في بقية يومه ويطوف به ويرحل إلى ظاهر مكة من جانب المدينة ، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجمل الغفير ، فاحتاج أن يبيت قبل مكة .

ولم يكن منزل أنسب لميئته من الحصب الذي كانت قريش قد عاقدت بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه ، فلم يُبرم الله لقريش أمراً بل كبّتهم وردّهم

خائبين ، وأظهر الله دينه ونصر نبيه وأعلى كلمته ، وأتم له الدين القويم ، وأوضح به الصراط المستقيم

فحج بالناس وبين لهم شرائع الله وشعائره ، وقد نفر بعد إكمال المناسك فنزل في الموضع الذي تقاسمت قریش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة ، فصلى به الظهر والعصر والغرب والعشاء وجمع جمعة .

وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليُعمرها من التنعيم ، فإذا فرغت أنته ، فلما قضت عمرتها ورجعت أذن في المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق .

كما قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، حدثنا خالد ، عن أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أحرمت من التنعيم بعمره فدخلت فقضيت عمرتي ، وانتظرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح حتى فرغت ، وأمر الناس بالرحيل . قالت : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فطاف به ثم خرج . وأخرجاه في الصحيحين من حديث أفلح بن حميد .

ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو بكر - يعني الحنفى - حدثنا أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : خرجت معه ، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [في] ^(١) النفر الآخر فنزل المحصب .

قال أبو داود : فذكر ابن بشار بعثها إلى التنعيم ، قالت : ثم جئت سحراً ، فأذن في أصحابه بالرحيل فارتحل ، فمرّ بالبيت قبل صلاة الصبح ، فطاف به حين خرج ، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة .

ورواه البخارى عن محمد بن بشار به .

قلت : والظاهر أنه عليه السلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه ، وقرأ في صلاته تلك بسورة « والطور وكتاب مسطور في رَقٍّ منشور . والبيت المعمور والسقف المرفوع . والبحر المسجور » السورة بكاملها .

وذلك لما رواه البخارى حيث قال : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : شكوت إلى رسول الله أنى أشتكى ، قال : طوفى من وراء الناس وأنت راكبة . فطُفْتُ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ : « والطور وكتاب مسطور » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث مالك بإسناد نحوه .

وقد رواه البخارى من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب ، عن أم سلمة ، أن رسول الله قال وهو بمكة وأراد الخروج ، ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها : « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعرك والناس يُصلون » فذكر الحديث .

فأما ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرها أن توافى معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة .

فهو إسناد كما ترى على شرط الصحيحين ، ولم يخرج أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ ولعل قوله : « يوم النحر » غلطٌ من الراوى أو من الناسخ ، وإنما هو يوم النفر ، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخارى . والله أعلم .

والمقصود أنه عليه السلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعاً ووقف في الملتزم بين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة ، فدعا الله عز وجل وألزم جسده

بجدار النكبة . قال الثوري عن الثني بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزق وجهه وصدره بالملتزم .
الثني ضعيف .

فصل

ثم خرج عليه السلام من أسفل مكة كما قالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة من أعلاها وخرج من أسفلها . أخرجاه .
وقال ابن عمر : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا التي بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى .
رواه البخاري ومسلم .

وفي لفظ : دخل من كدّاء وخرج من كدّى .
وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا أجليح بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عند غروب الشمس ، فلم يصل حتى أتى سرف ، وهي على تسعة أميال من مكة .
وهذا غريب جداً ، وأجليح فيه نظر . ولعل هذا في غير حجة الوداع ، فإنه عليه السلام كما قدمنا طاف بالبيت بعد صلاة الصبح ، فماذا أخره إلى وقت الغروب ؟ هذا غريب جداً .

اللهم إلا أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه السلام رجع إلى المحصب من مكة بعد طوافه بالبيت طواف الوداع ، ولم يذكر دليلاً على ذلك إلا قول عائشة حين رجعت من أعمارها من التمتع فلقيته بصعدة ، وهو منهبط على أهل مكة ، أو منهبطة وهو مُصعد .

قال ابن حزم : الذي لاشك فيه أنها كانت مُصعدة من مكة وهو منهبط ، لأنها

تقدمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت ، ثم نهض عليه السلام إلى طواف الوداع فلقبها مُنْصَرَفُهُ إلى المحْصَب من مكة .

وقال البخارى : باب من نزل بذى طُوًى إذا رجع من مكة .

وقال محمد بن عيسى : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا أقبل بات بذى طُوًى حتى إذا أصبح دخل ، وإذا نهر مرَّ بذى طوى وبات بها حتى يُصبح ، وكان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

هكذا ذكر هذا معلِّقاً بصيغة الجزم ، وقد أسنده هو ومسلم من حديث حماد بن زيد به ، لكن ليس فيه ذكر المبيت بذى طوى فى الرَّجْعَة . فإلله أعلم .

فائدة عزيزة : فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استصحب معه من ماء زمزم شيئا .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كُريب ، حدثنا خلاد بن يزيد الجعفى ، حدثنا زهير بن معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله .
ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن مُقاتِل ، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - حدثنا موسى بن عُقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَفَلَ من الغزو أو من الحج أو من العمرة ، يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .
والأحاديث فى هذا كثيرة والله الحمد والمنة .

فصل

في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة ،
مرجه من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غدير خُم -

فبين فيها فضلَ علي بن أبي طالب وبراءة عِرضه مما كان تسكلم فيه بعضُ من كان
معه بأرض اليمن ، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلَة التي ظنّها بعضهم جَوْرًا
وتضييقًا وبخلاً ، والصواب كان معه في ذلك .

ولهذا لما تفرَّغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء
الطريق ، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ ، وكان يوم
الأحد بغدير خُم ، تحت شجرة هناك ، فبين فيها أشياء . وذكر من فضل علي وأمانته
وعَدْلَه وقُرْبَه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه .

ونحن نورد عيونَ الأحاديث الواردة في ذلك ونبين مافيها من صحيح وضعيف ،
بحول الله وقوته وعونه .

وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبري ، صاحب التفسير
والتاريخ ، فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طُرُقَه وألفاظه ، وساق الفَتْ والسِّمين والصحيحَ
والسَّقِيم ، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين ، يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من
غير تمييز بين صحيحه وضعيفه . وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أوردَ
أحاديث كثيرة في هذه الخطبة .

ونحن نورد عيونَ ما روى في ذلك ، مع إعلامنا أنه لاحظٌ للشيعة فيه ، ولا متمسكٌ
لهم ولا دليل ، لما سَنَبَيْتُه وننبه عليه . فنقول وبالله المستعان :

قال محمد بن إسحاق - في سياق حجة الوداع - : حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، قال : لما أقبلَ عليٌّ من اليمن ليَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعَمِدَ ذلك الرجل فكسا كلَّ رجل من القوم حُلَّةً من البرِّ الذي كان مع عليّ .

فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحُلَل ، قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدِموا في الناس . قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلَل من الناس فردّها في البرِّ ، قال : وأظهر الجيشُ شكواهم لما صَنَعَ بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حزم ، عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عُجْرَة ، عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد ، قال : اشتكى الناسُ عليّاً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعتُه يقول : « أيها الناس لا تَشْكُوا عليّاً ، فوالله إنه لَأَخْشَنُ في ذات الله أوفى سبيل الله [من أن يُشَكَّى] ^(١) » .

ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق به وقال : إنه لَأَخْشَنُ في ذات الله أوفى سبيل الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دُكَيْن ، حدثنا ابن أبي غَنِيَّة ، ^(٢) عن الحكم عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن بُرَيْدَةَ قال : غزوت مع عليّ اليمنَ فرأيت منه جَفَوَةً ، فلما قَدِمَت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَرْتُ عليّاً فتنَقَّصْتُهُ فرأيت وجهه

رسول الله يتغير، فقال : « يا بريدة أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : « من كنت مَوْلَاهُ فعلىَّ مَوْلَاهُ » .

وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحراني ، عن أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن ، عن عبد الملك بن أبي غنيرة بإسناده نحوه . .
وهذا إسناده جيد قوى رجاله كلهم ثقات .

وقد روى النسائي في سننه ، عن محمد بن المنثني ، عن يحيى بن حماد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خمَّ أمر بدَّوْحَاتِ فُقُمَيْنَ ^(١) ثم قال : « كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجِيتُ ، إني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » .

ثم قال : « الله مولاي وأنا وليُّ كل مؤمن » ثم ثم أخذ بيد عليَّ فقال : « من كنت مَوْلَاهُ فهذا وثيَّه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

فقلت لزيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كان في الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ بِعَيْنِيهِ وَصَمِعَهُ بِأُذُنِيهِ .

تفرد به النسائي من هذا الوجه .

قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وهذا حديث صحيح .

وقال ابن ماجه : حدثنا علي بن محمد ، أخبرنا أبو الحسين ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع التي حج ، فنزل في الطريق ، فأمر الصلاة جامعة .

فأخذ بيد عليّ فقال : « أَلَسْتُ بِأُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : أَلَسْتُ بِأُولَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَمَهَذَا وَلِيُّيُّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ » .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن عدي عن البراء .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى والحسن بن سفيان : حدثنا هُدْبَةُ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد وأبي هارون ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فلما أتينا على غدير خُفِّمَ كَسِاحُ^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين ، ونودي في الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال : « أَلَسْتُ أُولَى بِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَإِنْ هَذَا مَوَلَايُ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ » .

فلقيه عمرُ بن الخطاب فقال : هنيئاً لك ! أصبحتَ وأمسيتَ مَوَلَايُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ !

ورواه ابن جرير ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، وأبي هارون العَبْدِيُّ - وكلاهما ضعيف - عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب به .

وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي - وهو ضعيف جداً - عن أبي إسحاق السَّبَّيْعِيِّ ، عن البراء وزيد بن أرقم . قاله أعلم .

(١) كَسِاح : كَنَس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُثَمَّر ، حدثنا عبد الملك ، عن أبي عبد الرحيم الكندي ، عن زاذان أبي عمر ، قال سمعت عليا بالرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خُم وهو يقول ما قال ؟ قال : فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

تفرد به أحمد ، وأبو عبد الرحيم هذا لا يعرف .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه : حديث على بن حكيم الأزدي ، أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيع قال : نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خُم إلا قام .

قال : فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى يوم غدیر خُم : « أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

قال عبد الله : وحدثني على بن حكيم ، أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى أمر ، مثل حديث أبي إسحاق يعنى عن سعيد وزيد . وزاد فيه : « وانصر من نصره واخذل من خذله » .

قال عبد الله : وحدثنا على ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

وقال النسائي في كتاب « خصائص على » : حدثنا الحسين بن حرب ، حدثنا

الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : قال عليّ في الرحبة : أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خُم يقول : « إن الله وليّ المؤمنين ، ومن كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره » .

وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق وهذا إسناد جيد .

ورواه النسائي أيضا من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى أمر ، قال نَشَد عليّ الناس بالرحبة ، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يوم غدِير خُم : « من كنت مولاه فإن عليا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره » .

ورواه ابن جرير ، عن أحمد بن منصور ، عن عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن وهب وعبد خير ، عن عليّ .

وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور ، عن عبيد الله بن موسى وهو شيعي ثقة ، عن مطر بن خليفة ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن وهب وزيد بن يُثَيِّع وعمرو ذى أمر ، أن عليا نَشَد الناس بالسكوفة . وذكر الحديث .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يونس بن أرقم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، شهدتُ عليّا في الرَّحْبَةِ يَنشُدُ النَّاسَ فقال : أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدِير خُم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » لما قام فشهد .

قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر رجلا بدريا كأنى أنظر إلى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله يقول يوم غدِير خُم : « أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِي

أُمّهاتهم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « من كنت مَولاه فعلى مَولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه »

إسناد ضعيف غريب .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أحمد بن مُحمّر الوَكيعي ، حدثنا زيد بن الحُبَاب ، حدثنا الوليد بن عُقبة بن ضِرار القَيْسِي ، أنبأنا سِمَاك ، عن عبيد بن الوليد القَيْسِي ، قال : دخلت على عبد الرحمن بن أبي إيلي فحدثني أنه شهد عليا في الرَّحبة قال : أنشد الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهده يوم غدير خُم إلا قام ، ولا يقوم إلا من قد رآه . فقام اثنا عشر رجلا فقالوا : قد رأيناك وسمعناه حيث أخذ بيده يقول : « اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته .

ورَوَى أيضا عن عبد الأعلى بن عامر الشَّعْبِي وغيره ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا أبو عامر العَقْدِي ، وروى ابن أبي عاصم ، عن سليمان الغَلَّابِي ، عن أبي عامر العَقْدِي ، حدثنا كثير بن زيد ، حدثني محمد بن عمر بن علي ، عن أبيه ، عن علي ، أن رسول الله حضر الشجرة بِخُم . فذكر الحديث وفيه : من كنت مَولاه فإن عليا مَولاه .

وقد رواه بعضهم عن أبي عامر ، عن كثير ، عن محمد بن عمر بن علي ، عن علي منقطعا .

وقال إسماعيل بن عمرو البَجَلِي ، وهو ضعيف ، عن مِسْعَر عن طلحة ، بن مُصْرَف عن عميرة بن سعد : أنه شهد عليا على المنبر يفأشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خُم . فقام اثنا عشر رجلا منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك ، -

فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هانىء بن أبوب ، وهو ثقة ، عن طلحة ابن مصرف به .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا شعبة ، حدثنا نعيم بن حكيم ، حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم غدِير خُم : « من كنت مولاه فعلى مولاه . » قال : فزاد الناس بعدُ : « وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

روى أبو داود بهذا السند حديث الخدج .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى ، قالا : حدثنا قطن ، عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي الناس في الرَّحْبَةِ - يعني رَحْبَةَ مسجد الكوفة - فقال : أنشد الله كل من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدِير خُم ما سمع لما قام . فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أنعمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . »

قال : فخرجت كأن في نفسي شيئاً ، فلقيت زيد بن أرقم . فقلت له : إني سمعت علياً يقول : كذا وكذا . قال : فما تُنكر ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له . هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضى الله عنه .

ورواه النسائي من حديث الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم به . وقد تقدم .

وأخرجه الترمذي عن بغداد ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، سمعت

أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة - أو زيد بن أرقم شكَّ شعبة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعلى مولاه .

ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم ، عن أبي نعيم ، عن كامل أبي العلاء ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن يحيى بن جعدة ، عن زيد بن أرقم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أبي عبيد ، عن ميمون أبي عبد الله ، قال : قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله منزلاً يقال له وادي خُم ، فأمَرَ بالصلاة فصلاًها بهَجِير .

قال : فخطبنا وأظَل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس . فقال : « أَلستم تعلمون - أو أَلستم تشهدون - أني أُوَلِّي بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى . قال : فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ثم رواه أحمد عن عُذَر عن شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم إلى قوله : من كنت مولاه فعلى مولاه قال ميمون : حدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن ، وقد صحح الترمذي بهذا السند حديثاً في الرِّيْث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي ، عن رباح بن الحارث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا . قال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب . قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُم يقول : من كنت مولاه فهذا مولاه . قال رباح : فلما مضوا تبعهم فسألت : من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حنش ، عن رباح بن الحارث ، قال : رأيت قوما من الأنصار قدموا على عليّ في الرحبة فقال : من القوم ؟ فقالوا : مواليك يا أمير المؤمنين فذكر معناه .

هذا لفظه وهو من أفراده .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء ، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي ، وهو صدوق ، حدثني مهاجر بن مسمار ، عن عائشة بنت سعد ، سمعت أباها يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجحفة : وأخذ بيد عليّ فخطب ثم قال : أيها الناس إني وليكم . قالوا : صدقت . فرفع يد عليّ فقال : هذا وليي والمؤدّي عني ، وإن الله موالى من والاه ، ومعادى من عاداه .

قال شيخنا الذهبي : وهذا حديث حسن غريب .

ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كبير ، عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنه عليه السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم ، فخطبهم الحديث .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتاب « غدير خم » . قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير - : حدثنا محمود بن عوف الطائي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسماعيل بن كشيظ ، عن جميل بن عمارة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر - قال ابن جرير : أحسبه قال : عن عمر وليس في كتابي - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عليّ [يقول] « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

وهذا حديث غريب . بل منكر وإسناده ضعيف قال البخاري في جميل بن عمارة هذا فيه نظر .

وقال المطلب بن زياد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، سمع جابر بن عبد الله يقول :
كفا بالبحفة بغدير خم فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خباء أو فسطاط ،
فأخذ بيد علي فقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » .

قال شيخنا الذهبي : هذا حديث حسن . وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره ،
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير ، قالا : حدثنا إسرائيل ،
عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة . قال يحيى بن آدم : وكان قد شهد حجة
الوداع . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ مني وأنا منه ، ولا يؤدّي عنّي إلا
أنا أو عليّ .

وقال ابن أبي بكير : لا يقضى عنّي ديني إلا أنا أو عليّ .

وكذا رواه أحمد أيضا عن أبي أحمد الزبيري ، عن إسرائيل .

قال الإمام أحمد : وحدثناه الزبيري ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن حبشي
ابن جنادة مثله . قال : فقلت لأبي إسحاق : أين سمعت منه ؟ قال : وقف علينا على فرس
في مجلسنا في جبانة السبيع .

وكذا رواه أحمد ، عن أسود بن عامر ، ويحيى بن آدم ، عن شريك ورواه الترمذي
عن إسماعيل بن موسى ، عن شريك ، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن
سعيد وإسماعيل بن موسى ، ثلاثهم عن شريك به ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان ،
عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل به . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

ورواه سليمان بن قرم - وهو متروك - عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة ،
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ،

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أنبأنا شريك ، عن أبي يزيد الأزدي ، عن أبيه ، قال : دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : نعم .

ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن شاذان ، عن شريك به . تابعه إدریس الأزدي ، عن أخيه أبي يزيد ، واسمه داود بن يزيد به . ورواه ابن جرير أيضاً من حديث إدریس وداود عن أبيهما عن أبي هريرة فذكره

فأما الحديث الذى رواه ضمرة عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » فأنزل الله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » . قال أبو هريرة : وهو يوم غدیر خم ، من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً .

فإنه حديث منكر جداً ، بل كذب ، لمخالفته لما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها . كما قدمنا .

وكذا قوله : « إن صيام يوم الثامن عشر من ذى الحجة وهو يوم غدیر خم يعدل صيام ستين شهراً » لا يصح ، لأنه قد ثبت ما معناه فى الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر ، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً ؟ ! هذا باطل .

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديث مُنْكَرٌ جداً .

ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيرى ، وهما صدوقان عن علي بن سميعة الرملى ، عن ضمرة . قال : ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية .

قال : وصَدَّرَ الحديث متواترًا تَيَقَّنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وأما : « اللهم وال من والاه » فزيادة قوية الإسناد . وأما هذا الصوم فليس بصحيح ، والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدیر خُمَ بأيام . والله تعالى أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا علي بن إسحاق الوزير الأصبهاني ، حدثنا علي بن محمد المنقذى حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي ، حدثنا علي بن محمد بن يوسف بن شبان بن مالك بن مسمع ، حدثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك أخى كعب بن مالك ، عن أبيه عن جده ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط ، فاعرفوا ذلك له . أيها الناس إني عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطاحه والزبير وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راضٍ ، فاعرفوا ذلك لهم .

أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهارى وأحبابى ، لا يطلبكم الله بمظلمة أحد منهم أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً .

سنة إحدى عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد استقرَّ الرِّكابُ الشريف النبوي بالمدينة النبوية المطهرة ،
مَرَجِعَهُ من حِجَّة الوداع .

وقد وقعت في هذه السنة أمور عِظَام ، من أَعْظَمِهَا خَطْباً وفاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عليه السلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدى في حِلَّةٍ عالية رفيعة ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أَسْفَى كما قال تعالى : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَأَسْوَفُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » .

وذلك بعد ما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها ، ونصح أمته ودلهم على خير ما يعلمه لهم ، وحذَّروهم ونهاهم عما فيه مَضَرَّة عليهم في دنياهم وأخراهم ، وقد قدَّمنا ما رواه صاحبنا الصحيح من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : نزل قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة .

ورويانا من طريق جيد : أن عمر بن الخطاب حين نزلت هذه الآية بسكى ، فقيل : ما يسكيك ؟ فقال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان . وكأنه استشعرَ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار عليه السلام إلى ذلك فيما رواه مسلم من حديث ابن جُرَيْج ، عن أبي الزبير عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وقال لنا : « خذُوا عَنِّي مَنَاسِكُمْ ، فَلَعَلِّي لَا أَحِجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا » .

وقدَّمنا ما رواه الحفاظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة

الرَّبَذِي ، عن صَدَقَةَ بْنِ إِسَار ، عن ابن عمر ، قال : نزلت هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » في أوْسط أيام التشريق ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع ، فأمر بِراحِلته القُصواء فرحَلت . ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم كما تقدم .

وهكذا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بِمَحْضَر كثير من الصحابة ، ليريههم فضل ابن عباس وتقدّمه وعِلْمه ، حين لَامَهُ بِمَعْضُهم على تقديمه وإجلالهِ له مع مشايخ بدر ، فقال : إنه من حيث تعلمون . ثم سألهم وابنُ عباس حاضر عن تفسير هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبِّح بِحَمْد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقالوا : أُمِرنا إذا فُتِحَ لنا أن نَذْكُر الله ونُحَمِّدَهُ ونُسْتَغْفِرَهُ .

فقال : ماتقول يا ابن عباس ؟ فقال هو أَجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نُعَى إِلَيْهِ . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تعلم .

وقد ذكرنا في تفسير هذه السورة ما يبدل على قول ابن عباس من وجوه ، وإن كان لا ينافي ما فسّر به الصحابة رضى الله عنهم .

وكذلك ما رواه الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التَّوْأمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال : « إنما هي هذه الحجة ثم الزمنَ ظهور الحُصْر » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود في سننه من وجه آخر جيد .

والمقصود أن النفوس استشعرت بوفاته عليه السلام في هذه السَّنة .

ونحن نذكر ذلك ونورد ما روى فيما يتعلق به من الأحاديث والآثار .

وبالله المستعان .

ولقدَّم على ذلك ما ذكره الأئمة محمد بن إسحاق بن يسار وأبو جعفر بن جرير وأبو بكر البيهقي في هذا الموضع قبل الوفاة ، من تعداد حججه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك . فلنذكر ذلك ملخصاً مختصراً . ثم نتبعه بالوفاة .

ففي الصحيحين من حديث أبي إسحاق السَّبيعي عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وحج بعد ما هاجر حجة الوداع ولم يحج بعدها .

قال أبو إسحاق : وواحدة بمكة .

كذا قال أبو إسحاق السَّبيعي . وقد قال زيد بن الحُبَاب ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حججات : حجتين قبل أن يهاجر ، وواحدة بعد ما هاجر معها عمرة ، وساق ستاً وثلاثين ^(١) بدنة وجاء على بتمامها من اليمن .

وقد قدَّمنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك في الصحيحين أنه عليه السلام : اعتمر أربع عُمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التي مع حجة الوداع .

وأما الغزوات فروى البخاري عن أبي عاصم النبيل ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع . قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد ابن حارثة تسع غزوات يؤمِّره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيحين عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن زيد ، عن سلمة ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وفيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة بن زيد .

(١) الذي سبق أن ما ساقه الرسول معه من الهدى ست وستون .

وفي صحيح البخارى من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : غزا رسول الله خمس عشرة غزوة .

وفي الصحيحين من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وشهد معه منها سبع عشرة أولها العُشَيْرُ أو العُسَيْر .

وروى مسلم عن أحمد بن حنبل ، عن مُعْتَمِر ، عن كَهْمَس بن الحسن ، عن ابن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة .

وفي رواية لمسلم من طريق الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قاتل منها في ثمان .

وفي رواية عنه بهذا الإسناد : وبعث أربعا وعشرين سَرِيَّةً ، قاتل يوم بدر وأحد والأحزاب والربيع وخيبر ومكة وحنين .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة ، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة ولم أشهد بديراً ولا أحداً مفعى أبى ، فلما قُتِلَ أبى يوم أحد لم أتخلف عن غزاة غزاها .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا مُعَمَّر عن الزهري ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ثمانى عشرة غزوة . قال : وسمعت مرة يقول : أربعا وعشرين غزوة ، فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعته بعد ذلك .

وقال قتادة : غزا رسول الله تسع عشرة قاتل في ثمان منها ، وبعث من البعوث أربعا وعشرين . لجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون .

وقد ذكر عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عُقبة ومحمد إسحاق بن يسار وغير واحد من أئمة هذا الشأن ، أنه عليه السلام قاتل يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين ، ثم في أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم الخندق وبني قريظة في شوال أيضاً من سنة أربع وقيل :

خمس ، ثم في بني المصطلق بالمريسيع في شعبان سنة خمس ، ثم في خيبر في صفر سنة سبع وسبعم ، ثم في بني النضير سنة ست . والتحقق أنه في أول سنة سبع وآخر سنة ست ، ثم قاتل أهل مكة في رمضان سنة ثمان ، وقاتل هوازن وحاصر أهل الطائف في شوال وبعض ذي الحجة سنة ثمان كما تقدم تفصيله . وحج في سنة ثمان بالناس عتّاب بن أسيد نائب مكة ، ثم في سنة تسع أبو بكر الصديق ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين سنة عشر .

وقال محمد بن إسحاق : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة سبعاً وثمانين غزوة : غزوة ودّان وهي غزوة الأَبواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رَضوى ، ثم غزوة المُشَيِّرة من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر المعظمى التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوَبِيق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفان وهي غزوة ذي أمْر ثم غزوة بَحْران معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم خِراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومَة الجَنْدَل ، ثم غزوة الخَنْدَق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لُحَيان من هُدَيْل ، ثم غزوة ذي قَرْد ، ثم غزوة بني المصطلق من خُزَاعَة ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : قاتل منها في تسع غزوات : غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف .

قلت : وقد تقدم ذلك كله مبسوطاً في أما كنهه بشواهد وأدلته . والله الحمد .

قال ابن إسحاق وكانت بعوثه عليه السلام وسراياه ثمانيا وثلاثين من بين بعث وسرية . ثم شرع رحمه الله في ذكر تفصيل ذلك .

وقد قدمنا ذلك كله أو أكثره مفصلا في مواضعه والله الحمد والمنة .

ولنذكر ما يخص ما ذكره ابن إسحاق : بعث عبيدة بن الحارث إلى أسفل ثنية ذي المروة ^(١) ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية العيص ، ومن الناس من يقدم هذا على بعث عبيدة كما تقدم فإله أعلم .

بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار ، بعث عبد الله بن جحش إلى نخلة ، بعث زيد بن حارثة إلى القرادة ، بعث محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف ، بعث مرثد بن أبي مرثد إلى الرجيع ، بعث المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ، بعث أبي عبيدة إلى ذي القصة ، بعث عمر بن الخطاب إلى تربة في أرض بني عامر ، بعث علي إلى اليمن .

بعث غالب بن عبد الله السكبي إلى الكديد فأصاب بني الملوّح ، وأغار عليهم في الليل فقتل طائفة منهم فاستاق نعمهم فجاء نفرهم في طلب النعم ، فلما اقتربوا حال بينهم واد من السيل ، وأسروا في مسيرهم هذا الحارث بن مالك بن البرصاء . وقد حرّر ابن إسحاق هذا هاهنا وقد تقدم بيانه .

بعث علي بن أبي طالب إلى أرض فدك ، بعث أبي العوّجاء السلمي إلى بني سليم أصيب هو وأصحابه ، بعث عكاشة إلى الغمرة ، بعث أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن وهو ماء بنجد لبني أسد ، بعث محمد بن مسلمة إلى القرطاء من هوازن ، بعث بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك ، وبعثه أيضا إلى ناحية حنين ، بعث زيد بن حارثة إلى الجؤم من أرض بني سليم .

بعث زيد بن حارثة إلى جذام من أرض بني خُشين . قال ابن هشام : وهي من

(١) الأصل : ثنية المرة . وما أنبته عن ابن هشام ٦٠٩/٢ .

أرض حسنى . وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره : أن دحية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى الله فأعطاه من عنده تحفاً وهدايا ، فلما بلغ واديا في أرض بني جذام يقال له شفار أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الصليعيان ، والصليع بطن من جذام ، فأخذوا مامعه فنفر حتى منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ دحية فردوه عليه .

فلما رجع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر واستسقاها دم الهنيد وابنه عوص ، فبعث حينئذ زيد بن حارثة في جيش إليهم فساروا إليهم من ناحية الأولاج فأغار بالماقص من ناحية الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف ورجلا من بني خصيب .

فلما احتاز زيد أموالهم وذرائعهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد ، وكان قد جاءه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الله ، فقرأه عليهم رفاعة فاستجاب له طائفة منهم ، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك فركبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ثلاثة أيام ، فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جهرته على الناس ، ثم قال : رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات . فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان خيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه .

فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، فقال على : إن زيدا لا يطيعنى . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه علامة ، فسار معهم على جل لهم فلقوا زيدا وجيشه ومعهم الأموال والذرائع بغيراء الفحاتين ، فسلمهم على جميع ما كان أخذ لهم لم يفقدوا منه شيئا

بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بني فزارة بوادى القرى . فقتل طائفة من أصحابه وأرث^(١) هو من بين القتلى ، فلما رجع إلى الأيمس رأسه غسل من جنباته حتى يغزوه أيضاً ،

(١) جل جريحاً وبه رمق .

فلما استقبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا في جيش ، فقتلهم بوادي القرى ، وأسر أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ومعها ابنة لها ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحّر اليمعري فقتل أم قرفة واستبقى ابنتها وكانت من بيت شرف يضرب بأم قرفة المثل في عزها ، وكانت بذاتها مع سلمة بن الأكوع ، فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاها إياها ، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له ابنة عبد الرحمن .

بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر مرتين : إحداها التي أصاب فيها اليُسَيْر بن رزام ، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله عبد الله بن رواحة في نفر منهم عبد الله بن أنيس ، فقدموا عليه فلم يزالوا يرغبونه ليُقدموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معهم فلما كانوا بالقرقرة على ستة أميال من خيبر ندم اليُسَيْر على مسيره ، ففطن له عبد الله بن أنيس - وهو يريد السيف - فضربه بالسيف فأنطن قدمه ، وضربه اليُسَيْر بمخَرَش من شَوْحَط في رأسه فأَمَّه ، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على قدميه .

فلما قدم ابن أنيس تغل في رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَقِحْ جرحه ولم يؤذه .

قلت : وأظن البعث الآخر إلى خيبر لما بعثه عليه السلام خارصا على نخل خيبر . والله أعلم .

بعث عبد الله بن عتيك وأصحابه إلى خيبر فقتلوا أبا رافع اليهودي . بعث عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُدَيْج فقتله بعُرنة . وقد روى ابن إسحاق قصته هاهنا مطولة . وقد تقدم ذكرها في سنة خمس والله أعلم .

بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا

كما تقدم . بعث كعب بن عير إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، فأصيبوا جميعاً أيضاً . بعث عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر إلى بنى العنبر من تميم فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ثم ركب وفدّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسراهم فأعتقَ بعضاً وفدّى بعضاً .

بعث غالب بن عبد الله أيضاً إلى أرض بنى مُرة فأصيب بها مرداس بن نَهيك حليف لهم من الحُرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار أدركاه ، فلما شهرا السلاح قال : لا إله إلا الله . فلما رجعا لأمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ اللوم ، فاعتذرا بأنه ما قال ذلك إلا تعوذاً من القتل . فقال لأسامة : هَلَّا شَقَقْتَ عن قلبه ؟ ! وجعل يقول لأسامة : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ! قال أسامة : فما زال يكررها حتى لَوَدِدْتُ أن لم أكن أسلمت قبل ذلك . وقد تقدم الحديث بذلك .

بعث عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل من أرض بنى عُذرة يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بَلَيْ ، فلذلك بعث عمرًا يستنفرهم ليكون أنجعَ فيهم .

فلما وصل إلى ماء لهم يقال له السَّلسل خافهم ، فبعث يستمد رسول الله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّية فيهم أبو بكر وعمر وعليها أبو عبيدة بن الجراح ، فلما انتهوا إليه تأمّر عليهم كلهم عمرو وقال : إنما بُعثتم مدداً لى . فلم يمانعه أبو عبيدة لأنه كان رجلاً سهلاً ليناً هيناً عند أمر الدنيا ، فسلم له وانقاد معه ، فكان عمرو يصلى بهم كلهم ، ولهذا لما رجع قال : يا رسول الله أىّ الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قال : فمن الرجال ؟ قال : أبوها .

بعث عبد الله بن أبي حَذرَد إلى بطن إضم ، وذلك قبل فتح مكة ، وفيها قصة مُجَلَّم بن حَثَّامة . وقد تقدم مطولاً في سنة سبع . بعث ابن أبي حَذرَد أيضاً إلى الغابة .

بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل .

قال محمد بن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اتمّ . قال : فقال عبد الله : أخبرك إن شاء الله عن ذلك . تعلم أني كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتى من الأنصار فسلم على رسول الله ثم جلس ، فقال : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً . قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكر الموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس . ثم سكت الفتى .

وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلَبوا عليها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسَّنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يَنْقُصُوا الزكاة من أموالهم إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ من السماء فلولوا البهائم مائطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَطَ عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

قال : ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اتمّ بعمامة من كرايس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضها ثم عتمه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك . ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرَف .

ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال :
خذه يا بن عوف ، اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا
ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم .

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال : ابن هشام : نخرج إلى دومة الجندل .

بعث أبي عبيدة بن الجراح ، وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب إلى سيف البحر ،
وزوّده عليه السلام جرابا من تمر و [فيها] قصة العنبر وهى الحوت العظيم الذى دمره
البحر ، وأكلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سمّوا وتزودوا منه وشائقى أى شرائح ،
حتى رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعموه منه فأكل منه . كما تقدم
بذلك الحديث .

قال ابن هشام : ومما لم يذكر ابن إسحاق من البعث - يعنى هاهنا - بعث
عمرو بن أمية الضمّرى لقتل أبى سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خبيب بن عدى
وأصحابه ، فكان من أمره ما قدمناه .

وكان مع عمرو بن أمية جبار بن صخر ولم يتفق لهما قتل أبى سفيان بل قتل رجلا
غيره وأنزلا خبيبا عن جذعه .

وبعث سالم بن عمير أحد البكّائين إلى أبى عَفَك ، أحد بنى عمرو بن عوف وكان
قد نجّم نفاقه حين قتل رسول الله الحارث بن سويد بن الصامت كما تقدم . فقال يرثيه ويذم
- قبّحه الله - الدخول فى الدين :

لقد عشتُ دهرًا وما إن أرى	من الناس دارًا ولا نجمة
أبرَّهم — وودًا وأوفى لمن	يع — أقِد فيهم إذا مادعا
من أولاد قَيْلة فى جمعهم	يه — دُ الجبال ولم يخضعا

فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَالَالٌ حَرَامٌ لَشَقَى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعَزِّزِ صَدَقْتُمْ أَوْ الْمَلِكِ تَابَعْتُمْ تَبَعًا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِيَ بِهَذَا الْخَبِيثِ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ
هَذَا فَقَتَلَهُ ، فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُرَيْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ :

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا لَعَمْرُو الَّذِي أَمْنَاكَ بُئْسَ الَّذِي يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخَرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً أَبَا عَفْكَ خَذَهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

وَبَعَثَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْخَطْمِيَّ لِقَتْلِ الْعَصْمَاءِ بِنْتِ مَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ،
كَانَتْ تَهْجُو الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو عَفْكَ الْمَذْكُورُ أَظْهَرَتْ النِّفَاقَ وَقَالَتْ
فِي ذَلِكَ :

بَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعُوفٌ وَبَاسَتْ بَنِي الْخَزْرَجِ
أَطْعَمَ أَتَاوِيًّا مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهَجِ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّءُوسِ كَمَا يَرْتَجِي وَرَقَ الْمُنْضَجِ
أَلَا أَنْفٌ يَبْتَنِي غِرَّةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

قَالَ : فَأَجَابَهَا حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ :

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ
مَتَى مَادَعْتَ سَفَهًا وَيَحِبُّهَا بُعُولَتَهَا وَالْمُنَايَا تَحِي
فَهَزَّتْ فَتَى مَا جَدَا عِرْقَهُ كَرِيمَ الْمِدَاخِلِ وَالْخَزْرَجِ
فَضَرَّجَهَا مِنْ نَجْمِيعِ الدَّمَاءِ ، بُعِيدَ الْهَدَوَى فَلَمْ يَخْرُجْ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ : أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ ؟
فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا . ثُمَّ أَصْبَحَ فَقَالَ :

يارسول الله قتلها . فقال : نصرت الله ورسوله يا عمير . قال : يارسول الله هل على من شأنها ؟ قال : لانتطح فيها عتزان .

فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون في قتلها وكان لها خمسة بنون ، فقال : أنا قتلها فكيّدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك أول يوم عزّ الإسلام في بني خَظمة ، فأسلم منهم بشر كثير لما رأوا من عز الإسلام .

ثم ذكر البعث الذين أسروا ثُمَامَةَ بن أثال الحنفي ، وما كان من أمره في إسلامه . وقد تقدم ذلك في الأحاديث الصحاح .

وذكر ابن هشام أنه هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل في مِعى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء . إما كان من قلة أكله بعد إسلامه ، وأنه لما انفصل عن المدينة دخل مكة معتمراً وهو يلبي ، فهاء أهل مكة عن ذلك فأبى عليهم وتوعّدهم بقطع الميرة عنهم من اليمامة ، فلما عاد إلى اليمامة منعهم الميرة ، حتى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادها إليهم . وقال بعض بني حنيفة :

ومنا الذي لبي بمكة محرماً يرغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

وبعث علقمة بن مجرّز المذلجى ليأخذ بثأر أخيه وقّاص بن مجرّز يوم قُتل بذي قرد ، فاستأذن رسول الله ليرجع في آثار القوم ، فأذن له وأمره على طائفة من الناس ، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم في التقدم واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة وكانت فيه دُعابة ، فاستوقد ناراً وأمرهم أن يدخلوها ، فلما عزم بعضهم على الدخول قال : إنما كنت أضحك . فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من أمركم بمعضية الله فلا تطيعوه .

والحديث في هذا ذكره ابن هشام عن الدّرَاوَرْدِي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحسك بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري .

وبعث كُرْز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قدموا المدينة ، وكانوا من قيس من

بجيلة ، فاستوخموا المدينة واستوبؤوها فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صَحَّحُوا قَتَلُوا راعيها وهو يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقَّاح ، فبعث في آثارهم كرز بن جابر في نفر من الصحابة فجاءوا بأولئك النفر من بجيلة مرجعه عليه السلام من غزوة ذي قرد ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُملت أعينهم .

وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين في حديث أنس المتفق عليه أن نفراً ثمانية من عُكَلٍ أو عُرينة قدموا المدينة ، الحديث ، والظاهر أنهم هم ، فقد تقدم قصتهم مطولة ، وإن كانوا غيرهم فهذا قد أوردنا عيون ما ذكره ابن هشام . والله أعلم .

قال ابن هشام : وغزوة علي بن أبي طالب التي غزاها مرتين . قال أبو عمرو المدني : بعث رسول الله علياً إلى اليمن وخالداً في جند آخر . وقال إن اجتمعتم فالأمير علي بن أبي طالب .

قال : وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد ، ولم يذكره في عدد البسوث والسر يا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعا وثلاثين .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدَّاروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس في إمارته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس

إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده .

ورواه الترمذى من حديث مالك . وقال حديث صحيح حسن .

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه ، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب . ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس كما سيأتى . فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين ، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استنفاه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام ، ثم لما توفى عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة وعمر بن الخطاب فأذن له فى المقام عند الصديق ، ونفذ الصديق جيش أسامة .

فصل

في الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول الله ﷺ وكيف ابتدئ
رسول الله ﷺ بمرضه الذي مات فيه

قال الله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ »
وقال تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَجْلاً أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ » . وقال تعالى :
« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكم يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَبِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » .

وقال تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » .
وهذه الآية هي التي تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعها الناس
كانهم لم يسمعوها قبل .

وقال تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً » .

قال عمر بن الخطاب وابن عباس : هو أَجَلُ رسول الله نعى إليه .

وقال ابن عمر : نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ، فعرف رسول الله أنه
الوداع ، فخطب الناس خطبةً أَمَرهم فيها ونهاهم ، الخطبة المشهورة كما تقدم .

وقال جابر رأيت رسول الله يرمى الجمار فوقف وقال : « لِنَأْخُذُوا عَنِ مَنْاسِكَكُمْ
فَلَعَلَّيْ لَا أَحْجَجَ بَعْدَ عَامِي هَذَا » .

وقال عليه السلام لابنته فاطمة كما سيأتي : « إِنْ جَبْرِيلَ كَانَ يَعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ

سنة مرة ، وإنه عارضني به العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلى » .
وفى صحيح البخارى من حديث أبى بكر بن عيَّاش عن أبى حُصَيْن ، عن أبى صالح ،
عن أبى هريرة ، قال : كان رسول الله يعتكف فى كل شهر رمضان عشرة أيام ، فلما كان
من العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين يوماً ، وكان يُعرض عليه القرآن فى كل رمضان ،
فلما كان العام الذى توفى فيه عُرض عليه القرآن مرتين .

* * *

وقال محمد بن إسحاق رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فى ذى
الحجة ، فأقام بالمدينة بقيته والحرم وصغراً ، وبعث أسامة بن زيد .
فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله
فيه إلى ما أَراده الله من رحمته وكرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر
ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدئ به رسول الله من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع
الفرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من
يومه ذلك .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن عبيد بن جُبَيْر مولى الحكم ، عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
بعثنى رسول الله من جوف الليل فقال : يا أبا مويهبة إني قد أسرت أن أستغفر لأهل هذا
البقيع فانطلق معى .

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، لئن
لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يُتبع آخرها
أولها ، الآخرة شر من الأولى .

ثم أقبل على فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة .

قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! نأخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .

قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة .

ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدي رسول الله وجعه الذي قبضه الله فيه .
لم يخرج أحد من أصحاب الكتب . وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن
أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الحكم بن فضيل ، حدثنا يعلى بن عطاء ،
عن عبيد بن جبير ، عن أبي مويهبة ، قال : أمر رسول الله أن يصلى على أهل البقيع ،
فصلى عليهم ثلاث مرات ، فلما كانت الثالثة قال : يا أبا مويهبة أشرح لي دابتي .

قال : فركب ومشيت حتى انتهى إليهم ، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف .
أو قال - قام عليهم - فقال : ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس ، أنت الفتن كقطع الليل
المظلم يقع بعضها بعضا ، الآخرة أشد من الأولى ، فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس .

ثم رجع فقال : يا أبا مويهبة إني أعطيت ، أو قال : خيرت ، بين مفاتيح ما يفتح
على أمتي من بعدى والجنة أو لقاء ربي .

قال فقلت : بأبي أنت وأمي فاخترنا . قال : لأن ترد على عقبها ما شاء الله^(١) ، فاخترت

لقاء ربي .

فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانيا حتى قبض .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله
فُهِرْتُ بالرَّعْبِ وَأُعْطِيتُ الْخِزَانِ ، وَخَيْرْتُ بَيْنَ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي
وَبَيْنَ التَّمْجِيلِ ، فَاخْتَرْتُ التَّمْجِيلَ .

(١) المعنى خشيته من فتنة أمته بالدنيا ، فلم يرض طول الإقامة فيها .

قال البيهقي : وهذا مرسل . وهو شاهد لحديث أبي مويهبة .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود ، عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول : واراأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه . قالت : ثم قال : وماضرك لو ميتٌ قبلي فقامتُ عليك وكفمتك وصليت عليك ودفتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك !

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرَّض في بيتي فأذن له .
قالت : ففرج رسول الله بين رجائين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصباً رأسه تحطُّ قدماه حتى دخل بيتي .

قال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس فقال : أندري من الرجل الآخر ؟ هو علي بن أبي طالب .

وهذا الحديث له شواهد ستأتي قريباً .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : دخل علي رسول الله وهو يُصدع وأنا أشتكي رأسي ، فقلت : واراأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه !

ثم قال : وما عليك لو ميتٌ قبلي فوليتُ أمرك وصليتُ عليك وواريتك ؟ فقلت :

والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار ! فضحك رسول الله .

ثم تبادى به وجعه فاستعز^(١) به وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة ، فاجتمع إليه أهله . فقال العباس : إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فها هموا فأنلد^(٢) ، فلدؤوه ، فأفاق رسول الله . فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا : عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب . فقال رسول الله : إنها من الشيطان ، وما كان الله ليسلطه علىّ ، لا يبق في البيت أحد إلا لدؤوه إلا عمي العباس . فلدّ أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين العباس ورجل آخر - لم نسمه - تخطّ قدماه بالأرض . قال عبيد الله : قال ابن عباس : الرجل الآخر على بن أبي طالب .

قال البخاري : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عَقِيل ، عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما ثقل رسول الله واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه الأرض بين عباس . قال ابن عبد المطلب : وبين رجل آخر .

قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله - يعني ابن عباس - بالذي قالت عائشة . فقال لي عبد الله بن عباس : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ قال : قلت : لا . قال ابن عباس : هو عليّ .

فكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تحدث أن رسول الله لما دخل بيتي

(٢) اللد : صب الدواء بالمسقط في أحد شقي الفم .

(١) استعز : اشتد .

واشتد به وجهه . قال : هَرِّقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْمَلْ أَوْ كَيْتِهِنَّ ، لَعَلِّي أَعْبُدُ إِلَى النَّاسِ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَخْضَبٍ ^(١) لِحَفْصَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ طَفَقْنَا نَصُبُهُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَن .

قالت عائشة : ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ .

وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري به .

وقال البخاري : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَازٍ ، قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُزَاجَهُ أَنْ يَكُونَ حَيْثُ شَاءَ ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا .

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي ، وَقَبِضَهُ اللَّهُ وَإِنْ رَأْسَهُ لَبَيْنِ سَحْرَى ^(٢) وَنَحْرَى ، وَخَالَطَ رِيقَهُ رِيقِي .

قالت : وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سَوَاكُ بَسْتَنُ بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطَانِي هَذَا السَّوَاكُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . فَأَعْطَانِيهِ فَقَضَيْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَى صَدْرِي .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) المَخْضَبُ : الْمَرْكَنُ .

(٢) السَّحْرَى : الرِّثَةُ : تَرِيدُ الصَّدْرَ .

وإنه لبين حاقنتي^(١) وذافنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا حبان ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه يده ، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث عليه^(٢) بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه .

ورواه مسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس بن يزيد الأيلى ، عن الزهرى به .
والفلاس ومسلم عن محمد بن حاتم كلهم .

[وثبت فى الصحيحين من حديث أبى عوانة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشى لا تحطى مشيتها أبيها ، فقال : مرحبا بابنتي . فأقعداها عن يمينه أو شماله . ثم سارها بشيء فبكى ، ثم سارها فضحكت ، فقلت لها : خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرار وأنت تبكين !

فلما أن قامت قلت : أخبريني ما سارك . فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى . قلت لها : أسألك لما لى عليك من الحق لما أخبرتيني . قالت : أما الآن فنع . قالت : سارنى فى الأول قل لى : إن جبريل كان يمارضى القرآن كل سنة مرة ، وقد عارضنى فى هذا العام مرتين ، ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجل ، فأتى الله واصبرى فنع السلف أنا لك . فبكيت . ثم سارنى فقال : أما ترضينى أن تسكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكت .

(١) الحاقنة : ما بين الترقوتين . ولذاقنة : الذقن ، أو طرف الحلقوم .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢٨٠ : على نفسه .

وله طرق عن عائشة ^(١) .

وقد روى البخارى عن على بن عبد الله والفلاس ، ومسلم بن محمد بن حاتم ، كلهم عن يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان الثورى ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : لدّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلذّوني ، قلنا : كراهية المريض الدواء . قلنا أفاق قال : ألم أنحكم ألا تلذّوني ؟ قلنا : كراهية المريض الدواء . فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم .

قال البخارى : ورواه ابن أبي الزناد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : وقال يونس عن الزهرى قال عروة : قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بحجير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم .
هكذا ذكره البخارى معلقا .

وقد أسنده الحافظ البيهقى عن الحاكم ، عن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر ، عن يوسف بن موسى ، عن أحمد بن صالح عن عتبسة ، عن يونس بن يزيد الأبلج ، عن الزهرى به .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبى الأخوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لئن أحلف تسمعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل قتلاً أحبُّ إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل ، وذلك أن الله اتخذ نبيّاً واتخذ شهيداً .

(١) من ت .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبى حمزة ، حدثنى أبى ، عن الزهرى ، قال أخبرنى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب خرج من عند رسول الله في وجهه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً .

فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا ! وإنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجهه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا .

فقال على : إنا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَنَعْنَاهَا لا يُعطيناها الناسُ بعده ، وإنى والله لأسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انفرد به البخارى .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ! اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه . فقال : اثنونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا^(١) بعده أبداً .

فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبى تنازع - فقالوا : ما شأنه أهجر^(٢) ؟ استفهموه ، فذهبوا يردون عنه ، فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه . فأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها .

ورواه البخارى فى موضع آخر ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيينة .

(١) البخارى : لن تضلوا .

(٢) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض ، على سبيل الاستفهام ، أى هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض . النهاية ٢٥٥/٤ . وفى الأصل : يهجر ، وما أثبتته عن صحيح البخارى ٢٧٩/٢ .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده أبدا . فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبننا كتاب الله .

فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك . فلما كثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا .

قال عبيد الله : قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولعظهم .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق بن حنوه . وقد أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به .

وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم ، كل مدّع أنه كان يريد أن يكتب فى ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم ، وهذا هو التمسك بالمتشابه وترك المختلف .

وأهل السنة يأخذون بالتحكم ويردّون ما تشابه إليه ، وهذه طريقة الراشخين فى العلم كما وصفهم الله عز وجل فى كتابه .

وهذا الموضع مما زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات ، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار .

وهذا الذى كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه .

فإنه قد قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا نافع ، عن ابن عمرو ، حدثنا ابن أبي مُليكة ، عن عائشة ، قالت : لما كان وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قبض فيه قال : « ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطعم في أمر أبي بكر طامع ولا يتمناه مُتمنٍ . ثم قال : يابى الله ذلك والمؤمنون » . مرتين .

قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون !

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، عن ابن أبي مُليكة ، عن عائشة ، قالت : لما نُقِلَ رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : « ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد » فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم . قال : « يابى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر » .

انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

وروى البخارى عن يحيى بن يحيى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت قال رسول الله : « لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى مُتمنئون . فقال : يابى الله ، أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويابى المؤمنون » .

وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه . فقالت : رأيت إن جئتُ ولم أجِدْكِ كأنها تقول الموت - قال : « إن لم تجدني فأتِ أبا بكر » .

والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه .

وقد خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يُقبض عليه السلام بخمسة أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من بين سائر الصحابة ، مع ما كان قد نص عليه أن يوم الصحابة أجمعين . كما سيأتي بيانه مع حضورهم كلهم . ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه في الكتاب .

وقد اغتسل عليه السلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة فصبوا عليه من سبغ قَرَب لم تُخلل أوكيتهن ، وهذا من باب الاستشفاء بالسبغ ، كما وردت بها الأحاديث في غير هذا الموضع .

والمقصود أنه عليه السلام اغتسل ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم . كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير ، أن رسول الله قال في مرضه : أفيضوا عليّ من سبغ قَرَب من سبع آبار شتى حتى أخرج فأعهد إلى الناس . ففعلوا ، فخرج فجلس على المنبر ، فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد ، فاستغفر لهم ودعاهم ، ثم قال : يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم غيبتى التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم .

ثم قال عليه السلام : أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيرّه الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله .

فقههما أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى وقال : بل نحن نقديك بأنفسنا

وأبائنا وأموالنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْر ! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فُسِّدُوهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا عِنْدِي أَفْضَلَ فِي الصَّحْبَةِ مِنْهُ .

هذا مرسل له شواهد كثيرة . وقال الواقدي : حدثني قَرْوَةُ بْنُ زَبِيدٍ بْنُ طَوْسَا ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ ، عَنْ أُمِّ ذَرٍّ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَاصِبًا رَأْسَهُ بِمُخْرَقَةٍ ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْمَنْبَرِ تَحَدَّقَ النَّاسَ بِالْمَنْبَرِ وَاسْتَكْفَّوْا ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَقَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ السَّاعَةِ . ثُمَّ تَشَهَّدَ فَلَمَّا قَضَى تَشَهُدَهُ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ اسْتَغْفَرَ لِلشَّهْدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِأَحَدٍ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَمَجَّبْنَا لِبَكَائِهِ . وَقَالَ : يَا أَبِي وَأُمِّي ! نَفْدِيكَ يَا أَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْخَيْرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ لَهُ : عَلَى رِسْلِكَ !

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيْحٌ ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ بَشْرِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

قال : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : فَمَجَّبْنَا لِبَكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَبْدٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْخَيْرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِنْ أَمَّنَّ النَّاسُ عَلَى فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، لَوْ كَفْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ خُلَّةَ الْإِسْلَامِ بِمَوَدَّتِهِ ، لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ .

وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العَقْدِيُّ بِهِ .

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس ، عن فُلَيْح ، عن سالم أبي النضر ، عن عبيد بن حنن وبشر بن سعيد ، عن أبي سعيد به .

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث فليح ومالك بن أنس ، عن سالم عن بشر ابن سعيد وعبيد بن حنن ، كلاهما عن أبي سعيد بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا هشام ، حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الملك ، عن ابن أبي المعلّى ، عن أبيه ، أن رسول الله خطب يوماً فقال : إن رجلاً خيرهُ ربُّهُ بين أن يعيش في الدنيا ماشاء أن يعيش فيها يأكل من الدنيا ماشاء أن يأكل منها ، وبين لقاء ربّه فاختر لقاء ربّه .

فبكى أبو بكر ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون من هذا الشيخ أن ذكر رسول الله رجلاً صالحاً خيرهُ ربّه بين البقاء في الدنيا^(١) وبين لقاء ربّه فاختر لقاء ربّه ! فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله . فقال أبو بكر : بل نفديك بأموالنا وأبنائنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن الناس أحد آمنٌ علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة ، ولكن وُدَّ وإخاء وإيمان ، ولكن ود وإخاء وإيمان . مرتين وإن صاحبكم خليل الله عز وجل .

تفرد به أحمد . قالوا : وصوابه ابن سعيد بن المعلّى . قاله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث حدثنا جندب ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول : قد كان لى منكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى كل خليل من خلقه ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، وإن ربى اتخذه

(١) : بين لقاء الدنيا .

خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، وإن قومك من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصلواتهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك .

وقد رواه مسلم في صحيحه عن إسحاق بن راهويه بنحوه .

وهذا اليوم الذي كان قبل وفاته عليه السلام بخمسة أيام هو يوم الخميس الذي ذكره ابن عباس فيما تقدم .

وقد روينا هذه الخطبة من طريق ابن عباس . قال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب - هو ابن عوانة الإسفراييني - قال : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخزقة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد آمنٌ عليَّ بنفسه وماله من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلة الإسلام أفضل ، سُدوا عنى كل خَوْخة في المسجد غير خَوْخة أبي بكر .

رواه البخاري عن عبيد الله بن محمد الجعفي ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه به . وفي قوله عليه السلام : « سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ - يعني الأبواب الصغار - إلى المسجد غير خَوْخة أبي بكر » إشارة إلى الخلافة ، أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين . وقد رواه البخاري أيضا من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حفص بن غثية ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دَسَاءً^(١) ملتحفاً بملحفة على منكبيه ، فجلس على المنبر فذكر الخطبة ، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال : فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام .

(١) الدَسَاءُ : التي يضرب لونها إلى السواد .

وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب ولفظ غريب .
 فقال البيهقي : أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار ،
 حدثنا ابن أبي قماش وهو محمد بن عيسى ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجبلي ،
 حدثنا معن بن عيسى القزاز ، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أناس الليثي ،
 عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن
 الفضل بن عباس ، قال : أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديداً ،
 وقد عصب رأسه فقال : خذ يدي يا فضل . قال : فأخذت بيده حتى قعد على المنبر . ثم
 قال : نادِ في الناس يا فضل . فناديت : الصلاة جامعة .

قال : فاجتمعوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : أما بعد ، أيها الناس
 إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم ، ولن تروني في هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى
 أن غيره غير مُغنٍ عني حتى أقومه فيكم ، ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري
 فليستَقِدْ ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً
 فهذا عرضي فليستَقِدْ ، ولا يقولن قائل : أخاف الشَّحناء من قِبَل رسول الله ، ألا وإن
 الشَّحناء ليست من شأني ولا من خلقي ، وإن أحبَّكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له علىَّ
 أو حلَّاني فليقيتُ الله عز وجل وليس لأحد عندي مظالمه .

قال : فقام منهم رجل فقال : يا رسول الله لي عندك ثلاثة دراهم . فقال : أما
 أنا فلا أكذب قائلاً ولا مُستَحلفه على يمين ، فيم كانت لك عندي ؟ قال : أما تذكر
 أنه مرَّ بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم . قال : أعطيه يا فضل . قال : وأمر
 به فجلس .

قال : ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقالته الأولى . ثم قال : يا أيها الناس
 من عنده من الغُسلُول شيء فليردّه . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاثة

دراهم غلاتها في سبيل الله . قال : فلم غلاتها ؟ قال : كنت إليها محتاجا قال : خذها منه يا فضل .

ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقاتله الأولى وقال : يا أيها الناس من أحسن من نفسه شيئا فليقيم أدعو الله له .

فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إني لمناق وإني لكذوب وإني لنثوم . فقال عمر بن الخطاب : ويحك أيها الرجل ! لقد سترك الله لو سترت على نفسك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وأذهب عنه النوم إذا شاء .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر .

وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة .

ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه
أن يصلى بالصحابة أجمعين ، مع حضورهم كلهم ، وخروجه عليه السلام
فصلى وراءه مقتديا به فى بعض الصلوات على ما سنذكره
وإماماً له ولمن بعده من الصحابة

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، قال : وقال ابن شهاب
الزهرى : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن
أبيه ، عن عبد الله بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن
أسد ، قال : لما استعزَّ برسول الله وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعا بلالاً للصلاة فقال :
مروا من يصلى بالناس .

قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا فقلت : قم يا عمر فصلِّ
بالناس . قال : فلما كبرَ عمرُ سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر
رجلاً مُجَهراً فقال رسول الله : فأين أبو بكر ؟ يابى الله ذلك والمسلمون ، يابى الله
ذلك والمسلمون .

قال : فبعث إلى أبى بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس .
وقال عبد الله بن زَمْعَةَ : قال لى عمر : ويحك ماذا صنعت يا بن زَمْعَةَ ! والله ما ظننتُ
حين أمرتنى إلا أن رسولَ الله أمرنى بذلك ، ولولا ذلك ما صليت . قال : قلت : والله
ما أمرنى رسول الله ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة .
وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق ، حدثنى الزهرى . ورواه يونس

ابن بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدثني يعقوب بن عتبة ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ فذكره .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثنا موسى بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عبد الله بن زَمْعَةَ أخبره بهذا الخبر ، قال : لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت عمر . قال ابن زَمْعَةَ : خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرتة ثم قال : لا ، لا ، لا يصلى للناس إلا ابن أبي قحافة . يقول ذلك مُغَضِّبًا .

وقال البخاري : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال الأسود : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها . قالت : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيِّف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد فعادوا له فأعاد الثالثة ، فقال : إنك صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

فخرج أبو بكر ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفَّةً فخرج يُهَادِي بين رجلين كأنى أنظر إلى رجله تخطآن من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك . ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه .

قيل للأعمش : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر ؟ فقال برأسه : نعم .

ثم قال البخاري : رواه أبو داود عن شعبة بعضه . وزاد أبو معاوية عن الأعمش : جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلى قائماً .

وقد رواه البخارى فى غير ماموضع من كتابه ، ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن الأعشى به . منها ما رواه البخارى عن قتيبة ، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ويحيى بن يحيى ، عن أبى معاوية به .

وقال البخارى . حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فى مرضه : مروا أبا بكر فليصل بالناس .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن عائشة ، أنها قالت : لقد عاودتُ رسولَ الله فى ذلك وما حملنى على معاودته إلا أنى خشيت أن يتشاءم الناسُ بأبى بكر ، وإلا أنى علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به ، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبى بكر إلى غيره .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : وأخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عائشة قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت قلت : يا رسول الله : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه ، فلو أمرت غير أبى بكر ؟ قالت : والله ما بى إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثا . فقال : ليصل بالناس أبو بكر فإنسكن صواحب يوسف .

وفى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير ، عن أنى بُرْدَة ، عن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقيم مقامك لا يستطيع يصلى

بالناس . قال : فقال : مروا أبا بكر يصل بالناس فإن كن صواحب يوسف . قال فصلى أبو بكر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، أنبأنا زائدة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، قال دخلتُ على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه فقال : أصلى الناس ؟ قلنا لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب . ففعلنا . قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء ^(١) فأغشى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب . ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغشى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضَمُّوا إلى ماء في المِخْضَب ، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغشى عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .

قالت : والناس عُكُوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلى بالناس ، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً . فقال : يا عمر صل بالناس . فقال : أنت أحقُّ بذلك . فصلى بهم تلك الأيام .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلى قائماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قاعداً .

قال عبيد الله : فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثتني

(١) ينوء : ينهض .

عائشة عن مرض رسول الله ؟ قال : هات . فحدثته فما أنكر منه شيئا ، غير أنه قال : سمعت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو عليّ .

وقد رواه البخارى ومسلم جميعا عن أحمد بن يونس ، عن زائدة به . وفي رواية : فجعل أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله . وهو قائم ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد .

قال البيهقي : ففي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم تقدم في هذه الصلاة وعلّق أبو بكر صلاته بصلاته .

قال : وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة ، وكذلك رواه الأرقم بن شُرْحَبِيل عن ابن عباس .

يعنى بذلك ما رواه الامام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن الأرقم بن شُرْحَبِيل ، عن ابن عباس ، قال : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ، ثم وجد خِفةً فخرج ، فلما أحسّ به أبو بكر أراد أن يَنكص ، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر رضى الله عنه .

ثم رواه أيضا عن وَكِيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم ، عن ابن عباس بأطول من هذا .

وقال وكيع مرة : فكان أبو بكر يأتُمُّ بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتُمون بأبي بكر .

ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم بن شُرْحَبِيل ، عن ابن عباس بنحوه .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا شُبابة بن سَوَّار ، حدثنا شعبة ، عن نعيم بن أبي هند ،

عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه .

[وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح ^(١)]

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ، سمعت شعبة بن الحجاج ، عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطَّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، أنبأنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبا بكر . وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

قال البيهقى : وكذلك رواه حميد ، عن أنس بن مالك ، ويونس ، عن الحسن مرسلًا ، ثم أسند ذلك من طريق هُشَيْم ، أخبرنا يونس عن الحسن . قال هُشَيْم : وأنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وأبو بكر يصلى بالناس فجلس إلى جنبه وهو في بُردة قد خالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته .

قال البيهقى : وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّغَار ، حدثنا عبيد بن شريك ، أنبأنا ابن أبي مريم ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أخبرني حميد أنه سمع أنسًا يقول : آخرُ صلاةٍ صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد ملتحفًا به خلف أبي بكر .

قلت : وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

وهذا التقييد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس ، صلوات الله وسلامه عليه .
وقد ذكر البيهقي من طريق سليمان بن بلال ويحيى بن أيوب ، عن حميد ، عن أنس ،
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر في ثوب واحد مخالفاً بين طرفيه ،
فلما أراد أن يقوم قال : ادع لى أسامة بن زيد . فجاء فأسند ظهره إلى نحره ، فكانت
آخر صلاة صلاها .

قال البيهقي : ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم
الوفاة لأنها آخر صلاة صلاها ، لما ثبت أنه توفي ضحى يوم الاثنين .
وهذا الذى قاله البيهقي أخذه مسلماً من مغازى موسى بن عُبَبة ، فإنه كذلك ذكر .
وكذا روى أبو الأسود عن عروة .

وذلك ضعيف ، بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم ، كما تقدم تقييده في الرواية
الأخرى ، والحديث واحد ، فيُحتمل مُطلقه على مُقيده .

نم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة ، لأن تلك لم
يصلها مع الجماعة بل في بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه .

والدليل على ذلك ما قال البخارى في صحيحه : حدثنا أبو اليَمان ، أنبأنا شعيب ،
عن الزُّهرى ، أخبرنى أنس بن مالك ، وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه
وصحبه ، أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذى توفي فيه ، حتى
إذا كان يوم الاثنين وهم صُفوف في الصلاة فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجر
ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مُصْحَف^(١) [ثم^(٢)] تبسم يضحك ، فهممنا أن نقتن
من الفرح بروية النبي صلى الله عليه وسلم ، ونكص أبو بكر على عَقبيه ليَحِيل الصف .

(١) عبارة عن حسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته .

(٢) من صحيح البخارى .

وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا صلى الله عليه وسلم أن
أقموا صلاتكم وأرخى الستر وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم .
وقد رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة وصبيح بن كيسان ومَعْمَر ، عن
الزهرى عن أنس .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن
أنس بن مالك ، قال : لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، فأقيمت الصلاة ، فذهب
أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ^(١) بالحجاب . فرفعه ، فلما وضح وجه النبي صلى الله
عليه وسلم ما نظرنا مَنْظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وَضَحَ لنا
فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم
الحجاب فلم يُقدَّر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم .
ورواه مسلم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس ،
وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثاً .

قلنا : فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر ، كما جاء مصرحاً به فى حديث
عائشة المتقدم ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت ولا يوم الأحد ، كما حكاه البيهقى عن
مغازى موسى بن عقبة ، وهو ضعيف ، ولما قدمنا من خطبته بعدها ولأنه انقطع عنهم
يوم الجمعة ، والسبت ، والأحد ، وهذه ثلاثة أيام كوامل .

وقال الزهرى عن أبي بكر بن أبى سبرة ، أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة .
وقال غيره : عشرين صلاة . فالله أعلم .

ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودَّعهم بنظرة كادوا يفتنون بها ، ثم
كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :

(١) الأصل : فقال نبي الله عليكم بالحجاب . وما أثبتته عن البخارى ، وأراد من قال معنى فعل .

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف بين كان موعده الحشر !
والعجب أن الحافظ البيهقي أورد هذا الحديث من هاتين الطريقتين . ثم قال
ما حاصله : فلعله عليه السلام احتجب عنهم في أول ركعة ثم خرج في الركعة الثانية فصلى
خلف أبي بكر ، كما قاله عروة وموسى بن عقبة ، وخفي ذلك على أنس بن مالك أو أنه
ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره .

وهذا الذى [ذكره] أيضا بعيد جداً ، لأن أنساً قال : فلم يقدر عليه حتى مات .
وفي رواية قال : فكان ذلك آخر العهد به . وقول الصحابي مقدم على قول التابعي .
والله أعلم .

* * *

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم
في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري : وتقديمه له أمرٌ معلوم بالضرورة من
دين الإسلام .

قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم ، لما ثبت في الخبر المتفق على
صحته بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب
الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سناً ،
فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مُسليماً .

قلت : وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب . ثم قد
اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

وصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه في بعض الصلوات ، كما قدمنا بذلك
الروايات الصحيحة ، لا ينافي ما روى في الصحيح أن أبا بكر ائتم به عليه السلام ، لأن

ذلك في صلاة أخرى ، كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .

فائدة : استدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته عليه السلام قاعداً وأبو بكر مقتدياً به قائماً والناس بأبي بكر على نسخ قوله عليه السلام في الحديث المتفق عليه حين صلى ببعض أصحابه قاعداً ، وقد وقع عن فرس فيجش^(١) شقته فصلوا وراعه قياماً ، فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : « كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفعل فارس والروم ، يقومون على عظمائهم وهم جلوس » . « وقال : إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون » .

قالوا : ثم إنه عليه السلام أمهم قاعداً وهم قيام في مرض الموت . فدل على نسخ ما تقدم والله أعلم .

وقد تنوعت مسائل الناس في الجواب عن هذا الاستدلال ، على وجوه كثيرة موضع ذكرها كتاب الأحكام السكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .
وملخص ذلك : أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم ، وإنما استمر أبو بكر قائماً لأجل التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم .

ومن الناس من قال : بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر ، كما صرح به بعض الرواة كما تقدم . وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا يُبادره بل يقتدى به ، فكان عليه السلام صار إمام الإمام ، فلذلك لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر وهو قائم ، ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام ولأنه يبلغهم عن النبي صلى الله عليه وسلم الحركات والسكنات والانتقالات . والله أعلم .

ومن الناس من قال : فَرَّقَ بين أن يبتدىء الصلاة خلف الإمام في حال القيام فيستمر فيها قائماً وإن طرأ جلوس الإمام في أثناءها، كما في هذه الحال ، وبين أن يبتدىء الصلاة خلف إمام جالس فيجب الجلوس للحديث المتقدم . والله أعلم .

ومن الناس من قال : هذا الصنيع والحديث المتقدم دليلٌ على جواز القيام والجلوس ، وأن كلا منهما سائغٌ جائز : الجلوس ، لما تقدم ، والقيام للفعل المتأخر . والله أعلم .

فصل

في كيفية احتضاره ووفاته عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَك فمَسَسْتُهُ . فقلت : يا رسول الله إنك اتُوعِكَ وَعَكًا شديداً . قال : أجل ، إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم . قلت : إن لك أجرين . قال : « نعم ، والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فمِساواه إلا حَطَّ الله عنه خطاياه كما تحطُّ الشجرة ورقها » .

وقد أخرجه البخاري ومسلم من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل ، عن أبي سعيد الخدري ،^(١) وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة مُحَاكَ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبي من الأنبياء لِيُبْتَلَى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان الرجل لِيُبْتَلَى بالعُرَى حتى يأخذ العباءة فيجوبها^(٢) ، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء » .

فيه رجل مُبَهَم لا يعرف بالكَلْبِيَّة ، فالله أعلم .

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، زاد مسلم :

(٢) يجوبها : أي يجعل لها جباً فيلبسها .

(١) كذا ، ولعلها : أنه .

وجريز . ثلاثتهم عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما رأيت الوجع على أحد أشدَّ منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي صحيح البخارى من حديث يزيد بن الهاد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وذاقنتى ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث الآخر الذى رواه [البخارى] فى صحيحه قال : قال رسول الله : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة شُدِّد عليه فى البلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله وقد أضمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصيئها^(١) على أعرف أنه يدعولى .

ورواه الترمذى عن أبى كريب ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، وقال : حسن غريب .

وقال الإمام مالك فى موطأه عن إسماعيل بن أبى حكيم ، أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول : كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يَبْقَيْنَ دينان بأرض العرب » .

هكذا رواه مرسلًا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقد روى البخارى ومسلم من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة وابن عباس ، قالوا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً^(١) له على وجهه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : « لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذَر ما صنعوا .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن أبي رجاء الأديب ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث : أحسنوا الظنَّ بالله .

وفى بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة ابن نافع ، عن جابر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو حَسَنُ الظنِّ بالله تعالى » .

وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى : « أنا عند ظنِّ عبدى بى فليظن بى خيراً » . وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، حدثنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِي ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ زُهَيْر بن حرب ، حدثنا جَرِير ، عن سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يُعَرِّغُ بها وما يُفْصِحُ بها لسانه .

وقد رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه ، عن جرير بن عبد الحميد به ، وابن ماجه عن أبي الأشعث ، عن مُعْتَمِر بن سليمان ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا التيمي ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت :

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علان .

الصلاة وما ملكت أيمانكم. حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغ بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه .

وقد رواه النسائي وابن ماجه من حديث سليمان بن طرخان ، وهو التميمي ، عن قتادة عن أنس به .

وفي رواية للنسائي عن قتادة ، عن صاحب له ، عن أنس به .

وقال أحمد : حدثنا بكر بن عيسى الراسبي ، حدثنا عمر بن الفضل ، عن نعيم بن يزيد ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تَصِلُ أمته من بعده . قال : خشيت أن تفوتني نفسه . قال : قلت : إني أحفظ وأعي . قال : أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم .
تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل^(١) ، حدثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن سفيينة ، عن أم سلمة قالت : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يُلَجِّجُها في صدره وما يُفِيضُ بها لسانه .

وهكذا رواه النسائي عن حميد بن مسعدة ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

قال البيهقي : والصحيح ما رواه عفان ، عن همام ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

وهكذا رواه النسائي أيضا وابن ماجه ، من حديث يزيد بن هارون ، عن همام ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن سفيينة عن أم سلمة به .

وقد رواه النسائي أيضا عن قُتَيْبَةَ ، عن أَبِي عَوَانَةَ ، عن قَتَادَةَ ، عن سَفِينَةَ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن يونس بن محمد قال : حدثنا عن سَفِينَةَ فذكر نحوه .

وقال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا الليث ، عن زيد بن الهادِّ ، عن موسى بن مَرْجِسَ ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قَدَحٌ فيه ماء ، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعِنِّي على سَكَرات الموت .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث به . وقال الترمذي : غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مُصْعَبِ بن إِسْحَاقِ بن طلحة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كَيْهَوْنٌ عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وهذا دليل على شدة محبته عليه السلام لعائشة رضي الله عنها .

وقد ذكر الناس معاني كثيرة في كثرة المحبة ولم يبلغ أحدٌهم هذا المبلغ ، وماذاك إلا لأنهم يبالغون كلاما لا حقيقة له ، وهذا كلام حق لا تحالة ولا شك فيه .

وقال حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : قالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وتوفي بين سَخْرَى وَنَحْرَى وكان جبريل يعوِّذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوده فرفع بصره إلى السماء وقال : في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى .

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ويده جريدة رطبة فنظر إليها فظننتُ أن له بها

حاجة ، قالت : فأخذتها فنفضتها فدفعتها إليه فاستنَّ بها أحسنَ ما كان مُستنَّاً ، ثم ذهب يُناولنيها فسقطت من يده . قالت : فجمع الله بين ربي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة .

ورواه البخارى عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد به .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، حدثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ، حدثنا داود ، عن عمرو بن زهير الضبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، أنبأنا ابن أبي مُليكة ، أن أبا عمرو ذَكْوَانَ مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول : إن من نعمة الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في يومى وفى بيتى وبين سحرى ونحرى وأن الله جمع بين ربي وريقه عند الموت .

قالت : دخل على أخى يسواك معه وأنا مُسندةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى صدرى ، فرأيتَه ينظر إليه . وقد عرفت أنه يحب السواك وبألفه . فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : أن نعم . فليَنِّتْه له ، فأمره على فيه . قالت : وبين يديه رَكُوةٌ أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه . ثم يقول : لا إله إلا الله إن الموت لَسَكْرَات . ثم نَصَبَ إصبعه اليسرى وجعل يقول : فى الرفيق الأعلى فى الرفيق الأعلى . حتى قُبِضَ ومات يده فى الماء .

ورواه البخارى عن محمد بن عيسى بن يونس .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت عروة يحدث عن عائشة قالت : كنّا نحدِّث أن النبي لا يموت حتى يخبر بين الدنيا والآخرة .

قالت : فلما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مات فيه عرضت له بُحَّةٌ .
فسمعتة يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسُن أولئك رفيقا .

قالت عائشة : فظننا أنه كان يَحْيَى .

وأخرجاه من حديث شعبة به .

وقال الزهري : أخبرني سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم ،
أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح : إنه لم يُقبض نبي
حتى يرى مقعده من الجنة ثم يَحْيَى . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأسه على نخذي غُشى عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت .
وقال : اللهم الرفيق الأعلى . فعرفت أنه الحديث الذي كان حدثناه وهو صحيح ، أنه لم
يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يَحْيَى . قالت عائشة : فقلت : إذا لا يَحْتَارنا .
وقالت عائشة : كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرفيق الأعلى .

أخرجاه من غير وجه عن الزُّهري به . وقال سفيان - هو الثَّوري - عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن أبي بُردة ، عن عائشة قالت : أُغْمِيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في حِجْرِي فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفاء . فقال : لا ، بل أسأل الله الرفيق
الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل .

رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا : حدثنا أبو العباس الأصم ،
حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أنس بن عِيَاض ، عن هشام بن عروة ،
عن هَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مُسْتَقَدَّ إلى صدرها يقول : اللهم اغفر لي وارحمي
والحقني بالرفيق [الأعلى ^(١)] .

أخرجاه من حديث هشام بن عروة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني يحيى
ابن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، سمعت عائشة تقول : مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي ^(٢) ولم أظلم فيه أحداً ، فمن سَفَهَى وحدائنة
سَنَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حِجْرِي ثم وضعت رأسه على وسادة
وقمت أَلْتَدِم ^(٣) مع النساء وأضرب وجهي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا كثير بن زيد ، عن
المطلب بن عبد الله ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن
نبي إلا تُقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم تُردُّ إليه فيخبر بين أن تردَّ إليه وبين أن
يلحق . فسكنت قد حَفَظْتُ ذلك منه فأبى لِمُسْنَدَتِهِ إلى صدرى فنظرت إليه
حين مالت عنقه فقلت : قد قُضِيَ . فعرفت الذي قال ، فنظرت إليه حين
ارتفع فنظر . قالت : قلت : إذا والله لا يَحْتَارُنَا . فقال : مع الرفيق الأعلى في
الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أُولَئِكَ رَفِيقًا .

تفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفاة ، أنبأنا همام ، أنبأنا هشام بن عروة ،

(١) من ت (٢) دولتي : بيتي وسلطاني

(٣) أَلْتَدِم : أَلْطَم .

عن أبيه ، عن عائشة ، قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه بين سحري وسحري .

قالت : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها .

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة .

ورواه البيهقي من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، عن أبي عروة ، عن أم سلمة قالت : وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ، فررت لى جمع آكل وأتوضأ وما يذهب ريح المسك من يدي .

وقال أحمد : حدثنا عفان وبهز قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن أبي بردة ، قال : دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من التي يدعون الملبدة فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين .

وقد رواه الجماعة إلا النسائي من طرق ، عن حميد بن هلال به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس ، قال : ذهبت أنا وصاحب لى إلى عائشة فاستأذنا عليها ، فألقت لنا وسادةً وجذبت إلينا الحجاب . فقال صاحبي : يا أم المؤمنين ما تقولين فى العراك ؟ قالت : وما العراك ؟ فضربت منكب صاحبي . قالت : مه آذيت أخاك . ثم قالت : ما العراك المحيض ؟ قولوا ما قال الله عز وجل فى المحيض . ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقوشحنى وينال من رأسى وبينى وبينه ثوب وأنا حائض .

ثم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر ببابى مما يلقى السكامة ينفعنى الله بها ، فمر ذات يوم فلم يقل شيئاً ثم مر فلم يقل شيئاً مرتين أو ثلاثاً . فقلت : يا جارية ضعى لى وسادة على الباب . وعصبت رأسى فمر بى . فقال : يا عائشة ما شأنك ؟ فقلت : أشتكى رأسى . فقال : أنا وارأساه .

فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جىء به محمولا فى كساء ، فدخل على وبعث إلى النساء فقال : إنى قد اشتكيت ، وإنى لا أستطيع أن أدور بينكن ، فأذن لى فلأ كن عند عائشة . فسكنت أمرضه ولم أمرض أحدا قبله ، فبينما رأسه ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسى ، فظننت أنه يريد من رأسى حاجة فخرجت من فيه نطفة^(١) باردة ، ف وقعت على نَفْرَةٍ تَحْرَى فاقشعر لها جلدى فظننت أنه غشى عليه فسجّيته ثوبا .

فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إلى الحجاب ، فنظر عمر إليه فقال : واغشياه ما أشدَّ غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قلما قلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت بل أنت رجل تحوسك^(٢) ففنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ، ثم قال : وانبياه ! ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : واصفّياه . ثم رفع رأسه وجدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج إلى المسجد وعمر يحطّب الناس ويتكلم ويقول : إن رسول الله لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

(١) النطفة : الماء القليل . وفى الأصل : نقطة . وما أثبتته عن مسند أحد (٢) تحوسك : تتخلّك .

فكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يقول : « إنك مَيِّت وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » حتى فرغ من الآية « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ أفان مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه » . حتى فرغ من الآية .
ثم قال : فمن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .

فقال عمر : أو إنها في كتاب الله ؟ ما شعرت أنها في كتاب الله . ثم قال عمر : يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شَيْبَةٍ ^(١) المسلمين ، فبايعوه . فبايعوه .

وقد روى أبو داود والترمذى في الشمائل من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار ، عن أبي عمران الجوني به ببعضه .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة ، عن عبد الرحمن ، أن عائشة أخبرته : أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح ^(٢) حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى بُرْدَ حَبْرَةٍ ، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى . ثم قال : يا بى أنت وأُمى يا رسول الله ! والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً ، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مِتَّها .

قال الزهرى : وحدثني أبو سلمة ، عن ابن عباس ، أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس . فقال : اجلس يا عمر . فأبى عمر أن يجلس . فقال : اجلس يا عمر . فأبى عمر أن يجلس . فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه ، فقال : أما بعد ، فمن كان منكم يَعْبُدُ محمداً فإن محمداً قد

(١) ذو الشَّيْبَةِ : أقدمهم وأولاهم .

(٢) السُّنْح : موضع بعوالى المدينة .

مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسُل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » الآية .

قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم فما سُمع بشر من الناس إلا يتلوها .

قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب ، أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعمِرت^(١) حتى ماتتُني رجلاى وحتى هَوِيت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

ورواه البخارى عن يحيى بن بكير به

وروى الحافظ البيهقى من طريق ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقام عمر بن الخطاب يخُطب الناس ويتوَعَّد من قال مات بالقتل والقطع ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَشِيَةٍ لو قد قام قَتَلَ وقطع . وعمر بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم فى مؤخر المسجد يقرأ : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسُل »^(٢) الآية والناس فى المسجد يبكون ويمُوجون لا يسمعون .

فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال : يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال : لا . فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه فى وفاته ، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت .

(١) عقر : خُفَّه الروح ، فايَتقدم ومايتأخر .

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

قال : وأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السُّنْح على دابته حتى نزل بباب المسجد ، وأقبل مكروبا حزينا ، فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له ، فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى على الفراش والنسوة حوله نخمرون وجوههن واستترن من أبى بكر ، إلا ما كان من عائشة ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجنا عليه يقبله ويبكى ويقول : ليس مايقوله ابن الخطاب شيئا ، توفى رسول الله والذى نفسى بيده ! رحمة الله عليك يا رسول الله ، ما أطيبك حيا وميتا ! ثم غشاه بالثوب .

ثم خرج سريعا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناس ، فجلسوا وأنصتوا ، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد ، وقال : إن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه وهو حى بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل ، قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية .

فقال عمر : هذه الآية فى القرآن ؟ والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إنك مَيِّت وإِهم مَيِّتون ^(١) » وقال الله تعالى : « كلُّ شئ هالك إلا وجهه له الحُكْم وإليه تُرجعون ^(٢) » ، وقال : « كلُّ مَنْ عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ^(٣) » وقال : « كلُّ نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ^(٤) » .

وقال : إن الله عمر محمدأ صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد فى سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشقاء ، فمن كان الله ربّه فإن الله حى لا يموت ،

ومن كان يعبد محمداً وينزله إلهاً فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصرٌ من نصره ومعزٌ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفيه حلال الله وحرامه والله لا يُبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لَمسلولة ما وضعناها بعد ، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يبين أحدٌ إلا على نفسه .

ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر الحديث في غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

قلت : كما سنذكره مفصلاً بدلائله وشواهد إن شاء الله تعالى .

وذكر الواقدي عن شيوخه . قالوا بولاسك في موت النبي صلى الله عليه وسلم . فقال بعضهم : مات . وقال بعضهم : لم يميت ، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رُفِع الخاتم من بين كتفيه . فكان هذا الذي قد عُرف به موته .

هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدي ، وهو ضعيف وشيوخه لم يُسمون ثم هو منقطع بكل حال ومخالف لما صح وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم فالله أعلم بالصواب .

وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة ، أضربنا عن أكثرها صفحاً لضعف أسانيدنا ونكارة متونها ، ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لا محالة .

وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يُعرف سنده . والله أعلم .

فصل

في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه عليه السلام

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رضي

الله عنه .

وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضي الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف ستر الحجر ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه ، حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، حتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصلي الصف ، فأشار إليهم أن يمكنوا كما هم وأرخی الستارة ، وكان آخر العهد به عليه السلام .

فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد أقلع عنه من الوجع ، وهذا يوم بنت خارجه ، يعني إحدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالشنح شرقي المدينة . فركب على فرس له وذهب إلى منزله .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم ، وقيل عند زوال الشمس . والله أعلم .

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم ، فمن قائل يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قائل : لم يم . فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى الشنح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم منزله وكشف الغطاء عن وجهه وقبّله وتحقق أنه قد مات .
[ثم] خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبين لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا ، وأزاح الجدال وأزال الإشكال ، ورجع الناس كلهم إليه ، وباعه في المسجد جماعة من الصحابة .

ووقعت شبهة لبعض الأنصار وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار ، وتوسّط بعضهم بين أن يكون أميرٌ من المهاجرين وأميرٌ من الأنصار ، حتى بين لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش ، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه . كما سنبينه وننبه عليه .

قصة سقيفة بني ساعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع ، حدثنا مالك بن أنس ، حدثني ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن ابن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رَحْله . قال ابن عباس : وكنت أُقْرِئُ عبد الرحمن ابن عوف فوجدني وأنا أنتظره ، وذلك بمنى في آخر حجة حجَّها عمرُ بن الخطاب .

فقال عبد الرحمن بن عوف : إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال : إن فلانا يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلانا . فقال عمر : إني قائمُ العشيَّة إن شاء الله في الناس فحذِّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يَفْصِبوهم أمرهم .

قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رَعاع الناس وغَوَغاءهم ، وإلهم الذين يَغْلِبون على مجلسك إذا قَتَ في الناس ، فأخشى أن تقول مقالةً يطير بها أولئك فلا يَبْعُوها ولا يَضْعُوها مواضعها ، ولكن حتى تَقْدَم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنة وتَخْلُصُ بعلماء الناس وأشرافهم ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيَعُوْا مقاتلك ويضعوها مواضعها .

قال عمر : لئن قدمتُ المدينةَ صالحاً لأكلن بها الناس في أول مقام أقومه .
فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة وكان يوم الجمعة ، عجَّلت الرواح صَكَّة الأعمى^(١) . قلت للمالك : وما صَكَّة الأعمى؟ قال : إنه لا يبالي أى ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد أو نحو هذا .

(١) الصكة : شدة الهاجرة . وفي القاموس : وتضاف إلى عمى ، رجل من العماقة أغار على قوم في الظهيرة فاجتاحهم .

فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني ، فجلست حذاءه تحك ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن طلع عمر ، فلما رأيته قلت ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالةً ما قالها عليه أحد قبله .

قال : فأنكر سعيد بن زيد ذلك وقال : ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد ؟

فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذن قام فأتني على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإنّي قائل مقالةً وقد قدّر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلى ، فن وعاءها وعقلها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يعيها فلا أحلّ له أن يكذب على .

إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرّجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرّجم في كتاب الله . فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل ، فالرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصين من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف .

ألا وإنا قد كنّا نقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني كما أطرى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا : عبد الله ورسوله .

وقد بلغني أن قائلًا منكم يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلانًا فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة فتمّت ، ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقى شرّها ، وليس فيكم اليوم من تقطّع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن علياً والزبير ومن كان معهمما تخلّفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلّف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار . فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً فذكر لنا الذي صنع القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقرّ بوجه واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين . فقلت : والله لأتّينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد . فقلت : ماله ؟ قالوا : وجعٌ . فلما جلسنا قام خطيبهم فأتى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفت دافة^(١) منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحصّونا من الأمر .

فلما سكت أردت أن أتكلّم وكنت قد زوّرتُ مقالةً أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعضَ الحد^(٢) ، وهو كان أخكم مني وأوقر ، والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهة وأفضل حين سكت .

فقال : أما بعد ، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وما تعرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح . فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إنم أحبّ إلى أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، إلا أن تُغرّ نفسي عند الموت .

(١) دفت دافة : بدرت بادرة . والدفيف : المشى الخفيف ويختزلونا : يقتطموننا . ويحصّونا : يمتنعونا .

(٢) الحد : الغضب ، كالحدة .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ^(١) ، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يامعشر قريش .

فقلت للمالك : ما يعنى : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ؟ قال : كأنه يقول : أنا نأدهيتها .

قال فكثُرَ اللَّغَطُ وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة . فقال قائل منهم : قتلتم سعدا . فقلت : قتل الله سعدا ! قال عمر : أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أَوْفَقَ من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يُخذلوا بعدنا بيعةً فإما نتأبِعَهُمْ على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فساد . فن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذى بايعه تَفَرَّةً ^(٢) أن يُقْتَلَ .

قال مالك : فأخبرني ابن شهاب عن عروة : أن الرجلين اللذين لقيهما عُومِيْمُ بن ساعدة ومَعْنُ بن عدى .

قال ابن شهاب : وأخبرني سعيد بن المسيَّب أن الذى قال : أنا جُذَيْلُهَا الْحَكَّاءُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ هو الحُلباب بن المُنذر .

وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طرق عن مالك وغيره عن الزهري به .

وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية عن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عاصم وحديثي حسين بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم عن زِرِّ ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال :

(١) الجذيل : عود ينصب للجري لاحتكاك به ، يريد أنه يشتفى برأيه . والعذيق تصغير العنق ، وهو النخلة بما عليها . والمرجَب الذى ضم أعذاقه إلى سعفاته وشدت بالحواس لئلا تنفضها الريح .

(٢) التفرقة : مصدر غررته إذا ألقته في الغرر . أى خوف التفرقة .

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فاتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس ؟ فأبيكم تطيب نفسه أن يتقدّم أبا بكر .

ف قالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ؟

ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وهنّاد بن السري ، عن حسين بن علي الجعفي ،

عن زائدة به .

ورواه علي بن المدّيني عن حسين بن علي ، وقال : صحيح لا أحفظه إلا من حديث

زائدة عن عاصم .

وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سامة بن نبيط ، عن نعيم بن أبي هند ، عن نبيط

ابن شريط ، عن سالم بن عبيد ، عن عمر مثله . وقد روى عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر .

وجاء من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن

عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : قلت : يامعشر المسلمين إن أوّل الناس بأمر نبي الله ثانی اثنين إذ هما في الغار وأبو بكر السباق المسن .

ثم أخذت بيده وبدّرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده ، ثم ضربت على يده وتبايع الناس .

وقد روى محمد بن سعد عن عارم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن

سعيد ، عن القاسم بن محمد ، فذكر نحوه من هذه القصة وسمّى هذا الرجل الذي بايع

الصدّيق قبل عمر بن الخطاب فقال : هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير .

ذكر اعتراف سعد بن عباد بصحة مقاله الصديق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد : [حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن داود بن عبد الله الأزدي عن سعيد بن عبد الرحمن قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه في صائفة من المدينة .

قال : فجاء [فكشف] عن وجهه فقَبَّله . وقال : فذاك أبى وأمى ما أطيبك حيًّا وميتًا ، مات محمد ورب الكعبة . فذكر الحديث .

قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم ، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - وأنت قاعد - قریش ولأهـ هذا الأمر ، فَبَرَّ الناس تَبَعَ لِبَرِّهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء .

وقال الإمام أحمد : ^(١) [حدثنا علي بن عباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، أخبرني يزيد بن سعيد بن ذى عضوان العبسى ، عن عبد الملك بن عمير اللخمي ، عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل ، قال : وسألته عما قيل في بيعتهم ، فقال : وهو يحدثه عما تناولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه . فبأيعوني لذلك وقبيلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة .

وهذا إسناد جيد قوى .

ومعنى هذا أنه رضى الله عنه إنما قَبِلَ الإمامة تخوفاً أن تقع فتنة أُرْزِي مِنْ تركه
قبولها رضى الله عنه وأرضاه .

قلت : كان هذا في بقية يوم الاثنين ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع
الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة ، وكان ذلك قبل تجهيز
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن معمر ، عن الزهري ،
أخبرني أنس بن مالك ، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغد
من يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو
أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم -
فإن يك محمدٌ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدى الله محمداً صلى
الله عليه وسلم ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين وإنه أَوْلَى
المسلمين بأمرهم ، فقدّموا فبايعوه .

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وكانت بيعة العامة
على المنبر .

قال الزهري عن أنس بن مالك ، سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر : اصعد المنبر .
فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري ، حدثني أنس بن مالك ، قال : لما بويع
أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ،
حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إني قد كُفِّتْ لَكُمْ بِالْأَمْسِ
مَقَالَةً مَا كَانَتْ وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، ولكنى كنت أرى أن رسول الله سيدُّ أمرنا . يقول : يكون آخرنا .
وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى هو به هدى رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لئلا
كان هدام الله له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثانى اثنين إذا هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : أما بعد ، أيها الناس
فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ،
الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى^(١) [عندى] حتى أزيح عنه إن
شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى
سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ،
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى
صلاتكم يرحمكم الله .

وهذا إسناد صحيح .

فقوله رضى الله عنه : « وَلِيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » من باب المضم والتواضع ، فإنهم
مُجْمِعُونَ على أنه أفضلهم وخيرهم رضى الله عنهم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الحافظ الإسفرائيني ،
حدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة
وإبراهيم بن أبي طالب . قالا : حدثنا بشار بن بشار . وحدثنا أبو هشام الخزومي ،
حدثنا وهيب ، حدثنا داود بن أبي هند ، حدثنا أبو نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ،

قال : قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عُبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر .

قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره .

قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم تُتَابِعكم . وأخذ بيد أبي بكر . وقال : هذا صاحبكم فبايعوه . فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار .

قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير . قال : فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوارية أردت أن تشقَّ عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام فبايعه .

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء . فقال : قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه . هذا أو معناه .

قال أبو علي الحافظ : سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث ، فكتبت له في رقعة وقرأته عليه .

وهذا حديث يَسْوَى بَدَنَةً . فقلت : يَسْوَى بدنه بل يَسْوَى بَدْرَةً !

ثم قد رواه البيهقي عن الحاكم وأبي محمد بن حامد المقرئ ، كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن جعفر بن محمد بن شاكر ، عن عفان بن سلم ، عن وهيب بن وهيب . ولكن ذكر أن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر وفيه : أن زيد بن ثابت

أخذ بيد أبي بكر . فقال : هذا صاحبكم فبايعوه . ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على النهر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فسأل عنه ، فقام ناس من الأنصار فأتوا به : فذكر نحو ما تقدم ، ثم ذكر قصة الزبير بعد علي . فإله أعلم .

وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الثقة عن وهيب مختصراً . وقد رواه علي بن عاصم ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري . فذكر نحو ما تقدم .

وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن نطعة ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري .

وفيه فائدة جلية ، وهي مبايعة علي بن أبي طالب ، إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة . وهذا حق ، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه . كما سذكروه وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة .

ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق ، بسبب ما كانت متوهمةً من أنها تستحق ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعلم بما أخبرها به أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « لا نُورث ما تركنا فهو صدقة » فحجبتها وغيرها من أزواجه وعنه عن الميراث بهذا النص الصريح ، كما سنبينه في موضعه ، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخير وفدك فلم يجبها إلى ذلك ، لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق البار الرشيد التابع للحق رضي الله عنه ، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العِصمة - عتب وتفضب ، ولم تسكلم الصديق حتى ماتت ، واحتاج علي أن يراعى خاطرها ببعض الشيء ، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم رأى علي أن يحدد

البيعة مع أبي بكر رضى الله عنه ، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه ، عن سعد بن إبراهيم ، حدثني أبي ، أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ، وإن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير .

ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية . فقبل المهاجرون مقالته .

وقال على والزبير : ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الفار وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو حى .
إسناد جيد . والله الحمد والمنة .

فصل

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : « يابى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .
وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبي بكر ، كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلى كما تقوله طائفة من الرافضة .

ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لب وعقل إلى الصديق كما قدمنا وسند كرهه والله الحمد .

كما ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أن

عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : ألا تستخلف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني . يعني - أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، يعني - رسول الله صلى الله عليه وسلم - .

قال ابن عمر : فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُستخلف . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : لما ظهر عليٌّ على الناس قال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله - أو قال حتى ضرب الدينُ بجرانه^(١) - إلى آخره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شريك ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : خطب رجلٌ يوم البصرة حين ظهر عليٌّ فقال عليٌّ : هذا الخطيب السَّجَّسَجُ^(٢) - سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى^(٣) أبو بكر وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنةٌ بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الزكيّ بمرّو ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائني ، حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار ، حدثنا شُعَيْب بن ميمون ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن الشَّعْبِي ، عن أَبِي وائِل ، قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجران : مقدم عنق البعير ، والمراد : قوى واشتد أمره .

(٢) السَّجَّسَج : الأرض التي ليست بصابة ولا لينّة .

(٣) صلى : جاء تالياً .

فأستخلف ، ولكن إن يُرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم
بعد نبيهم على خيرهم .

إسناد جيد ولم يخز جوه .

وقد قدمنا ما ذكره البخارى من حديث الزهرى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك
عن ابن عباس : أن عباساً وعلياً لما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال رجل : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال على : أصبح بحمد الله
بارئاً . فقال العباس : إنك والله عبدُ العصا بعد ثلاث ! إني لأعرف في وجوه بنى هاشم
الموت ، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر ؟
فإن كان فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فوصّاه بنا . فقال على : إني لا أسأله
ذلك والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً .

وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى به فذكره . وقال فيه : فدخل عليه يوم
قبض صلى الله عليه وسلم . فذكره . وقال في آخره : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اشتد الضحى من ذلك اليوم

قلت : فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة ، فدل على أنه عليه السلام توفي عن
غير وصية في الإمارة^(١) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين أن يكتب ذلك الكتاب .

وقد قدمنا أنه عليه السلام كان طلب أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده ،

فلما كثروا اللفظ والاختلاف عنده قال : « قوموا عني ، فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه » .

وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك : « يأي الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عون عن إبراهيم التيمي ، عن الأسود ، قال : قيل لعائشة إنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي . فقالت : بم أوصى إلى علي ؟ لقد دعا بطست ليبول فيها وأنا مُسندته إلى صدري فانحرف^(١) فمات وما شعرت ، فم يقول هؤلاء إنه أوصى إلى علي ؟

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول ، عن طلحة بن مصرف ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى ، هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قلت : فلم أمرنا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

قال طلحة بن مصرف : وقال هذيل بن شَرَحْبِيل : أبو بكر يتأمر على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ودّ أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرم أنفه بحرامه !

وفي الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب .

وفيهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عَبر إلى ثور^(٢) من أحدث فيها حديثاً أو آوى مُحَدِّثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً^(٣) » ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتفى إلى غير

(١) انحرف : مال . (٢) عبر : جبل بالمدينة . ونور جبل بالمدينة خلف أحد . (٣) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .

مُؤَالِيهِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا .

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يردّ على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردّ ذلك أحدٌ من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتانوا عليه فيقدّموا غيرَ من قدّمه ويؤخروا من قدّمه ببصه ؛ حاشا وكلاً ولم ؟

ومن ظنّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم ومضادته في حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام وكفّر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدّام !

ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصٌّ فلم لا كان يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ؟
فإن لم يقدر على تنفيذ مامعه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة ، وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن ، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل .

ثم وقد عرفه وعلمه من بعده ! هذا محال وافتراء وجهل وضلال .

ولإنما يحسّن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمفتريين من الأنام ، يزيّنه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهدّيان والإفك والبهتان .
عياذا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والكفران ، وملاذا

بِالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاء على الإسلام والإيمان ، والموافاة على الثبات والإيقان وتنقيط الميزان ، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم مَنَّان رحيم رحمن .

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن علي الذي قدمناه ردُّ على متعة كثيرة من الطُّرُقِيَّة والقُصَّاص الجُهْلَة في دعواهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى عليّ بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة : يا عليّ افعل كذا ، يا علي لا تفعل كذا ، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا . بألفاظ ركيكة ومعان أكثرها سخيّة ، وكثير منها حفيّة لا تساوى تسويد الصحيفة . والله أعلم .

وقد أورد الحافظ البيهقي من طريق حماد بن عمرو النَّصِيبِي - وهو أحد الكذابين الصَّوْاعِن - عن السَّري بن خَلَّاد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده ، عن علي ابن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : يا علي أوصيك بوصية احفظها فإنك لا تزال بخير ما حفظتها ، يا علي إن لدؤمن ثلاث علامات : الصلاة والصيام والزكاة .

قال البيهقي : فذكر حديثا طويلا في الرغائب والآداب . وهو حديث موضوع . وقد شرطت في أول الكتاب ألا أخرج فيه حديثا أعلمه موضوعا .

ثم روى من طريق حماد بن عمر ، وهذا عن زيد بن رُقيع ، عن مكحول الشامى ، قال : هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب حين رجع من غزوة حنين وأنزلت عليه سورة النصر .

قال البيهقي : فذكر حديثا طويلا في الفتنة وهو أيضا حديث منكر ليس له أصل ، وفي الأحاديث الصحيحة كفاية وبالله التوفيق .

ولنذكر هاهنا ترجمة حماد بن عمرو بن أبي إسماعيل النَّصِيبِي : روى عن الأعمش

وغيره ، وعنه إبراهيم بن موسى ومحمد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم .
قال يحيى بن معين : هو ممن يَكْذِبُ ويضع الحديث . وقال عمرو بن علي الفلاس
وأبو حاتم : مُنْكَرُ الحديث ضعيف جداً . وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : كان
يكذب . وقال البخاري : مُنْكَرُ الحديث . وقال أبو زرعة : واهى الحديث . وقال
النسائي : متروك . وقال ابن حبان : يضع الحديث وضعا . وقال ابن عدي : عامة حديثه
مما لا يُتَابَعُه أحد من الثقات عليه . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال الحاكم أبو عبد الله :
يروى عن الثقات أحاديث موضوعة ، وهو ساقط بمرّة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ،
أنبأنا حمزة بن العباس العقبي ببغداد ، حدثنا عبد الله بن رَوْح المدائني ، حدثنا سلام بن
سليمان المدائني ، حدثنا سلام بن سليم الطويل ، عن عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن
الحسن المقرئ ، عن الأشعث بن طَلِيق ، عن مُرّة بن شَرَّاحِيل ، عن عبد الله بن مسعود ،
قال : لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعنا في بيت عائشة فنظر إلينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه ، ثم قال لنا : قد دنا الفراق . ونعى إلينا نفسه ، ثم قال :
مرحبا بكم حيّاكم الله ، هداكم الله ، نصرّكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، سدّدكم الله ، وقاكم
الله ، أعانكم الله ، قبّلكم الله . أوصيّكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم وأستخلفه عليكم ،
إني لكم منه نذير مبين ألا تَعْمَلُوا على الله في عباده وبلاده . فإن الله قال لي ولكم :
« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » ^(١)
وقال : « أليس في جهنم مثوى للمتكبرين » ^(٢) .

قلنا : فمتى أجلك يا رسول الله ؟ قال : قد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله والسّدرة المنتهى

والكأس الأوفى والفرش الأعلى . قلنا : فمن يفسلك يا رسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتي الأدنى فالأدنى ، مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم . قلنا : فقيم نكفئك يا رسول الله ؟ قال : في ثيابي هذه إن شئتم أو في يَمَنِيَّة أو في بياض مِصر .

قلنا : فمن يصلي عليك يا رسول الله ؟ فبكى وبكىنا . وقال : مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسَلتموني وحنَّطتموني وكفَّتموني فضعوني على شَفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة . فإن أول من يصلي على خليلي وجليساي جبريل وميكائيل ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام ، وليبدأ بالصلاة على رجالِ أهل بيتي ثم نساؤهم ثم ادخلوا على أفواجا وفرادى ؛ ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بصيحة ، ومن كان غائبا من أصحابي فأبلغوه عني السلام ، وأشهدكم بأني قد سلَّمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني في ديني هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة .

قلنا : فمن يَدْخُلُ قبرك يا رسول الله ؟ قال : رجالُ أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم .

ثم قال البيهقي : تابعه أحمد بن يونس ، عن سَلام الطويل ، وتفرد به سلام الطويل .

قلت : وهو سَلام بن سَلم ، ويقال ابن سليم ، ويقال ابن سليمان . والأول أصح ، التميمي السعدي الطويل . يروي عن جعفر الصادق ومُحمَّد الطويل وزيد العمي وجماعة . وعنه جماعة منهم : أحمد بن عبد الله بن يونس ، وأسد بن موسى ، وخلف بن هشام البزار ، وعلي بن الجعد ، وقبيصة بن عقبة .

وقد ضعفه علي بن المدِّيني وأحمد بن حنبل ويحيى بن مَعِين والبخاري وأبو حاتم وأبو زُرْعَة والجوزجاني والذَّسائِي وغير واحد ، وكذَّبه بعض الأئمة ، وترَكه آخرون .

لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار من غير طريق
سلام هذا فقال : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي ،
عن ابن الأصبهاني ، أنه أخبره عن مرة ، عن عبد الله فذكر الحديث بطوله .
ثم قال البزار : وقد روى هذا عن مرة من غير وجه بأسانيد متقاربة وعبد الرحمن
ابن الأصبهاني لم يسمع هذا من مرة ، وإنما هو عن أخبره عن مرة ، ولا أعلم أحداً
رواه عن عبد الله عن مرة .

فصل

في ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ومبلغ سنه حال وفاته
وفي كيفية غسله عليه السلام وتكفينه والصلاة عليه ودفنه
وموضع قبره صلوات الله وسلامه عليه

لا خلاف أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين .

قال ابن عباس : ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونبي يوم الاثنين ،
وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، ومات
يوم الاثنين .

رواه الإمام أحمد والبيهقي .

وقال سفيان الثوري عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : قال لي
أبو بكر : أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الاثنين . فقال :
إني لأرجو أن أموت فيه . فمات فيه .

رواه البيهقي من حديث الثوري به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هُرَيم ، حدثني ابن إسحاق ، عن
عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .
تفرد به أحمد .

وقال عروة بن الزبير في مغازيه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب : لما اشتد
برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أرسلت عائشة إلى أبي بكر ، وأرسلت حفصة

إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى عليّ ، فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة وفي يومها ؛ يوم الاثنين حين زادت الشمس لَهلال ربيع الأول .

وقد قال أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن أنس ، قال : آخر نظرة نظرَها إلى رسول الله يوم يوم الاثنين ، كشف الستارة والناس خلف الستارة والناس خلف أبي بكر فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مُصَحَف ، فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار إليهم أن امسكوا : وألقى السَّجَف ، وتوفي من آخر ذلك اليوم .

وهذا الحديث في الصحيح ، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال . والله أعلم .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بكار ، عن محمد بن شعيب ، وعن صفوان ، عن عمر بن عبد الواحد ، جميعا عن الأوزاعي ، أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن كامل^(١) ، حدثنا الحسين بن علي البزار ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، وهو سليمان ابن طَرْحَان التيمي في كتاب المغازي ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض لاثنين وعشرين ليلة من صفر ، وبدأه وجعه عند وليدة له يقال لها رَيْحانة كانت من سبي اليهود ، وكان أول يوم مرض يوم السبت ، وكانت وفاته عليه السلام يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول تمام عشر سنين من مَقْدَمه عليه السلام المدينة .

وقال الواقدي : حدثنا أبو مَعْشَر عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة

في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة ، فاجتمع عنده نساؤه كلهن ، فاشتكى
ثلاثة عشر يوما ، وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

وقال الواقدي : وقالوا : بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لليلتين
بقيتا من صفر ، وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
وهذا جزم به محمد بن سعد كاتبه ، وزاد : ودفن يوم الثلاثاء .

قال الواقدي : وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض ، عن المقبري ، عن
عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدى في
بيت ميمونة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو مَعْشَر ، عن محمد بن
قيس ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يوما ، فكان إذا وجد
خِفةً صَلَّى وإذا ثَقُلَ صَلَّى أبو بكر رضى الله عنه .

وقال محمد بن إسحاق : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي قَدِمَ فيه المدينة مهاجراً ، واستكمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هجرته عشر سنين كوامل .

قال الواقدي : وهو المثلث عندنا . وجزم به محمد بن سعد كاتبه .

وقال يعقوب بن سفيان ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، أنه قال : توفي
رسول الله يوم الاثنين ليلة خلت من ربيع الأول وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين
من مقدمه .

وقال سعد بن إبراهيم الزهري : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لليلتين خلتا من ربيع الأول تمام عشر سنين من مقدمه المدينة .

رواه ابن عساكر . ورواه الواقدي عن أبي معشر عن محمد بن قيس مثله سواء .
وقاله خليفة بن خياط أيضاً .

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين : توفي رسول الله يوم الاثنين مستهل ربيع الأول
سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة ، ورواه ابن عساكر أيضاً .

وقد تقدم قريبا عن عروة وموسى بن عقبة والزهرى مثله فيما نقلناه عن مغازيهما
فالله أعلم .

والمشهور قول ابن إسحاق والواقدي .

ورواه الواقدي عن ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما فقال : حدثني إبراهيم بن
يزيد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس . وحدثني محمد بن عبد الله عن
الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة . قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

ورواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه مثله - وزاد :
ودفن ليلة الأربعاء .

وروى سيف بن عمر ، عن محمد بن عبيد الله العرزمي ، عن الحكم ، عن مقسم ،
عن ابن عباس ، قال : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ارتحل فأتى
المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والحرم وصفرا ، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من
ربيع الأول .

وروى أيضا عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عروة . وفي حديث فاطمة عن
عروة عن عائشة مثله ، إلا أن ابن عباس قال في أوله : لأيام مضين منه . وقالت عائشة :
بعد ما مضى أيام منه .

فائدة

قال أبو القاسم السهيلي في الروض ما مضمونه : لا يتصور وقوع وفاته عليه السلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة . وذلك لأنه عليه السلام وقف في حجة الوداع سنة عشر يوم الجمعة ؛ فكان أول ذى الحجة يوم الخميس ، فعلى تقدير أن تُحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص ، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول .

وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول .

وقد حاول جماعة الجواب عنه . ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد ، وهو اختلاف المطالع ، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذى الحجة ليلة الخميس ، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة .

ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذى القعدة - يعنى من المدينة - إلى حجة الوداع .

ويتعين كما ذكرنا أنه خرج يوم السبت ، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس ، لأنه قد بقى أكثر من خمس بلا شك ، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة ، لأن أنسًا قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعاً ، والعصر بذي الحليفة ركعتين . فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين .

فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذى الحجة ليلة الجمعة ، وإذا كان أول ذى الحجة عند أهل المدينة الجمعة وحُسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس ، فيكون ثاني عشره يوم الاثنين . والله أعلم .

وثبت في الصحيحين من حديث مالك ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن

أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القَطَط ولا بالسَّبَط^(١) ، بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وهكذا رواه ابن وهب ، عن عروة ، عن الزهري ، عن أنس ، وعن قرّة بن ربيعة ، عن أنس مثل ذلك .

قال الحافظ ابن عساكر : حديث قرّة عن الزهري غريب . وأما من رواية ربيعة عن أنس فرواها عنه جماعة كذلك .

ثم أسند من طريق سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد وربيعه^(٢) عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه ابن البربري ونافع بن أبي نعيم ، عن ربيعة عن أنس به . قال : والمحفوظ عن ربيعة عن أنس ستون .

ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعي ومِسْعَر وإبراهيم بن طهمان ، وعبد الله بن عمر وسليمان بن بلال ، وأنس بن بلال ، وأنس بن عياض والد رَزْدِي ومحمد بن قيس المدني ، كلهم عن ربيعة عن أنس ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السمّك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو مَعْمَر ، عبد الله بن عمرو ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أبو غالب الباهلي ، قال : قلت لأنس بن مالك : ابن أيّ الرجال رسول الله إذ بعث ؟

(١) الأمهق : الأبيض لا تحاطه حمرة . والآدم : الأسمر . والقَطَط : الشديد جمودة الشعر ، والسَّبَط : نقيض الجعد .
(٢) ١ : وزمعة .

قال : كان ابن أربعين سنة . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عز وجل وهو كأشد الرجال وأحسنه وأجله وأحلمه .

ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

وقد روى مسلم عن أبي غسان محمد بن عمرو الرازي الملقب برُبَيْح ، عن حَكَّام بن سَلَم ، عن عثمان بن زائدة ، عن الزبير بن عدى ، عن أنس بن مالك قال : قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين .
انفرد به مسلم .

وهذا لا ينافي ما تقدم عن أنس ، لأن العرب كثيرا ما تحذف الكسرة .

وثبت في الصحيحين من حديث الليث بن سعد ، عن عقيل عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب مثله . وروى موسى بن عُبَيْة وعقيل ويونس بن يزيد وابن جريج ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة . قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . قال الزهري : وأخبرني سعيد بن المسيب مثل ذلك .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عائشة وابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة عشر سنين يتنزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرا .

لم يخرج به مسلم .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن

سعد ، عن جرير بن عبد الله ، عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وعمر وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا رواه مسلم من حديث عُقْدَر ، عن شعبة ، وهو من أفرادهِ دون البخارى . ومنهم من يقول عن عامر بن سعد عن معاوية ، والصواب ما ذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية .

وروينا من طريق عامر بن شراحيل ، عن الشعبي ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، عن معاوية فذكره .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضى أبى يوسف ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن أنس ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى عمر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال ابن كهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : تذاكر رسول الله وأبو بكر ميلادهما عندي ، فكان رسول الله أكبر من أبى بكر ، فتوفى رسول الله وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين .

وقال الثورى عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : توفى رسول الله وأبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين .

وقال حنبل : حدثنا الإمام أحمد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرة وبالمدينة عشرة .

وهذا غريب عنه وصحيح إليه .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : نُبِئَ

رسول الله وهو ابن أربعين سنة ، فكث ثلاث سنين ، ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة ثم مكث بعد ذلك عشر سنين ثم هاجر إلى المدينة ، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل : الثابت ^(١) عندنا ثلاث وستون .

قلت : وهكذا روى مجاهد عن الشعبي ، وروى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عنه .

وفي الصحيحين من حديث رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وفي صحيح البخاري من حديث رَوْح بن عُبادة أيضا ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

وكذلك رواه الإمام أحمد عن رَوْح بن عُبادة ويحيى بن سعيد ويزيد بن هارون ، كلهم عن هشام بن حسان . عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

وقد رواه أبو يعلى الموصلي ، عن الحسن بن عمر بن سفيان ^(٢) ، عن جعفر بن سليمان ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس . فذكر مثله . ثم أورده من طرق عن ابن عباس مثل ذلك .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن أبي جحرة ، عن ابن عباس ، أن رسول

(١) أ : الثبت .

(٢) ح : شقيق .

الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه . وبالمدينة عشراً ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق مسلم بن جُنادة ، عن عبد الله بن عمر ، عن كريب ، عن ابن عباس ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين . ومن حديث أبي خضرة عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس مثله . وهذا القول هو الأشهر وعليه الأكثر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن خالد الحذاء ، حدثني عمار مولى بني هاشم ، سمعت ابن عباس يقول : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .

ورواه مسلم من حديث خالد الحذاء به .

وقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة ، ثمانين سنين أو سبعاً ، يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثمانية أو سبعاً يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشراً .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا يونس ، عن عمار مولى بني هاشم ، قال : سألت ابن عباس كم أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ؟ قال : ما كنت أرى مثلك في قومه يخفى عليك ذلك . قال : قلت : إني قد سألت فاختلف علي فأحببت أن أعلم قولك فيه . قال : أتحيب ؟ قلت : نعم قال : أمسك أربعين بعث لها ، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً مهاجرة (١) بالمدينة .

وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زريع وشعبة بن الحجاج ، كلاهما عن يونس

(١) غير (١) : « مهاجرة » .

ابن عُبَيْد ، عن عمار ، عن ابن عباس بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَيْر ، حدثنا العلاء بن صالح ، حدثنا المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، أن رجلاً أتى ابنَ عباس فقال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ؟ فقال : من يقول ذلك ؟ لقد أنزل عليه بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشراً ، خمسا وستين وأكثر .

وهذا من أفراد أحمد إسناداً ومثناً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين سنة .
تفرد به أحمد .

وقد روى الترمذى فى كتاب الشمائل وأبو يعلى الموصلى والبيهقى من حديث قتادة ، عن الحسن البصرى عن دَعْفَل بن حنظلة الشيبانى الذَّسَابَة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قبُض وهو ابن خمس وستين .

ثم قال الترمذى : دَعْفَل لا نعرف له سماعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان فى زمانه رجلاً .

وقال البيهقى : وهذا يوافق رواية عمار ومن تابعه عن ابن عباس .

ورواية الجماعة عن ابن عباس فى ثلاث وستين أصح ، فهم أوثق وأكثر روايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة ، وإحدى الروایتين عن أنس ، والرواية الصحيحة عن معاوية . وهو قول سعيد بن المسيّب وعامر الشَّعْبى وأبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهم .

قلت : وعبد الله بن عُقْبَة والقاسم بن عبد الرحمن والحسن البصرى وعلى بن الحسين وغير واحد .

ومن الأقوال الغريبة مارواه خليفة بن خياط ، عن معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة .
ورواه يعقوب بن سفيان ، عن محمد بن المثنى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة مثله . ورواه زيد العمري ، عن يزيد ، عن أنس .

ومن ذلك مارواه ابن عامر ، عن القاسم بن حميد ، عن النعمان بن المنذر الغساني ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر .
ورواه يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد بن بكّار^(١) ، عن محمد بن شعيب ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف .

وأغرب من ذلك كله مارواه الإمام أحمد عن رَوْح ، عن سعيد بن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين سنة بمكة وعشرًا بعد ما هاجر^(٢) .

فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور ، وهو أنه عليه السلام أنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة فقد ذهب إلى أنه عليه السلام عاش ثمانيا وخمسين سنة . وهذا غريب جداً .

لكن رويانا من طريق مُسَدَّد ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة .
وقال خليفة بن خياط : حدثنا أبو عاصم ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : بُعث رسول الله وهو ابن خمس وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة ثمانيا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين .

وهذا بهذا الصفة غريب جداً والله أعلم .

صفة غسله عليه السلام

قد قدمنا أنهم رضى الله عنهم اشتغلوا ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء ، فلما تمهدت وتوطدت وتمت شرعوا بعد ذلك في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتدين في كل ما أشكل عليهم بأبي بكر الصديق رضى الله عنه .
قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء .

وقد تقدم من حديث ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله توفى يوم الاثنين ودُفن ليلة الأربعاء .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو بُرْدَةَ ، عن علقمة بن يزيد ، عن سليمان بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : لما أخذوا في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم منادٍ من الداخل : ألا تجردوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه .

ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن أبي بُرْدَةَ - واسمه عمرو بن يزيد التميمي كوفي -

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، سمعت عائشة تقول : لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ما ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما تجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه .

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم أحدٌ إلا وذقنه في صدره . ثم كلمهم مكلمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن غسّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه .

فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسلوه وعليه قميص . يصبون الماء فوق القميص فيدلّكونه بالقميص دون أيديهم .

فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اجتمع^(١) القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في البيت إلا أهله ، عمه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقُثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه .

فلما اجتمعوا لفسله نادى من وراء الناس أوس بن خولى الأنصارى ، أحد^(٢) بني عوف بن الخزرج - وكان بدرية - علي بن أبي طالب ، فقال : يا علي ننشدك^(٣) الله وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له علي : ادخل . فدخل فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يل من غسله شيئا .

فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس وفضل وقُثم يلقبونه مع علي ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء ، وجعل علي يفسله ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما يرى^(٤) من الميت ، وهو يقول : بأبي وأمي ! ما أطيبك حيا وميتا .

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ، - وكان يُفسل بالماء والسدر - جَفَفَوه ثم

صُنع به ما يصنع^(٥) بالميت . ثم أذرج في ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين وبرد حبرة .

(١) مسند أحمد : لما اجتمع . حديث ٢٣٥٨ (٢) المسند : ثم أحد .

(٣) المسند : نشدتك .

(٥) ١ : مما يصنع .

(٤) ١ : مما يراه .

قال : ثم دعا العباسُ رجلين ، فقال : ليذهب أحداً إلى أبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يَضْرَحُ لأهل مكة . وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري - وكان أبو طلحة يَلْحَدُ لأهل المدينة .

قال : ثم قال العباس حين سَرَّحَهُمَا : اللهم خِرْ لرسولك !
قال : فذهبا فلم يجد صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فلحد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انفرد به أحمد .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن المنذر بن ثعلبة ، عن الصَّلْت ، عن العلاء بن أحمَر ، قال : كان علي والفضل يفسلان رسول الله ، فنودي عليّ : ارفع طرفك إلى السماء . وهذا منقطع .

قلت : وقد روى بعض أهل الشُّنن عن عليّ بن أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا علي لا تُبَدِّ نَحْذُكَ ، ولا تنظر إلى نَحْذِ حَيٍّ ولا ميت » . وهذا فيه إشعار بأمره له في حق نفسه والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا ضَمْرَة ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : قال عليّ : غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيباً حياً وميتاً صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود في المراسيل وابن ماجه من حديث مَعْمَر .
زاد البيهقي في روايته : قال سعيد بن المسيّب : وقد وَلِيَ دَفَنَهُ عليه السلام أربعة :

عليّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحدوا له لحداً ونصبوا عليه اللّبن نَصَبًا .

وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين منهم عامر الشعبي ومحمد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم بألفاظ مختلفة بطول بسطها هاهنا .

قال البيهقي : وروى أبو عمرو كَيْسَان ، عن يزيد بن بلال ، سمعت عليا يقول : أَوْصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفسله أحدٌ غيري ، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء السّتر . قال علي : فما تناولت عضواً إلا كأنه يَقلبه معي ثلاثون رجلاً ، حتى فرغت من غسله .

وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار في مسنده ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا عبد الصمد بن النعمان ، حدثنا كَيْسَان أبو عمرو ، عن يزيد بن بلال ، قال : قال عليّ بن أبي طالب : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ألا يفسله أحدٌ غيري ، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه .

قال علي : فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء السّتر . قلت : وهذا غريب جداً .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا الحسين بن حفص ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن جُرَيْج ، سمعت محمد بن عليّ أبا جعفر قال : غُسلَ النبي صلى الله عليه وسلم بالسّدْر ثلاثاً ، وغسل وعليه قميص ، وغسل من بئر كان يقال لها الغَرَس بقباء كانت لسعد بن خَيْثمة ، وكان رسول الله يشرب منها ، وولى غسله عليّ والفضل يحتضنه ، والعباس يصب الماء ، فجعل الفضل يقول : أَرِحْنِي قَطَعْتَ وَتَيْبَنِي ، إني لأجد شيئاً يترطّل عليّ ^(١) .

(١) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه . ويطرل : يسترخى ويسترسل .

وقال الواقدي : حدثنا عاصم بن عبد الله الحكمي ، عن عمر بن عبد الحكم . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم البئر بئر غَرْس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه » .

وكان رسول الله يُستعذب له منها وغُسل من بئر غرس .

وقال سيف بن عمر ، عن محمد بن عدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر ، أخذ العباس في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ف ضرب عليه كِلَّةٌ ^(١) من ثياب يمانية صِفَاق في جوف البيت ، فدخل الكِلَّة ودعا علياً والفضل ، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيها دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ، ورجال من بني هاشم من وراء السكلة ، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبي وسألوه ، منهم أؤس بن خولى رضى الله عنهم أجمعين .

ثم قال سيف عن الضحاك بن يربوع الحنفي عن ماهان الحنفي ، عن ابن عباس ، فذكر ضرب السكلة وأن العباس أدخل فيها علياً والفضل وأبا سفيان وأسامة ، ورجال من بني هاشم من وراء السكلة في البيت ، فذكر أنهم ألقى عليهم النعاس فسمعوا قائلاً يقول : لا تغسلوا رسول الله فإنه كان طاهراً . فقال العباس : ألا بلى . وقال أهل البيت : صدق فلا تغسلوه ، فقال العباس : لا ندع سُنَّة لصوت لاندري ماهو .

وغشيهم النعاسُ ثانية ، فنأداهم : أن غَسَلُوهُ وعليه ثيابه . فقال أهل البيت : ألا لا .

وقال العباس : ألا نعم . فشرعوا في غسله وعليه قميص ومجول ^(٢) مفتوح ، فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله ، واعتصر قميصه ومجوله ، ثم أدرج في أكفانه ، وجرَّوه عوداً ونَدَّأ ^(٣) ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسَجَّوهُ . وهذا السياق فيه غرابة جداً .

(١) السكلة : غشاء رقيق يتوقى به من البعوض .

(٢) المجول : ثوب أبيض يجعل على يد من تدفع إليه القداح إذا تجمعوا .

(٣) الند : العنبر ، أو نوع من الطيب . وفي ١ : عودا ، ثم احتملوه .

صفة كفنه عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني الزهري ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب حبرة ثم آخر عنه .

قال القاسم : إن بقايا ذلك الثوب لعقدنا بعد .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، وإنما رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والنسائي عن محمد بن مننّى ، ومجاهد بن موسى فرقهما ، كلهم عن الوليد بن مسلم به . وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : حدثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة^(١) ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وكذا رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن هشام عن أبيه عن عائشة : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب [سَحُولِيَّة] ^(٢) بيض .

وأخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة . وأخرجه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري ، كلاهما عن هشام بن عروة به .

وقال أبو داود : حدثنا قتيبة ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله كفن في ثلاثة أثواب بيض يمانية من كُرْسُف^(٣) ، ليس ليس فيها قميص ولا عمامة .

(١) سَحُولِيَّة : منسوبة إلى سحول ، موضع باليمن تنسج به الثياب .

(٢) ليست في أ

(٣) الكرشف : القطن .

قال : فذكر لعائشة قولهم : في ثوبين وبرد حبرة ، فقالت : قد أتى بالبرد ولكنهم ردّوه ولم يكفنوه فيه .

وهكذا رواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن حفص بن غياث به .
وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَةٍ من كُرْسَفٍ ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، فأما الخلعة فإنما شُبَّه على الناس فيها ، إنما اشتريت له خلعة ليكفن فيها فتركت ، وأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال : لأحبسها لنفسى حتى أكفن فيها . ثم قال : لو رضىها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لكفنه فيها . فباعها وتصدق بثمنها .

رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره ، عن أبي معاوية .
ثم رواه البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله في بُرْدٍ حَبْرَةٍ كانت لعبد الله بن أبي بكر وُلِفَ فيها ثم نُزِعَتْ عنه ، فكان عبد الله بن أبي بكر قد أمسك تلك الخلعة لنفسه حتى يكفن فيها إذا مات . ثم قال بعد أن أمسكها : ما كنت أمسك لنفسى شيئاً منع الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكفن فيه . فتصدق بثمنها عبد الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سَحُولِيَةٍ بيض .

ورواه النسائي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الرزاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مسكين بن بكر ، عن سعيد ، يعني ابن عبد العزيز ، قال

مَكْحُول : حدثني عروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب رباط يمانية .

انفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا سهل بن حبيب الأنصاري ، حدثنا عاصم بن هلال ، إمام مسجد أيوب ، حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر : قال كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة .

وقال سفيان عن عاصم بن عبيد الله ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب .

ووقع في بعض الروايات ؛ ثوبين صُحَارِيَّين^(١) وبرد حَبْرَة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا يزيد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب : في قيصه الذي مات فيه ، وحُلَّة نَجْرَانِيَّة - الحلة ثوبان - .

ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة ، وابن ماجه عن علي ابن محمد ، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه . وهذا غريب جدا .

وقال الإمام أحمد : أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين أبيضين وبرد أحمر .

انفرد به أحمد من هذا الوجه .

(١) كذا ولعلها نسبة إلى صحار ، وهي هضبة عمان مما يلي الجبل . المراد .

وقال أبو بكر الشافعي : حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا حميد بن الربيع ، حدثنا بكر - يعني ابن عبد الرحمن - حدثنا عيسى - يعني ابن المختار - عن محمد بن عبد الرحمن هو ابن أبي ليلى ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : كفن رسول الله في ثوبين أبيضين وبرد أحر .

وقال أبو يعلى : حدثنا سليمان الشاذكوني ، حدثنا يحيى بن أبي الهيثم ، حدثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى عليه وسلم في ثوبين أبيضين سحوليين .

زاد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : وبرد أحر .

وقد رواه غير واحد عن إسماعيل المؤدب ، عن يعقوب بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين أبيضين وفي رواية : وسحولية . قاله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي طاهر الخالص ، حدثنا أحمد بن إسحاق عن البهلول ، حدثنا عباد بن يعقوب ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، قال : وقعت على مجلس بني عبد المطلب وهم متوافرون ، فقلت لهم : في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قباء ولا عمامة .

قلت : كم أسر منكم يوم بدر ؟ قالوا : العباس ونوفل وعقيل .

وقد روى البيهقي من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين زين العابدين ، أنه قال : كفن رسول الله في ثلاثة أثواب أحدها برد حبرة .

وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من طريق في صحتها نظر ، عن علي بن أبي طالب ، قال : كفنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وبرد حبرة .

وقد قال أبو سعيد ابن الأعرابي : حدثنا إبراهيم بن الوليد حدثنا محمد بن كثير

حدثنا هشام عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رِيْطَتَيْنِ وَبُرْدٍ نَجْرَانِي .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن هشام وعمران القَطَّان ، عن قتادة عن سعيد ، عن أبي هريرة به .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، حدثنا نصر بن طَرِيف ، عن قتادة ، حدثنا ابن المسيّب ، عن أم سلمة : أن رسول الله كفن في ثلاثة أثواب أحدها بُرْدٌ نَجْرَانِي .

قال البيهقي : وفيما روينا عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس ، وأن الخبر أُخِرَتْ عنه والله أعلم .

ثم روى الحافظ البيهقي من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم الدورقي ، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن حسن بن صالح ، عن هارون بن سعيد ، قال : كان عند عليّ مسك فأوصى أن يُحْنَطَ به ، وقال : هو من فَضْلِ حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه من طريق إبراهيم بن موسى ، عن حميد ، عن حسن ، عن هارون ، عن أبي وائل عن علي . فذكره .

كيفية الصلاة عليه ﷺ

ومد تقدم الحديث الذي رواه البيهقي من حديث الأشعث بن طليق ، والبزار من حديث الأصبهاني ، كلاهما عن مرة ، عن ابن مسعود : في وصية النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسله رجال أهل بيته ، وأنه قال : كفنوني في ثيابي هذه أو في يمانية أو بياض مصر ، وأنه إذا كفنوه يضعونه على شفير قبره ثم يخرجون عنه حتى تصلى عليه الملائكة ، ثم يدخل عليه رجال أهل بيته فيصلون عليه ، ثم الناس بعدهم فرادى .

الحديث بتمامه . وفي صحته نظر كما قدمنا . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا ، لم يؤتمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

وقال الواقدي : حدثني أبي بن عيَّاش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أ كفانه وُضِعَ على سريره ، ثم وضع على شفير حُفْرته ، ثم كان الناس يدخلون عليه رُفَقًا رُفَقًا لا يؤتمهم أحد .

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، قال وجدت كتابا بخط أبي فيه أنه لما كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سريره ؛ دخل أبو بكر وعمر رضی الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسم البيت ، فقالا :

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر ، ثم صفقوا صفوا لا يؤمهم أحد .

فقال أبو بكر وعمر - وهما في الصف الأول حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم - اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ، ونصح لأئمة ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته ، وأومن به وحده لا شريك له ، فاجعلنا إياهما ممن يتبع القول الذي أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به ، فإنه كان بالمومنين رءوفا رحيمًا ، لا نبتغي بالإيمان به بدلًا ولا نشترى به ثمنًا أبدًا .

فيقول الناس : آمين آمين . ويخرجون ويدخل آخرون ، حتى صلى الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان .

وقد قيل : إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء ، وقيل إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون عليه . كما سيأتى بيان ذلك قريبًا . والله أعلم . وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحدٌ عليه ، أمرٌ مُجمَع عليه لا خلاف فيه .

وقد اختلف في تعليقه . فلو صح الحديث الذي أورده عن ابن مسعود لكان نصًّا في ذلك ، ويكون من باب التعبد الذي يَعْسُرُ تعقُّل معناه^(١) . وليس لأحد أن يقول : لأنه لم يكن لهم إمام ، لأننا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضى الله عنه وأرضاه .

وقد قال ، بعض العلماء : إنما لم يؤمهم أحدٌ ليمّاشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه ، ولتسكرّر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء .

(١) ت : الذى تعقل .

وأما الشهيد فقال ما حاصله : إن الله قد أخبر أنه وملأئكته يصلون عليه ، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القَبِيل . قال : وأيضاً فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة . فالله أعلم .

وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعي في مشروعية الصلاة على قبره لغير الصحابة . فقيل : نعم . لأن جسده عليه السلام طرَى في قبره ، لأن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما ورد بذلك الحديث في السنن وغيرها فهو كالليت اليوم ، وقال آخرون : لا يُفعل ، لأن السلف ممن بعد الصحابة لم يفعلوه ، ولو كان مشروعاً لبادروا إليه ولتأخروا عليه . والله أعلم .

صفة دفنه عليه السلام ، وأين دُفن ، وذكر الخلاف

في دفنه أليلاً كان أم نهاراً

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبي - وهو عبد العزيز بن جريج : أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يدُفروا أين يُقْبَرُونَ النبي صلى الله عليه وسلم . حتى قال أبو بكر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لم يُقْبَر نبيٌ إلا حيث يموت ، فأخروا فراشه وحفروا تحت فراشه صلى الله عليه وسلم . وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصديق ، فإنه لم يدركه ، لكن رواه الحافظ أبو يعلى من حديث ابن عباس وعائشة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، فقال : حدثنا أبو موسى الهروي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة ، قالت : اختلفوا في دفن النبي صلى الله عليه وسلم حين قبض ، فقال أبو بكر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يُقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه » فقال : ادفنوه حيث قبض .

وهكذا رواه الترمذى عن أبي كُرَيْب ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر المَلَيْكِي ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله شيئاً مانسبته ، قال : « ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذى يحب أن يُدفن فيه » . ادفنوه في موضع فراشه .
ثم إن الترمذى ضَعَفَ المَلَيْكِي ثم قال : وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه ، رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الأُمَوِي عن أبيه عن ابن إسحاق ، عن رجل حدثه ، عن عروة ، عن عائشة ، أن أبا بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُدفن نبى قط إلا حيث قُبِضَ » .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني محمد بن سهل التميمي ، حدثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان بالمدينة حَفَّارَانِ فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : أين ندفنه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : في المكان الذى مات فيه ، وكان أحدهما يَلْحَدُ والآخر يَشُقُّ ، فجاء الذى يَلْحَدُ فاحد للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه منقطعاً .

وقال أبو يعلى : حدثنا جعفر بن مهران ، حدثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة الجراح يَضْرَحُ كَحَفْرِ أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة وكان يَلْحَدُ ، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عُبَيْدَةَ . وقال للآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خِرْهُ لرسولك .

قال : فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة . فجاء به فاحد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه . فقال قائل : ندفنه في مسجده . وقال قائل : ندفنه مع أصحابه . فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه فحَفَرُوا له تحته ، ثم أدخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرسالاً ، الرجال حتى إذا فرغ منهم أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤمَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ . فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوسط الليل ليلة الأربعاء .

وهكذا رواه ابن ماجه عن نَصْرِ بنِ علي الجهمُضِيّ ، عن وَهَبِ بنِ جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله . وزاد في آخره : ونزل في حُفْرَتِهِ علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أَوْس بن خَوْلَى - وهو أبو ليلى - لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له علي : انزل .

وكان شُقران مولاه أخذ قطيفةً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فدفنها في القبر وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك . فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن ابن إسحاق مختصراً ، وكذلك رواه يونس بن بُكَيْر وغيره عن إسحاق به .

وروى الواقدي عن ابن أبي حَبِيبَة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، عن أبي بكر الصديق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قبض الله نبيا إلا ودفن حيث قبض » .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أو محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقالوا : كيف ندفنه ؟ مع الناس أو في بيوته .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض الله نبيا إلا دُفن حيث قبض » . فدفن حيث كان فراشه ، رُفع الفراش وحُفِرَ تحته .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن عثمان بن محمد الأَخْسي ، عن عبد الرحمن بن سعيد - يعني ابن يَرْبوع - قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا في موضع قبره . فقال قائل : في البقيع ، فقد كان يكثر الاستغفار لهم . وقال قائل : عند منبره . وقال قائل : في مُصَلَّاه .

فجاء أبو بكر فقال : إن عندي من هذا خبراً وعلماً ، سمعت رسول الله يقول : « ما قبض نبى إلا دُفن حيث توفي » .

قال الحافظ البيهقي : وهو في حديث يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وفي حديث ابن جريج عن أبيه ، كلاهما عن أبي بكر الصديق ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا . وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سلمة بن نُبَيْط بن شَرِيط ، عن أبيه ، عن سالم بن عبيد - وكان من أصحاب الصُّفَّة - قال : دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ثم خرج ، فقيل له : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . فعملوا أنه كما قال .

وقيل له : أنصلي عليه ؟ وكيف نصلي عليه ؟ قال : تجميئون عَصَبًا عَصَبًا ، فتصلون . فعملوا أنه كما قال .

قلوا : هل يُدْفَن وأين ؟ قال : حيث قَبِضَ اللهُ روحه ، فإنه لم يَقْبِضْ روحه إلا في مكان طَيِّب . ففعلوا أنه كما قال .

وروى البيهقي من حديث سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : عَرَضَتْ عائشة على أبيها رؤيا ، وكان من أَعْبَرَ الناس ، قالت : رأيت ثلاثة أثمار وقعن في حِجْرِي ، فقال لها : إن صدقت رؤياك دُفِنَ في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة .

فلما قَبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عائشة هذا خيرُ أثمارك !
ورواه مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عائشة منقطعاً .

وفي الصحيحين عنها أنها قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سَحْرَى ونَحْرَى ، وجمع الله بين ريقى وريقه في آخر ساعة من الدنيا وأول ساعة من الآخرة .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي عَوانة ، عن هلال الورَّاق ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه يقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأَبْرَزَ قبره ، غير أنه خشي أن يُتخذَ مسجداً .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثني حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ^(١) بالمدينة رجل يَلْحَدُ والآخِرَ يَضْرَحُ فقالوا : نستخير الله ^(٢) ونبعث

(١) سنن ابن ماجه حديث ١٥٥٧ - لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة .

(٢) ابن ماجه : نستخير ربنا .

إليهما ، فأيهما سبق تركناه . فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد ، فلحدوا للنبي صلى الله عليه وسلم .

تفرد به ابن ماجه وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .
وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد^(١) ، حدثنا عبيد بن طقيل ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي مليكة ، حدثني ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم . فقال عمر : لا تصخبوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ولا ميتاً - أو كلمة نحوها - فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً . فجاء اللاحد فلحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفن .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمري ، عن نافع ، عن ابن عمر . وعن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُلحد له لحد .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن شعبة وابن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو جحرة عن ابن عباس ، قال : جُعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء .
وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن شعبة به . وقد رواه وكيع عن شعبة .

وقال وكيع : كان هذا خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر .

(١) الأصل : ابن يزيد . وما أثبتته عن سنن ابن ماجه .

وقال ابن سعد : أنبأنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا أشعث بن عبد الملك الحمراني ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط بُسْطَ تحته قطيفة حمراء كان يلبسها ، قال : وكانت أرضاً نديبة . وقال هشيم بن منصور عن الحسن قال : جعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يوم حنين .

قال [الحسن ^(١)] : جعلها لأن المدينة أرض سبخة .

وقال محمد بن سعد : حدثنا حماد بن خالد الخياط ، عن عتبة بن أبي الصهباء ، سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افرشوا لي قطيفة في الحدى فإن الأرض لم تُسلط على أجساد الأنبياء » .

وروى الحافظ البيهقي من حديث مُسَدَّد ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال عليٌّ : غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر إلى ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيباً حياً وميتاً .

قال : ووليّ دفنه عليه الصلاة والسلام وإجنأته دون الناس أربعة ، علي والعباس والفضل وصالح مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولحدل النبي صلى الله عليه وسلم لحدّ ، ونُصِب عليه الابن نصباً .

وذكر البيهقي عن بعضهم أنه نُصِب على لحدّه عليه السلام تسع لبنات .

وروى الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبد الله بن معبد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعاً على سريرته من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، يصلي الناس عليه وسريته على شفير قبره فلما أرادوا أن يقبروه عليه السلام نحووا السرير قبيل رجله فأدخل من هناك . ودخل في حفرته العباس وعليٌّ وقُمُّ والفضل وشُقْران .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل الشدّي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :
دخل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وعليّ والفضل وسوى لحدّه رجل من
الأنصار وهو الذي سوى لحدّ قبور الشهداء يوم بدر .
قال ابن عساكر : صوابه يوم أُحُد .

وقد تقدم رواية ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : كان الذين نزلوا في قبر رسول الله على والفضل وقمّ وشقران ، وذكر الخامس وهو
أوس بن خولى ، وذكر قصة القطيفة التي وضعها في القبر شقران .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو طاهر الخدّاباذي ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ،
حدثنا سفيان بن سعيد ، هو الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِي ، قال : حدثني
أبو مَرْحَب ، قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةَ : أَحَدُهُمْ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن الصَّبَّاح ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي
خالد به .

ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن زهير عن إسماعيل ، عن الشَّعْبِي ، حدثني مرحب
أو ابن عمي مَرْحَب^(١) : أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَلَمَّا فَرَّغَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ
إِنَّمَا بَلَغَ الرَّجُلَ أَهْلُهُ .

وهذا حديث غريب جداً وإسناده جيد قوى ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وقد قال أبو عمر بن عبد البرّ في استيعابه : أبو مرحب اسمه سُؤَيْدُ بْنُ قَيْسٍ ، وذكر
أبا مَرْحَب آخر وقال : لا أعرف خبره .

قال ابن الأثير في الغابة : فيحتمل أن يكون راوى هذا الحديث أحدهما أوثالثه
غيرهما [والله الحمد]^(٢) .

ذكر من كان آخر الناس به عهداً عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع عليّ في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكبت له غسلاً فاغتسل .

فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا : يا أبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه . قال : أظن المغيرة بن شعبه يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل . عن ذلك جئنا نسألك . قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُتِمَ بن عباس .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقد رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به مثله سواء ، إلا أنه قال قبله عن ابن إسحاق قال : وكان المغيرة بن شعبه يقول : أخذت خاتمي فألقيته في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت حين خرج القوم : إن خاتمي قد سقط في القبر . وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون آخر الناس عهداً به .

قال ابن إسحاق : فحدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَمِ ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع عليّ . فذكر ماتقدم .

وهذا الذي ذكر عن المغيرة بن شعبه لا يقتضي أنه حصل له ما أمّله ، فإنه قد يكون عليّ رضي الله عنه لم يمكنه من النزول في القبر بل أمر غيره فناولوه إياه ، وعلى ماتقدم يكون الذي أمره بمناولته له قُتِمَ بن عباس .

وقد قال الوافدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن

عبد الله بن عتبة ، قال : ألقى المغيرة بن شعبه خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عليّ : إنما ألقيته لتقول : نزلت في قبر النبي صلى الله عليه وسلم . فنزل فأعطاه . أو أمر رجلاً فأعطاه .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا بهز وأبو كامل ، قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي عسيب أو أبي عسيم قال بهز : إنه شهد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : كيف نصلى ، قال : ادخلوا أرسالا أرسالا ، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر .

قال : فلما وُضِعَ في لحده قال المغيرة : قد بقي من رجليه شيء لم تصاحوه . قالوا : فادخل فأصلحه . فدخل وأدخل يده فس قدميه عليه السلام . فقال : أهيلوا على التراب . فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه ، ثم خرج فكان يقول : أنا أخذتكم عهداً يرسل الله صلى الله عليه وسلم !

متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثتني فاطمة بنت محمد امرأة عبد الله بن أبي بكر وأدخلتني عليها حتى سمعته^(١) منها ، عن عمرة ، عن عائشة ، أنها قالت : ما علمنا بدفن النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المسأحي في جوف ليلة الأربعاء .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة ، عن الحلّيس بن هشام ، عن عبد الله بن وهب ، عن أم سلمة ، قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لم نتم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوتنا ونحن نتسلى برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكرازين^(٢) في السحر . قالت أم سلمة : فصحبنا وصاح أهل المسجد ، فارتجعت المدينة صيحة واحدة ، وأذن بلال بالفجر ، فلما ذكر

النبي صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب ، فزادنا حُزنا وعالج الناسُ الدخولَ إلى قبره ففلق دونهم ، فيالها من مصيبة ما أصدبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء .

وقد تقدم مثله في غير ما حديث . وهو الذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا ؛ منهم سليمان بن طَرَّحَان التَّيْمِي ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى ابن عُقْبَةَ وغيرهم .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن عبد الحميد ، عن بَكَّار ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعي أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء .

وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في الضحى يوم الاثنين ودفن من الغد في الضحى .

وقال يعقوب : حدثنا سفيان ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا سفيان ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه و [عن] ^(١) ابن جُرَيْج ، عن أبي جعفر ، أن رسول الله توفي يوم الاثنين ، فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار .

فهو قول غريب ، والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء .

(١) ليست في أ .

ومن الأقوال الغريبة في هذا أيضا مرواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بَكَّار ، عن محمد بن شعيب ، عن أبي النعمان ، عن مَكْحُول ، قال : ولد رسول الله يوم الاثنين ، وأوحى إليه يوم الاثنين ، وهاجر يوم الاثنين ، وتوفي يوم الإثنين لثنتين وستين سنة ونصف ، ومكث ثلاثة أيام لا يدفن ، يدخل عليه الناس أرسالا أرسالا يصلون لا يصفون ولا يؤمهم عليه أحد .

فقوله : إنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن . غريب ، والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكمله ، ودفن ليلة الأربعاء كما قدمنا . والله أعلم .

وضدّه مرواه سيف ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله يوم الاثنين . [وغسل يوم الاثنين] ^(١) ودفن ليلة الثلاثاء .

قال سيف : وحدثنا يحيى بن سعيد مرةً بجميعه عن عائشة به . وهذا غريب جداً .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبي عَون ، عن أبي عَتِيق ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رُشَّ على قبر النبي صلى الله عليه وسلم الماء رشاً ، وكان الذي رشه بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبلك رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجله ، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار .

وقال سعيد بن منصور ، عن الدَّرَّاءِ وَرْدَى عن يزيد بن عبد الله بن أبي يمن ، عن أم سلمة ، قالت : توفي رسول الله يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال ابن خزيمة : حدثنا مُسْلِم بن حماد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، عن كَرِيب ، عن ابن عباس ، قال : توفي رسول الله يوم الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال الواقدي : حدثني أبيّ بن عياش بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ودفن ليلة الثلاثاء .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن محمد بن سعد : توفي رسول الله يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن إسرائيل أبو محمد النهري^(١) ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ؛ فلم يُدفن إلا يوم الثلاثاء .

وهكذا قال سعيد بن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، وأبو جعفر الباقر .

فصل في صفة قبره عليه الصلاة والسلام

قد عُلم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها شرقاً مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة . ثم دفن بعده فيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن سفيان الثمَّار ، أنه حدثه أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسَمَّاً^(٢) .
تفرد به البخاري .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن أبي فديك ، أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم ، قال : دخلت على عائشة وقلت لها : يأمه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه . فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مُشْرِفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء
النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو بكر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه

(١) نسبة إلى نهري ، بلد من نواحي الأهواز (٢) التسمي : ضد التسطيح .

[تفرد به أبو داود] ^(١) .

وقد رواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن أبي فديك ، عن عمرو بن عثمان ، عن القاسم ، قال فرأيت النبي عليه السلام مقدماً ، وأبو بكر رأسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر رأسه عند رجل النبي صلى الله عليه وسلم .
قال البيهقي : وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مُسطَّحة لأن الحصباء لا تَنْتَبِت إلا على المسطَّح .
وهذا عجيب من البيهقي رحمه الله ، فإنه ليس في الرواية ذكر الحصباء بالكلية ، وبتقدير ذلك فيمكن أن يكون مسنماً وعليه الحصباء مغروزة بالطين ونحوه .

وقد روى الواقدي عن الدَّرَاوَرْدِي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : جُعل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسطَّحاً .

وقال البخاري : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مُسَمِّر ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدت لهم قدمٌ ففرعوا فظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجد واحد يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ما هي إلا قدم عمر .
وعن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها أوصت عبد الله بن الزبير : لا تدفني معهم وادفني مع صواحي بالبقيع ، لا أُرَكِّي به أبداً .

قلت : كان الوايد بن عبد الملك حين ولى الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يوسع في مسجد المدينة ، فوسعه حتى من ناحية الشرق ^(٢) فدخلت الحجرة النبوية فيه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذان مولى الفَرَّافِصَةِ ، وهو الذي بنى المسجد النبوي أيام [ولاية] عمر بن عبد العزيز على المدينة ، فذكر عن سالم بن عبد الله نحو ما ذكره البخاري ، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود .

(٢) ت : من ناحية السوق .

(١) سقط من أ .

ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته

عليه الصلاة والسلام

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال : لما نقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب . فقالت فاطمة : واكرب أبتاه . فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » .

فلما مات قالت : وأبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل نفعاه . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟! تفرد به البخارى رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ثابت البغافى ، قال أنس : فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التراب ورجعتم ؟

وهكذا رواه ابن ماجه مختصراً من حديث حماد بن زيد به . وعنده قال حماد : فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه .

وهذا لا يعدُّ نياحة بل هو من باب ذكر فضائله الحق عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنما قلنا هذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث شعبة ، سمعت قتادة ، سمعت مطراً يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم ، عن أبيه - فيما أوصى به إلى بنيهِ - أنه قال : ولا تنوحوا على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُفتح عليه .

وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضى فى النوادر ، عن عمرو بن ميمون عن شعبة به .

ثم رواه عن علي بن المديني ، عن المغيرة بن سلمة ، عن الصَّعْق بن حَزْن ، عن القاسم بن مطيب ، عن الحسن البصري ، عن قيس بن عاصم به . قال : لا تنوحوا علىَّ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَحَّ عليه ، وقد سمعته يَنْهَى عن النياحة .

ثم رواه عن عليّ عن محمد بن الفضل ، عن الصَّعْق ، عن القاسم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن بن عاصم به .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عُقبة بن سِنان ، حدثنا عثمان بن عثمان ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَحَّ عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : لما كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كلُّ شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء .

قال : وما نفَضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا . وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا ، عن بشر بن هلال الصَّواف ، عن جعفر بن سليمان الضَّبَّعي به .

وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب .

قلت . وإسناده على شرط الصحيحين ، ومحفوظ من حديث جعفر بن سليمان ، وقد أخرج له الجماعة ، ورواه الناس عنه كذلك .

وقد أغرب الكُذِّبِيُّ ، وهو محمد بن يونس رحمه الله في روايته له حيث قال : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي ، حدثنا جعفر بن سليمان الضَّبَّعي ، عن ثابت عن أنس ، قال : لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضها

إلى بعض ، وكان أحدهما ييسط يده فلا يراها - أولا يبصرها ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .

رواه البيهقي من طريقه كذلك .

وقد رواه من طريق غيره من الحفاظ عن أبي الوليد الطيالسي ، كما قدمنا ، وهو المحفوظ والله أعلم .

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر من طريق أبي جفص بن شاهين ، حدثنا حسين ابن أحمد بن بسطام بالله ، حدثنا محمد بن يزيد الرُّؤاسي ، حدثنا مسلمة ابن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أنى نَضْرَة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء .

وقال ابن ماجه : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء العجلي ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وجهنا واحد ، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا .

وقال أيضا : حدثنا إبراهيم بن المفذر الحزامي ، حدثنا خالي محمد بن إبراهيم بن المطلب بن السائب بن أبي وداعة السهمي ، حدثني موسى بن عبد الله بن أبي أمية الخزومي ، حدثني مُصْعَب بن عبد الله ، عن أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام المصلّي يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع قدميه ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع جبينه ، فتوفي أبو بكر وكان عمر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعدُّ بصرُ أحدهم موضع القبلة ، فتوفي عمر وكان عثمان وكانت الفتنة ، فتلفت الناس يمينًا وشمالا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن ثابت عن أنس ؛ أن أم أيمن بكّت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها ما يبكيك على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : إني قد علمت أن رسول الله سيموت ، ولكنني إنما أبكي على الوحي الذي رُفِعَ عنا .
هكذا رواه مختصراً .

وقد قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن نعيم ومحمد بن النضر الجارودي ، قالا : حدثنا الحسن بن علي الخولاني ^(١) ، حدثنا عمرو بن عاصم السكلابي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم أيمن زائراً وذهبتُ معه ، فقرأتُ إليه شرايباً . فإما كان صائماً وإما كان لا يريدُه فردّه ، فأقبلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم نضاحك . فقال أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها . فلما انتهينا إليها بكّت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله . قالت : والله ما أبكي إلا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء .

فهيّجتهما على البكاء فجعلتا يبكيان .

ورواه مسلم منفرداً به عن زهير بن حرب ، عن عمرو بن عاصم به .

وقال موسى بن عُقبة في قصة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر فيها : قال : ورجع الناس حين فرغ أبو بكر من الخطبة وأم أيمن قاعدة تبكي ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ قد أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فأدخله جنّته ، وأراحه من نصب الدنيا .

قالت : إنما أبكى على خبر السماء كان يأتينا غصًّا جديداً كلَّ يوم وليلة ، فقد انقطع ورُفِع ، فمليه أبكى .

فوجب الناس من قولها .

وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : وحدثت عن أبي أسامة ، وعن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني بُرَيْد بن عبد الله عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها قرطاً وسلفاً يشهد لها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حتى فاهلكها وهو ينظر إليها فأقرَّ عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره .

تفرد به مسلم إسناداً ومتناً .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خيرٌ لكم تُحَدِّثُونَ وَيَحْدُثُ لَكُمْ ، ووفاتي خيرٌ لكم تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ ؛ فما رأيت من خير حدث الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرتُ الله لكم » . ثم قال البزار : لا نعرف آخره يُروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه .

قلت : وأما أوله وهو قوله عليه السلام : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » فقد رواه النسائي من طرق متعددة ، عن سفيان الثوري وعن الأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه به .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أَوْس بن أَوْس ، قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النُّفُخَةُ ، وَفِيهِ الصُّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَى » .

قالوا : يارسول الله كيف تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أُرِمْتَ ؟ - يَعْنِي قَدْ بَلَّيْتَ -

قال : « إِنْ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله وعن الحسن بن علي ، والنسائي عن

إسحاق بن منصور ، ثلاثتهم عن حسين بن علي به . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن

أبي شيبة ، عن حسين بن علي ، عن ابن جابر ، عن أبي الأشعث ، عن شداد بن أوس فذكره .

قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وذلك وهم من ابن ماجه ، والصحيح أوس بن

أوس وهو الثقفى رضى الله عنه .

قلت : وهو عندى فى نسخة جيدة مشهورة على الصواب ، كما رواه أحمد وأبو داود

والنسائي عن أوس ابن أوس .

ثم قال ابن ماجه : حدثنا عمرو بن سواد المصرى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن

عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن

أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَى يَوْمِ

الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ عَلَى صَلَاتِهِ

حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا » . قال قلت : وبعد الموت ؟ قال : إِنْ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ

أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - نَبِي اللَّهِ حَيٌّ وَيَرْزُقُ ^(١) .

وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله .

وقد عقد الحافظ ابن عساكر هاهنا بابا فى إيراد الأحاديث المروية فى زيارة قبره

الشريف صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وموضع استقصاء ذلك فى كتاب

الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

(١) ابن ماجه حديث ١٦٣٧ : نَبِي اللَّهِ حَيٌّ وَيَرْزُقُ .

ذكر ما ورد من التعزية به عليه الصلاة والسلام

وقال ابن ماجه : حدثنا الوليد بن عمرو بن الشكّين ، حدثنا أبو همام وهو محمد بن الزُّبرقان الأهوازي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثنا مُصعب بن محمد ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : فتّح رسول الله صلى الله عليه وسلم باباً بينه وبين الناس - أو كشف سِتْراً - فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر ، فحمد الله على ما رأى من حُسن حالهم رجاء أن يَخْلُقَهُ فيهم بالذي رآهم ^(١) . فقال : « يا أيها الناس أيما أحدٍ مَن الناس أو من المؤمنين أصيبَ بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه يغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدى أشدَّ عليه من مُصيبتي » .

تفرد به ابن ماجه .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه ، حدثنا شافع بن محمد حدثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوي ، حدثنا المزني ، حدثنا الشافعي ، عن القاسم بن عبد الله ابن عمر بن حفص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن رجلاً من قريش دخلوا على أبيه علي بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى . فحدثنا عن أبي القاسم قال : لما أن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله أرسلك إليك تكريماً لك وتشريفاً لك وخاصة لك ، أسألت عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجددك ؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً » .

ثم جاءه اليوم الثاني فقال له ذلك فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم ، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد ، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك ، كل ملك على مائة ألف ملك ، فاستأذن عليه فسأل عنه ثم قال :

(١) ابن ماجه حديث ١٢٥٩ : ورجاء أن يخلق الله فيهم .

جبريل : هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك . فقال عليه السلام : إيذن له . فأذن له .

فدخل فسلم عليه ثم قال : يا محمد إن الله أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتني أن أتركه تركته . فقال رسول الله : « أو تفعل يا ملك الموت ؟ » قال : نعم ، وبذلك أمرت ، وأمرت أن أطيعك .

قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال له جبريل : يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت : « امض لما أمرت به » فقبض روحه .

فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت ، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله فتمقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حُرْمِ الثواب .

فقال على رضي الله عنه : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وهذا الحديث مرسل وفي إسناده ضعف بحال القاسم العمري هذا ، فإنه قد ضعفه غير واحد من الأئمة ، وتركه بالسلفية آخرون . وقد رواه الربيع عن الشافعي عن القاسم عن جعفر عن أبيه عن جده - فذكر منه قصة التعزية فقط موصولا - وفي الإسناد العمري المذكور ، قد نهينا على أمره لثلاث يُغْتَرَبُ به .

على أنه قد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن أبي جعفر البغدادي ، حدثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المرتعد الصَّغَانِي ، حدثنا أبو الوليد الخزومي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [ناداهم مناد] يسمعون الحس ولا يرون الشخص . فقال : السلام عليكم

أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخَلَفًا من كل فائت ، ودَرْكَاً من كل هالك ، فبِاللهِ فَنُتَقُوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حُرْمِ الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم قال البيهقي : هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر ، ويدل على أن له أصلاً من حديث جعفر والله أعلم .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالويه ، حدثنا محمد بن بشر بن مطر ، حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عبيد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَذَ به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أشهب اللحية جَسِيمٌ صَبِيحٌ فتخطى رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعَوْضًا من كل فائت ، وخَلَفًا من كل هالك ، فإلى الله فأنبئوا وإليه فارغبوا ، ونظَّره إليكم في البلايا فانظروا ، فإن المصاب من لم يُجَبِّرْ ، فأنصرف .

فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلى : نعم هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر .

ثم قال البيهقي : عبيد بن عبد الصمد ضعيف . وهذا مُنْكَرٌ بكرة .

وقد روى الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد ، أنبأنا هاشم بن القاسم ، حدثنا صالح المزني ، عن أبي حازم المدني ، أن رسول الله حين قبضه الله عز وجل دخل المهاجرون فَوُجَّأً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك ، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهن صوتٌ وجَزَعٌ كبعض ما يكون منهن ، فسمعن هَدَّةً في البيت فعرفن فسكنن ، فإذا قائل يقول : إن في الله عزاء

من كل هالك ، وعوضا من كل مصيبة ، وخلفا من كل فائت ، والمجبور من جبره الثواب والمصاب من لم يجبره الثواب .

فصل

فيما روى من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته عليه السلام

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كدّاع وذا عمرو ، فجعلت أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقالا لي : إن كان ما تقول حقا فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث .

قال : فأقبلت وأقبلا ، حتى إذا كنّا في بعض الطريق رُفِعَ لنا رَكْبٌ من المدينة ، فسألناهم فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر والناس صالحون . قال : فقالا لي : أخبر صاحبك أنا قد جئنا ، وعلنا سنعود إن شاء الله عز وجل .

قال : ورجعا إلى اليمن ، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم قال : أفلا جئت بهم ؟ فلما كان بعد قال لي ذو عمرو : يا جرير إن لك على كرامة وإني تخبرك خيرا ، إنكم معشر العرب لن تزالوا بنحير ما كنتم إذا هلك أمير تأمّرتهم في آخر ، أما إذا كانت بالسيف كنتم ملوكا تغضبون غضب الملوك وترضون رضا الملوك .

هكذا رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان عنه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا علي بن المتوكل ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، حدثنا زائدة ، عن زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال : لقيني حنّ باليمن وقال لي : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات يوم الاثنين .

هكذا رواه البيهقي .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا زائدة ؛ حدثنا زياد بن علاقة ، عن جرير ، قال : قال لي جبريل بن : إن كان صاحبكم نبيا فقد مات اليوم . قال جرير : فات يوم الاثنين .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران المعدل ببغداد ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عمرو ، حدثنا محمد بن الهيثم ، حدثنا سعيد بن كثير بن عُفَيْر ، حدثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عدى التنوخى ، عن عمرو بن الحارث ، عن ناعم بن أُجَيْل ، عن كعب بن عدى ، قال : أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة .

فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فارتاب أصحابي وقالوا : لو كان نبيا لم يمت . فقلت : قدمنا الأنبياء قبله ، وثبت على إسلامي ، ثم خرجت أريد المدينة فررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه ، فقلت له : أخبرني عن أمر أردته نفخ في صدري منه شيء ، فقال : إئت باسم من الأسماء . فأتيت به بكعب فقال : ألقه في هذا السُّفَر ، لسفر أخرجه ، فألقيت الكعب فيه فصفح فيه فإذا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم كما رأيته ، وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه .

قال : فاشتدَّتْ بصيرتي في إيماني ، وقدمت على أبي بكر رضى الله عنه فأعلمته وأقت عنده ، فوجهني إلى المقوقس فرجعت ، ووجهني أيضا عمر بن الخطاب فقدمت عليه بكتابه ، فأتيت به ، وكانت وقعة اليرموك ولم أعلم بها فقال لي : أعلمت أن الروم قتل العرب وهزمتهم ؟ فقلت كلا قال : ولم ؟ قلت إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كله ، وليس بخلف الميعاد .

قال : فإن نبيكم قد صدقكم ، قُتلت الروم والله قتل عاد .

قال : ثم سألتني عن وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وأهدى إلى عمر وإليهم ، وكان ممن أهدى إليه عليّ وعبد الرحمن والزبير - وأحسبه ذكر العباس -

قال كعب : وكنت شريكا لعمر في البرق في الجاهلية ، فلما أن قرض الديوان فرض لي في بني عدى بن كعب .

وهذا أثر غريب وفيه نبيّ عجيب وهو صحيح .

فصل

قال محمد بن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، وانشرا بت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضى الله عنه .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتّاب بن أسيد رضى الله عنه فتواري ، فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه .

فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، فظهر عتّاب بن أسيد .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر الخطاب - يعنى

حين أشار بقلع ثنيتته حين وقع في الأسارى يوم بدر - : إنه عسى أن يقوم مقاما
لا تدمنه !

قلت : وقد ذكرنا^(١) ما وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الردة في أحياء
كثيرة من العرب ، وما كان من أمر مُسَيْلَمَةَ بن حبيب التنجي باليمامة ، والأسود العنسي
بالمين ، وما كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه
في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذى استفزهم الشيطان به ، حتى نصرهم الله
وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدي الخليفة الصديق أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه .

(١) وذلك في أخبار سنة إحدى عشرة من البداية والنهاية للمؤلف

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره قصائد لحسان بن ثابت رضى الله عنه فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك وأفضحه وأعظمه ، مارواه عبد الملك بن هشام رحمه الله عن أبى زيد الأنصارى ، أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بَطِيْبَةٌ رَسَمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْبُدٌ	مُنِيرٌ وَقَدْ نَعَزُوا الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ ^(١)
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتِ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مَنْبِرُ الْهَادَى الَّذِى كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ ^(٢) وَبَاقَى مَعَالِمٍ	وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدٌ
بِهَا حُجُرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا	مِنْ اللَّهِ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفٌ لَمْ تُطَمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا	أَتَاهَا الْبَلَى قَالَاىُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التَّرْبِ مُلْحَدُ
ظَلَّتْ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولِ فَأَسْعَدَتْ	عَيُونٌَ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْجَنِّ تُسْعِدُ
يَذْكُرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَلَا أَرَى	لَهَا مُخْصِيًّا نَفْسَى فَنَفْسَى تَبْلَدُ
مُنْجَعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْدَرِ	فُظِّلَتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةٍ	وَلَكِنْ لِنَفْسَى بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وَقُوفَاتِ ذُرِفِ الْعَيْنِ جُحْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِى فِيهِ أَحَدُ
فَبُورَكَتْ بِاقْبَرِ الرَّسُولِ وَبُورَكَتْ	بِلَاذِ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمَسْدُ

(١) الأصل : تمهد . وما أثبتته عن ابن هشام ٦٦٦/٢

(٢) ابن هشام : آثار

وَبُورِكَ لِحْدُكَ مِنْكَ ضُمْنٌ طَيِّبًا عَلَيْهِ بَنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍّ^(١)
 تُهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَبَدٍ وَأَعَيْنُ عَلَيْهِ - وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ
 لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيمَةً عَلَوْهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
 وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَتِيبُهُمْ وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
 وَيَبْكُونَ مِنْ تَبْكِي السَّمَوَاتِ يَوْمَهُ وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالْنَّاسُ أَكْمَدُ
 وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةٌ هَالِكٌ رَزِيَّةٌ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
 تَقَطَّعَ فِيهِ مَنَزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ ذَا نَوْرٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
 يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخِزَايَا وَيُرْشِدُ
 إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمْ الْحَقَّ جَاهِدًا مُعَلِّمٌ صَدِيقٌ إِنْ يَطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
 عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عَذَرَهُمْ وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
 وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحِمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَبْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
 فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ وَسَطُهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَفَاحَهُ إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْتَدُّ
 فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
 فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا يَبْكِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ^(٢)
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشَا بَقَاعِهَا لَغِيْبَةً مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْبُدُ
 قِفَارُ أَسْوَى مَعْمُورَةِ الْأَحَدِ ضَاقَهَا فَقِيدٌ يَبْكِيهِ بِلَاطٌ وَغَرَقْدُ^(٣)
 وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقَدَهُ خِلَاءٌ لَهُ فِيهَا^(٤) مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

(١) مِنْ تَابِنْ هِشَامٍ

(٢) الرِّسَالَاتُ : الْمَلَائِكَةُ . وَفِي ج : جَفَنَ الرِّسَالَاتُ . وَيُرْوَى جَنْ ، أَيْ الْمَلَائِكَةُ السُّتُورُونَ

(٣) الْبِلَاطُ : الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمَسَاءُ . وَالْغَرَقْدُ : شَجَرٌ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : فِيهِ

وبالجُمرة الكبرى له نَمٌّ أَوْحَشَتْ ديارٌ وعَرَصات ورَنَعٌ ومَوَلَدُ
فبِكُنَى رسولِ الله يَأْغِين عَبْرَةً ولا أَغْرِفَنَكَ الدهرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
ومالك لا تَبْكِين ذا النُّعْمة التي على الناسِ منها سابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فجودِي عليه بالدموعِ وأَعْوِلِي لَفَقْدِ الذي لا مِثْلَهُ الدهرُ يَوجَدُ
وما فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلَهُ حتى القِيامةُ يُفْقَدُ
أَعَفٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وأَقْرَبُ مِنْهُ نائِلًا لا يُنْكَدُ
وأَبْذَلُ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وتَالِدٍ إذا ضَنَّ مِعْطَاءَ بما كان يُتَلَدُ
وأَكْرَمَ حَيًّا^(١) في البيوتِ إذا انْتَمَى وأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ في العِلا دعائِمَ عِزٍّ شاهِقَاتٍ تُشِيدُ
وأَثْبَتَ فِرْعَا في الفروعِ وَمَنْبِتًا وعُودًا غَذَاهُ المِزْنَ فالْعُودُ أَغِيدُ
رَبَّاهُ وَلِيَدًا فَاسْتَقَمَّ تَمَامَهُ على أَكْرَمِ الخِيزَاتِ رَبٌّ مُجِيدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ المَسْلُومِينَ بِكَفِهِ فلا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ ولا يُبْنَى لِمَا قَلَتْ^(٢) عَائِبُ من الناسِ إِلا عَارِِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وليس هَوَائِي نازعًا عن ثَنَائِهِ لَعَلِّي بِهِ في جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مع المصطفى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارِهِ وفي نَيْلِ ذاكِ اليَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في آخر كتابه الروض : وقال أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَرَقْتُ فَبَاتَ لِي لَيْلٌ لَا يَزُولُ وَلَيْلٌ أُخِي المَصِيبَةَ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي البِكَاءُ وَذَلِكَ فَمَا أَصِيبُ المَسْلُومِينَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرِّسُولُ

وأضحت أرضنا ممّا عَراها	تكاد بنا جوانبها تَميلُ
فَقَدْنَا الوَحَى والتَنْزِيلَ فينا	يروح به ويفدو جِبْرِيلُ
وذاك أحقُّ ما سالت عليه	نفوسُ الناسِ أو كادت ^(١) أسيلُ
نبيٌّ كان يحلو الشكَّ عِنا	بما يوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالًا	علينا والرسول لنا دليلُ
أفأطم إن جزعت فذاك عُذْرُ	وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فَقَبْرُ أَيْيِكَ سيدُ كلِّ قَبْرٍ	وفيه سيدُ الناسِ الرسولُ

باب

بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً
ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً يؤرث عنه
بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عز وجل

فإن الدنيا بخذافيرها كانت أحقرَ عنده - كما هي عند الله - من أن يسعى لها أو
يتركها بعده ميراثاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم
تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو
ابن الحارث ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ،
إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة .
انفرد به البخارى دون مسلم ، فرواه فى أماكن من صحيحه من طرق متعددة ، عن
أبي الأحوص وسفيان الثورى وزهير بن معاوية .

ورواه الترمذى من حديث إسرائيل ، والنسائى أيضاً من حديث يونس بن أبى
إسحاق ، كلهم عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السدينى ، عن عمرو بن الحارث بن
المصطلق بن أبى ضرار ، أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش وابن نمير ، عن
الأعمش ، عن شقيق ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشئ .

وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق

متمعدة عن سليمان بن مهران الأعشى ، عن شقيق بن سلمة أبي وائل ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا أمة ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً .

وحدثنا عبد الرحمن عن سفيان ، عن عاصم عن زِرِّ عن عائشة : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً .

قال سفيان : وأكثرت على وأشك في العبد والأمة .

وهكذا رواه الترمذى في الشمائل عن بُنْدَار ، عن عبد الرحمن بن مَهْدَى به .

قال الإمام أحمد : وحدثنا وكيع ، حدثنا مسعر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زِرِّ عن عائشة ، قالت : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً .

هكذا رواه الإمام أحمد من غير شك .

وقد رواه البيهقى ، عن أبي زكريا بن أبي إسحاق المزكى ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، أنبأنا جعفر بن عون ، أنبأنا مسعر ، عن عاصم عن زِرِّ ، قال : قالت عائشة : تسألونى عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة .

قال مسعر : أراه قال : ولا شاة ولا بعيراً .

قال : وأنبأنا مسعر ، عن عدي بن ثابت ، عن علي بن الحسين ، قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة .
وقد ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودى إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد .

وفي لفظ للبخارى رواه عن قبيصة ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة رضى الله عنها . قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين^(١) .

ورواه البيهقى من حديث يزيد بن هارون ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود عنها ، قالت : توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير .

ثم قال : رواه البخارى ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان .

ثم قال البيهقى : أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أبو بكر محمد بن حمويه العسكرى ، حدثنا جعفر بن محمد القلانسى ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن قتادة عن أنس ، قال : لقد دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خبز شعير وإهالة سِنَخَة^(٢) . قال أنس : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع بُرّ ولا صاع تمر » . وإن له يومئذ تسع نسوة ، ولقد رهن درعاً له عند يهودى بالمدينة وأخذ منه طعاماً فما وجد ما يفتكها به حتى مات صلى الله عليه وسلم .

(١) زاد في البخارى : أى صاعاً من شعير . (٢) الإهالة : الزيت . السنخة : المتفيرة الرائحة .

وقد روى ابن ماجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرحمن النخوى عن قتادة به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أحد فقال : « والذي نفسى بيده مايسرني أن أهدأ لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله ، أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلا أن أرضدما لدين » .

قال : فات فما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة ، فترك درعه رهناً عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير .

وقد روى آخره ابن ماجه ، عن عبد الله بن معاوية الجمحي ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خباب العبدي الكوفي به . ولأوله شاهد في الصحيح من حديث أبي ذر رضى الله عنه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان ، قالوا : حدثنا ثابت - هو ابن يزيد - حدثنا هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه . فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أو ثراً من هذا ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها » .

تفرد به أحمد وإسناده جيد .

وله شاهد من حديث ابن عباس عن عمر في المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم؛ وقصة الإيلاء . وسيأتى الحديث مع غيره^(١) مما شاكله فى بيان زهده عليه السلام وتركه الدنيا ، وإعراضه عنها ، وإطراحه لها ، وهو مما يدل على ما قلناه من أنه عليه السلام لم تكن الدنيا عنده ببال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : دخلت أنا وشَدَّاد بن مَعْقِل على ابن عباس فقال ابن عباس : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللّوحين . قال : ودخلنا على محمد بن علي فقال مثل ذلك .

وهكذا رواه البخارى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيَيْفَة به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك بن مِغْوَل ، عن طلحة ، قال سألت عبد الله بن أبى أوفى : أوصى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ، أو أمروا^(٢) بها ؟ قال : أوصى بكتاب الله عز وجل .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم وأهل السنن إلا أبداود من طرق عن مالك ابن مِغْوَل به . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك ابن مِغْوَل .

تلييه

قد ورد أحاديث كثيرة سنورها قريباً بعد هذا الفصل فى ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه فى حياته من دور ومسكن نسائه وإماء وعبيد

(١) وذلك فى قسم الشرائع من متعلقات السيرة النبوية : الذى سننقشه مفردا .

(٢) البخارى : أو أمروا بالوصية .

وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله .

فلعله عليه السلام تصدّق بكثير منها في حياته مُنْجِزاً ، وأعتق من أعتق من إمامه وعبيده ، وأرصد ما أرصده من أمتعته ، مع ما خصه الله به من الأرضين من بنى النّضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين على ما سنبينه إن شاء الله ، إلا أنه لم يخلف من ذلك شيئاً يورث عنه قلعاً ، لما سنذكره قريباً . وبالله المستعان .

باب

بيان أنه عليه السلام قال : لا نورث

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة
يَبْلُغُ به ، وقال مرةً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً
وَلَا دِرْهما ، مَا تَرَكْتُ . بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمُؤْنَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من طرق ، عن مالك بن أنس ، عن أبي الزناد
عبد الله بن ذَكْوَانَ ، عن عبد الرحمن بن هُرْمُزٍ الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً ، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمُؤْنَةِ
عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ » .

لفظ البخاري .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مَسْلَمَةَ ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن
عروة ، عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيَسْأَلَنَّهُ مِيرَاثَهُنَّ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا نَوْرَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ ؟ » .

وهكذا رواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن الْقَعْنَبِيِّ ، وَالنَّسَائِيِّ عَنْ
قَتِيبَةَ ، كُلُّهُمْ عَنْ مَالِكٍ بِهِ .

فهذه إحدى النساء الوارثات — إن لو قَدَّرَ ميراث — قد اعترفت أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم جَمَلَ مَا تَرَكَه صَدَقَةً لَامِيرَاثًا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ بَقِيَّةَ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَافَقَتْهَا عَلَى

ماروت ، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك ، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل بن أبان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » .

وقال البخارى : باب قول رسول الله : لا نورث ما تركنا صدقة : حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا هشام ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطالبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

قال أبو بكر : والله لأدعُ أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعه .

قال : فهجرته فاطمة فلم تسكلمه حتى ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر .

ثم رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر فلم تنزل مهاجرته حتى توفيت . قال : وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، وذكر تمام الحديث .

هكذا قال الإمام أحمد . وقد روى البخارى هذا الحديث فى كتاب المغازى من صحيحه عن ابن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة كما تقدم ، وزاد : فلما توفيت دفنها على ليلا ولم يؤذن أبا بكر وصلى عليها .

وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبى بكر : إيتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر . فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك . قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بى ؟ والله لا تبينهم .

فانطلق أبو بكر رضى الله عنه [فتشهد على] وقال : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكم استبددتم بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا فى هذا الأمر نصيباً ، فلم يزل على يذكر حتى بكى أبو بكر رضى الله عنه . وقال : والذي نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصيل من قرابتي ، وأما الذى شجر بينكم فى هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعته .

فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر به ، وتشهد على رضى الله عنه فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ، وحدث أنه لم يحمله على الذى صفع نفاسة على أبى بكر . ثم قام إلى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه . فأقبل الناس على على فقالوا : أحسنت . وكان الناس إلى على قريباً حين راجع الأمر المعروف .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق متعددة عن الزهرى عن عروة عن عائشة بنحوه .

فهذه البيعة التى وقعت من على رضى الله عنه ، لأبى بكر رضى الله عنه ، بعد وفاة

فاطمة رضى الله عنها ، بيعة مؤكدة للصالح الذى وقع بينهما وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها
أولا يوم السقيفة ، كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن على مجانبنا لأبى
بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلى وراءه ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذى القصة .
وفى صحيح البخارى أن أبى بكر رضى الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بليال ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان ،
فاحتمله على كاهله وجعل يقول :

يا أبابى شبيه النبى * ليس شبيهاً به

وعلى يضحك . ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم
يباع قبلها فنق ذلك ، والمثبت مقدّم على النافى كما تقدم وكما تقرر . والله أعلم .

وأما تغضب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه فما
أدرى ما وجهه .

فإن كان لمنعه إياها ما سأله من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله ، وهو ما رواه
عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » وهى ممن
تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث ، كما خفى على أزواج النبى صلى
الله عليه وسلم حتى أخبرت عن عائشة بذلك ، ووافقها عليه .

وليس يُظن بفاطمة رضى الله عنها أنها اتهمت الصديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ،
حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب ،
وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ،
وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . كما سنبيته قريبا .

ولو تفرّد بروايته الصّدّيق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والالتئاده في ذلك .

وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصّدّيق ، إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثا أن يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله : أنه لما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلى ما كان يليه رسول الله ، ولهذا قال : وإني والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صنعتُه . قال : فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . وهذا الهجّران والحالة هذه فتّح على فرقة الرافضة شرّاً عريضاً ، وجهلاً طويلاً ، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنّيه .

ولو تفهّموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصّدّيق فضله ، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله .

والكنهم طائفة مخذولة ، وفرقة مرذولة ، يتمسّكون بالمشابهة ، ويتركون الأمور الحكمة المقدّرة عند أئمة الإسلام ، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتمدين في سائر الأعصار ، والأمصار رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

بيان رواية الجماعة لما رواه الصّدّيق وموافقتهم على ذلك

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكّير ، حدثنا الليث ، عن عَقِيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان ، وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكر لى ذِكْراً من حديثه ذلك ، فانطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال : انطلقت حتى أدخل على عمر فأتاه حاجبه يرفاً فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ؟ قال : نعم فأذن لهم . ثم قال : هل لك في عليّ وعباس ؟ قال نعم : قال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا .

قال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركنا صدقة ؟ » يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل على على وعباس فقال : هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قال : قد قال ذلك .

قال عمر بن الخطاب : فإني أحدثكم عن هذا الأمر : إن الله كان قد خصَّ رسول الله في هذا النِّع بشيء لم يعطه أحداً غيره ، قال : « ما أفاء الله على رسوله ^(١) » إلى قوله « قدير » فكانت خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته ، ثم يأخذ ما بقي فيجمله يجعل مال الله ، فعمل بذلك رسول الله حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قال : نعم .

فتوفى الله نبيّه ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفى الله أبا بكر فقلت : أنا وليُّ وليِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم جئتماني وكلتكما واحدة وأمركما جميع ، حتى جئتمني تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا يسألني نصيب امرأته من أبيها ، فقلت : إن شئنا دفعتمنا إليكما بذلك ، فتلتمسان مني قضاء غير ذلك ؟ فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما فادفعاهما إلى فأنأ أ كفيكمهما ^(٢) .

وقد رواه البخارى فى أما كن متفرقة من صحيحه ، ومسلم وأهل السنن من طرق ،
عن الزهرى به .

وفى رواية فى الصحيحين فقال عمر : فوأيها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله يعلم أنه صادق بارٌّ راشد تابعٌ للحق ، ثم وليتها فعملت فيها بما
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، والله يعلم أنى صادق بارٌّ راشد تابع للحق .
ثم جئتماني فدفعتماني إليكما لتعملوا فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وعملت فيها أنا ،
أنشدكم بالله أذفعتها إليهما بذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لهما . أنشدكما بالله هل دفعتماني إليكما
بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلتتسلمان منى قضاء غير ذلك ؟ لا والذي يأذنه تقوم
السماء والأرض .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس ،
قال سمعت عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد : نشدّتكم بالله الذى تقوم السماء
والأرض بأمره أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « لا نُورث ماتر كنفا
صدقة ؟ » قالوا : نعم .
على شرط الصحيحين .

قلت : وكان الذى سألاه بعد تفويض النظر إليهما ، والله أعلم ، هو أن يقسم
بينهما النظر ، فيجعل لكل واحد منهما نظراً ما كان يستحقه بالأرض لو قدر أنه
كان وارثاً .

وكانهما قدما بن أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير
وسعد ، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما ، فقالت الصحابة
الذين قدموهم بين أيديهما : يا أمير المؤمنين اقض بينهما ، أو أريح أحدهما من الآخر .

فكان عمر رضى الله عنه تحرّج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ولو في الصورة الظاهرة ، محافظةً على امتثال قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ماتركنا صدقة » فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشدّ الإباء رضى الله عنه وأرضاه .

ثم إن عليا والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان ، فغلبه عليها علي وتركها له العباس بإشارة ابنه عبد الله رضى الله عنهما بين يدي عثمان ، كما رواه أحمد في مسنده . فاستمرت في أيدي العلويين .

وقد تقصيت طرق هذا الحديث وألغاظه في مُسنَدَي الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فإني والله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخماً مما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآه من الفقه النافع الصحيح ، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم .

وقد روينا أن فاطمة رضى الله عنها احتجّت أولاً بالقياس وبالعموم في الآية الكريمة ، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالنع في حق النبي ، وأنها سلّمت له ما قال . وهذا هو المظنون بها رضى الله عنها .

فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ؛ حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا مت ؟ قال : ولدي وأهلي . قالت : فما لنا لا نرث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن النبي لا يورث » ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق .

وقد رواه الترمذی في جامعه عن محمد بن المنثري ، عن أبي الوليد الطيالسي ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، فذكره فوصل الحديث وقال الترمذی : حسن صحيح غريب .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل ، قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت فاطمة إلى أبي بكر : أنت ورثت رسول الله أم أهله ؟ فقال : لا بل أهله ، فقالت : فأين سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذى [يقوم^(١)] من بعده » فرأيت أن أردّه على المسلمين . قالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل به .
ففى لفظ هذا الحديث غرابة ونسكارة ، ولعله روى بمعنى ما فهمه بعض الرواة ، وفيهم من فيه تشيع ، فليعلم ذلك .
وأحسن ما فيه قولها : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا هو الصواب والمظنون بها ، واللائق بأمرها وسيادتها وعلوها ودينها ، رضى الله عنها .
وكانها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه ، فتمتبت عليه بسبب ذلك ، وهى امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفن ، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة أبي بكر الصديق رضى الله عنها .

وقد روينا عن أبي بكر رضى الله عنه : أنه ترضى فاطمة وتلاينها قبل موتها فرضيت رضى الله عنها .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور ، أنبأنا أبو جحرة ، عن إسماعيل بن

ابن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ؟ فقالت أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم . فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال : والله ما تركتُ الدارَ والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت . ثم ترضاها حتى رضيت .

وهذا إسناد جيد قوى ، والظاهر أن عامر الشَّعْبِيِّ سمعه من علي ، أو من سمعه من علي .

وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك : قال الحافظ البيهقي : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصَّغَر ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا ابن داود ، عن فضيل بن مرزوق ، قال : قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في ذلك .

فصل

وقد تسكمت الرافضة في هذا المقام بجهل ، وتكلفوا ما لا علم لهم به ، وكذبوا بما لم يحيطوا بهامه ، ولما يأتهم تأويله ، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم . وحاول بعضهم أن يردَّ خبر أبي بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : « وورث سليمانُ داودَ » ^(١) الآية . وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : « فهبَّ لي من لدنك ولياً ، يرثني ويرثُ من آلِ يعقوب واجعله رب رضياً » ^(٢) .

واستدلالم بهذا باطل من وجوه .

أحدها أن قوله : « وورث سليمانُ داودَ » إنما يعنى بذلك فى الملك والنبوة ، أى جعلناه قائماً بعده فيما كان يليه من الملك وتدير الرعايا ، والحكم بين بنى إسرائيل ، وجعلناه نبيا كريما كآبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده .

وليس المراد بهذا وراثة المال ، لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة ، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال ؟ إنما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك ، ولهذا قال : « وورث سليمان داود » وقال : « يأيها الناس علمنا منطقَ الطير وأوتينا من كل شئ . إن هذا هو الفضل المبين » وما بعدها من الآيات .

وقد أشبعنا الكلام على هذا فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة كثيراً .

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام ، والدنيا كانت عنده أحقَر من أن يسأل الله ولداً ليورثه فى ماله ، كيف وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخارى ، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله ، أن لو كان له مال ، وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى إسرائيل ، وتحملهم على السداد . ولهذا قال تعالى : « كهيعص ذِكرُ رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداءً خفياً ، قال رب إنى وهن العظمُ منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنى خفت الموالى من ورأتى وكانت امرأتى عاقراً فهبْ لى من ادنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً » القصة بتمامها . فقال : ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب » يعنى النبوة كما قررنا ذلك فى التفسير والله الحمد والمنة .

وقد تقدم فى رواية أبى سلمة عن أبى هريرة عن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « والنبي لابورث » وهذا اسم جنس يعم كل الأنبياء وقد حسنه الترمذى .
وفي الحديث الآخر : « نحن معشر الأنبياء لانورث » .

والوجه الثانى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خُصَّ من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ، كما سنعقد له بابا مفرداً فى آخر السيرة إن شاء الله ، فلو قُدِّرَ أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان مارواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى مبيّناً لتخصيصه بهذا الحكم دون ماسواه .

والثالث : أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء ، واعترف بصحته العلماء ، سواء كان من خصائصه أم لا . فإنه قال : « لانورث ماتركناه صدقة » .

إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام : « ماتركناه صدقة » أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ماتقدم ، وهو الظاهر . ويحتمل أن يكون إنشاء وصية كأنه يقول : لانورث لأن جميع ماتركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة .

والاحتمال الأول أظهر ، وهو الذى سلكه الجمهور ، وقد يَقتوى المعنى الثانى بماتقدم من حديث مالك وغيره ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْسَم ورثتى ديناراً ، ماتركت بعد نفقة نساى ومؤنة عاملى فهو صدقة » .

وهذا اللفظ مخرّج فى الصحيحين ، وهو يردّ تحريف من قال من الجملة من طائفة الشيعة فى رواية هذا الحديث : ماتركناه صدقة بالنصب ، جعل مانافية ، فكيف يصنع بأول

الحديث وهو قوله : لا نورث ؟ وبهذه الرواية : « ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » .

وما شأن هذا إلا كاحكى عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة : « وكلم الله موسى تكليماً » بنصب الجلالة ، فقال له الشيخ : ويحك كيف تصنع بقوله تعالى : « فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » !

والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركنا صدقة » على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى ، فإنه مخصص لعموم آية الميراث ، ويُخرج له عليه السلام منها ، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

باب

ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنهن وأولاده عليه السلام

قال الله تعالى : « يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول
يطمّع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله
والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا » ^(١).

لاخلاف أنه عليه السلام توفى عن تسع وهن : عائشة بنت أبى بكر الصديق التيمية،
وحفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية ، وأم حبيبة رَمْلَة بنت أبى سفيان صخر بن حرب
ابن أمية الأموية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وأم سلمة هند بنت أبى أمية الخزومية ،
وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وسودة بنت زمعة العامرية ، وجويرية بنت الحارث
ابن أبى ضرار المصطلقية ، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية الهارونية ،
رضى الله عنهن وأرضاهن .

وكانت له سُرَّتَانِ وهما ، مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كورة أنصناء وهى
أم ولده إبراهيم عليه السلام ، وربحانة بنت شمعون القرظية ، أسلمت ثم أعتقها فلاحقت
بأهلها . ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم والله أعلم .

وأما الكلام على ذلك مفصلاً ومرتباً من حيث ما وقع أولاً فأولاً ، مجموعاً من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان :

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة امرأة ، دخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع . ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتي ذكرناهن رضى الله عنهن .

ورواه سيف بن عمر ، عن سعيد ، عن قتادة عن أنس ، والأول أصح ^(١) . ورواه سيف بن عمر التميمي عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عباس مثله .

وروى سيف عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة مثله . قالت فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما ؛ عمرة بنت يزيد القفارية والشَّنبَاء ، فأما عمرة فإنه خلا بها وجردّها فرأى بها وضعا فردّها وأوجب لها الصداق وحُرِّمت على غيره ، وأما الشَّنبَاء فلما أدخلت عليه لم تكن يسيرة فتركها ينتظر بها اليُسْرَ ، فلما مات ابنه إبراهيم على بَقْتة ذلك قالت : لو كان نبياً لم يمت ابنه . فطلقها وأوجب لها الصداق وحرمت على غيره .

قالت : فاللاتي اجتمعن عنده ؛ عائشة وسَوْدَة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجُوَيْرِيَة وصفية وميمونة وأم شريك . قلت : وفي صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة .

والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتي بيانه ، ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتي كان يطوف عليهن التسع المذكورات والجاريّتان مارية وريحانة .

(١) هامش الأصل : ورواه بحير بن كثير عن قتادة عن أنس والأول أصح .

ورواه يعقوب بن سفيان الفسوى ، عن الحجاج بن أبي منيع ، عن جده عبيد الله ابن أبي زياد الرضافي ، عن الزهري .

وقد علقه البخارى فى صحيحه عن الحجاج هذا .

وأورد له الحافظ ابن عساكر طرفا عنه ، أن أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، زوجة إياها أبوها قبل البعثة .

وفى رواية قال الزهري : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة ، وقيل خمسا وعشرين سنة ، زمان بنيت الكعبة . وقال الواقدي وزاد : ولها خمس وأربعون سنة .

وقال آخرون من أهل العلم : كان عمره عليه السلام يومئذ ثلاثين سنة . وعن حكيم ابن حزام قال : كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة ، وعمرها أربعون سنة .

وعن ابن عباس كان عمرها ثمانيا وعشرين سنة . رواها ابن عساكر .

وقال ابن جرير : كان عليه السلام ابن سبع وثلاثين سنة ، فولدت له القاسم وبه كان يُكنى والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قلت : وهى أم أولاده كلهم سوى إبراهيم ، فمن مارية كاسيأتى بيانه .

ثم تسلم على كل بنت من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تزوجها .

وحاصله : أن زينب تزوجها العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن

عبد مناف وهو ابن أخت خديجة ، أمه هالة بنت خويلد ، فولدت له ابنا اسمه على ، وبناتا اسمها أمامة بنت زينب ، وقد تزوجها على بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومات وهى عنده ،

ثم تزجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .
 وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان ، فولدت له ابنة عبد الله وبه كان يُكنى أولا ،
 ثم اُكتفى بابنه عمرو ، وماتت رقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر . ولما قدم زيد
 ابن حارثة بالبشارة وجدهم قد ساووا الترابَ عليها ، وكان عثمان قد أقام عندها يمرّضها ،
 فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنمه وأجره ، ثم زوّجه بأختها أم كلثوم ، ولهذا
 كان يقال له ذو النورين ، فتوفيت عنده أيضا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وأما فاطمة فتزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخل بها بعد
 وقعة بدر كما قدمنا ، فولدت له حسنا وبه كان يكنى ، وحُسينا وهو المقتول شهيدا
 بأرض العراق .

قلت : ويقال وحسنا . قال : وزينب وأم كلثوم ، وقد تزوج زينب هذه ابن عمها
 عبد الله بن جعفر فولدت له عليا وعونا وماتت عنده ، وأما أم كلثوم فتزوجها أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب فولدت له زيدا ومات عنها ، فتزوجت بعده بنى عمها جعفر واحداً بعد
 واحد ، تزوجت بعون بن جعفر فمات عنها ، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها ، فخلف
 عليها أخوها عبد الله بن جعفر فماتت عنده .

قال الزهري : وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم برجلين ؛ الأول منهما عتيق بن عائذ بن مخزوم ، فولدت منه جارية^(١) وهي أم
 محمد بن صفيى ، والثانى أبو هالة التميمي فولدت له هند بن هند^(٢) .
 وقد سماه ابن إسحاق فقال : ثم خلف عليها بعد هلاك عائذ أبو هالة النباش بن زرارة

(١) واسمها هند ، كما في المواهب ٣ / ٢٢٠

(٢) وهو هند بن أبي هالة الصحاني ، راوى حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم . وله ولد اسمه أيضا

هند ، شرح المواهب ٣ / ٢٢٠

أحد بنى عمرو بن تميم حليف بنى عبید الدار ، فولدت له رجلاً وامرأة ثم هلك عنها ،
تخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له بناته الأربع ثم بعدهن القاسم
والطيب والطاهر ، فذهب العُلَمة جميعاً وهم يرضعون .

قلت : ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياتها امرأة .

كذلك رواه عبد الرزاق عن مَعمر ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة ، أنها
قالت ذلك .

وقد قدّمنا تزويجها في موضعه وذكرنا شيئاً من فضائلها بدلائلها^(١) .

قال الزهري : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة بعائشة بنت أبي
بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن
كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولم يتزوج بكراً غيرها .
قلت : ولم يولد له منها ولد ، وقيل : بل أَسْقَطَتْ منه ولداً سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله ، ولهذا كانت تُكنى بأم عبد الله . وقيل إنما كانت تُكنى بعبد الله
ابن اختها أسماء من الزبير بن العوام رضى الله عنهم .

قلت : وقد قيل إنه تزوج سَوْدَةَ قبل عائشة ، قاله ابن إسحاق وغيره ، كما قدّمنا
ذكر الخلاف في ذلك . فالله أعلم .

وقد قدّمنا صفة تزويجه عليه السلام بهما قبل الهجرة وتأخر دخوله بعائشة إلى
ما بعد الهجرة^(٢) .

قال : وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حُذافة
ابن قيس بن عَدِي بن حُذافة بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي ، مات
عنها مؤمناً .

(١) تقدم ذكر تزويجها بالرسول في الجزء الأول ص ٢٦٣ وذكر فضائلها في الجزء الثاني ص ١٣٢

(٢) سبق ذلك في الجزء الثاني ص ١٣٩

قال : وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبله تحت ابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

قال : وتزوج سوادة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو وأخي سهيل بن عمرو ابن عبد شمس ، مات عنها مسلماً بعد رجوعه وإياها من أرض الحبشة إلى مكة رضى الله عنهما .

قال : وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكانت قبله تحت عبيد الله ^(١) بن جحش بن رثاب من بني أسد ابن خزيمة ، مات بأرض الحبشة نصرانيا ، بعث إليها رسول الله ﷺ يعنى عمرو بن أمية الضمري إلى أرض الحبشة ، فخطبها عليه فزوجها منه عثمان بن عفان . كذا قال والصواب عثمان بن أبي العاص وأصدقها عنه النجاشي أربعائة دينار ، وبعث بها مع شُرْحَبِيل بن حَسَنَة . وقد قدمنا ذلك كله مطولاً والله الحمد .

قال : وتزوج [زينب] بنت جحش بن رثاب بن أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ، وهي أول نسائه لحوقاً به ، وأول من عمل عليها النعش ، صبغته أسماء بنت عميس عليها ، كما رأت ذلك بأرض الحبشة .

قال : وتزوج زينب بنت خزيمة ، وهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، ويقال لها أم المساكين ، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش بن رثاب قُتل يوم أحد ، فلم تلبث عنده عليه السلام إلا يسيراً حتى توفيت رضى الله عنها .

(١) الأصل : عبدالله . وما أثبتته عن ابن هشام والمواهب .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق : كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، أو عند أخيه الطَّفِيل بن الحارث .

قال الزهري : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزَن ابن بُجَيْر بن الهَزَم بن رُوَبَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة . قال : وهي التي وهبت نفسها .

قلت : الصحيح أنه خطبها ، وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه كما بسطنا ذلك في عمرة القضاء .

قال الزهري : وقد تزوجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل .

وقال سيف بن عمر في روايته : كانت تحت عُثَيْر بن عمرو أحد بني عَقْدَة بن ثَقِيف ابن عمرو الثقفي مات عنها ، ثم خلف عليها أبو رُم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى .

قال : وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار بن الحارث بن عامر بن مالك بن المصطلق من خزاعة يوم المَرَبِيع ، فأعتقها وتزوجها . ويقال بل قَدِم أبوها الحارث ، وكان ملك خزاعة ، فأسلم ثم تزوجها منه ، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبي الشقر .

قال قتادة : عن سعيد بن المسيَّب والشَّعْبِي ومحمد بن إسحاق وغيرهم قالوا : وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا يقول حسان :

وحَلَف الحارث بن أبي ضِرَارٍ وحِافٍ قُرْبَطَةً فيكم سواء

وقال سيف بن عمر في روايته عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبي مُلَيْكَة ، عن عائشة قالت : وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تَوَّاب ذى الشَّقر بن

أبي السرح ابن مالك بن المصطلق .

قال : وسَيِّ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَّيْ بْنِ أَخْطَبَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَهِيَ عُرُوسُ بَكْنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ .

وقد زعم سيف بن عمر في روايته أنها كانت قبل كنانة عِفْدَ سَلَّامَ بْنِ مِشْكَمَ فَالله أعلم .

قال : فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهن :

قال : وقد قسم عمر بن الخطاب في خلافته لكل امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً ، وأعطى جُوَيْرِيَةَ وَصَفِيَّةَ سِتَّةَ آلَافٍ سِتَّةَ آلَافٍ ، بسبب أنهما سُبَيَّتَا . قال الزهري : وقد حجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم لهما .

قلت : وقد بسطنا الكلام فيما تقدم في تزويجه عليه السلام كل واحدة من هذه النسوة رضى الله عنهن في موضعه .

قال الزهري : وقد تزوج العالية بنت ظَبْيَانَ بْنِ عمرو ، من بني بكر بن كلاب ، ودخل بها وطلقها .

قال البيهقي : كذا في كتابي ، وفي رواية غيره : ولم يدخل بها فطلقها .

وقد قال محمد بن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي : حدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظَبْيَانَ بْنِ عمرو ابن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، فمكثت عنده دهرًا ثم طلقها .

وقد روى يعقوب بن سفيان ، عن حجاج بن أبي منيع ، عن جده ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن الضحَّاك بن سفيان الكلابي هو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وأنا أسمع من وراء الحجاب ، قال يا رسول الله هل لك في أخت أم شَيْبٍ ؟

وأم شبيب امرأة الضحاك .

وبه قال الزهري : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى عمرو بن كلاب فأنبي أن بها بياضا فطلقها ولم يدخل بها .

قلت : الظاهر أن هذه هي التي قبّلها والله أعلم .

قال : وتزوج أخت بنى الجثون السكندى وهم حلفاء بنى فزارة فاستعازت منه فقام : « لقد عذت بعظيم ، الحق بأهلك » فطلقها ولم يدخل بها .

قال : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُرّية يقال لها مارية ، فولدت له غلاماً اسمه ابراهيم ، فتوفى وقدملاً المهدي ، وكانت له وليدة يقال لها ريحانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خفافة ، وهم بطن من بنى قريظة ، أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنها قد احتجبت .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن علي بن مجاهد أن رسول الله تزوج خولة بنت المهذيل بن هيرة التغلبي ، وأما خرثوق بنت خليفة أخت دحية بن خليفة ، فحملت إليه من الشام فانت في الطريق ، فتزوج خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فانت في الطريق أيضا .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء بنت كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عُمرة بنت زيد إحدى نساء بنى كلاب ثم من بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب ، فطلقها ولم يدخل بها .

وقال البيهقي : فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهري ولم يسمهما ، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر العالية .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس

ابن بكير ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : وَهَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً أَنْفُسَهُنَّ فَدَخَلَ بَعْضُهُنَّ وَأَرْجَى بَعْضُهُنَّ ، فَلَمْ يَقْرُبْهُنَّ حَتَّى تَوَفَّى ، وَلَمْ يَنْكَحْنِ بَعْدَهُ ، مِنْهُنَّ أُمُّ شَرِيكٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ » .

قال البيهقي : وقد روينا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كانت خَوْلَةٌ - يعني بنت حكيم - ممن وهب أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقي : وروينا في حديث أبي رشيد الساعدي في قصة الجونية التي استعادت فالحقها بأهلها أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل . كذا قال .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري ؛ حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن حمزة بن أبي أسيد ، عن أبيه وعباس بن سهل عن أبيه ، قال : مر بنا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب له فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوْطُ حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلسوا » ودخل هو وقد أتى بالجونية فعزلت في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابة لها ، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هَيَّ لِي نَفْسَكَ . قالت : وهل تَهَبُ الْمَلَائِكَةُ نَفْسَهَا لِلشَّوْطِ ! وقالت : إني أعوذ بالله منك . قال : لقد عدت بمعاذ .

ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أسيد اكسها دراعتين وألحقها بأهلها » .

وقال غير أبي أحمد : امرأة من بنى الجون يقال لها أميمة .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن حمزة بن أبي أسيد ، عن أبي أسيد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوْطُ ، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما ، فقال : « اجلسوا هاهنا » فدخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في محل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابتهما حاضرة لها ، فلما دخل عليها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَبِي لِي نَفْسَكَ » . قالت : وهل تهبُ المِلْكَهَ نفسها
لِسُوقَةٍ ؟ قال : فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لَتَسْكُنَ ، فقالت : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ . قال :
« لَقَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ » . ثم خرج علينا فقال : « يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسِهَا رَازِقِيَيْنِ ^(١)
وَأَلْحَقْهَا بِأَهْلِهَا » .

قال البخاري : وقال الحسين بن الوليد ، عن عبد الرحمن بن الفسَّيْل ، عن عباس
ابن سهل بن سعد ، عن أبيه وأبي أُسَيْدٍ ، قالا : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أُمَيْمَةَ
بنت شراحيل ، فلما أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَكَأَنَّهُا كَرِهَتْ ذَلِكَ . فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ
أَنْ يَجْهَزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَيْنِ .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن الوزير ، حدثنا عبد
الرحمن بن حمزة ، عن أبيه وعن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه بهذا .
انفرد البخاري بهذه الروايات من بين أصحاب الكُتُبِ .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، سألت الزهري :
أَيُّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ ؟ فقال : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ ابْنَةَ
الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فقال : « لَقَدْ عُدْتُ بِمَعْظَمِ
الْحَقِّ بِأَهْلِكَ » .

قال : ورواه حَجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ ، عن جده عن الزهري أن عُرْوَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ
قَالَتْ . الْحَدِيثُ .

انفرد به دون مسلم .

قال البيهقي : ورأيت في كتاب المعرفة لابن مَنَظَّهٍ أَنَّ اسْمَ التِّي اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ
النَّعْمَانِ بْنِ شَرَّاحِيلَ . وَيُقَالُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا أُمَيْمَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وزعموا أن السكلاية اسمها عمرة ، وهى التى وصفها أبوها بأنها لم تمرض قط ، فرغب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى محمد بن سعد عن محمد بن عبد الله عن الزهرى ، قال : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان استعازت منه فطلقها ، فكانت تلطط البعر وتقول : أنا الشقية .
قال : وتزوجها فى ذى القعدة سنة ثمان ، وماتت سنة ستين .

وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوجها عليه السلام ولم يدخل بها أسماء بنت كعب الجونية^(١) وعمرة بنت يزيد السكلاية . وقال ابن عباس وقتادة : أسماء بنت النعمان ابن أبى الجون . فالله أعلم .

قال ابن عباس : لما استعازت منه خرج من عندها مغضبا ، فقال له الأشعث : لا يسؤك ذلك يا رسول الله فمندی أجمل منها ، فزوجه أخته قتيلة .
وقال غيره : كان ذلك فى ربيع سنة تسع .

وقال سعيد بن أبى عروة عن قتادة : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة ، فذكر منهن أم شريك الأنصارية النجارية .

قال : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأحب أن أتزوج من الأنصار ولكنى أكره غيرهن » ولم يدخل بها .

قال : وتزوج أسماء بنت الصلت من بنى حرام ثم من بنى سليم ولم يدخل بها ، وخطب حمزة بنت الحارث المزنية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : تزوج رسول الله ثمانى عشرة امرأة ، فذكر منهن قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ،

(١) ابن هشام : أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

فزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين ، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه . قال ولم تكن قدِمَت عليه ولا رآها ولم يدخل بها .

قال : وزعم آخرون أنه عليه السلام أوصى أن تحيّر قتيلة فإن شاءت يُضْرَبَ عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت ، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بمضرموت ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقال : لقد هممت أن أحرق عليهما . فقال عمر بن الخطاب : ما هي من أمهات المؤمنين . ولا دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب .

قال أبو عبيدة : وزعم بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشيء ، وأنها ارتدت بعده ، فاحتج عمر على أبي بكر بارتدادها أنها ليست من أمهات المؤمنين . وذكر ابن منده أن التي ارتدت هي البرصاء من بنى عوف بن سعد بن ذبيان . وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله تزوج قتيلة أخت الأشعث بن قيس ، فأت قبل أن يخيّرهما فبرأها الله منه .

وروى حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، أن عكرمة بن أبي جهل لما تزوج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه ، فراجع عمر بن الخطاب فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وأنها ارتدت مع أخيها ، فبرئت من الله ورسوله . فلم يزل به حتى كف عنه .

قال الحاكم : وزاد أبو عبيدة في العدد فاطمة بنت شريح ، وسبأ بنت أسماء بن الصلت السلمي .

هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن منده بسنده عن قتادة فذكره .

وقال محمد بن سعد عن ابن الكلبي مثل ذلك . قال ابن سعد : وهي سبأ .

قال ابن عساكر : ويقال : سبأ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام ابن سيمك بن عوف السلمي .

قال ابن سعد : وأخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثني العرزمي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب .

وقال ابن عمر : إن رسول الله بعث أبا أسيد يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب ، فترزجها فبلغه أن بها بيضاء فطلقها .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني أبو معشر قال : تزوج رسول الله ملىكة بنت كعب ، وكانت تُذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : ألا تستحين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعازت منه فطلقها .

فجاء قومها فقالوا يارسول الله إنها صغيرة ولا رأى لها ، وإنها خدعت فارتجعها ، فأبى . فاستأذنه أن يزوجهها بقريب لها من بني عذرة فأذن لهم .

قال : وكان أبوها قد قتله خالد بن الوليد يوم الفتح .

قال الواقدي : وحدثني عبد العزيز الجندعي ، عن أبيه ، عن عطاء بن يزيد قال :

دخل بها رسول الله في رمضان سنة ثمان ، وماتت عنده .

قال الواقدي : وأصحابنا يُنكرون ذلك .

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد

الماهاني ، أنبأنا شجاع بن علي بن شجاع ، أنبأنا أبو عبد الله بن منده ، أنبأنا الحسن بن

محمد بن حكيم المروزي ، حدثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري ، أنبأنا عبد

الله بن عثمان ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ،

قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة ، وكانت قبله تحت عتيق بن عاذل الخزومي ، ثم تزوج بمكة عائشة بنت أبي بكر ، ثم تزوج بالمدينة حفصة بنت عمر ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي ، ثم تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله تحت السكران بن عمرو أخى بنى عامر بن لؤى ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أحد بنى خزيمة ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية وكان اسمها هند وكانت قبله تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن عبد العزى ، ثم تزوج زينب بنت خزيمة الهلالية ، وتزوج العالية بنت ظبيان من بنى بكر بن عمرو بن كلاب ، وتزوج امرأة من بنى الجون من كندة ، وسبى جويرة - فى الغزوة التى هدم فيها مائة غزوة المريسيم - ابنة الحارث بن أبي ضرار من بنى المصطلق من خزاعة ، وسبى صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير ، وكانتا مما أفاء الله عليه فقسهما له ، واستسرا مارية القبطية فولدت له إبراهيم ، واستسرا ريحانة من بنى قريظة ثم أعتقها فلحققت بأهلها واحتجبت وهى عند أهلها .

وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان ، وفارق أخت بنى عمرو بن كلاب وفارق أخت بنى الجون الكندية من أجل بياض كان بها ، وتوفيت زينب بنت خزيمة الهلالية ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى ، وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التى طُلقَت تزوجت قبل أن يحرم الله النساء ، فنكحت ابن عم لها من قومها وولدت فيهم . سقناه بالسند لفرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة ، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة ، كما قدمناه والله أعلم .

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة سودة بنت

زَمْعَة ، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكراً غيرها ولم يُصَب منها ولداً حتى مات ، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر ، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبي أمية ؛ ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش ، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضَرَار . قال : ثم تزوج بعد جَوَيرِية صفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية .

فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتبته الزهري . والله أعلم .

وقال يونس بن بُكَيْر عن أبي يحيى ، عن حَمِيل بن زيد الطائي ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بني غفار ، فدخل بها فأمرها ففَزَعَتْ ثوبها ، فرأى بها بياضاً من بَرَصٍ عند ثدييها ، فأماز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : « خذي ثوبك » وأصبح فقال لها : « الحق بأهلك » فأكل لها صداقها .

[^(١)] وقد رواه أبو نُعَيْم من حديث حميل بن زيد ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، وكان ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فذكر مثله :

قلت : ومن تزوجها صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها أم شَرِيك الأزدية .

قال الواقدي : والمثبت أنها دَوْسِيَّة وقيل الأنصارية ، ويقال عامرية وأنها خَوَلَة بنت حكيم السلمى .

وقال الواقدي : اسمها غَزِيَّة بنت جابر بن حكيم .

قال محمد بن إسحاق : عن حكيم بن حكيم ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن

أبيه ، قال : كان جميع ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر امرأة ، منهن أم شريك الأنصارية ، وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال سميد بن أبي عروبة عن قتادة : وتزوج أم شريك الأنصارية من بني النجار . وقال : « إني أحب أن أتزوج من الأنصار لكني أكره غيرتهن » ولم يدخل بها .

وقال ابن إسحاق عن حكيم ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : تزوج صلى الله عليه وسلم ليلى بنت الخطيم الأنصارية وكانت غيورا تخافت نفسها عليه فاستقالته فأقالها .

فصل

فيمَن خطبها عليه السلام ولم يَعْقِدْ عليها

قال إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن أم هانئٍ فاختت بنت أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرت أن لها صِبيّة صغاراً ، فتركها وقال : « خيرُ نساء رَكِبْنَ الإِبِلَ صالحُ نساء قريش ، أحناء على ولدِ طفلي في صِغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » .

[وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت : يا رسول الله إني قد كبرت ولى عيال .

وقال الترمذى : حدثنا عبدُ بن مُحمَّد ، حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن السُّدِّي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت : خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرتُ إليه فعدّرتني ، ثم أنزل الله « إنا أحلّلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخلك وبنات أخلاتك اللاتي هاجرن معك » الآية . قالت : فلم أكن أحلّ له لأنني لم أهاجر ، كنت من الطُّلُقاء .

ثم قال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث السُّدِّي .

فهذا يقتضى أن من لم تسكن من المهاجرات لا تحلّ له صلى الله عليه وسلم . وقد نقل هذا المذهب مطلقا القاضى الماوردى في تفسيره عن بعض العلماء . وقيل : المراد بقوله « اللاتي هاجرن معك » أى من القرابات المذكورات .

وقال قتادة : « اللاتي هاجرن معك » أى أسلمن معك ، فعلى هذا لا يحرم عليه

إلا الكفار ، وتُحلّ له جميع المسلمات ، فلا ينافي تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلاً .

وأما حكاية الماوردي عن الشعبي ، أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية ، فليس بجيد . فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه والله أعلم ^(١) .

وروى محمد بن سعد ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله وهو مولى ظهره إلى الشمس ، فضربت منكبه فقال : « من هذا ؟ أكله الأسود ! » فقالت : أنا بنت مطعم الطير ، ومباري الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئت لك لأعرض عليك نفسي تزوجني ؟ قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها فقالت : قد تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت امرأة غيبري ورسول الله صاحب نساء تغارين عليه ، فيدعو الله عليك ، فاستقيليه .

فرجعت فقالت : أفليتي يا رسول الله . فأقالها ، فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له ، فبينما هي يوما تغتسل في بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها ، فماتت .

وبه عن ابن عباس أن ضباعة بنت عامر بن قرط كانت تحت عبد الله بن جُدعان فطلقها ، فتزوجها بعده هشام بن المغيرة فولدت له سلمة ، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجلل جسمها ، فخطبها رسول الله من ابنها سلمة ، فقال : حتى أستاذمها ؟ فاستأذنها فقالت : يا بني أفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن ؟ فرجع ابنها فسكت ولم يردّ جواباً ، وكأنه رأى أنها قد طعنت في السن ، وسكت النبي صلى الله عليه وسلم عنها .

وبه عن ابن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشامة بن

نَضْلَةُ الْعَنْبَرِي : وكان أصابها سَبِيٌّ ، فغيرها رسول الله فقال : « إن شئت أنا وإن شئت زوجك » فقالت : بل زوجي . فأرسلها ، فلعنتها بنو تميم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدي ، حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي قد وهبت نفسها من رسول الله ، فلم يقبلها فلم تزوج حتى ماتت .

قال محمد بن سعد : وأنبأنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن الحكم ، عن علي ابن الحسين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدؤسية .

قال الواقدي : الثَّبُتُ عندنا أنها من دَوْس من الأزد . قال محمد بن سعد : واسمها غَزِيَّة بنت جابر بن حكيم .

وقال الليث بن سعد : عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال متحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة سالحة .

ومن خطبها ولم يعقد عليها حمرة^(١) بنت الحارث بن عون بن أبي حارثة المرسي فقال أبوها : إن بها سوءاً - ولم يكن بها - فرجع إليها وقد تبرّصت ، وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر .

هكذا ذكره سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

قال : وخطب حبيبة بنت العباس بن عبد المطلب فوجد أباه أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثؤيبية مولاة أبي لب .

فهؤلاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف : صنف دخل بهن ومات عنهن ، وهن التسع المبتدأ بذكرهن .

وهن حرام على الناس بعد موته عليه السلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين

(١) كذا ، وفي القاموس : والبرصاء لقب أم شبيب الشاعر ، واسمها أمامة أو قرصافة .

ضرورة ، وعدتھن بانقضاء أعمارھن . قال الله تعالى : « وما كان لکم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ^(١) » .

وصنف دخل بہن وطلقھن فی حیاتہ ، فهل یحل لأحد أن یتزوجھن بعد انقضاء عدتھن منه علیہ السلام ؟ فیہ قولان للعلماء ، أحدهما : لا لعموم الآیة الّتی ذکرناھا . والثانی : نعم بدلیل آیة التخییر وهی قوله : « یا ایہا النبی قل لأزواجک إن کنتن تُردن الحیاة الدنیا وزینتها فتعالین أمتعن وأسرحن سراحاً جمیلاً ، وإن کنتن تُردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للحسنات مفکن أجراً عظیماً » .

قالوا : فلولاً أنها تحل لغيره أن یتزوجھا بعد فراقه إياھا لم یکن فی تخیرھا بین الدنیا والآخرة فائدة ، إذ لو کان فراقه لها لا یبیحھا لغيره لم یکن فیہ فائدة لها . وهذا قوی والله تعالى أعلم .

وأما الصنف الثالث وهی من تزوجھا وطلقھا قبل أن یدخل بها ، فهذه یحل لغيره أن یتزوجھا ، ولا أعلم فی هذا القسم نزاعاً .

وأما من خطبھا ولم یعقد عقدہ علیھا فأولی لها أن تتزوج وأولی . وسیجىء فصل فی کتاب الخصائص یتعلق بهذا المقام والله أعلم .

فصل

في ذكر سراريه عليه السلام

كانت له عليه السلام سُرَّتَان ؛ إحداهما مارية بنت شَمْعُون القبطية ، أهداها له صاحبُ إسكندرية واسمه جُرَيْج بن مينا ، وأهدى معها أختها شِيرِينَ .

وذكر أبو نعيم أنه أهداها في أربع جوارٍ والله أعلم .

وغلاما خصيا اسمه مابُور ، وبغلة يقال لها الدُّلدل ، فقبل هديته واختار لنفسه مارية ، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حَفَن من كُورَةِ أَنْصِنَا ، وقد وَضَعَ عن أهل هذه البلدة معاويةَ بن أبي سفيان في أيام إمارته الخراجَ ! كراما لها من أجل أنها حملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بولد ذكر وهو إبراهيم عليه السلام .

قالوا : وكانت مارية جميلة بيضاء ، أعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبها وحظيت عنده ، ولا سيما بعد ما وضعت إبراهيم ولده .

وأما أختها شِيرِينَ فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبد الرحمن بن حسان .

وأما الغلام الخصي وهو مابُور ، فقد كان يدخل على مارية وشيرين بلا إذن ، كما جرت به عادته بمصر ، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ولم يشعروا أنه خصي حتى انكشف الحال ، على ما سنبينه قريبا إن شاء الله .

وأما البغلة فكان عليه السلام يركبها ، والظاهر والله أعلم أنها التي كان راكبها يوم حنين . وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إمارته ، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكبرت حتى كان يَحِشُّ^(١) لها الشعير لتأكله .

(١) يحش : يطعن .

قال أبو بكر بن خزيمة : حدثنا محمد بن زياد بن عبيد الله ، أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن بشير بن المهاجر عن عبد الله بن ربيعة بن الحصيب ، عن أبيه ، قال : أهدى أمير القبط إلى رسول الله جارتين أختين وبغلة فكان يركب البغلة بالمدينة ، واتخذ إحدى الجارتين فولدت له إبراهيم ابنه ، ووهب الأخرى .

وقال الواقدي : حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة ^(١) جميلة ، فأنزلهما وأختها على أم سلمة بنت ملاحان ، فدخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتهما هناك ، فوطيء مارية بالملك ، وحوّلها إلى مال له بالعالية كان من أموال بني النضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خُرَافة النخل ^(٢) . فكان يأتونها هناك ، وكانت حسنة الدين ، ووهب أختها شيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

وولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما سماه إبراهيم ، وعَقَّ عنه بشاة يومَ سابعه ، وحلق رأسه وتصدّق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدفن في الأرض ، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها سلمى ^(٣) مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاما ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فبشّره فوهب له عقداً ، وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ عليهن حين رُزق منها الولد .

وروى الحافظ أبو الحسن الدار قطني ، عن أبي عبيد القاسم بن إسماعيل ، عن زياد ابن أيوب ، عن سعيد بن زكريا المدائني ، عن ابن أبي سارة ، عن عكرمة ، عن

(١) الجعدة : ذات الشعر غير السبط . (٢) الخرافة : النخل الخثني .

(٣) في القاموس : وأم سلمى امرأة أبي رافع .

ابن عباس ، قال : لما وَلَدَتْ مَارِيَّةُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَتَقَهَا وَلَدُهَا» .
ثم قال الدارقطني : تَفَرَّدَ بِهِ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ وَهُوَ ثَقَّةٌ .

وقد رواه ابن ماجه من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس بمثله ورويناه من وجه آخر .

وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيع أمهات الأولاد مصنفًا مفردًا على حَدِّثِهِ ، وحَكِينَا
فيه أقوال العلماء بما حصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستند كل قول والله
الحمد والمنة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي
طالب ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : أَكْثَرُوا عَلَى مَارِيَّةَ أُمَ إِبْرَاهِيمَ فِي
قُبْطَى ابْنِ عَمِّ لَهَا بَزُورَهَا وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذْ هَذَا
السِّيفَ فَإِنْ طَلَّقَ فَإِنْ وَجَدْتَهُ عِنْدَهَا فَاقْتُلْهُ » قال : قلت يا رسول الله ، أَكُونُ فِي أَمْرِكَ
إِذَا أُرْسِلْتَنِي كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ لَا يَدِينُنِي شَيْءٌ حَتَّى أَمْضِيَ لِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَمْ الشَّاهِدُ
يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلِ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا
يَرَى الْغَائِبُ » .

فَأَقْبَلْتُ مُتَوَشِّحًا السِّيفَ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَهَا ، فَاخْتَرَطْتُ السِّيفَ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي عَرَفَ أُنَى
أُرِيدُهُ ، فَأَتَى نَحْلَةً فَرَقَى فِيهَا ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ شَالَ رَجْلَيْهِ ، فَإِذَا بِهِ أَجَبٌ
أَمْسَحَ مَالَهُ مَا لِلرِّجَالِ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ
فَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ عَلِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا بَعَثْتَنِي أَوْ كُنْتُ كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ ؟

أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى مالا يرى الغائب » .

هكذا رواه مختصراً . وهو أصل الحديث الذى أوردناه وإسناده رجال ثقات .

[ابن أبى الطبرانى : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرانى ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب وعقيل ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال : لما ولدت مارية إبراهيم كاد أن يقع فى النبى صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم ، حدثنا محمد ابن يحيى الباهلى ، حدثنا يعقوب بن محمد ، عن رجل سماه عن الليث بن سعد ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة ، قالت : أهدى ملك من بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك يقال لها مارية وأهدى معها ابن عم لها شابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ذات يوم يدخل خلوته فأصابها حملت بإبراهيم .

قالت عائشة : فلما استبان حملها جزعت من ذلك ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لها ابن فاشتري لها ضأنة كبونا تغذى منها الصبي ، فصلح إليه جسمه وحسن لونه ، وصفا لونه ، فجاءته ذات يوم تحمله على عاتقها فقال : « يا عائشة كيف تربى الشبّه ؟ فقلت : أنا وغيرى ما أرى شَبْهاً ، فقال : « ولا اللحم ؟ » فقلت : لعمري من تغذى بالابن الضأن ليحسن لحمه ^(١) .

قال الواقدي : ماتت مارية فى الحرم سنة خمس عشرة فصلى عليها عمر ودفنها فى البقيع ، وكذا قال المفضل بن غسان الغلابى ^(٢) . وقال خائفة وأبو عبيدة ويعقوب بن سفيان : ماتت سنة ست عشرة رحما الله .

(١) سقط من أ .

(٢) نسب إلى امرأة وهى أم خالد بن الحارث بن أوس بن النابغة . الباب ٢ / ١٨٤

ومنهن رَبحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قريظة .

قال الواقدي : كانت ربحانة بنت زيد من بنى النضير ويقال من بنى قريظة .

قال الواقدي : كانت ربحانة بنت زيد من بنى النضير وكانت مزوجة فيهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صفيًا ، وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم فأبت إلا اليهودية . فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سَعْيَةَ فذكر له ذلك فقال ابن سَعْيَةَ : فذاك أبي وأمي هي تسلم ، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لا تتبعي قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم حَيُّ بن أخطب ، فأسلمى بصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال : « إن هاتين لنعلًا ابن سَعْيَةَ يبشرني بإسلام ربحانة » فجاء يقول : يا رسول الله قد أسلمت ربحانة . فسرَّ بذلك . [وقال محمد بن إسحاق ^(١) : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة اصطفى لنفسه ربحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وكان عرض عليها الإسلام ويتزوجها فأبت إلا اليهودية . ثم ذكر من إسلامها ما تقدم .]

قال الواقدي : فحدثني عبد الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صمصة ، عن أيوب بن بشير المعافري ، قال : فأرسل بها رسول الله إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر ، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها ، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله ، فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها : « إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطاك بالملك فعلت » فقالت : يا رسول الله إن أخفَّ عليك وعلىَّ أن أكون في ملكك ، فكانت في ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم بطأها حتى ماتت .

(١) سقط من أول يرد في ابن هشام ، إذ أن هذه الرواية من طريق يونس بن بكير .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي ذئب قال : سألتُ الزهري عن رِيحانة فقال : كانت أمة رسول الله فاعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب في أهلها وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وهذا أثبتُ الحديثين عندنا ، وكان زوجها قبله عليه السلام الحكم . وقال الواقدي : حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم ، عن عمر بن الحكم ، قال : أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خلف ، وكانت عند زوج لها ، وكان محباً لها مكرماً ، فقالت : لأستخلف بعده أحداً أبداً ، وكانت ذات جمال . فلما سُبيت بنو قريظة عُرِضَ السَّبْيُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فكنت فيمن عُرِضَ عليه فأمرني فمُزِلْتُ ، وكان يكون له صَفِيٌّ في كل غنيمة ، فلما عزلت خَارَ الله لي ، فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياها حتى قَتَلَ الأسرى وفرق السَّبْيَ ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجَنَّبَتْ منه حياءً ، فدعاني فأجلسني بين يديه فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسولُ الله لنفسه . فقلت : إني أختار الله ورسوله . فلما أسلمتُ أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني ، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشَأَ كما كان يُصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما يقسم لنساءه ، وضرب على الحجاب .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجباً بها ، وكانت لاتسأله شيئاً إلا أعطاهَا ، فقيل لها : لو كنتِ سألتِ رسول الله صل الله عليه وسلم بنى قريظة لأعتقهم ، فكانت تقول : لم يَخْلُ بي حتى فَرَّقَ السبي ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها ، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجمة من حجة الوداع . فدفعها بالبيع .

وكان تزويجه إياها في الحزم سنة ست من الهجرة .

وقال ابن وهب عن يونس بن يزيد ، عن الزهري قال : واستسّر رسول الله ريحانة

من بنى قريظة ثم أعتقها فالتحقت بأهلها .

وقال أبو عبيدة مَعْمَرُ بنِ المُنْثَنَّى : كانت ريمحانة بنت زيد بن شمعون من بنى النضير .

وقال بعضهم : من بنى قريظة وكانت تسكون في نخل من نخل الصدقة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم عندها أحيانا . وكان سبأها في شوال سنة أربع .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا أحمد بن المقدم ، حدثنا زهير ، عن سعيد ،

عن قتادة ، قال : كانت لرسول الله ولیدتان ، مارية القبطية وزُرَيْحَةُ أو ريمحانة بنت شمعون بن

زيد بن خنافة ، من بنى عمرو بن قريظة ، كانت عند ابن عم لها يقال له عبد الحكم فيما

بلغنى ، وماتت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو عبيدة مَعْمَرُ بنِ المُنْثَنَّى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ولائد ؛

مارية القبطية ، وريمحانة القُرْظِيَّةُ ، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخفن

أن تغلبهن عليه ، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب ، وكان هجرها في شأن صفية

بنت حُيٍّ ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلما كان شهر ربيع الأول الذى قبض فيه رضى عن

زينب ودخل عليها ، فقالت : ما أدري ما أجزيك ؟ فوهبتها له صلى الله عليه وسلم .

وقد روى سيف بن عمر ، عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مُلَيْسِكَةَ ، عن عائشة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم لمارية وريمحانة مرة ، ويتركهما مرة .

وقال أبو نعيم : قال أبو محمد بن عمر الواقدي : توفيت ريمحانة سنة عشرة وصلى عليها

عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع والله الحمد .

فصل

في ذكر أولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام

لا خلاف أن جميع أولاده من خديجة بنت خويلد ، سوى إبراهيم فن مارية بنت شمعون القبطية .

قال محمد بن سعد : أنبأنا هشام بن الكلبي ، أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، فمات القاسم ، وهو أول ميت من ولده بمكة ، ثم مات عبدالله فقال العاص بن وائل السهمي : قد انقطع نسله فهو الأبتَر ، فأنزل الله عز وجل : « إنا أعطيناك الكوثر فصلٌ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتَر » .

قال : ثم ولدت له مارية بالمدينة لإبراهيم في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، فمات ابن ثمانية عشر شهراً

وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريزي : حدثنا عبد الباقي بن نافع ، حدثنا محمد ابن زكريا ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثني محمد بن زياد والفرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : ولدت خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ابن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده ، فبينما رسول الله يكلم رجلاً والعاص بن وائل ينظر إذ قال له رجل : من هذا ؟ قال له هذا الأبتَر . وكانت قريش إذا ولد للرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا إليه الأبتَر ، فأنزل الله : « إن شانئك هو الأبتَر » أي مبغضك هو الأبتَر من كل خير .

قال : ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رقية ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهر ، ثم ولدت الطيب ، ثم ولدت المطيب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة . وكانت أصغرهم .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه ، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا هشام بن عروة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم ابنان ؛ طاهر والطيب ، وكان يسمى أحدهما عبد شمس ، والآخر عبد العزى .

وهذا فيه نكارة . والله أعلم .

وقال محمد بن عائد : أخبرني الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، أن خديجة ولدت القاسم والطيب والطاهر ومطهرًا وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وقال الزبير بن بكار : أخبرني عمي مصعب بن عبد الله قال : ولدت خديجة القاسم والطاهر وكان يقال له الطيب ، وولد الطاهر بعد النبوة ، ومات صغيراً واسمه عبد الله ، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

قال الزبير : وحدثني إبراهيم بن المنذر ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد الله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم .

وحدثني محمد بن فضالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال : ولدت خديجة القاسم وعبد الله ، فأما القاسم فعاش حتى مشى ، وأما عبد الله فمات وهو صغير .

وقال الزبير بن بكار : كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة بنت خويلد ، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده وبه كان يُكنى . ثم زينب ، ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ، ويقال له الطاهر ، ولد بعد النبوة ومات صغيراً . ثم ابنته أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية . هكذا الأول فالأول .

ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت من ولده ، ثم مات عبد الله .
ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم ، وهى القبطية التى أهداها المقوقس صاحب
إسكندرية ، وأهدى معها أختها شيرين وخصيماً يقال له مابور ، فوهب شيرين لحسان بن
ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن . وقد انقرض نسل حسان بن ثابت .
وقال أبو بكر بن البرقي ^(١) : يقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ، ويقال إن
الطيب والمطيب ولدافى بطن ، والطاهر والمطهر ولدافى بطن .
وقال المفضل بن غسان عن أحمد بن حنبل ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ،
عن مجاهد ، قال : مكث القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم سبع ليال ثم مات .
قال المفضل : وهذا خطأ ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً .
وقال الحافظ أبو نعيم : قال مجاهد : مات القاسم وله سبعة أيام . وقال الزهرى : وهو
ابن سنتين . وقال قتادة : عاش حتى مشى .
وقال هشام بن عروة : وضع أهل العراق ذكر الطيب والطاهر ، فأما مشايخنا
فقالوا : عبد العزى وعبد مناف والقاسم ، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة .
هكذا رواه ابن عساكر وهو منكسر ، والذى أنكره هو المعروف . وسقط ذكر
زينب ولا بد منها . والله أعلم .

فأما زينب فقال عبد الرزاق عن ابن جريج : قال لى غير واحد : كانت زينب
أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فاطمة أصغرهن وأحبهن إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع فولدت منه علياً وأمame ،
وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله فى الصلاة ، فإذا سجد وضعمها
وإذا قام حملها .

(١) ينسب إلى برق ، بيت كبير من خوارزم انتقلوا إلى بخارى وسكنوها .

ولعل ذلك كان بعيد موت أمها سنة ثمان من الهجرة ، على ما ذكره الواقدي
وقتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهم ، وكأنها كانت طفلة صغيرة .
فإن الله أعلم .

وقد تزوجها على بن أبي طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة .

وكانت وفاة زينب رضى الله عنها في سنة ثمان . قاله قتادة عن عبد الله بن أبي بكر
ابن حزم وخليفة بن خياط وأبو بكر بن أبي خيثمة وغير واحد . وقال قتادة عن ابن
حزم في أول سنة ثمان .

وذكر حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنها لما هاجرت دفعها
رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حملها ، ثم لم تزل وجعة حتى ماتت ، فسكانوا يرونها
ماتت شهيدة .

وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عتبة بن أبي لهب كما تزوج أختها
أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب ، ثم طلقاها قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ
وَمَا كَسَبَ سِمْصَلَ نَارًا ذاتَ لَهَبٍ وامرأته حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » .

فتزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ،
ويقال إنه أول من هاجر إليها . ثم رجعا إلى مكة ، كما قدمنا ، وهاجرا إلى المدينة وولدت
له ابنته عبد الله فبلغ ست سنين ، فنقره ديك في عينيه فمات وبه كان يكنى أولا ، ثم
اكتفى بابنه عمرو .

وتوفيت وقد انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر يوم الفرقان يوم التقى
الجعان ، ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة - وهو زيد بن حارثة - وجدتم قد ساووا
على قبرها التراب ، وكان عثمان قد أقام عليها يرميها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ ، وَلَمَّا رَجَعَ زَوْجُهُ بِأَخْتِهَا أُمَ كَلْثُومَ أَيْضًا وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو النُّورَيْنِ ، ثُمَّ مَاتَتْ عِنْدَهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَتْ عِنْدِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ » وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كُنْ عَشْرًا لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ » .

وَأُمَا فَاطِمَةُ فَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ ، وَيُقَالُ وَنَحْسَيْنَ ، وَوَلَدَتْ لَهُ أُمَ كَلْثُومَ وَزَيْنَبَ .

وَقَدْ تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ بِأُمَ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ فَاطِمَةَ وَأَكْرَمَهَا لِمَا كَرَّمَ زَانِدًا ، أَصْدَقَهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِأَجْلِ نَسَبِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْدًا بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ ابْنُ عَمِّهَا عَوْنُ بْنُ جَعْفَرٍ فَمَاتَ عَنْهَا ، وَخَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ مُحَمَّدٌ فَمَاتَ عَنْهَا ، فَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَمَاتَ عِنْدَهُ . وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ تَزَوَّجَ بِأَخْتِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ عَلِيٍّ وَمَاتَتْ عِنْدَهُ أَيْضًا ، وَقَدْ تَوَفَّيْتُ فَاطِمَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى أَشْهُرِ الْأَفْوَالِ .

وَهَذَا الثَّابِتُ عَنْ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحِ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ أَيْضًا وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ .

وَعَنْ الزُّهْرِيِّ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَهْرَيْنِ ، وَقَالَ أَبُو بُرَيْدَةَ : عَاشَتْ بَعْدَهُ سَبْعِينَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ دِينَارٍ : مَكَثَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . وَكَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ دِينَارٍ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَكَانَ مِيلَادُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانَ . وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ وَغَيْرِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : لَمَّا حُبِلَ بِإِبْرَاهِيمَ أَتَى جَبْرِيلُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ غُلَامًا مِنْ أُمِّ وَلَدِكَ مَارِيَةَ ،

وأمر أن تسميه إبراهيم ، فبارك الله لك فيه وجعله قرّة عين لك في الدنيا والآخرة .
وروى الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن مسكين ، عن عثمان بن صالح ، عن ابن
كهيمة ، عن عقيل بن يزيد بن أبي حبيب ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما ولد للنبي
صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وقع في نفسه منه شيء فأتاه جبريل فقال : السلام عليك
يا أبا إبراهيم . وقال أسباط عن السدي ، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن ، قال : سألت
أنس بن مالك قلت : كم بلغ إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من العمر ؟ قال : قد
كان ملاماً مهده ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم صلى الله عليه
وسلم آخر الأنبياء .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن السدي ،
عن أنس بن مالك ، قال : لو عاش إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم لكان
صديقاً نبياً .

وقال أبو عبد الله بن منده : حدثنا محمد بن سعد ، ومحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد
ابن عثمان العبسي ، حدثنا منجاب ، حدثنا أبو عامر الأسدي ، حدثنا سفيان ، عن السدي
عن أنس ، قال : توفي إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهراً
فقال رسول الله : « ادفنوه في البقيع فإن له مريضاً يتم رضاعه في الجنة » .

وقال أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن
عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : مارأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ، كان
إبراهيم مسترضعاً في عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه
ليُدجن^(١) ، وكان ظئره فينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع .

قال عمرو : فلما توفي إبراهيم قال رسول الله : « إن إبراهيم ابني ، وإنه

مات في النَّدى ، وإن له لَطِئَرَيْن تَكْمَلَان رضاعه في الجنة » .

وقد روى جَرِير وأبو عَوَانة ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صَبِيح أبي الضَّحَى ، عن البراء قال : توفي إبراهيم بن رسول الله وهو ابن ستة عشر شهراً ، فقال : « ادفنوه في البقيع فإن له مرضعاً في الجنة » .

ورواه أحمد من حديث جابر ، عن عامر ، عن البراء ، وهكذا رواه سُفْيَان الثَّوْرِي عن فِرَاس ، عن الشَّعْبِي ، عن البراء بن عازب بمثله .

وكذا رواه الثَّوْرِي أيضاً عن أبي إسحاق ، عن البراء وأورد له ابن عساکر من طريق عَتَّاب بن محمد بن شَوَذَب ، عن عبد الله بن أبي أُوْفَى قال : توفي إبراهيم فقال رسول الله : « يَرْضَع بَقِيَّةَ رضاعه في الجنة » .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا زكريا بن يحيى الواسطي ، حدثنا هُشَيْم ، عن إسماعيل ، قال سألت ابن أبي أُوْفَى - أو سمعته يسأل - عن إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : مات وهو صغير ، ولو قُضِيَ أن يكون بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبيٌّ لعاش .

وروى ابن عساکر من حديث أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ، حدثنا عبيد بن إبراهيم الجعفي ، حدثنا الحسن بن أبي عبد الله الفراء ، حدثنا مصعب بن سلام ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » .

وروى ابن عساکر من حديث محمد بن إسماعيل بن سَمُرَةَ ، عن محمد بن الحسن الأسدي ، عن أبي شيبه ، عن أنس ، قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدْرِجُوهُ في أَكْفَانِهِ حتى أنظر إليه » .

فجاء فانكبَّ عليه وبكى حتى اضطرب لِحْيَاه وجنباه صلى الله عليه وسلم .

قلت : أبو شيبه هذا لا يتعامل بروايته .

ثم روى من حديث مسلم بن خالد الزنجي ، عن ابن خيثم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما توفي إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من عليم الله حقه . فقال : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسنخظ الرب ، لولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر منا يدمع الأول ، لو جدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشد مما وجدنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن الشَّعْبِي عن البراء ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً ، وقال : « إن له في الجنة من يتم رضاعه وهو صديق » . وقد روى من حديث الحكم بن عُمينة ، عن الشَّعْبِي ، عن البراء .

وقال أبو يعلى : حدثنا القواريري ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن ابن أبي أوفى ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ، وصليت خلفه وكبر عليه أربعاً .

وقد روى يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّان قال : مات إبراهيم ابن رسول الله وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصل عليه . وروى ابن عساكر من حديث إسحاق ابن محمد القروبي ، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن أبي جده عن علي ، قال : لما توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب إلى أمه مارية القبطية وهي في مشربة ، فحمله علي في سَفَط^(١) وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله

(١) السفط : كالجوالق أو «لقة» .

صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه ، فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد ، فدخل على في قبره حتى سوَّى عليه ودفنه ، ثم خرج ورش على قبره ، وأدخل رسول الله يدَه في قبره فقال : « أما والله إنه لنبي ابن نبي » وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَدْمَعُ العين ويحزن القلب ، ولا تقول ما يفضب الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لآحزونون » .

وقال الواقدي : مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة عشر ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في بني مازن بن النجار في دار أم بَرْزَةَ بنت المنذر ، ودفن بالبقيع .

قلت : وقد قدمنا أن الشمس كُسفت يوم موته ، فقال الناس : كسفت لموت إبراهيم . فخطب رسول الله فقال في خطبته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا يفسدان لموت أحد ولا لحياته » .

قال الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر :

باب

ذكر عبيده عليه السلام وإيمانه وذكر خدمه وكتّابه وأمنائه ،
مع مراعاة الحروف في أسمائهم ، وذكر بعض ماذكر من أنبائهم

ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان .
فمنهم أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبى ، ويقال أبو يزيد ويقال أبو محمد .
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولا ، وحبه وابن حبه ، وأمه أم أيمن
واسمها بركة ، كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صغره ، وممن آمن به
قديماً بعد بعثته .

وقد أُمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أيام حياته ، وكان عمره إذ ذاك
ثمانى عشرة أو تسع عشرة ، وتوفى وهو أمير على جيش كثيف ، منهم عمر بن
الخطاب ، ويقال وأبو بكر الصديق وهو ضعيف ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصّب للإمامة .

فلما توفى عليه السلام وجيش أسامة مخيم بالجرف كما قدمناه ، استطلق أبو بكر
من أسامة عمر بن الخطاب في الإقامة عنده ليستضيء برأيه فأطلقه له ، وأنفذ أبو بكر
جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له في ذلك ، وكل ذلك يأتى عليهم ويقول :
والله لا أحلّ رايةً عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فساروا حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام حيث قُتل أبوه زيد وجعفر بن
أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبى وكرّ
راجعا سالما مؤبداً .

فلهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يَبْلُغُ أسامة إلا قال له : السلام عليك أيها الأمير .

ولما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الإمرة طعن بعضُ الناس في إمارته ، فخطب رسول الله فقال فيها : « إِنَّ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ الْخَلْقَ إِلَى بَعْدِهِ . »

وهو في الصحيح من حديث موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن أبيه . وثبت في صحيح البخارى عن أسامة رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّ أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » .

وروى عن الشَّعْبِيِّ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فليحب أسامة بن زيد » .

ولهذا لما فرَضَ عمر بن الخطاب للناس في الديوان فَرَضَ لَأَسَامَةِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ ؛ وَأَعْطَى ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، وَأَبُوهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْبِكَ .

وقد روى عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة ، أن رسول الله أَرَدَ أَنْ يَرْفَعَهُ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ قُطَيْفَةٌ ، حِينَ ذَهَبَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ .

قلت : وهكذا أَرَدَ أَنْ يَرْفَعَهُ عَلَى نَاقَتِهِ حِينَ دَفَعَ مِنْ عَرَافَاتٍ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ ، كَمَا قَدِمْنَا فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ .

وقد ذكر غير واحد أنه رضى الله عنه لم يشهد مع عليٍّ شيئاً من مشاهدته ، واعتذر إليه بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل ذلك الرجل وقد قال لا إله إلا الله ، فقال : « مَنْ لَكَ بَلَا إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَتَقْتُلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَدُنْكَ بَلَا إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الحديث .

وذكر فضائله كثيرة رضى الله عنه . وقد كان أسود كالليل ، أفتس حلواً حسناً كبيراً فصيحاً عالماً ربانياً ، رضى الله عنه .

وكان أبوه كذلك ، إلا أنه كان أبيض شديد البياض ، ولهذا طعن بعض من لا يعلم في نسبه منه . ولما مرَّ مُجَزَّز المَدْلَجى عليهما وهما نائمان في قطيفة وقد بدت أقدامهما أسامة بسواده وأبوه زيد ببياضه ، قال : سبحان الله : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض . أعجب بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على عائشة مسرواً تبرق أسارير وجهه فقال : « ألم ترى أن مُجَزَّزاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال : إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ؟! »

ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعى وأحمد من هذا الحديث ، من حيث التقرير عليه والاستيشار به ؛ العمل بقول القافة في اختلاط الأنساب واشتباهاها ، كما هو مقرر في موضعه .

والمقصود أنه رضى الله عنه توفي سنة أربع وخمسين مما صححه أبو عمر . وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل مات بعد مقتل عثمان فالله أعلم . وروى له الجماعة في كتبهم السقة .

ومنهم أسلم وقيل إبراهيم وقيل ثابت وقيل هُرْمُز أبو رافع القبطى ، أسلم قبل بدر ولم يشهدا لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس ، وكان ينحت القِدَاح ، وقصته مع الخبيث أبى لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت والله الحمد .

ثم هاجر وشهد أحداً وما بعدها ، وكان كاتباً ، وقد كتب بين يدى على بن أبى طالب بالسكوفة . قاله المفضل بن غسان الغلابى . وشهد فتح مصر في أيام عمر . وقد كان أولاً للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وعنته وزوجه

مولاته سلمى ، فولدت له أولاداً وكان يكون على ثَقَل^(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبَهْزُ قالَا : حدثنا شُعْبَةُ ، عن الحكم ، عن ابن أبي رافع ، عن أبي رافع ، أن رسول الله بعث رجلاً من بنى مُخْزُوم على الصدقة ، فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا . حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله . فأتى رسول الله فسأله فقال : « الصدقة لا تحِلُّ لنا ، وإن مَوَلَى القوم منهم » .

وقد رواه الثوري عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم به . وروى أبو يعلى في مسنده عنه أنه أصابهم بَرْدٌ شديد وهم بخيبر ، فقال رسول الله : « من كان له لحاف فليُدْحِفْ من لا لحاف له » .

قال أبو رافع : فلم أجد من يُدْحِفُنِي معه ، فأتيت رسول الله فأتى علىَّ لحافه ، فتمننا حتى أصبحنا ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجليه حية فقال : « يا أبا رافع اقتلها اقتلها » .

وروى له الجماعة في كتبهم ، ومات في أيام علي رضي الله عنه .

ومنها أنسة بن زياد^(٢) أبو مِشْرَح ، ويقال أبو مِشْرَح ، من مولدى السَّراة ، مهاجرى شهيد بدمراً فيما ذكره عروة والزهرى وموسى بن عُقبة ومحمد بن إسحاق والبخارى وغير واحد . قالوا : وكان ممن يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس .

وذكر خليفة بن خياط في كتابه قال : قال علي بن محمد ، عن عبد العزيز بن أبي نابت ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : استشهد يوم بدر أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وليس هذا بَثْبَثٌ عندنا ، ورأيت أهل العلم يثبتون أنه شهد أحدًا أيضاً وبقي زماناً وأنه توفى في حياة أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته .

ومنهم أيمن بن عُبَيْد بن زَيْد الحبشي ونسبه ابن مَنْدَةَ إلى عوف بن الحزرج وفيه نظر .

وهو ابن أم أيمن بركة ، أخو أسامة لأمه .

قال ابن إسحاق : وكان على مَطْهَرَةٍ ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن ثبت يوم حنين ، ويقال : إن فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً » ^(٢) .

قال الشافعي : قُتِلَ أيمن مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

قال : فرواية مجاهد عنه منقطعة . يعنى بذلك ما رواه الثوري عن منصور ، عن مجاهد ، عن عطاء ، عن أيمن الحبشي قال : لم يقطع النبي صلى الله عليه وسلم السارق إلا في الجن ^(٣) ، وكان ثمن الجن يومئذ ديناراً .

وقد رواه أبو القاسم البغوي في مُعْجَم الصحابة ، عن هارون بن عبد الله ، عن أسود ابن عامر ، عن الحسن بن صالح ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مجاهد وعطاء ، عن أيمن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

وهذا يقتضي تأخر موته عن النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن الحديث مُدْلَساً عنه ، ويحتمل أن يكون أريد غيره .

والجمهور كابن إسحاق وغيره ذكروه فيمن قتل من الصحابة يوم حنين فالله أعلم .

ولابنه الحجاج بن أيمن مع عبد الله بن عمر قصة .

ومنهم بآم وسيأتي ذكره في ترجمة ظُهْمَان .

(١) المطهرة بكسر الميم وفتحها : الإداوة ، أو الإناء الذي يتطهر به .

(٢) الجن : الترس .

(٣) سورة الكهف ١١٠

ومنهم ثوبان بن جُذْد ، ويقال ابن جَحْدَر أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الكريم ،
ويقال أبو عبد الرحمن .

أصله من أهل السَّراة ، مكان بين مكة واليمن ، وقيل من خير من أهل اليمن . وقيل
من الهان ^(١) ، وقيل من حكم بن سعد العَشيرة من مَذْحِج أصابه سَبِي في الجاهلية . فاشتراه
رسول الله فأعتقه وخيره إن شاء أن يرجع إلى قومه ، وإن شاء يَثْبِت فإنه منهم
أهل البيت .

فأقام على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشهد فتح مصر أيام عمر ، ونزل حمص بعد ذلك وابتنى بها داراً ، وأقام بها إلى أن
مات سنة أربع وخمسين ، وقيل سنة أربع وأربعين - وهو خطأ - وقيل إنه مات بمصر ،
والصحيح بحمص كما قدمنا والله أعلم .

روى له البخارى في كتاب الأدب ، ومسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة .

ومنهم حنين مولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين .
وروي أنه كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ويوضئه ، فإذا فرغ النبي صلى الله عليه
وسلم خرج بفضل الوضوء إلى أصحابه ، فنهى من يشرب منه ، ومنهم من يمسح به ،
فاحتبسه حنين فخبأه عنده في جرة حتى شكوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له :
« ما تصنع به ؟ » فقال : أدخره عندي أشربه يا رسول الله . فقال عليه السلام : « هل
رأيت غلاماً أحصى ما أحصى هذا ؟ » .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وهبه لعمه العباس فأعتقه رضى الله عنهما .

ومنهم ذَكْوَان يأتى ذكره في ترجمة طَهْمَان .

ومنهم رافع أو أبو رافع ويقال له أبو البهي .

قال أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة : كان لأبي أَحْيَحة سعيد بن العاص الأ كبر فورثه بنوه وأعتق ثلاثة منهم أنصباهم وشهد معهم يوم بدر ، فقتلوا ثلاثتهم ، ثم اشترى أبو رافع بقية أنصبا بني سعيد مولاة إلا نصيب خالد بن سعيد ، فوهب خالد نصيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبِلَه وأعتقه . فكان يقول ، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان بنوه يقولون من بعده .

ومنهم ربّاح الأسود ، وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة يوم آلى من نسائه واعتزلهن في تلك المشربة وحده عليه السلام .

هكذا جاء مصرّحاً باسمه في حديث عكرمة بن عمار ، عن سِمَاك بن الوائد ، عن ابن عباس ، عن عمر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأ كُوع ، عن أبيه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم غلام يسمّى ربّاح . ومنهم رُوْبِع مولاة عليه الصلاة والسلام .

هكذا عدّه في الموالى مُصْعَب بن عبد الله الزبيري وأبو بكر بن أبي خَيْثَمَة قالا : وقد وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ففرّض له . قالا : ولا عَقِب له .

قلت : كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحب أن يعرفهم ويحسن إليهم ، وقد كتب في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزم عالم أهل المدينة في زمانه : أن يفحص له عن موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء وخدامه .

رواه الواقدي . وقد ذكره أبو عمر مختصراً وقال : لا أعلم له رواية ، حكاه ابن

الأنثير في الغابة .

ومنهم زيد بن حارثة الكلبي .

وقد قدمنا طرفاً من ذكره عند ذكر مقتله بغزوة مؤتة رضى الله عنه ، وذلك في
جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر .

وقد كان هو الأمير المقدّم ، ثم بعده جعفر ، ثم بعدهما عبد الله بن رواحة .
وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن
حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقى بعده لاستخلفه .
رواه أحمد .

ومنهم زيد أبو يسار .

قال أبو القاسم البقوى في معجم الصحابة : سكن المدينة ، روى حديثاً واحداً لا أعلم
له غيره : حدثنا محمد بن علي الجوزجاني ، حدثنا أبو سلمة - هو التبوذكي - حدثنا حفص
ابن عمر الطائي ، حدثنا أبو عمر بن مرة ، سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبي صلى
الله عليه وسلم ، سمعت أبي حدثني عن جدي ، أنه سمع رسول الله يقول : « من قال :
أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان فرّاً
من الزحف » .

وهكذا رواه أبو داود عن أبي سلمة ، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل
البخارى ، عن أبي سلمة موسى بن إسماعيل به . وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من
هذا الوجه .

ومنهم سَيفِنة أبو عبد الرحمن ويقال أبو البختري . كان اسمه مهران ، وقيل عبس ،
وقيل أحر ، وقيل رومان ، فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبب سنذكره ،
فغلب عليه .

وكان مولىّ لأُم سلمة ، فأعتقه واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يموت ، فقبل ذلك . وقال : لو لم تشرطى علىّ مفارقتي .

وهذا الحديث في السنن .

وهو من مولدى العرب ، وأصله من أبناء فارس وهو سَفِينَةُ بن مافته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا حَشْرَج بن ثَبَّاتة العبسي ، كوفي ، حدثنا سعيد بن جُهَّان ، حدثني سَفِينَةُ ، قال : قال رسول الله : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم مُلْكًا بعد ذلك » .

ثم قال لي سَفِينَةُ : أمسك خلافة أبي بكر ، وخلافة عمر ، وخلافة عثمان ، وأمسك خلافة علي ، ثم قال : فوجدناها ثلاثين سنة . ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون .

قلت لسعيد : أين لقيت سَفِينَةَ ؟ قال : ببطن نخلة في زمن الحجاج ، فأقمت عنده ثلاث نِيال أسأله عن أحاديث رسول الله . قلت له : ما اسمك ؟ قال : ما أنا بمخبرك ، سماني رسول الله سَفِينَةَ . قلت : ولم سماك سَفِينَةَ ؟ قال : خرج رسول الله ومعه أصحابه ، فنقل عليهم متاعهم فقال لي : « ابسط كساءك » فبسطته ، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه عليّ ، فقال لي رسول الله : « احمل فإنما أنت سَفِينَةُ » فلو حملت يومئذٍ وقرّ بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة مائتل عليّ ، إلا أن يُحْفُوا ^(١) .

وهذا الحديث عن أبي داود والترمذي والنسائي ، ولفظه عندهم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلْكًا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سعيد بن جُهَّان ، عن سَفِينَةَ ، قال : كنا في سفر ، فكان كلما أعيأ رجل ألقى عليّ ثيابه ، ترساً أو سيفاً ،

(١) يحفوا : يزيدوا ويبالغوا

حقى حلت من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة » .
هذا هو المشهور في تسميته سفينة .

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدثنا الربيع سليمان بن داود الزهراني ومحمد بن جعفر
الورگانی ، قالا : حدثنا شريك بن عبد الله النخعي ، عن عمران البجلي ، عن مولى لأم
سلمة ، قال : كنا مع رسول الله فررنا بواد - أو نهر - فكنت أعبر الناس ، فقال لي
رسول الله : « ما كنت منذ اليوم إلا سفينة » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك .
وقال أبو عبد الله بن منده : حدثنا الحسن بن مكرم ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا
أسامة بن زيد ، عن محمد بن المنكدر ، عن سفينة ، قال : ركبت البحر في سفينة
فكسرت بنا ، فركبت لوحاً منها فطرحني في جزيرة فيها أسد فلم يرعني إلا به ، فقلت :
يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني
على الطريق ، ثم همهم فظننت أنه السلام .

وقد رواه أبو القاسم البغوي عن إبراهيم بن هاني ، عن عبيد الله بن موسى ، عن
رجل ، عن محمد بن المنكدر ، عنه .

ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الله المخرمي ، عن حسين بن محمد ، قال : قال عبيد
العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، عن محمد بن المنكدر ، عن سفينة . فذكره .

ورواه أيضاً : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثني أبو ريمحة ،
عن سفينة مولى رسول الله قال : لقيني الأسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال : فضرب بذنبه الأرض وقعد .

وروى له مسلم وأهل السنن . وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أنه كان

يسكن بطن نخلة ، وأنه تأخر إلى أيام الحجاج .

ومنهم سلمان الفارسي ، أبو عبد الله مؤلى الإسلام .

أصله من فارس وتنقلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت سيده اليهودي ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء ما عليه فنُسب إليه وقال : « سلمان منا أهل البيت » .

وقد قدمنا صفة هجرته ^(١) من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية ، وذكرنا صفة إسلامه رضى الله عنه في أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة ، وكانت وفاته في سنة خمس وثلاثين في آخر أيام عثمان - أو في أول سنة ست وثلاثين - وقيل : إنه توفي في أيام عمر بن الخطاب ، والأول أكثر .

قال العباس بن يزيد البخري : وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة ، واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين .
وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة . فالله أعلم بالصواب .

ومنهم شُقران الحبشي ، واسمه صالح بن عدي ، ورثه عليه السلام من أبيه .
وقال مصعب الزبيري ومحمد بن سعد : كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى أحمد بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، أنه ذكره فيمن شهد بدرأ ، قال : ولم يقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) وذلك في الجزء الأول من الكتاب .

وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدرًا وهو مملوك فللهذا لم يُسَمَّ له بل استعمله على الأسرى ، فحذاه ^(١) كلُّ رجل له أسير شيئًا ، فحصل له أكثر من نصيب كامل .

قال : وقد كان بيد ثلاث غلمان غيره : غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب ابن أبي بلتعة ، وغلام لسعد بن معاذ ، فرضخ لهم ولم يقسم .

قال أبو القاسم البغوي : وليس له ذكر فيمن شهد بدرًا في كتاب الزُّهري ، ولا في كتاب ابن إسحاق .

وذكر الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم قال : استعمل رسول الله شُقران مولاه على جميع ما وجد في رجال المريسيع من رِثَّة ^(٢) المتاع والسلاح والنعم والشاء وجمع الذرية ناحية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه ، عن شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيته - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - متوجهًا إلى خيبر على حمار يصلي عليه يومئذٍ إيماء .
وفي هذه الأحاديث شواهد أنه رضى الله عنه شهد هذه المشاهد .

وروى الترمذي عن زيد بن أخطم ، عن عثمان بن قرقد ، عن جعفر بن محمد ، أخبرني ابن أبي رافع قال : سمعت شُقران يقول : أنا والله طرحتُ القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : الذي اتخذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم أبو طلحة ، والذي ألقى القطيفة شُقران .

ثم قال : الترمذي حسن غريب .

(١) حذاه : أعطاه .

(٢) الرثة : ما يسقط من المتاع .

وقد تقدم أنه شهد غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في قبره ، وأنه وضع
تحته القطيفة التي كان يصلي عليها وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك .
وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الفأبة أنه انقضى نسله فكان آخرهم موتاً
بالمدينة في أيام الرشيد .

ومنهم ضُمَيْرَةُ بن أبي ضُمَيْرَةَ الحِميرى ، أصابه سَبَنٌ في الجاهلية فاشتراه النبي صلى
الله عليه وسلم فأعتقه ، ذكره مُصْعَبُ الزبيرى قال : وكانت له دار بالقيم وولد .
قال عبد الله بن وهب : عن ابن أبي ذئب ، عن حسين بن عبد الله بن ضُمَيْرَةَ ،
عن أبيه عن جده ضُمَيْرَةَ ، أن رسول الله مرَّ بأُمِ ضُمَيْرَةَ وهي تبكي فقال لها : « ما يبكيك ؟
أجائعة أنت ، أعارية أنت ؟ » .
قالت : يا رسول الله فرَّق بينى وبين ابنى . فقال رسول الله : « لا يفترق بين
الوالدة وولدها » .

ثم أرسل إلى الذي عنده ضُمَيْرَةَ فدعاه فابتناعه منه بَبَسْكَرَ .
قال ابن أبي ذئب : ثم أقرأنى كتاباً عنده : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب
من محمد رسول الله لأبى ضُمَيْرَةَ وأهل بيته ، أن رسول الله أعفاهم ، وأنهم أهل بيت
من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا بُرْضَ
لهم إلا بحق ، ومن أقيمهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً . وكتب أبى بن كعب .
ومنهم طَهْمَانٌ ، ويقال ذَكْوَانٌ . ويقال مَهْرَانٌ ، ويقال ميمون ، وقيل كَيْسَانٌ ،
وقيل باذام . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة لا تحل لى ولا لأهل
بيتى ، وإن مَوَالَى القوم من أنفسهم » .

رواه البغوى عن مَنجَبِ بن الحارث وغيره ، عن ثَرِيك ، عن عطاء بن السائب ،

عن إحدى بنات علي بن أبي طالب وهي أم كلثوم بنت علي ، قالت : حدثني مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له طهمان أو ذكوان ، قال قال رسول الله . فذكره .
ومنهم عبيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسي : عن شعبة ، عن سليمان التيمي ، عن شيخ ، عن عبيد مولى للنبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة سيوى المكتوبة ؟ قال : صلاة بين المغرب والعشاء .
قال أبو القاسم البغوي : لا أعلم روى غيره .

قال ابن عساكر : وليس كما قال . ثم ساق من طريق أبي يعلى الموصلي : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عبيد مولى رسول الله أن امرأتين كانتا صائمتين ، وكانتا تفتانان الناس ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لهما : « قِيْنَا » فقاما قِيحا ودما ولحما عبيطاً ثم قال : « إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام » .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي ، عن سليمان التيمي ، عن رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان ، عن عبيد مولى رسول الله فذكره .
ورواه أحمد أيضاً عن غندر ، عن عثمان بن غياث قال : كنت مع أبي عثمان فقال رجل : حدثني سعيد - أو عبيد - ، يشك عثمان ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم . فذكره .

ومنهم فضالة مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : أنبأنا الواقدي ، حدثني عقبة بن خيرة الأشملي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم ، أن الحصى لي عن خدم رسول الله من الرجال والنساء ومواليه .

فكتب إليه قال : وكان فضالة مولى له يمانى نزل الشام بعد ، وكان أبو مؤنبه مولداً من مولدى مزينة فأعتقه

قال ابن عساكر : لم أجد لفضالة ذكر آ فى الموالى إلا من هذا الوجه .
ومنهم قفيز أوله قاف وآخره زاي .

قال أبو عبد الله بن منده : أنبأنا سهل بن السري ، حدثنا أحمد بن محمد بن المنكدر ، حدثنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن سليمان الحراني ، عن زهير بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أنيس ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يقال له قفيز .

تفرد به محمد بن سليمان .

ومنهم كركرة ، كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته .
وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة ، فمات فقال : « هو فى النار » فنظروا فإذا عليه عباءة قد غآها ، أو كساء قد غله .

رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن سفيان .

قلت : وقصته شبيهة بقصة مدغم الذى أهداه رفاعة من بنى النصيب كما سيأتى .
ومنهم كيسان .

قال البغوى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب قال : أتيت أم كلثوم بنت على فقالت : حدثنى مولى للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له كيسان قال له النبي صلى الله عليه وسلم فى شىء من أمر الصدقة : « إنا أهل بيت نهيبنا أن نأكل الصدقة ، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة » .

ومنهم مابور القبطى الخصى ، أهداه له صاحب إسكندرية مع مارية وشيرين والبغلة .

وقد قدمنا من خبره في ترجمة مارية رضى الله عنهما ما فيه كفاية .

ومنهم مدغم ، وكان أسود من مولدى حسمى ^(١) أهده رفاعه بن زيد الجذامى ، قُتل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعهم من خيبر . فلما وصلوا إلى وادى القرى فبينما مدغم يحطّ عن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلتها ، إذ جاءه سهمٌ عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسى بيده ، إن البُشمة التى أخذها يوم خيبر - لم تُصِبْها المقاسم - لنشتعل عليه ناراً » . فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشِرَاك - أو شراكين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « شراك من نار ، أو شراكان من نار » .

أخرجاه من حديث مالك ، عن ثور بن يزيد ، عن أبى الفيث ، عن أبى هريرة .

ومنهم مهران ويقال طهمان ، وهو الذى روت عنه أم كلثوم بنت على في تحريم الصدقة على بنى هاشم ومواليهم كما تقدم .
ومنهم ميمون وهو الذى قبله ^(٢) .
ومنهم نافع مولاة .

قال الحافظ ابن عساكر : أنبأنا أبو الفتح الماهاني ، أنبأنا شجاع الصوفي ، أنبأنا محمد ابن إسحاق ، أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن مروان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أبو مالك الأشجعي ، عن يوسف بن ميمون ، عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة شيخ زان ، ولا مسكين متكبر ، ولا مَنان بعمله على الله عز وجل » .

(١) حسمى : أرض ببادية الشام . (٢) قتله . وهو تحريف .

ومنهم نعيم ، ويقال مسروح ، ويقال نافع بن مسروح والصحيح نافع بن الحارث ابن كلدثة بن عمرو بن عَلاج بن سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قيس ، وهو ثَقِيف أبو بَكْرَة الثقفي . وأمه سُمَيَّة أم زياد .

تَدَلَّى هو وجماعة من العبيد من سُور الطائف ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان نزوله في بَكْرَة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بَكْرَة .
قال أبو نُعَيْم : وكان رجلا صالحا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بَرْزَة الأسدي .

قلت : وهو الذي صلى عليه بوصيته إليه ، ولم يشهد أبو بَكْرَة وقعة الجمل ، ولا أيام صفين ، وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين .
ومنهم واقد ، أو أبو واقد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا الهيثم بن حماد ، عن الحارث بن غسان ، عن رجل من قريش من أهل المدينة ، عن زاذان ، عن واقد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلتَ صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره ، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » .

ومنهم هُرْمُز أبو كَيْسَان ، ويقال هُرْمُز أو كَيْسَان ، وهو الذي يقال فيه طَهْمَان كما تقدم .

وقد قال ابن وهب : حدثنا علي بن عابس ، عن عطاء بن السائب ، عن فاطمة بنت علي ، أو أم كلثوم بنت علي قالت : سمعت مولى لنا يقال له هُرْمُز يكنى أبا كَيْسَان ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة ، وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة » .

وقد رواه الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، قال : دخلت على أم كلثوم فقالت : إن هرمز أو كيسان حدثنا أن رسول الله قال : « إنا لا نأكل الصدقة » .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو حفص الأبار ، عن ابن أبي زياد ، عن معاوية قال : شهد بدرا عشرون مملوكا ، منهم مملوك للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له هرمز ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إن الله قد أعفوك وإن مولى القوم من أنفسهم ؛ وإنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها » .

ومنه هشام مولى النبي صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن سعد : أنبأنا سليمان بن عبيد الله الرقي ، أنبأنا محمد بن أيوب الرقي ، عن سفیان ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن هشام مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتى لا تدفع يد لامس . قال : « طلقها » قال : إنها تعجبنى ، قال : « فتمتع بها » . قل ابن منده : وقد رواه جماعة عن سفیان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن مولى بنى هاشم عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمه . ورواه عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

ومنه يسار ، ويقال إنه الذى قتله المرتنيون وقد مثلوا به .

وقد ذكر الواقدي بسنده عن يعقوب بن عتبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه يوم قرقرة الكدر مع نعم بنى غطفان وسليم ، فوهبه الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منهم ، لأنه رآه يحسن الصلاة فأعتقه ، ثم قسم فى الناس النعم فأصاب كل إنسان منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتين .

ومنهم أبو الحمراء مولى النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه ، وهو الذى يقال إن اسمه هلال بن الحارث ، وقيل ابن مظفر ، وقيل هلال بن الحارث بن ظفر السلمي ، أصابه سبيل في الجاهلية .

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم : حدثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عبد الله بن موسى والفضل بن دكين ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود القاص ، عن أبي الحمراء ، قال : رابطة المدينة سبعة أشهر كيوم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي باب علي وفاطمة كل غداة فيقول : « الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً » .

قال أحمد بن حازم : وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين - واللفظ له - عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ، قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم برجل عنده طعام في وعاء فأدخل يده ، فقال : « غَشَّشْتَهُ ! مَنْ غَشَّشَنَا فليس منا » .

وقد رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي نعيم به . وليس عنده سواه . وأبو داود هذا هو نفع بن الحارث الأعشى أحد المتروكين الضعفاء . قال عباس الدوري عن ابن معين : أبو الحمراء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ، كان يكون بحمص ، وقد رأيت بها غلاماً من ولده . وقال غيره : كان منزله خارج باب حمص . وقال أبو الوازع عن سمرة : كان أبو الحمراء في الموالي .

ومنهم أبو سلمة راعى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال أبو سلام واسمه حريث . قال أبو القاسم البغوي : حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا عباد بن عبد الصمد ، حدثني أبو سلمة راعى النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وآمن بالبعث والحساب ؛ دخل الجنة » . قلنا : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأدخل إصبعيه في أذنيه ثم قال : أنا سمعت هذا منه غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث ، ولا أربع .

لم يورد له ابن عساكر سوى هذا الحديث . وقد روى له النسائي في اليوم والليلة آخر ، وأخرج له ابن ماجه ثالثا .

ومنهم أبو صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أحمد بن المقدم ، حدثنا معتمر ، حدثنا أبو كعب عن جده بَقِيَّة ، عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يوضع له نِطْع^(١) ويحيا بزنبيل فيه حصّى فيسبح به إلى نصف النهار ، ثم يُرفع فإذا صلى الأولى سبح حتى يمسي .

ومنهم أبو ضُمَيْرَة مولى النبي صلى الله عليه وسلم والد ضُمَيْرَة المتقدم ، وزوج أم ضُمَيْرَة . وقد تقدم في ترجمة ابنه طرف من ذكرهم وخبرهم في كتابهم

وقال محمد بن سعد في الطبقات : أنبأنا إسماعيل بن عبد الله بن أُوَيْس المدني ، حدثني حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرَة ، أن الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ضُمَيْرَة : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لأبي ضُمَيْرَة وأهل بيته ، إنهم كانوا أهل بيت من العرب ، وكانوا من أفاء الله على رسوله فأعتقهم ثم خيّر أبا ضُمَيْرَة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له ، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله فيكونه من أهل بيته ، فاختر الله ورسوله ودخل في الإسلام ، فلا يمرض لهم أحد إلا بخير ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً ، وكتب أبي بن كعب .

(١) النطع : بساط من الأديم ، وهو الجلد .

قال إسماعيل بن أبي أويس : فهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد خير .

وخرج قوم منهم في سفر ومعهم هذا الكتاب فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم فأخرجوا هذا الكتاب إليهم فأعلموهم بما فيه ، فقرءوه فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعرضوا لهم .

قال : ووفد حسين بن عبد الله بن أبي ضميرة إلى المهدي أمير المؤمنين وجاء معه بكتابهم هذا ، فأخذ المهدي فوضعه على بصره ، وأعطى حسيناً ثلاثمائة دينار .

ومنهم أبو عبيد مولا عليه الصلاة والسلام .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبان العطار ، حدثنا قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرأ فيها لحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولني ذراعها » فناولته فقال : « ناولني ذراعها » فناولته فقال « ناولني ذراعها » . فقلت : يابني الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : « والذي نفسى بيده لو سكت لأعطيني ذراعها مادعوتُ به » .

ورواه الترمذي في الشمائل عن بندار ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن أبان بن يزيد العطار به .

ومنهم أبو عسيب ، ومنهم من يقول أبو عسيم ، والصحيح الأول ، ومن الناس من فرق بينهما .

وقد تقدم أنه شهد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وحضر دفتنه ، وروى قصة المغيرة بن شعبه .

وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا مسلم بن عبيد أبو

نَضْرَةَ ، قال سمعت أبا عَيسِب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاني جبريل بالحي والطاعون ؛ فأمسكت الحي بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافر » .

وكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون .

وقال أبو عبد الله بن سَئْد : أنبأنا محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَفَانِي - حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حُشْرَج بن نُبَاتَةَ ، حدثني أبو نَضْرَةَ البصري ، عن أبي عَيسِب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعاني ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق يمشي حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فقال رسول الله لصاحب الحائط : « أطمعنا بُسْرًا » فجاء به فوضعه فأكل رسول الله وأكلوا جميعاً ثم دعا بماء فشرب منه ، ثم قال : « إن هذا النعيم ، لتسألن يوم القيامة عن هذا » فأخذ عمر العِذْق فضرب به الأرض حتى تفاتر البُسْر ، ثم قال : يا بني الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قل : « نعم إلا من ثلاثة ؛ خِرْقَةٌ يستر بها الرجل عورته . أو كِسْرَةٌ يسد بها جوعته ، أو حجر يدخل فيه - يعني من الحر والقر - » .

ورواه الإمام أحمد عن شُرَيْح ، عن حُشْرَج .

وروى محمد بن سعد في الطبقات عن موسى بن إسماعيل ، حدثنا مُسْلِمَةُ بنت أبان القرظية ، قالت : سمعت ميمونة بنت أبي عَيسِب قالت : كان أبو عَيسِب يواصل بين ثلاث في الصيام ، وكان يصلي الضحى قائماً فمَجْز ، وكان يصوم أيام البيض . قالت : وكان في سريره جُلْجُل فيمَجْز صوته حين يناديها به ، فإذا حرَّكه جاءت .

ومنه أبو كَبْشَةَ الأَنْصَارِي ، من أنصار مَذْحِج على المشهور ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

في اسمه أقوال أشهرها أن اسمه سَلِيم ، وقيل عمرو بن سعد ، وقيل عكسه . وأصله من مولدى أرض دوس ، وكان ممن شهد بدرأ .

قاله موسى بن عقبة عن الزهري . وذكره ابن إسحاق والبخارى والواقدي ومُصْعَب الزبيري وأبو بكر بن أبي خيثمة . زاد الواقدي : وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد .

وتوفي يوم استُخلف عمر بن الخطاب ، وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وقال خليفة بن خياط : وفي سنة ثلاث وعشرين توفي أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم عن أبي كبشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ في ذهابه إلى تبوك بالحِجْر جعل الناس يدخلون بيوتهم ، فنودي أن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يُدخلكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم؟ » فقال رجل : نَعَجِب منهم يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائن بعدكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن أَزْهَر ابن سعيد الخوارى ، سمعت أبا كبشة الأمارى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسول الله قد كان شيء؟ قال : « أجل ، مرت بى فلانة فوقع فى نفسى شهوة النساء فأتيت بعض أزواجى فأصبتها ، فكذلك فافعلوا ، فإنه من أمائل أعمالكم إتيانُ الحلال » .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبي كبشة

الأثمارى ، قال : قال رسول الله : « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر .

رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله وينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملتُ فيه مثل الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الأجر سواء » .

ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يَحْبِطُ^(١) فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهما فى الوزر سواء » .

وهكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه وعلى بن محمد ، كلاهما عن وكيع . ورواه ابن ماجه أيضا من وجه آخر من حديث منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن أبى كبشة ، عن أبيه . وسماه بعضهم عبد الله بن أبى كبشة .

وقال أحمد ، حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن أبى عامر الهوزنى ، عن أبى كبشة الأثمارى ، أنه آتاه فقال : أطرقنى من فرسك ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أطرق مسلما فعقب له الفرس كان كأجر سبعين حمل عليه فى سبيل الله عز وجل » .

وقد روى الترمذى عن محمد بن إسماعيل ، عن أبى نعيم ، عن عباد بن مسلم ، عن يونس بن حباب ، عن سعيد أبى البخترى الطائى ، حدثنى أبو كبشة أنه قال : ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ؛ ما نقص مال عبد صدقة وما ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . الحديث .

(١) يحبط : يسير فيه على غير هدى .

وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أحمد عن غُفْدَر ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد عنه .
وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن ثوبان ، عن أبيه ،
عن أبي كبشة الأنماري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم على هامته
وبين كتفيه .

وروى الترمذي حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا محمد بن خمران ، عن أبي سعيد
— وهو عبد الله بن بُسر — قال : سمعت أبا كبشة الأنماري يقول : كانت كاهنات
رسول الله صلى الله عليه وسلم بَطْعًا ^(١) .

* * *

ومنهم أبو مُؤَيَّبه مولاة عليه السلام ، كان من مولدَى مُزَيْنَة ، اشتراه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولا يعرف اسمه رضى الله عنه .
وقال أبو مُصْعَب الزَّيْرِي : شهد أبو مؤيَّبه المُرَبِّيع ، وهو الذي كان يقود لعائشة
رضى الله عنها بعيرها .

وقد تقدم مارواه الإمام أحمد بسنده عنه في ذهابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الليل إلى البقيع ، فوقف عليه السلام فدعا لهم واستغفر لهم ثم قال : « لِيَهْنِكُمْ مَا أَنْتُمْ
فيه مما فيه بعض الناس ، أتت الفتنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، الْآخِرَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ، فَلِيَهْنِكُمْ أَنْتُمْ فِيهِ » .

ثم رجع فقال : « يَا أَبَا مُؤَيَّبه إِنِّي خَيْرُ مِفَاتِيحَ مَا يَفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَالْجَنَّةِ
أَوْ لِقَاءِ رَبِّي ؛ فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي » قال : فما لبث بعد ذلك إلا سبعاء أو ثمانيا — حتى قبض .
فمؤلاء عبيده عليه السلام .

(١) الكاهنات : الفلانس . والبطح : اللازقة بالرأس غير الذاهبة في الهواء .

وأما إمامؤه عليه السلام

فمنهن أمة الله بنت رَزِينَةَ^(١) .

الصحيح أن الصُّحْبَةَ لأُمِّهَا رَزِينَةَ كَأَسِيَّاتِي ، وَلَكِنْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ : حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مَكْرَمٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ كَذَلِكَ بِنْتُ السُّكْمَيْتِ الْعَتَكِيَّةِ ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أُمِّهِ اللَّهِ خَادِمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَبَى صَفِيَّةَ يَوْمَ قَرْيَظَةَ وَالنَّضِيرِ فَأَعْتَقَهَا وَأَمَّهَا رَزِينَةُ أُمُّ أُمِّهِ اللَّهِ .
وهذا حديث غريب جداً .

[ومنهن أُمَيَّة . قال ابن الأثير وهي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(٢) .
روى حديثها أهل الشام . روى عنها جُبَيْرُ بْنُ نَفِيرٍ أَنَّهَا كَانَتْ تَوْضِيءُ رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : أَوْصِنِي ، فَقَالَ : « لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِعَتْ أَوْ حُرِّقَتْ بِالنَّارِ ، وَلَا تَدْعُ صَلَاةَ مُقْعَمَدًا ، فَمَنْ تَرَكَهَا مُقْعَمَدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَلَا تَشْرَبِنْ مُسْكِرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَلَا تَعْصِيَنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْتَلِيَ مِنْ أَهْلِكَ وَدُنْيَاكَ » .

ومنهن بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد بن حارثة .

وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حُصَيْنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ النُّعْمَانِ الْحَبَشِيِّ .

غلب عليها كُنْيَتُهَا أُمُّ أَيْمَنَ ، وَهُوَ ابْنُهَا مِنْ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ الْحَبَشِيِّ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَتُعْرَفُ بِأُمِّ الطَّبَّاءِ .

(١) رَزِينَةُ : بفتح أولها ، وقيل بالتصغير . الإصابة ٨ / ٨١

(٢) سقط من ح

وقد هاجرت المجرتين رضى الله عنها ، وهى حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وقد كانت ممن ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه . قاله الواقدي .

وقال غيره : بل ورثها من أمه . وقيل : بل كانت لأخت خديجة فوهبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنت قديما وهاجرت ، وتأخرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وتقدم ما ذكرناه من زيارة أبي بكر [وعمر] رضى الله عنهما إياها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها بكّت فقالا لها : أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكى لأن الوحي قد انقطع من السماء . فجعلتا يبكيان معها .

وقال البخارى فى التاريخ : وقال عبد الله بن يوسف ، عن ابن وهب ، عن بونس ابن يزيد ، عن الزهري ، قال : كانت أم أيمن تحضن النبي صلى الله عليه وسلم حتى كبر ، فأعتقها ثم زوجها زيد بن حارثة .

وتوفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر . وقيل ستة أشهر . وقيل : إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب .

وقد رواه مسلم عن أبي الطاهر وحزّمة ، كلاهما عن ابن وهب ، عن بونس ، عن الزهري ، قال : كانت أم أيمن الحبشية فذكره .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : توفيت أم أيمن فى أول خلافة عثمان بن عفان . قال الواقدي : وأنبأنا يحيى بن سعيد بن دينار ، عن شيخ من بنى سعد بن بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأم أيمن : « يا أمّه » وكان إذا نظر إليها قال : « هذه بقية أهل بيتي » .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : أخبرنى سليمان بن أبي شيخ ، قال : كان

النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أم أيمن أمي بعد أمي » .

وقال الواقدي ، عن أصحابه المدنيين قالوا : نظرت أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشرب فقالت : اسقني . فقالت عائشة : أتقولين هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقالت : ما خدمته أطول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقت » فجاء بالماء فسقاها .

وقال المفضل بن غسان : حدثنا وهب بن جريبر ، حدثنا أبي ، قال : سمعت عثمان ابن القاسم قال : لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء وهي صائمة ، فأصابها عطش شديد حتى جهدها . قال : فدلى عليها دلو من السماء برشاء أبيض فيه ماء قالت : فشربت فما أصابني عطش بعد ، وقد تعرضت العطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد !

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبي بكر الملقم ، حدثنا سالم بن قتيبة ، عن الحسين بن حريث ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن أم أيمن قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخارة يبول فيها ، فكان إذا أصبح يقول : « يا أم أيمن صبي مافي الفخارة » فقامت ليلة وأنا عطشى فشربت مافيها ، فقال رسول الله : « يا أم أيمن صبي مافي الفخارة » فقالت : يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت مافيها فقال : « إنك لن تشككي بطنك بعد يومك هذا أبداً » ^(١) .

قال ابن الأثير في الغابة : وروى حجاج بن محمد ، عن [ابن] جريج ، عن حكيمة بنت أميمة ، عن أمها أميمة بنت رقيقة قالت : كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه يضعه تحت السرير ، فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته ، فطلبه

(١) ننبه إلى أن أمثال هذه الروايات منافية في حقيقتها للمعروف من هدى الرسول وأمره ، ولا يلزم أحدا تصديقها ، ومن ثم فليس لها وزن علمي .

فلم يجده ، فقيل : شربته بركة . فقال : « لقد احتظرت من النار بحِطَار » .
قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير : وقيل إن التي شربت بوله عليه السلام إنما هي
بركة الحبشية التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة ، وفرق بينهما . فالله أعلم .
قلت : فأما بُريرة فإنها كانت لآل أبي أحمد بن جحش ، فكاتبوها فاشتريتها
عائشة منهم فأعتقتها ، فثبتَ ولاؤها لها كما ورد الحديث بذلك في الصحيحين ، ولم
يذكرها ابن عساكر .

ومنهن خَضْرَة . ذكرها ابن مَنده فقال : [روى معاوية عن هشام ، عن سفيان ،
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال ^(١)] : كان للنبي صلى الله عليه وسلم خادم
يقال لها خضرة .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثنا فائد مولى عبيد الله ، عن عبيد الله بن علي بن
أبي رافع ، عن جدته سلمى قالت : كان خَدَم رسول الله : أنا وخَضْرَة ورضوى وميمونة
بنت سعد ، أعتقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهن .
ومنهن خُلَيْسَة مولاة حفصة بنت عمر .

قال ابن الأثير في الغابة : روت حديثها عليكة بنت الكميث عن جدتها ، عن خليصة
مولاة حفصة ، في قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة ومزحهما معها بأن الدجال قد
خرج ، فاخترأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا ، وجاء رسول الله فقال :
« ماشأنكما ؟ » فأخبرتاه بما كان من أمر سودة ، فذهب إليها فقالت : يا رسول الله
أخرج الدجال ؟ فقال : « لا ، وكأن قد خرج » فخرجت وجعلت تنفض عنها
بيض العنكبوت .

وذكر ابن الأثير خليصة مولاة سلمان الفارسي وقال : لها ذكرٌ في إسلام سلمان
وإعتاقها إياه ، وتوحيضه عليه السلام لها بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة ، ذكرتها تمييزاً .

ومنهن خولة خادمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قال ابن الأثير .
وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشي ، عن أمه ، عن
أمها خولة وكانت خادمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديثا في تأخر الوحي بسبب
جرو كلب مات تحت سريره عليه السلام ولم يشعروا به ، فلما أخرجه جاء الوحي ، فنزل
قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجى » .
وهذا غريب ، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك . والله أعلم .

ومنهن رزينة ، قال ابن عساكر : والصحيح أنها كانت لصفية بنت حيي ، وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم .
قلت : وقد تقدم في ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه السلام أمهر صفية بنت حيي أمها
رزينة ، فملى هذا يكون أصلها له عليه السلام .
وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو سعيد الجشمي ، حدثنا عليكة بنت السكيت ،
فالت سمعت أمي أمينة قالت حدثتني أمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي صفية يوم قريظة والنضير حين فتح الله
عليه ، فجاء يقودها سبية ، فلما رأت النساء قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول
الله . فأرسلها وكان ذراعها في يده ، فأعتقها ثم خطبها وتزوجها وأمهرها رزينة .
هكذا وقع في هذا السياق ، وهو أجود مما سبق من زواية ابن أبي عاصم .
ولكن الحق أنه عليه السلام اصطفى صفية من غنائم خيبر ، وأنه أعتقها وجعل عتقها
صداقها وما وقع في هذه الرواية يوم قريظة والنضير تخييط فإنهما يومان بينهما سفتان .
والله أعلم .
وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا ابن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد

الصَّغَار ، حدثنا علي بن الحسن السكري ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا
عليكة بنت الكميت العنكية ، عن أمها أمينة ، قالت قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة
رسول الله : يا أمة الله أسمعت أمك تذكر أنها سمعت رسول الله يذكر صوم عاشوراء ؟
قالت : نعم كان يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاه ابنته فاطمة فيَتَقَلُّ في أفواههم ويقول
لأمهاتهم : « لا ترضعهم إلى الليل » .

له شاهد في الصحيح .

ومنهن رَضُوى ، قال ابن الأثير : روى سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن رضوى بنت
كعب ، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحائض تَخْضِبُ ، فقال
« ما بذلك بأس »

رواه أبو موسى المدني .

ومنهن ربحانة بنت شمعون القرظية ، وقيل النَّضْرِيَّة ، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه
رضي الله عنهن .

ومنهن زَرِينَةُ والصَّحِيحُ زَرِينَةُ كما تقدم .

ومنهن سائبة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روت عنه حديثا في الألفظة ، وعنها طارق بن عبد الرحمن ، روى حديثها أبو موسى
المديني هكذا ذكر ابن الأثير في الغابة .

ومنهن سَدِيسَةُ الأنصارية ، وقيل مولاة حفصة بنت عمر .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا

خَرَّ لوجهه » .

قال ابن الأثير : رواه عبد الرحمن بن الفضل بن الموقَّع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ،

عن الأوزاعي عن سالم ، عن سَدِيسَةَ ، ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل . فقال عن

سديدة ، عن حفصة عن النبي صلى عليه وسلم ، فذكره .

رواه أبو نعيم وابن مندة .

ومنهن سَلَامَة ، حاضنة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روت عنه حديثاً في فضل الحمل والطلاق والرضاع والسهل ، فيه غرابة ونسكاراة من

جهة إسفاده ومتنه .

رواه أبو نعيم وابن مندة ، من حديث هشام بن عمار بن نصير خطيب دمشق ، عن

أبيه عمرو بن سعيد الخولاني ، عن أنس عنها .

ذكرها ابن الأثير .

ومنهن سَلَمَى ، وهى أم رافع امرأة أبي رافع ، كما رواه الواقدي عنها أنها قالت :

كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخَضْرَة وَرَضْوَى وميمونة بنت سعد فأعتقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عبد الرحمن

ابن أبي الموالى ، عن فائد مولى ابن أبي رافع ، عن جدته سلمى خادمة النبي صلى الله عليه

وسلم قالت : ما سمعت قط أحداً يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجما في رأسه

إلا قال : « احتجم » وفي رجله إلا قال : « اخضبهما بالحناء » .

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن أبي الموالى ، والترمذى وابن ماجه من حديث

زيد بن الحباب ، كلاهما عن فائد عن مولاة عبيد الله بن على بن أبي رافع ، عن جدته

سلمى به .

وقال الترمذى : غريب إنما نعرفه من حديث فائد .

وقد روت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها واستقصاؤها .

قال مصعب الزبيري : وقد شهدت سلمى وقعة حنين .

قلت : وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبي صلى الله عليه وسلم الحرية فتمجبه .
وقد تأخرت إلى بعد موته عليه السلام ، وشهدت وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وقد كانت أولا لصفية بنت عبد المطلب عمته عليه السلام ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت قابلة أولاد فاطمة وهى التى قبلت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهدت غسل فاطمة وغسلتها مع زوجها على بن أبى طالب وأسماء بنت عميس امرأة الصديق .

وقد قال لإمام : أحمد حدثنا أبو النضر ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن على بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن سلمى ، قالت : اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذى قبضت فيه ، فكنت أمرضها .

فأصبحت يوما كمثل ما يأتينها فى شكواها ذلك . قالت : وخرج على لبعض حاجته فقالت : يا أمه اسكبي لى غسلا . فسكبت لها غسلا فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل ، ثم قالت : يا أمه أعطينى ثيابى الجدد . فلبستها ، ثم قالت : يا أمه قدئى لى فراشى وسط البيت ، ففعلت ، واضطجعت فاستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت : يا أمه إنى مقبوضة الآن ، وقد تطهرت فلا بكشفنى أحد . فقُبضت مكانها . قالت : فجاء على فأخبرته .

وهو غريب جداً .

ومنهن شيرين ، ويقال سيرين ، أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليه السلام ، وقدمنا أن المقوقس صاحب اسكندرية واسمه جريج بن مينا أهداها مع غلام اسمه مابور وبغلة يقال لها الدلدل فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبد الرحمن بن حسان .

ومنهن عنقودة أم مَلِيح الحبشية ، جارية عائشة ، كان اسمها عِبة فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقودة .

رواه أبو نعيم . ويقال اسمها غفيرة .

فروة ظَنِرَ النبي صلى الله عليه وسلم - يعنى مُرَضِعُهُ .

قالت قال لى رسول الله : « إذا أويت إلى فراشك فاقرئى : قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك » .

ذكرها أبو أحمد العسكري . قاله ابن الأثير فى الغابة .

فأما فِضَّةُ التَّوْبَةِ فقد ذكر ابن الأثير فى الغابة أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد بإسناد مُظْلَم عن محبوب بن مُحيد البصرى ، عن القاسم بن بهرام ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » .

ثم ذكر ما مضمونه : أن الحسن والحسين مرضا فعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادها عامةُ العرب ، فقالوا العلى : لو نذرت ؟ فقال على : إن برئائما بهما صُمتَ لله ثلاثة أيام . وقالت فاطمة كذلك ، وقالت فِضَّة كذلك .

فألبسهما الله العافية فصاموا ، وذهب على فاستقرض من شمعون الخيبرى ثلاثة أَصْعَ من شعير ، فهبأوا منه تلك الليلة صاعا ، فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء وقف على الباب سائل فقال : أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنة . فأمرهم على فأعطوه ذلك الطعام وطووا ، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال : أطعموا اليتيم . فأعطوه ذلك وطووا . فلما كانت الليلة الثالثة قال : أطعموا الأسير . فأعطوه وطووا ثلاثة أيام وثلاث ليال .

فأنزل الله فى حقهم : « هل أتى على الإنسان » إلى قوله « لا نريد منك جزاء ولا شكورا » .

وهذا الحديث مُنْكَرٌ ، ومن الأئمة من يجعله موضوعا ويسند ذلك إلى رِكَة ألفاظه ، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة . والله أعلم .

ليلى مولاة عائشة ، قالت : يا رسول الله إنك تخرج من الخلاء فأدخل في أثرك فلم أر شيئا ، إلا أنى أجدر ريح المسك ؟ فقال : « إنا معشر الأنبياء تَنَبَّت أجسادنا على أرواح أهل الجنة ، فما خرج منا من نتن ابتلعه الأرض » .

رواه أبو نُعَيْمٍ من حديث أبي عبد الله المدَنِي - وهو أحد المجاهيل - عنها .
 مارية القبطية أم إبراهيم ، تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين .

وقد فرَّق ابن الأثير بينها وبين مارية أم الرَّبَّاب ، قال : وهى جارية للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا .

حديثها عند أهل البصرة رواه عبد الله بن حبيب ، عن أم سلمى ، عن أمها عن جدتها مارية ، قالت : تطأطأتُ للنبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا لبلة فرَّ من المشركين .

ثم قال : ومارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم . روى أبو بكر عن ابن عباس ، عن المثني بن صالح ، عن جدته مارية - وكانت خادم النبي صلى الله عليه وسلم - أنها قالت : « امسستُ بيدي شيئا قط ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب : لا أدري أهى التى قَبَلَهَا أم لا .

ومنهن ميمونة بنت سعد ، قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر^(١) ، حدثنا عيسى - هو ابن يونس ، حدثنا ثور ، هو ابن يزيد ، عن زياد بن أبي سودة ، عن أخيه ، أن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله أفتتنا في بيت المقدس ؟ .

قال : « أرض المُنْشَرِّ والحَشَرِّ ، انثوه فصلوا فيه ، فإن صلاةً فيه كَألف صلاة »

(١) المطبوعة : على بن محمد بن محرز . وهو تحريف .

قالت : أرايتَ من لم يُطق أن يتحمّل إليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد إليه زيتا يُسرج فيه ، فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه » .

وهكذا رواه ابن ماجه ، عن إسماعيل بن عبد الله الرقي ، عن عيسى بن يونس ، عن ثور ، عن زياد ، عن أخيه عثمان بن أبي سودة ، عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه أبو داود ، عن الفضل بن مسكين بن بكير ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ثور ، عن زياد ، عن ميمونة لم يذكر أخاه ، والله أعلم .

وقال أحمد : حدثنا حسين وأبو نعيم قالا : حدثنا إسرائيل ، عن زيد بن جُبَيْر ، عن أبي يزيد الضبي ، عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ولد الزنا قال : « لا خير فيه ، نعلان أجاهد بهما في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أعتق ولد الزنا » .

وهكذا رواه النسائي عن عباس الدوري وابن ماجه ، من حديث أبي بكر بن أبي شعبة ، كلاهما عن أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو بكر بن أبي شعبة ، حدثنا الحاربي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن ميمونة - وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قالت : قال رسول الله : « الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كالظلمة يوم القيامة لانور لها » .

ورواه الترمذي من حديث موسى بن عبيدة وقال : لا نعرفه إلا من حديثه . وهو يضعفه في الحديث . وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه .

ومنهن ميمونة بنت أبي عُنَيْسَة أو عُنَيْسَة ، قاله أبو عمرو بن مَنْدَه .

قال أبو نعيم : وهو تصحيف ، والصواب ميمونة بنت أبي عَسِيب ، كذلك روى

حديثها المنجم بن مُصْعَب أبو عبد الله العبدي ، عن ربيعة بنت مرثد وكانت تنزل في بني قُرَيْع ، عن مُتَبِّه ، عن ميمونة بنت أبي عسيب ، وقيل بنت أبي عنبسة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من حُرَيْش أتت النبي صلى الله عليه وسلم فنادت : يا عائشة أغثيني بدعوة من رسول الله تسكّنيني بها وتطمئنيني بها ، وأنه قال لها : « ضعي يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه ، وقولي : بسم الله اللهم داويني بدوائك ، واشفني بشفائك ، وأغنني بفضلك عن سواك » .

قالت ربيعة : فدعوت به فوجدته جيداً .

ومنهن أم ضُمَيْرَة زوج أبي ضُمَيْرَة . وقد تقدم الكلام عليهم رضي الله عنهم .
ومنهن أم عِيَّاش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوجها عثمان بن عفان قال أبو القاسم البغوي : حدثنا عكرمة ، حدثنا عبد الواحد بن صفوان ، حدثني أبي صفوان ، عن أبيه ، عن جدته أم عِيَّاش - وكانت خادمة النبي صلى الله عليه وسلم - بعث بها مع ابنته إلى عثمان ، قالت : كنت أُمُغْث^(١) لعثمان التمر غدوة فيشربه عشيّة ، وأُنْبِذُه عشيّة فيشربه غدوة ، فسألني ذات يوم فقال : تخلطين فيه شيئاً ؟ فقلت : أجل . قال : فلا تعودى ، فهؤلاء إماءه رضي الله عنهم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثني ثُمَامَة بن حَزَن قال : سألت عائشة عن النّبِيذ فقالت : هذه خادمة رسول الله فسَلَّها ، لجارية حبشية ، فقالت : كنت أنبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سِقَاء عشاء فأوْكِيه ، فإذا أصبح شرب منه . ورواه مسلم والنسائي من حديث القاسم بن الفضل به .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عائشة ، والأليق ذكره في مسند جارية حبشية كانت تخدم النبي ، وهى إما أن تكون واحدة ممن قدمنا ذكرهن ، أو زائدة عليهن والله أعلم .

(١) الفث : الضرب الخفيف .

فصل

وأما خُدَّامه عليه السلام ورضى الله عنهم الذين خدموه من الصحابة

من غير مواليه فمنهم :

أنس بن مالك

أنس بن مالك بن النضر بن ضَمَضَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عاصم بن غَنَم
ابن عدى بن النجار الأنصارى النجارى ، أبو حمزة المدنى نزىل البصرة .

خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بالمدينة عشر سنين ، فما عاتبه على شىء
أبدا ، ولا قال لشىء فعله : لم فعلته ؟ ولا لشىء لم يفعله ، ألا فعلته .

وأمه أم سُلَيم بنت مِلْحَانَ بن خالد بن زيد بن حرام ، هى التى أعطته رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وأطّل عمره
وأدخله الجنة » .

قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أنتظر الثالثة ، والله إن مالى لكثير ، وإن ولدى
وولد ولدى ليعتادون على نحو من مائة .

وفى رواية : وإن كَرَّمى ليحمل فى السنة مرتين ، وإن ولدى لصُلَى مائة
وستة أولاد .

وقد اختلف فى شهوده بدرأ ، وقد روى الأنصارى عن أبيه ، عن ثُمَامَةَ قال قيل
لأنس : أشهدت بدرأ ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك !

والمشهور أن : لم يشهد بدرأ لصغره ، ولم يشهد أحداً أيضاً لذلك ، وشهد الحديبية وخيبر
وعمرة القضاء والفتح وحنينا والطائف وما بعد ذلك .

قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك - .

وقال ابن سيرين ، كان أحسن الناس صلاةً في سفره وحضره .

وكانت وفاته بالبصرة ، وهو آخر من كان قد بقي فيها من الصحابة ، فيما قاله علي بن المدبني ، وذلك في سنة تسعين ، وقيل إحدى وقيل : ثنتين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهو الأشهر ، وعليه الأكثر .

وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد ، أن أنساً عمر مائة سنة غير سنة .

وأقل ما قيل : ست وتسعون ، وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين ، وقيل ست ، وقيل مائة وثلاث سنين . فالله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي .

قال محمد بن سعد : كان اسمه ميمون بن سنباذ . قال الربيع بن بدر الأعرجي ، عن أبيه عن جده عن الأسلع قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحل معه ، فقال ذات ليلة : « يا أسلع قم فارحل » قال : أصابني جنابة يا رسول الله . قال : فسكت ساعة وأتاه جبريل بأية الصعيد ، [فقال : قم يا أسلع فتيّم] قال : فتمسّحتُ وصليت ، فلما انتهيت إلى الماء قال : « يا أسلع قم فاغتسل » قال : فأراني التيمم فضرب رسول الله يديه إلى الأرض ثم نفّضهما ، ثم مسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه الأرض ثم نفّضهما فمسح بهما ذراعيه ، باليمنى على اليسرى ، وباليسرى على اليمنى ، ظاهرهما وباطنهما .

قال الربيع : وأراني أبي ، كما أراه أبوه ، كما أراه الأسلع ، كما أراه رسول الله .

قال الربيع فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبي جميلة فقال : هكذا والله رأيت

الحسن يصنع .

رواه ابن مقفده والبقوى فى كتابيهما مُعْجَم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا،
قال البقوى : ولا أعلمه روى غيره .

قال ابن عساکر : وقد روى - يعنى هذا الحديث - الهيثم بن رزّيق المالکى المدّلىجى ،
عن أبيه ، عن الأسلع بن شريك .

ومنه رضى الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعد بن عبد الله بن عباد بن سعد بن
عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالک بن أقصى الأسلمى .
وكان من أهل الصُفّة ؛ قاله محمد بن سعد .

وهو أخو هند بن حارثة ، وكانا يخدمان النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الرحمن بن حَرَمَلَة عن
يحيى بن هند بن حارثة ، وكان هند من أصحاب الحديبية ، وكان أخوه الذى بعثه رسول
الله يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء ، وهو أسماء بن حارثة .

فحدثنى يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه
فقال : « مُرْ قَوْمَكَ بِصِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ » . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْتَهُمْ قَدْ طَعِمُوا ؟ قال :
« فليتموا آخرَ يومهم » .

وقد رواه أحمد بن خالد الذهبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ،
عن حبيب بن هندن أسماء الأسلمى ، عن أبيه هند قال : بعثنى رسول الله إلى قوم من
أسلم فقال : « مُرْ قَوْمَكَ فَلْيَصُومُوا هَذَا الْيَوْمِ ، وَمَنْ وَجَدَتْ مِنْهُمْ أَكَلَ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ
فليصم آخره » .

قال محمد بن سعد عن الواقدى : أنبأنا محمد بن نعيم بن عبد الله الحمّمر ، عن أبيه ،
قل : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنت أظن أن هنداً وأسماء ابنى حارثة إلا مملوكين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : كانا يخدمانه لا يبرحان بابه ، هما وأنس بن مالك .

قال محمد بن سعد : وقد توفي أسماء بن حارثة في سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة .

ومنهم بُكَيْر بن الشَّدَاخ اللَّيْثِي .

ذكر ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي ، عن عبد الملك بن يعلى الليثي ، أن بُكَيْر بن شَدَاخ اللَّيْثِي كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم . فاحتمل فأعلم بذلك رسول الله وقال : إني كنت أدخل على أهلك . وقد احتملت الآن يارسول الله ، فقال : « اللهم صدّق قوله ، ولقّه الظَّفر » .

فلما كان في زمان عمر قُتِل رجل من اليهود ، فقام عمر خطيباً فقال : أنشد الله رجلاً عنده من ذلك علم ؟ فقام بكير فقال : أنا قتلته يا أمير المؤمنين . فقال عمر : بُوتَ بدمه فأين المخرج ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن رجلاً من الغزاة استخلفني على أهله ، فجئت فإذا هذا اليهودي عند امرأته وهو يقول :

وأشعثَ غَرَّةَ الإسلامِ مني خلوتُ بِعِرْسِهِ ليلَ التَّمامِ
أَبَيْتُ على تَرَائِبِها وَيُمْنِي على جُرْدِ الأَعْنَةِ والحِزامِ ^(١)
كَأَنَّ جَماعَ الرِّبَلاتِ مِنها فِتْنامُ يَنْهَضونَ إلى فِتْنامِ ^(٢)

قال : فصدّق عمر قوله وطَّلَ دمَ اليهوديَ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لبُكَيْر بما تقدم .

* * *

(١) الترائب : عظام الصدر . والأعنة : جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . والجرد : الفقرة .
(٢) الربلات : جمع ربله وهي باطن الفخذ ، أو كل لجة غليظة . والفتام : الجماعة من الناس .

ومنهم رضى الله عنهم بلال بن رباح الحبشى .

ولد بمكة وكان مولى لأمية بن خلف ، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل ، لأن أمية كان يعذبه عذاباً شديداً ليرتد عن الإسلام فيأبى إلا الإسلام رضى الله عنه ، فلما اشتراه أبو بكر أعتقه ابتغاء وجه الله .

وهاجر حين هاجر الناس ، وشهد بدرًا وأحُدًا وما بعدها من المشاهد رضى الله عنه .

وكان يُعرف ببلال بن حمّامة وهى أمه .

وكان من أفصح الناس ، لا كما يعتقد بعض الناس أن سيفه كانت شيفاً ، حتى أن بعض الناس يروى حديثاً فى ذلك لا أصل له عن رسول الله أنه قال : إن سين بلال شين . وهو أحد المؤذنين الأربعة كما سيأتى ، وهو أول من أذن كما قدمنا . وكان بلى أمر النفقة على العيال ، ومعه حاصل ما يكون من المال .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خرج إلى الشام للفرز ، ويقال : إنه أقام يؤذن لأبى بكر أيام خلافته ، والأول أصح وأشهر .

قال الواقدى : مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة .

وقال الفلاس : قبره بدمشق ، ويقال بداريًا ^(١) ، وقيل إنه مات بحلب ، والصحيح أن الذى مات بحلب أخوه خالد .

قال مكحول : حدثنى من رأى بلالاً قال : كان شديد الأذمة نحيفاً أجناً ^(٢) له شعر كثير ، وكان لا يغيّر شيبه رضى الله عنه .

(١) داريا : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، المراد .

(٢) الأجناً : من أشرف كاهله على صدره .

ومنهم رضى الله عنهم حَبَّةٌ وَسَوَاءُ ابْنَا خَالِدٍ رضى الله عنهما .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، قال حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن سلام ابن سُرحبيل ، عن حَبَّةٍ وَسَوَاءٍ ابْنَا خَالِدٍ قَالَا : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصلح شيئاً فأعنَّاه ، فقال : « لَا تَيْئَسَا مِنَ الرِّزْقِ مَا تَهْزُهْزَتِ رُؤُسُكُمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ تَلْدُهُ أُمُّهُ أَحْمِرٌ لَيْسَ عَلَيْهِ قَشْرَةٌ ، ثُمَّ يَرْزُقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

ومنهم رضى الله عنهم ذُو مِخْمَرٍ ، ويقال ذُو مِخْبَرٍ ، وهو ابن أخى النجاشي ملك الحبشة ، ويقال ابن أخته . والصحيح الأول . كان بعثه ليخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نيابة عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا جرير ، عن يزيد بن صليح ، عن ذِي مِخْمَرٍ - وكان رجلاً من الحبشة يخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قال : كنا معه في سفر فأسرع السير حتى انصرف ، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد . فقال له قائل : يا رسول الله قد انقطع الناس ، قال : فحبس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هَلْ لَكُمْ أَنْ نَهْجَعَ هِجْعَةً ؟ » [أَوْ قَالَ لَهُ قَائِلٌ] ^(١) فَرُلْ وَنَزَلُوا ، فقالوا : مَنْ يَكْمَلُونَا اللَّيْلَةَ ؟ فقلت : أَنَا جَمَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ : فَأَعْطَانِي خِطَامَ نَاقَتِهِ فَقَالَ : « هَاكَ لَا تَسْكُونَنَّ لَكُمْ » .

قال : فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَخِطَامِ نَاقَتِي ، فَتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ نَحَلَّيْتُ سَبِيلَهُمَا تَرَعِيَانِ ، فَإِنِّي كَذَلِكَ أَنْظَرُ إِلَيْهِمَا إِذَا أَخَذَنِي النَّوْمُ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى وَجَدْتُ حَرَّ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِهِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ فَنَظَرْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا أَنَا بِالرَّاحَتَيْنِ مِنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخِطَامِ نَاقَتِي ، فَأَتَيْتُ أَدْنَى الْقَوْمِ فَأَيْقَظْتُهُ فَقُلْتُ : أَصَلَّيْتَ ؟ قَالَ : لَا .

فَأَيْقَظُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :

« يا بلال هل في الميضة ماء » يعنى الإداوة ، فقال : نعم جعلنى الله فداك ، فأتاه بوضوء لم يلبث ^(١) منه التراب ، فأمر بلالا فأذن ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل ، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل ، فقال له قائل : يا رسول الله أفرطنا ؟ قال : « لا ، قبض الله أرواحنا وردها إلينا ، وقد صلينا » .

ومنهم رضى الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمى أبو فراس . قال الأوزاعى : حدثنى يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن ربيعة بن كعب ، قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته بوضوءه وحاجته ، فكان يقوم من الليل فيقول : « سبحان ربي وبحمده » الهوى ^(٢) « سبحان رب العالمين » . الهوى . فقال رسول الله : « هل لك حاجة ؟ » قلت : يا رسول الله مرافقتك فى الجنة ، قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عمرو بن عطاء ، عن نعيم بن محمد ، عن ربيعة بن كعب قال : كنت أخدم رسول الله نهارى أجمع ، حتى يصلى عشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول : لعلمها أن نتحدث لرسول الله حاجة . فما أزال أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سبحان الله وبحمده » حتى أمّل فأرجع ، أو تغلبنى عيناي فأرقد .

فقال لى يوما - لما يرى من حقى له وخدمتى إياه - : « يا ربيعة بن كعب سئفى أعطك » قال : فقلت : أنظر فى أمرى يا رسول الله ثم أعلمك ذلك .

قال : ففكرت فى نفسى فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لى فيها رزقا

سيكفني ويأتينني ، قال : فقلت : أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله بالمنزل الذي هو به .

قال : فخبته فقال : « ما فعلت ياربعة ؟ » قال : فقلت : نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار . قال : فقال : « من أمرك بهذا يا ربعة ؟ » قال فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكفك لما قلت : سلمني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به ، نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لي فيها رزقا سيأتيني ، فقلت : أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي .

قال : فصمت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال لي : « إني فاعل ، فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، أنبأنا يزيد بن هارون ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن ربعة الأسدي - وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم - قال فقال لي ذات يوم : « ياربعة ألا تزوج ؟ » قال قلت : يا رسول الله ما أحب أن يشفاني عن خدمتك شيء وما عندي ما أعطى المرأة .

قال : فقلت بعد ذلك : رسول الله ﷺ أعلم بما عندي مني يدعوني إلى التزويج ، لئن دعاني هذه المرة لأجيبنه . قال : فقال لي : « ياربعة ألا تزوج ؟ » فقلت : يا رسول الله ومن يزوجني ، ما عندي ما أعطى المرأة . فقال لي : انطلق إلى بني فلان فقل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فئاتكم فلانة .

قال : فأتيتهم فقلت : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم لتزوجوني فئاتكم فلانة . قالوا : فلانة ؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً برسول الله ﷺ ومرحباً برسوله . فزوّجوني .

فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أتيتك من خير أهل بيت صدّقوني وزوجوني فن أين لي ما أعطى صداقي ؟ فقال رسول الله ﷺ لبريدة الأسدي : « اجمعوا الربعة في صداقه

فى وزن نواة من ذهب . فجمعوها فأعطونى فأتيتمهم فقبلوها ، فأتييت رسول الله فقلت : يا رسول الله قد قبلوا ، فمن أين لى ما أؤلم ؟ قال : فقال رسول الله لبريدة : « اجمعوا الربيعة فى ثمن كبش » قال : فجمعوا وقال لى : « انطلق إلى عائشة فقل لها فلتدفع إليك ما عندها من الشعير » قال : فأتيتهما فدفعت إلى ، فانطلقت بالكبش والشعير فقالوا : أما الشعير فنحن نكفيك ، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه . وعملوا الشعير ، فأصبح والله عندنا خبز ولحم .

ثم إن رسول الله أقطع أبا بكر أرضا له فاختلفنا فى عذق ، فقلت : هو فى أرضى . وقال أبو بكر : هو فى أرضى . فتنازعنا فقال لى أبو بكر كلمة كرهتها ، فندم فأحضرنى فقال لى : قل لى كما قلت . قال : فقلت : لا والله لا أقول لك كما قلت لى . قال : إذا آتى رسول الله .

قال : فأنى رسول الله وتبعته ، فجاءنى قومى يتبعوننى فقالوا : هو الذى قال لك وهو يأتى رسول الله فيشكو ! قال : فالتفت إليهم فقلت : تدرون من هذا ؟ هذا الصديق وذو شئبة المسلمين ، ارجعوا لا يلتفت فىراكم فيظن أنكم إنما جئتم لتعينونى عليه فيغضب فيأتى رسول الله فيخبره فيهلك ربيعة !

قل : فأنى رسول الله فقال : إنى قلت لربيعة كلمة كرهتها ، فقلت له يقول لى مثل ما قلت له فأبى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ربيعة ومالك وللصديق ؟ » قال : فقلت : يا رسول الله والله لا أقول له كما قال لى . فقال رسول الله : « لا تقل له كما قال لك ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر » .

ومنهم رضى الله عنهم سعد مولى أبى بكر رضى الله عنه ، ويقال مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد مولى أبي بكر الصديق ، أن رسول الله قال لأبي بكر - وكان سعد مملوكاً لأبي بكر ، وكان رسول الله يعجبه خدمته - : « أعتق سعداً » فقال : يا رسول الله مالنا خادم هاهنا غيره ، فيقال : « أعتق سعداً أتتكَ الرجالُ أتتكَ الرجال » .

وهكذا رواه أحمد عن أبي داود الطيالسي .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد قال : قرَّبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرًا ، فجعلوا يقرِّنون ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرآن^(١) .

ورواه ابن ماجه عن بNDAR عن أبي داود به .

ومنههم رضى الله عنهم عبدالله بن رواحة . دخل يوم عمرة القضاء مكة وهو يقود بناتة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي السَّكْفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
* وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ *

كما قدمنا ذلك بطوله .

وقد قتل عبدالله بن رواحة بعد هذا بأشهر في يوم مؤتة كما تقدم أيضا .

ومنههم رضى الله عنهم عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمِخْ أبو عبد

الرحمن الهذلي .

أحد أئمة الصحابة ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها ، كان بلي حبل نعل

النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلى طُهوره ، ويرحّل دابته إذا أراد الركوب .

وكانت له اليد الطولى في تفسير كلام الله ، وله العلم الجم والفضل والحلم ، وفي الحديث

(١) القرآن في التمر : الجمع بين تمرتين في الأكل .

أن رسول الله قال لأصحابه - وقد جعلوا يعجبون من دقة ساقيه - فقال: « والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد » .

وقال عمر بن الخطاب فى ابن مسعود : هو كغيف ملى علما . وذكروا أنه [كان] نحيف الخلق حسن الخلق ، يقال إنه كان إذا مشى يسأمت الجلوس ، وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى هديه ودلّه وسنمته .

يعنى أنه يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حركاته وسكناته وكلامه ويتشبه بما استطاع من عبادته .

توفى رضى الله عنه فى أيام عثمان سنة اثنتين - أو ثلاث - وثلاثين بالمدينة ، عن ثلاث وستين سنة ، وقيل إنه توفى بالكوفة والأول أصح .
ومنهم رضى الله عنهم عقبه بن عامر الجهنى .

قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبى عبد الرحمن ، عن عقبه بن عامر ، قال : بينما أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَقَب ^(١) من تلك النُقَاب ، إذ قال لى : « يا عقبه ألا تركب ؟ » قال : فأشفقت أن تكون معصية . قال : فنزل رسول الله وركبت هنيئة ، ثم ركب ثم قال : « يا عقبه ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأنى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس .

ثم أقيت الصلاة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما . ثم مرّ بى فقال : « اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

وهكذا رواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، عن ابن جابر ، ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء

(١) النقب : الطريق فى الجبل .

ابن الحارث ، عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة به .
ومنهم رضى الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى .
روى البخارى عن أنس قال : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبي صلى الله عليه
وسلم بمنزلة صاحب الشرط من الأمير .
وقد كان قيس هذا رضى الله عنه من أطول الرجال ، وكان كَوْسَجًا ^(١) ويقال
إن سراويله كان يضمه على أنفه من يكون من أطول الرجال فتصل رجلاه الأرض .
وقد بعث سراويله معاوية إلى ملك الروم يقول له : هل عندكم رجل تجيء هذه
السراويل على طوله ؟ فمَجَّبَ صاحب الروم من ذلك .
وذكروا أنه كان كريماً مُدَّحَا ذا رأى ودَّهَاء ، وكان مع على بن أبى طالب
أيام صفين .
وقال مسعر عن مَعْبَد بن خالد : كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً إصبعه المسبَّحة
يدعو رضى الله عنه وأرضاه .

وقال الواقدى وخليفة بن خياط وغيرهما : توفى بالمدينة فى آخر أيام معاوية .
وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السَّجِسْتَانِي ، حدثنا على بن
يزيد الحنفى ، حدثنا سعيد بن الصَّلْت ، عن الأعشى ، عن أبى سفيان ، عن أنس قال : كان
عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوائجه ، فإذا أراد
أمراً بعثهم فيه .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبه الثقفى رضى الله عنه . كان بمنزلة السَّاحِدَار ^(٢)
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان رافعاً السيف فى يده وهو واقف على

(٢) السَّاحِدَار : صاحب السلاح . أجمية .

(١) الكَوْسَج : الناقص الأسنان .

رأس النبي صلى الله عليه وسلم في الخيمة يوم الحديبية ، فجعل كلما هوى عنه عروة بن مسعود الثقفي حين قدم في الرّسيلة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم - على ماجرت به عادة العرب في مخاطباتها - يقرع يده بقائمة السيف ويقول : آخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . الحديث كما قدمنا .

قال محمد بن سعد وغيره : شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولاه مع أبي سفيان الإمرة حين ذهباً فخرّباً طاغوت أهل الطائف ، وهي المدعوة بالرّبة ، وهي اللات .

وكان داهية من دُهاة العرب . قال الشعبي : سمعته يقول : ما غلبني أحد قط . وقال الشعبي : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها .

وقال الشعبي : القضاء أربعة : أبو بكر وعمر وابن مسعود وأبو موسى ، والداة أربعة : معاوية وعمر بن العاص والمغيرة وزيد .

وقال الزُّهري : الدُّهاة خمسة ؛ معاوية وعمر والمغيرة ، واثنان مع عليّ وهما قيس ابن سعد بن عبادّة وعبد الله بن بديل^(١) بن ورقاء .

وقال الإمام مالك : كان للمغيرة بن شعبة رجلاً نكاحاً للنساء ، وكان يقول : صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها ، وإن مرضت مرض معها ، وصاحب الثّنتين بين نارين يشتعلان .

قال : فكان ينسكح أربعاً ويطلقهن جميعاً ! وقال غيره : تزوج ثمانين امرأة ، وقيل ثلاثمائة امرأة ، وقيل : أحصن ألف امرأة . وقد اختلف في وفاته على أقوال أشهرها وأصحها وهو الذي حكى عليه الخطيب البغدادي الإجماع : أنه توفي سنة خمسين .

(١) : ١ . وبديل بن ورقاء .

ومنها رضى الله عنهم المقداد بن الأسود أبو معبد الكندي ، حليف بني زهرة .
قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن
ابن أبي لبلى ، عن المقداد بن الأسود قال : قدمت المدينة أنا وصاحبان ، فتمررنا للناس
فلم يصفنا أحد ، فأتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ، فذهب بنا إلى منزله
وعنده أربعة أعنز ، فقال : « احلبهن يامقداد ، وجزهن أربعة أجزاء ، وأعط كل
إنسان جزءاً » ففعلت ذلك .

فرفعت للنبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فاحتبس ، واضطجعت على فراشي
فقال لي نفسى : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى أهل بيت من الأنصار ، فلو قت
فشربت هذه الشربة . فلم تزل بي حتى قت فشربت جزءاً ، فلما دخل في بطني وتغار
أخذني ما قدم وما حدث ، فقلت : يحنى الآن النبي صلى الله عليه وسلم جائعاً ظمأنا فلا
يرى في القدر شيئاً ، فسجيت ثوباً على وجهي .

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم تسليمةً تسمع اليعقظان ولا توقظ الناس ، فكشف
عنه فلم ير شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : « اللهم اسق من سقاني ، وأطعم
من أطعني » .

فاغتيمت دعوته وقت فأخذت الشفرة فدنوت إلى الأعنز فجعلت أجسمهن أيتن
أئمن لأذبحها ، فوقعت يدي على ضرع إحداهن فإذا هي حافل ، ونظرت إلى الأخرى
فإذا هي حافل ، فنظرت فإذا هن كلهن حقل ، فحلبت في إناء فأتيته به فقلت : اشرب .
فقال : « ما الخبر يامقداد ؟ » فقلت : اشرب ثم الخبر . فقال : « بعض سواتك يامقداد »
فشرب ثم قال : « اشرب » فقلت : اشرب يا نبي الله ، فشرب حتى تضلع ثم أخذته
فشربته ، ثم أخبرته الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هيه » فقلت : كان كذا
وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذه بركة من السماء أفلا أخبرتنى

حتى أسقى صاحبك ؟ » فقلت : إذا شربتُ البركة أنا وأنت فلا أبالي من أخطأت .

وقد رَوَاهُ الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المقداد . فذكر ماتقدم ، وفيه أنه حلب في الإناء الذي كانوا لا يطمعون أن يملأوا فيه ، فخاب حتى علته الرغوة . ولما جاء به قال له رسول الله : « أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد ؟ » فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولني فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ثم ناولني فأخذت ما بقى ثم شربت .

فلما عرفت أن رسول الله قد رَوَى فأصابته دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض ، فقال رسول الله : « إحدى سَوَاتِك يا مقداد ! » .

فقلت : يا رسول الله كان من أمرى كذا ، صنعت كذا . فقال : « ما كانت هذه إلا رحمة الله ، ألا كُنت آذنتنى توقظ صاحبك هذين فيصيبان منها » قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس .

وقد رَوَاهُ مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به .

ومنه رضى الله عنهم مهاجر مولى أم سلمة .

قال الطبرانى : حدثنا أبو الزُّنْبَاع رَوْح بن الفرج ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُسْكَير ، حدثني إبراهيم بن عبد الله ، سمعت بكيرا يقول : سمعت مهاجراً مولى أم سلمة قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين فلم يقل لى لشيء صنعتُه لم صنعتَه ، ولا لشيء تركته لم تركته .

وفى رواية : خدمته عشر سنين أو خمس سنة .

ومنه رضى الله عنهم أبو السَّمْح . قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفى : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا يحيى بن الوليد ، حدثني مُحَلَّ ابن خليفة ، حدثني أبو السَّمْح ، قال : كُنت أخدم رسول الله . قال كان إذا أراد أن

يُغْتَسَلُ قَالَ : نَاولني إِداوتِي ، قَالَ : فَأَناولُه وأَسْتُرُه ، فَأَتَى بِحَسَنٍ أَوْ حُسَيْنٍ فَبَالَ عَلَى صَدْرِهِ ، فَجِئْتُ لِأَغْسِلَهُ فَقَالَ : « يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ ، وَيُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الْغَلَامِ » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن مجاهد بن موسى .
ومنهم رضى الله عنهم أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضى الله عنه
تولَّى خدمته بنفسه في سَفَرَةِ الهَجْرَةِ ، لاسيما في الغار وبعد خروجهم منه حتى وصلوا إلى المدينة . كما تقدم ذلك مبسوطا والله الحمد والمنة .

فصل

وأما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه

ورضى عنهم أجمعين

فمنهم الخلفاء الأربعة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم
ومنهم رضى الله عنهم أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي الأموي .

أسلم بعد أخويه خالد وعمرو ، وكان إسلامه بعد الحديبية ، لأنه هو الذى أجار عثمان
حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة يوم الحديبية ، وقيل خير ، لأن له
ذِكْرٌ فى الصحيح من حديث أبي هريرة فى قصة غنائم خيبر .

وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو فى تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له الراهب : ما اسمه ؟ قال : محمد . قال : فأنا أنعمته لك ، فوصفه
بصفته سواء وقال : إذا رجعت إلى أهلك فأقرئه السلام .

فأسلم بعد مرجعه وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذى قتله عبد الملك
ابن مروان .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبي بن كعب ، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت ، وكتب له عثمان وخالد
ابن سعيد وأبان بن سعيد .

هكذا قال . يعنى بالمدينة ، وإلا فالشور المسكية لم يكن أبي بن كعب حال نزولها ،
وقد كتبها الصحابة بمكة رضى الله عنهم .

وقد اختلف في وفاة أبان بن سعيد هذا ، فقال موسى بن عقبة ومُصعب بن الزبير والزبير ابن بَكَّار وأكثر أهل النَّسَب : قُتِلَ يوم أَجْنَادِينَ ، يعني في جمادى الأولى سنة ثفتي عشرة .

قال آخرون : قتل يوم مَرَج الصُّفَر سنة أربع عشرة .

وقال محمد بن إسحاق : قُتِلَ هو وأخوه عمرو يوم اليرموك ، خمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة . وقيل إنه تأخر إلى أيام عثمان ، وإنه أمره عثمان أن يملئ المصحف الإمامَ على زيد بن ثابت ، ثم توفي سنة تسع وعشرين فالله أعلم .
ومنهام أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري . أبو المنذر ، ويقال أبو الطَّفِيل . سيد القراء شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها . وكان رُبْعاً نحيفاً أبيض الرأس واللحية لا يغيرُ شيبه .

قال أنس : جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أبي بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، ورجل من الأنصار يقال له أبو يزيد .
أخرجاه .

وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » .

قال : وسأني لك يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قال فذرفت عيناه .
ومعنى أن أقرأ عليك القرآن قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلم منه ، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم ، وإنما نهبنا على هذا لثلاث يُعتقد خلافه .

وقد ذكرنا في موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة » .

وذلك أن أبي بن كعب كان قد أنكر على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أبي ، فرفعه أبي إلى رسول الله فقال : « اقرأ يا أبي » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » ثم قال لذلك الرجل « اقرأ » فقرأ فقال : « هكذا أنزلت » .

قال أبي : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية ، قال : ف ضرب رسول الله في صدري ففُضْتُ عرقا وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فبعد ذلك تلا عليه رسول الله هذه السورة كالتثنية له والبيان له أن هذا القرآن حق وصدق ، وإنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفًا بالعباد .

وقال ابن أبي خيثمة : هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف في وفاته ، فقيل : في سنة تسع عشرة . وقيل سنة عشرين ، وقيل ثلاث وعشرون وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة . فالله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم أَرْقَمُ بن أبي الأرقم ، واسمه عبد مناف بن أسد بن جُذَـبِ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم الخزومي .

أسلم قديما وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْفِيَا في داره عند الصفا وتُعرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران . وهاجر وشهد بدرأ وما بعدها .

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن أنيس .

وهو الذى كتب إقطاع عظيم بن الحارث النخاري بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح وغيره ، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عتيق بن يعقوب الزبيرى ، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده عمرو ابن حزم .

وقد توفي في سنة ثلاث وقيل خمس وخمسين ، وله خمس وثمانون سنة .
وقد روى الإمام أحمد له حديثين ؛ الأول قال أحمد والحسن بن عرفة - واللفظ لأحمد - : حدثنا عباد بن عباد المهلبى ، عن هشام بن زياد ، عن عمار بن سعد ، عن عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم ، عن أبيه - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله قال : « إن الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه ^(١) فى النار » .

والثانى قال أحمد : حدثنا عصام بن خالد ، حدثنا العطار بن خالد ، حدثنا يحيى بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم ، عن جده الأرقم ، أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أين تريد ؟ » قال أردت يا رسول الله هاهنا ، وأوماً بيده إلى حيز بيت المقدس ، قال : « ما يخرجك إليه أتجارة ؟ » قال : لا ولكن أردت الصلاة فيه . قال : « الصلاة هاهنا - وأوماً بيده إلى مكة - خير من ألف صلاة » وأوماً بيده إلى الشام .

تفرد بهما أحمد .

ومنهم رضى الله عنهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو محمد المدنى ، خطيب الأنصار ، ويقال له خطيب النبي صلى الله عليه وسلم .
قال محمد بن سعد : أنبأنا على بن محمد المدائنى بأسانيده عن شيوخه فى وفود العرب على رسول الله ، قالوا : قدم عبد الله بن عباس التملى ومسلمة بن هزّان الحذّانى على رسول الله فى رهط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة فى أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم .

وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة. وروى الترمذى في جامعه بإسناد على شرط مسلم ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : « نِعَمَ الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر . نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح ، نعم الرجل أسيد بن حُصَيْر ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، نعم الرجل معاذ بن عمرو ابن الجموح » .

وقد قتل رضى الله عنه شهيداً يوم البِعامَة سنة اثنتى عشرة فى أيام أبى بكر الصديق .

ومنه رضى الله عنهم حفظة بن الربيع بن صَيْفَى بن رباح بن الحارث بن مُخَاشِن ابن معاوية بن شريف بن جَرَوَة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى الأسيدى الكاتب ، وأخوه رباح صحابى أيضاً ، وعمه أَكْثَم بن صَيْفَى كان حَكِيم العرب .

قال الواقدى : كتب للنبي صلى الله عليه وسلم كتابا . وقال غيره : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف فى الصلح ، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها ، وقد أدرك أيام على وتحلف عن القتال معه فى الجمل وغيره ، ثم انتقل عن الكوفة لما شتم بها عثمان ، ومات بعد أيام على .

وقد ذكر ابن الأثير فى الغابة ، أن امرأته لما ماتت جزعت عليه فلامها جاراتها فى ذلك فقالت :

تَعَجَّبْتُ دَعْدَ الْحَزُونَةِ	تَبَكَّى عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاخِ
إِنْ نَسَأَلْنِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي	أَخْبَرَكُ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَاذِبِ
إِنْ سَوَّادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ	حُزْنٌ عَلَى حَفْظَةِ الْكَاتِبِ

قال أحمد بن عبد الله بن الرُّقَى : كان معتزلاً للفتنة حتى مات بعد علي ، جاء عنه حديثان .

قلت : بل ثلاثة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان ، قالا : حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن حفظة السَّكَّاتِبِ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس بركوهم وسجودهم ووضوئهم ومواقيتهم ، وعلم أنهم حق من عند الله دخل الجنة » أو قال : « وجبت له الجنة » .

تفرد به أحمد ، وهو منقطع بين قتادة وحفظة . والله أعلم .

والحديث الثاني : رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي ، عن حفظة : « لو تدومون كما تكونون عندي لصافحتكم للملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم ، ولكن ساعة وساعة » .

وقد رواه أحمد والترمذى أيضاً من حديث عمران بن داود القَطَّان ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن حفظة .

والثالث : رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، من حديث سفيان الثوري ، عن أبي الزِّنَاد ، عن المَرْقَعِ بن صَيْفِي بن حفظة ، عن جده في النَّهْيِ عن قتل النساء في الحرب . لكن رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني عن أبي الزِّنَاد عن مَرْقَعِ بن صَيْفِي بن رَبَاح بن ربيع ، عن جده رباح بن ربيع أخى حفظة السَّكَّاتِبِ فذكره .

وكذلك رواه أحمد أيضاً ، عن حسين بن محمد وإبراهيم بن أبي العباس ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه . وعن سعيد بن منصور وأبي عامر العقدي ، كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزِّنَاد ، عن مَرْقَعِ عن جده رباح . ومن طريق

المغيرة رواه النسائي وابن ماجه كذلك . وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر بن مرقع عن أبيه ، عن جده رباح فذكره .

فالحديث عن رباح لا عن حفظة ، ولذا قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان ^(١) سفيان الثوري يخطئ في هذا الحديث .

قلت : وصح قول ابن الرقي أنه لم يرو سوى حديثين . والله أعلم .

* * *

ومنه رضى الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد الأموى .

أسلم قديما ، يقال بعد الصديق بثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما قيل خمسة .

وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى في النوم كأنه واقف على شفير جهنم فذكر من سعتها ما الله به عليم .

قال : وكان أباه يدفعه فيها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده لينفعه من الوقوع ، فقص هذه الرؤيا على أبى بكر الصديق فقال له : لقد أريد بك خير ، هذا رسول الله فاتبعه تنج مما خففته . فجاء رسول الله فأسلم .

فلما بلغ أباه إسلامه غضب عليه وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه وأخرجه من منزله ومنعه القوت ، ونهى بقية إخوته أن يكلموه ، فلزم خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، ثم أسلم أخوه عمرو .

فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجر معهم ، ثم كان هو الذى ولى العقد في تزويج أم حبيبة من رسول الله كما قدمنا ، ثم هاجرا من أرض الحبشة صحبة جعفر ، فقدموا على رسول الله بخير وقد افتتحها ، فأسلم لهما عن مشورة المسلمين ، وجاء أخوه أبان بن

سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا ، ثم كان رسول الله يوليهم الأعمال .

فلما كانت خلافة الصديق خرجوا إلى الشام للغزو فقتل خالد بأخفادين ، ويقال بمرج الصفر والله أعلم .

قال عتيق بن يعقوب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن جده عن عمرو ابن حزم ؛ يعنى أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله راشد بن عبد رب السلمي ، أعطاه غلوتين وغلوة بحجر برهاط ^(١) ، فمن خافه فلا حق له وحقه حق . وكتب خالد بن سعيد .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني جعفر بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال : أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة ، وكان يكتب لرسول الله ، وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف وسعى في الصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم رضى الله عنهم خالد بن الوليد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [أبو سليمان] ^(٢) المخزومي .

وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية ، والعساكر الحمدية ، والمواقف المشهودة ، والأيام المحمودة . ذو الرأي السديد ، والبأس الشديد ، والطريق الحميد . أبو سليمان خالد بن الوليد .

ويقال إنه لم يكن في جيش فكسير لا في جاهلية ولا إسلام .

(١) الغلوة : قدر ما يبلغ السهم . ورهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، أو قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران . المراد .
(٢) ليست في أ .

قال الزبير بن بَكَّار : كانت إليه في قریش القُبَّة وأَعِنَّة الخيل .

أَسْلَمَ هو وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بعد الحديبية وقبل خيبر ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيما يبعثه أميراً ، ثم كان المقدم على العساكر كلها في أيام الصديق .

فما ولي عمر بن الخطاب عَزَلَهُ ووَلَّى أبا عبيدة أمين الأمة على ألا يخرج عن رأى أبي سليمان .

ثم مات خالد في أيام عمر ، وذلك في سنة إحدى وعشرين . وقيل اثنتين وعشرين .
— والأول أصح — بقرية على ميل من حمص . قال الوافدي : سألت عنها فقيل لي دُثِرَتْ .
وقال دُحَيْم : مات بالمدينة . والأول أصح .
وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

قال عَتِيق بن يعقوب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم ، أن هذه قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن صَيْدُوْح ^(١) وصَيْدُهُ لَا يُعْضَدُ ضَيْدُهُ وَلَا يُقْتَلُ ، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يُجْلَدُ وَيُنَزَّعُ ثِيَابُهُ ، وإن تعدى ذلك أحد فإنه يُؤْخَذُ فَيَمْلَغُ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا من محمد النبي . وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد .

ومنهم رضى الله عنهم الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العزى بن قُصَي ، أبو عبد الله الأسدي .

أحد العشرة ، وأحد السبعة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض

(١) صيدوح : قرية بشرق المدينة من شراب الخرة . والشراج : مجارى المياه من الخرار . المرصد .

[وحواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وزوج أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه^(١)].

روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم ، أن الزبير بن العوام هو الذى كتب لبنى معاوية بن جرّول الكتاب الذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه لهم رواه ابن عساكر بإسناده عن عتيق به .

أسلم زبير قديماً رضى الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال ابن ثمانى سنين ، وهاجر المهجرتين وشهد المشاهد كلها ، وهو أول من سلّ سيفاً فى سبيل الله .

وقد شهد اليرموك وكان أفضل من شهدها ، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ، ويخرج من الجانب الآخر سالماً ، لكن جرح فى قفاه بضربتين رضى الله عنه .

وقد جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق أبويه^(٢) وقال : « إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير » .

وله فضائل ومناقب كثيرة وكانت وفاته يوم الجمل ، وذلك أنه كرّ راجعاً عن القتال ، فالحقه عمرو بن جُرْموز وفضالة بن حابس ورجل ثالث يقال له النعر التميميون ، بمكان يقال له وادى السباع ، فبدّر إليه عمرو بن جُرْموز وهو نائم فقتله ، وذلك فى يوم الخميس لعشر خلوف من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة .

وقد خلف رضى الله عنه بعده تركّة عظيمة ، فأوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفى ألف ومائتى ألف دينار ، فلما قضى دينه وأخرج ثلث ماله قسّم الباقى على ورثته ، فقال كل امرأة من نسائه — وكن أربعاً — ألف ألف ومائتا ألف ، فجمع ما ذكرناه مما

(٢) فى قوله : أرم فذاك أبى وأمى .

(١) سقطت من أ .

تركه رضى الله عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف .

وهذا كله من وجوه حلّ نالها في حياته مما كان يصيبه من القىء والمغاسم ، ووجوه متاجر الحلال ، وذلك كله بعد إخراج الزكاة في أوقاتها ، والصّلات البارة الكثيرة لأربابها في أوقات حاجاتها .

رضى الله عنه ورأضاه وجعل جنات الفردوس مثواه ، وقد فعل ! فإنه قد شهد له سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين بالجنة ، والله الحمد والمنة .

وذكر ابن الأثير في الغابة أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وأنه كان يتصدق بذلك كله .

وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه ويفضّله بذلك :

أقام على عهد النبي وهديه	حواريه والقول بالفضل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يؤالى وليّ الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى	يصول إذا ما كان يومٌ مُحجّل ^(١)
وإن امرءاً كانت صفية أمه	ومن أسدٍ فى بيته لمرفل ^(٢)
له من رسول الله قُربى قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يُعطى ويُجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض [سباق ^(٣)] إلى الموت يرقل
فما مثله فيهم ولا كان قبـله	وليس يكون الدهر مادام يذبل

قد تقدم أنه قتله عمرو بن جرّموز التميمي بوادى السّباع وهو نائم ، ويقال بل قام من آثار النوم وهو دّهش فركب وبارزه ابن جرّموز ، فلما صمّم عليه الزبير أنجده أصحابه فضالّة والنعر فقتلوه ، وأخذ عمرو بن جرّموز رأسه وسيفه . فلما دخل بهما على

(١) المحجل : المعروف . (٢) المرفل : المعظم والسود .

(٣) من تاريخ ابن عساكر ٣٦٤/٥ .

على قال على رضي الله عنه لما رأى سيف الزبير : إن هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال على فيما قال : بشر قاتل ابن صفية بالفار .

فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه .

والصحيح أنه عمر بعد على حتى كانت أيام ابن الزبير ، فاستناب أخاه مصعباً على للعراق ، فاخفى عمرو بن جرموز خوفاً من سطوته أن يقتله بأبيه . فقال مصعب : أبلغوه أنه آمن ، يحسب أني أقتله بأبي عبد الله ؟ كلا والله ليسا سواء .

وهذا من حلم مصعب وعقله ورياسته .

وقد روى الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

ولما قتل الزبير بن العوام بوادي السباع كما تقدم ، قالت امرأته عائكة بنت زيد بن

عمرو بن نفيل ترثيه رضي الله عنها وعنه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غير مُعَرَّد ^(١)
يا عمرو لو نهته لوجده	لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يذنبه	عنها طراد يا ابن فقح القردد ^(٢)
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله	فيمن مضى فيمن يروح ويفتدي
والله ربك إن قتلت لمسه	حلت عليك عوبة المتعمد

ومنهم رضي الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن

(١) البهمة : الجيش ، وأيضاً : الشجاع الذي لا يهتدي من أين يؤتى . والمعرّد : الهارب .
(٢) الفقم : البيضاء الرخوة من الكمامة ، والقردد : الجبل . ويقال للذليل : هو أذل من فقح بقرقرة . لأنه لا يتمتع على من جناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . وفي ١ : طرادك .

عبيد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري ، أبو سعيد ويقال أبو خارجة ، ويقال أبو عبد الرحمن المدني .

قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فلهذا لم يشهد بدرأ للصفره ، قيل ولا أحدا ، وأول مشاهدته الخندق ، ثم شهد مابعدھا .

وكان حافظا لبيبا عالما عاقلا ، ثبت عنه في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقراء على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا إليه ، ففعلناه في خمسة عشر يوما .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم رسول الله المدينة قال زيد : ذهب بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجب بي ، فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة . فأعجب ذلك رسول الله وقال : « يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابي » .

قال زيد : ففعلت لهم كتابهم مامرت خمس عشرة ليلة حتى حذفته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب .

ثم رواه أحمد عن شريح بن النعمان ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقد علقه البخاري في الأحكام عن خارجة بن زيد بن ثابت بصيغة الجزم فقال : وقال خارجة بن زيد . فذكره .

ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس ، والترمذي عن علي بن حجر ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه به نحوه .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهذا ذكاء مُفَرِّط جداً . وقد كان ممن جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراء كما ثبت في الصحيحين عن أنس .

وروى أحمد والنسائي من حديث أبي قلابة ، عن أنس عن رسول الله أنه قال : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدّها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأعلمهم بالحلّ والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

ومن الحفاظ من يجمعه مراسلاً إلا ما يتعلق بأبي عبيدة ، ففي صحيح البخاري من هذا الوجه .

وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير مأمون . ومن أوضح ذلك ما ثبت في الصحيح عنه أنه قال : لما نزل قوله تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ^(١) » الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » .

فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته ، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقلت فحذه على نخذي حتى كادت ترضها ، فنزل : « غير أولى الضرر » فأمرني فألحقها ، فقال زيد : فإني لأعرف [موضع ^(٢)] ملحقها عند صدع في ذلك اللوح - يعني من عظام - الحديث .

وقد شهد زيدُ اليمامة وأصابه سهم فلم يضره ، وهو الذي أمره الصديق بعد هذا بأن يتبع القرآن فيجمعه ، وقال له : إياك شابٌّ عاقل لا نهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمه . ففعل ما أمره به الصديق ، فكان في ذلك خير كثير والله الحمد والمنة .

وقد استنابه عمر مرتين في حجتين على المدينة ، واستنابه لما خرج إلى الشام ، وكذلك كان عثمان يستنابه على المدينة أيضا .

وكان على يحبه ، وكان يعظم عليا ويعرف له قدره ، ولم يشهد معه شيئا من حروبه . وتأخر بعده حتى توفي سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة إحدى وقيل خمس وخمسين . وهو ممن كان يكتب المصاحف الأئمة التي نفذ بها عثمان بن عفان إلى سائر الآفاق اللأى وقع على التلاوة طبق رُسمهن الإجماع والانفاق ، كما قررنا ذلك في كتاب فضائل القرآن الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير والله الحمد والمنة .

ومنه السَّجَل ، كما ورد به الحديث المروى في ذلك عن ابن عباس - إن صح - وفيه نظر .

قال أبو داود : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا نوح بن قيس ، عن يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السَّجَلُ كتابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه النسائي عن قتيبة به ، عن ابن عباس أنه كان يقول : في هذه الآية « يوم نَطْوِي السماء كَطَى السَّجَلِ لَلْكِتَابِ » ^(١) السَّجَلُ : الرجل . هذا لفظه .

ورواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره عند قوله تعالى : « يوم نَطْوِي السماء كَطَى السَّجَلِ لَلْكِتَابِ » عن نصر بن علي ، عن نوح بن قيس ، وهو ثقة من رجال مسلم ، وقد ضعفه ابن معين في رواية عنه . وأما شيخه يزيد بن كعب العَوَزِيُّ البصري فلم يَرَوْ عنه سوى نوح بن قيس ، وقد ذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات .

وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المِزِّي فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع ، وإن كان في سنن أبي داود . فقال شيخنا المِزِّي : وأنا أقوله .

قلت : وقد رواه الحافظ ابن عدى فى كامله من حديث محمد بن سليمان الملقب ببومة ، عن يحيى بن عمرو ، عن مالك البكرى ، عن أبيه ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له السجل ، وهو قوله تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب » قال : كما يطوى السجل للكتاب كذلك تُطوى السماء .

وهكذا رواه البيهقى عن أبى نصر بن قتادة عن أبى على الرثاء ، عن على بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم ، عن يحيى بن عمرو بن مالك به . ويحيى هذا ضعيف جداً فلا يصلح للمتابعة . والله أعلم .

وأغربُ من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب وابن مندة من حديث أحمد ابن سعيد البغدادى المعروف بحمدان ، عن ابن بهز ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سِجْلٌ فأنزل الله : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب » قال ابن مندة : غريب تفرد به حمدان . وقال البرقانى : قال أبو الفتح الأزردى . تفرد به ابن نمير إن صح .

قلت : وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر ، كما هو منكر عن ابن عباس ، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك ، فقد روى الواحى والعمري ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية قال : كطى الصحيفة على الكتاب . وكذلك قال مجاهد .

وقال ابن جرير : هذا هو المعروف فى اللغة أن السجل هو الصحيفة .

قال : ولا يعرف فى الصحابة أحد اسمه السجل ، وأنكر أن يكون السجل اسم ملك

من الملائكة ، كما رواه عن أبي كَرِيب ، عن ابن يَمَان ، حدثنا أبو الوفاء الأشَجَعِي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ » قال : السَّجِّلُ مَلَكٌ فَإِذَا صَعِدَ بِالاستغفار قال الله : اكِتِبْهَا نُورًا .

وحدثنا بَنَدَار ، عن مؤَمِّل ، عن سفيان ، سمعت السُّدِّي يقول . فذكر مثله .

وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كَرِيب عن المبارك ، عن معروف بن خَرَبُود عن سمع أبا جعفر يقول : السَّجِّلُ الملك .

وهذا الذي أنكره ابن جرير من كون السَّجِّل اسم صحابي أو ملك قوى جداً ، والحديث في ذلك منكّر جداً . ومن ذكره في أسماء الصحابة كابن مَندِه وأبي نُعَيْم الأصبهاني وابن الأثير في الغابة ، إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث ، أو تعليقاً على صحته والله أعلم .

ومنهم سعد بن أبي سَرَحٍ فيما قاله خليفة بن خَيَّاط .

وقد وهم لِمَا هو ابنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

ومنهم عامر بن مُهَيَّرَة ، مولى أبي بكر الصديق .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر قال : قال الزهري : أخبرني عبد الملك ابن مالك المدلجي ، وهو ابن أخي سُرَّاقَة بن مالك ، أن أباه أخبره أنه سمع سُرَّاقَة يقول . فذكر خبر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه : فقلت له إن قومك جعلوا فيك الدِّية ، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَرزَوْوَنِي منه شيئاً ولم يسألوني إلا أن أَخْفِ عَنَّا ، فسألته أن يكتب لي كتابَ موادة آمن به ، فأمر عامر بن مُهَيَّرَة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى .

قلت : وقد تقدم الحديث بنامه في الهجرة وقد روى أن أبا بكر هو الذى كتب لسُرَاقَة هذا الكتاب فـالله أعلم .

وقد كان عامر بن فهيرة - ويكنى أبا عمرو - من مولدَى الأزْد أسود اللون ، وكان أولاً مولى للطَّفِيل بن الحارث أخى عائشة لأمها أم رومان ، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم التى عند الصفا مُستَخْفِياً ، فكان عامر يعذب مع جملة المستضعفين بمكة ليرجع عن دينه [فيأبى^(١)] ، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه ، فكان يرعى له غنماً بظاهر مكة .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر كان معها رَدِيقاً لأبى بكر ومعهم الدليل الدَّبْلَى فقط . كما تقدم مبسوطاً^(٢) .

ولما وردوا المدينة نزل عامر بن [فهيرة^(١)] على سعد بن خيثمة ، وأخى رسول الله بينه وبين أَوْس بن مُعَاذ وشهد بدرأ واحداً .

وقتل يوم بئر مَعُونَة ، كما تقدم ، وذلك سنة أربع من الهجرة ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فـالله أعلم .

وقد ذكر عروة وابن إسحاق والواقدي وغير واحد ، أن عامراً قتله يوم بئر مَعُونَة رجل يقال له جَبَّار بن سُلَيمى من بنى كلاب ، فلما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ ورب الكعبة . ورُفِع عامر حتى غاب عن الأبصار حتى قال عامر بن الطفيل : لقد رفع حتى رأيت السماء دونه .

وسئل عمرو بن أمية عنه فقال : كان من أفضلنا ومن أول أهل بيت نبيها صلى الله عليه وسلم .

قال جبار : فسأتُ الضحاك بن سفيان عما قال ما يعنى به ؟ فقال : يعنى الجعة .

ودعاني الضحاك إلى الإسلام فأسلمت لما رأيت من قتل عامر بن فهيرة ، فكتب الضحاك إلى رسول الله يخبره بإسلامي وما كان من أمر عامر ، فقال : « وارتد الملائكة وأنزل عليّين » وفي الصحيحين عن أنس أنه قال : قرأنا فيهم قرآنا : أن بلغنوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا .

وقد تقدم ذلك وبيانه في موضعه عند غزوة بدر معونة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منكم لما قتل رأبته رُفَع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قالوا : عامر بن فهيرة .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جنته . يرون أن الملائكة وارتدته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم الخزومي . أسلم عام الفتح وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم . قال الإمام مالك : وكان يُنفذ ما يفعله ويشكره ويستجيده .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق بن يسار ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، وكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته أنه [كان يأمره أن] يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويختتم على ما يقرأه لأمانته عنده .

وكتب لأبي بكر وجعل إليه بيت المال ، وأقره عليهما عمر بن الخطاب ، فلما كان عثمان عزله عنهما .

قلت : وذلك بعد ما استغفاه عبدُ الله بن أرقم . ويقال إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم عن أجره عمّالته فأبى أن يقبلها وقال : إنما عملتُ لله فأجرى على الله عز وجل .

قال ابن إسحاق : وكتبَ لرسول الله زيدُ بن ثابت ، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتبَ مَنْ حضر من الناس .

وقد كتب عمر وعلي وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن سمي من العرب .

وقال الأعمش : قلت لشقيق بن سلمة : من كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عبد الله بن الأرقم ، وقد جاء عمر بكتاب أبي بكر بالقادسية وفي أسفله : وكتب عبد الله بن الأرقم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا محمد بن صالح بن هاني ، حدثنا الفضل بن محمد البيهقي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة اللاجشون ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم كتاب رجل ، فقال لعبد الله بن الأرقم : « أجب عني » فكتب جوابه ثم قرأه عليه ، فقال : « أصبتَ وأحسنْتَ ، اللهم وفقه » .

قال : فلما ولي عمرُ كان يشاوره . وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ما رأيت أخشى لله منه - يعني في المال -

أضمرَ رضى الله عنه قبل وفاته .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي ، صاحب الأذان .

أسلم قديماً فشهد عقبة السبعين ، وحضر بدرأ وما بعدها .

ومن أكبر مناقبه رؤيته الأذان والإقامة في النوم ، وعرضه ذلك على رسول الله وتقريره عليه ، وقوله له : « إنها لرؤيا حق فألقه على بلال ، فإنه أندى صوتاً منك » . وقد قدمنا الحديث بذلك في موضعه .

وقد روى الواقدي بأسانيد عن ابن عباس أنه كتب كتاباً لمن أسلم من جرّش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإعطاء خمس المقيم . وقد توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

ومنها رضي الله عنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، القرشي العامري ، أخو عثمان لأمه من الرضاعة . أرضعته أم عثمان .

وكتب الوحي ثم ارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشرّكين بمكة ، فلما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان قد أهدّر دمه فيمن أهدر من الدماء — فجاء إلى عثمان بن عفان فاستأمن له ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قدمنا في غزوة الفتح . ثم حسن إسلام عبد الله بن سعد جداً .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النخعي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأزله الشيطان فليحّ بالكفار ، فأمر به رسول الله أن يقتل ، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه النسائي من حديث علي بن الحسين بن واقد به .

قلت: وكان على مَيِّمَةَ عمرو بن العاص حين افتتح عمرو مصر سنة عشرين في الدولة
العمرية ، فاستناب عمر بن الخطاب عَمراً عليها ، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عَزَلَ عنها
عمرو بن العاص وولَّى عليها عبد الله بن سعد سنة خمس وعشرين .

وأمره بغزو بلاد أفريقية فغزاها ففتحها وحصل للجيش منها مال عظيم ، كان قَسَمَ
الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف منقال من ذهب ، وللراجل ألف منقال ،
وكان معه في جيشه هذا ثلاثة من العبادة ؛ عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن عمرو .

ثم غزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأسود من أرض النوبة فهاذهم ، فهي إلى
اليوم ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

ثم غزا غزوة الصَّوَارِي في البحر إلى الروم وهي غزوة عظيمة .

فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر واستناب عليها ليذهب إلى عثمان
لينصره . فلما قُتِلَ عثمان أقام بعسقلان - وقيل بالرملة - ودعا الله أن يقبضه في الصلاة ،
فصلى يوماً الفجر وقرأ في الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات ، وفي الثانية بفاتحة
الكتاب وسورة ، ولما فرغ من التشهد سَلَّمَ التسليمة الأولى ، ثم أراد أن يسلم الثانية
فمات بينهما رضى الله عنه ، وذلك في سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة سبع ، وقيل إنه تأخر
إلى سنة تسع وخمسين ، والصحيح الأول .

قلت : ولم يقع له رواية في الكتب الستة ولا في المسند للإمام أحمد .

ومنهم رضى الله عنهم عبد الله بن عثمان ، أبو بكر الصديق . وقد ذكرت ترجمته^(١)

(١) وذلك في الجزء السادس من البداية للمؤلف .

في أيام خلافته . وقد جمعت مجلداً في سيرته ومارواه من الأحاديث وماروى عنه من الآثار .

والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عَقبة ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن ابن مالك بن جُعشم عن أبيه ، عن سُرَاقَة بن مالك في حديثه حين اتبع رسول الله حين خرج هو وأبو بكر من الغار ففروا على أرضهم ، فلما غشيهم - وكان من أمر فرسه ما كان - سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب أمان ، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه .

وقد روى الإمام أحمد من طريق الزهري بهذا السند ، أن عامر بن فهيرة كتبه ، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم عثمان بن عفان أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته في أيام خلافته وكتابته بين يديه عليه السلام مشهورة . وقد روى الواقدي بأسانيده أن هَـشَل بن مالك الوائلي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فكتب له كتاباً فيه شرائع الاسلام .

ومنهم رضى الله عنهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين . وقد ذكرت ترجمته في خلافته ، وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية أن يأمن الناس ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وعلى وضع الحرب عشر سنين . وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم .

وأما ما يدَّعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاباً من النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم وفي آخره : وكتب علي بن أبي طالب . وفيه شهادة جماعة من

الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان ، فهو كذب وبهتان مختلق موضوع مصنوع .

وقد بين جماعة من العلماء بطلانه ، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم . وهذا ضعيف جداً .

وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه بطلانه وأنه موضوع ، اختلقوه وصنعهوه وهم أهل ذلك ، وبينته وجمعت مفرق كلام الأئمة فيه والله الحمد والمنة .

ومن الكتاب بين يديه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد ذكرت ترجمته في موضعها . وقد أفردت له مجلداً على حدة ، ومجلداً ضخماً في الأحاديث التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار والأحكام المروية عنه رضى الله عنه ، وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة عبد الله بن الأرقم .

ومنهم رضى الله عنهم العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عباد ، ويقال عبد الله ابن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عريف بن مالك بن الخزرج بن إباد بن الصدف بن زيد ابن مثنع بن حَضْرَمُوت بن قحطان . وقيل غير ذلك في نسبه .

وهو من حلفاء بني أمية . وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة أبان بن سعيد ابن العاص .

وكان له من الإخوة عشرة غيره فمنهم : عمرو بن الحضرمي ، أول قتيل من المشركين قتله المسلمون في سرية عبد الله بن جحش ، وهي أول سرية كما تقدم .

ومنهم عامر بن الحضرمي الذي أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته ونادى : وانمراه . حين اصطف المسلمون والمشركون يوم بدر ، فهاجت الحرب وقامت هلى ساق ، وكان ما كان مما قدمناه مبسوطاً في موضعه .

ومنهم شُرَيْح بن الحضرمي ، وكان من خيار الصحابة ، قال فيه رسول الله : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » يعني لا ينام ويتركه ، بل يقوم به آتاء الليل والنهار .

ولهم كلهم أخت واحدة وهي الصَّعْبَةُ بنت الحضرمي ، أم طلحة بن عبيد الله .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المفذر بن ساوى ملك البحرين ، ثم ولاء عليها أميرا حين افتتحها ، وأقرّه عليها الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة . فلما كان في أثناء الطريق توفي وذلك في سنة إحدى وعشرين .

وقد روى البيهقي وغيره عنه كرامات كثيرة ، منها أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى رُكْب خيولهم ، وقيل إنه ما بلّ أسافل نعال خيولهم ، وأمرهم كلهم فجعلوا يقولون : يا حَلِيم يا عَظِيم . وأنه كان في جيشه فاحتاجوا إلى ماء فدعا الله فأمطرهم قدر كفايتهم ، وأنه لما دُفِن لم يُر له أثر بالكلية ، وكان قد سأل الله ذلك .

وسمّاني هذا في كتاب دلائل النبوة قريبا إن شاء الله عز وجل .

وله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث : الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيينة ، حدثني عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن السائب بن يزيد ، عن العلاء بن الحضرمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَمُكُثُ المهاجر بعد قضاء نُسكِهِ ثلاثا » .

وقد أخرجه الجماعة من حديثه .

والثاني قال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا منصور ، عن ابن سيرين ، عن ابن العلاء بن الحضرمي ، أن أباه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه .

وكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل .

والحديث الثالث رواه أحمد وابن ماجه ، من طريق محمد بن زيد ، عن حبان

الأعرج ، عنه أنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين في الحائط - يعني البستان - يكون بين الإخوة فيسلم أحدهم ؟ فأمره أن يأخذ العشر ممن أسلم ، والخراج - يعني ممن لم يسلم - .

ومنهم العلاء بن عتبة ، قال الحافظ ابن عساكر : كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا .

ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب ، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ، عن أبيه عن جده ، عن عمرو بن حزم أن هذه قطائعُ أقطعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم فذكرها ، وذكر فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد عباس بن مرداس السلمي ، أعطاه مَذْمُوراً^(١) فمن خافه فيها فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب العلاء بن عتبة وشهد .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله عَوْسَجَةَ بنَ حَرْمَلَةَ الجهمي ، من ذى المروة وما بين بَلْسَكْنَةَ إلى الظُّبْيَةِ إلى الجمعات إلى جبل القُبْلِيَةِ^(٢) فمن خافه فلا حق له وحقه حق ، وكتبه العلاء بن عتبة .

وروى الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع ابنى سبيح من جُهينة وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عتبة ، وشهد .

وقد ذكر ابن الأثير في الغابة هذا الرجل مختصراً فقال : العلاء بن عتبة كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره في حديث عمرو بن حزم ، ذكره جعفر أخرجه أبو موسى - يعني المديني - في كتابه .

(١) لم أجدها في كتب البلدان .

(٢) بَلْسَكْنَةُ : عرس من المدينة . والظُّبْيَةُ : على ثلاثة أميال قرب الروحاء .

ومنه رضي الله عنهم محمد بن مسلمة بن حُرَيْش بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة
ابن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي الخزرجي أبو عبد الله ، ويقال أبو عبد الرحمن ،
ويقال أبو سعد المدني حليف بني عبد الأشهل .

أسلم على يدي مُصْعَب بن عُمر ، وقيل سعد بن معاذ وأسيّد بن حُصَير ، وآخى
رسول الله حين قدم المدينة بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح .

وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، واستخلفه رسول الله على المدينة عام تبوك .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : كان شديد الشُّمرة طويلاً أصلع ذا جثة وكان من
فضلاء الصحابة ، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب .

ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجمهور ، وصلى عليه مروان بن
الحكم ، وقد روى حديثاً كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن سعد ، عن علي بن محمد المدائني بأسانيده أن محمد بن مسلمة هو الذي
كتب لوفد مرة كتاباً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه رضي الله عنهم معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية الأموي وقد
ذكرنا ترجمته في أيام إمارته .

وقد ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه عليه السلام . وقد روى مسلم في صحيحه من
حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل سَمَّاك بن الوائد ، عن ابن عباس ، أن أبا سفيان قال :
يا رسول الله ثلاث أعطينهن ؟ قال : نعم قال : تؤمّرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل
المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم ، الحديث .

وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج
أم حبيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبي سفيان

وتولية معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا قدر متفق عليه بين الفاس قاطبة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة معاوية هاهنا : أخبرنا أبو غالب بن البنا ، أنبأنا أبو محمد الجوهري ، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن يحيى بن عبدالله العطشي ، حدثنا أحمد بن محمد البوراني ، حدثنا السري بن عاصم ، حدثنا الحسن ابن زياد ، عن القاسم بن بهرام ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنه أمين .

فإنه حديث غريب بل منكر . والسري بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهمداني وكان يؤدب المعتز بالله ، كذبه في الحديث ابن خراش .

وقال ابن حبان وابن عدى : كان يسرق الحديث . زاد ابن حبان : ويرفع الموقوفات لا يحل الاحتجاج به . وقال الدار قطني : كان ضعيف الحديث .

وشيخه الحسن بن زياد : إن كان اللؤلؤى فقد تركه غير واحد من الأئمة ، وصرح كثير منهم بكذبه ، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال .

وأما القاسم بن بهرام فائتمان ؛ أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدي الواسطي الأعرج ، أصله من أصبهان ، روى له النسائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حديث القنوت بطوله ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود وابن حبان . والثاني القاسم ابن بهرام أبو همدان قاضي هيت . قال ابن معين : كان كذابا .

وبالجملة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يفتقر به .

والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره وإطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره - بل ومن تقدمه بدهر - كيف يورد في تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثم لا يبين حالها ، ولا يشير إلى شيء من ذلك إشارة لا ظاهرة ولا

خفية ، ومثل هذا الصنيع فيه نظر . والله أعلم .

ومنهم رضى الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفى ، وقد قدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه السلام من أصحابه من غير مَواليه ، وأنه كان سيّافاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ابن عسّاكر بسنده عن عَتِيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرة ، أن المغيرة بن شعبة هو الذى كتب إقطاع حُصَيْن بن نَضْلة الأسدى الذى أقطعته إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره .

فهؤلاء كتّابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .

فصل

وقد ذكر ابن عساكر من أمانته أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي
الفهري أحد العشرة رضى الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف الزهري .
أما أبو عبيدة فقد روى البخارى من حديث أبي قلابة ، عن أنس ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « اسكن أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » .
وفى لفظ : أن رسول الله قال لو فد عبد القيس نجران : « لأبعثن معكم أمينا حق
أمين » فبعث معهم أبا عبيدة .

قال : ومنهم مُعَيْقِب بن أبي فاطمة الدَّؤْسَى مولى بنى عبد شمس ، كان على خاتمه ،
ويقال كان خادمه ، وقال غيره : أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة في الناس ، ثم إلى المدينة
وشهد بدرا وما بعدها ، وكان على الخاتم ، واستعمله الشيخان على بيت المال .
قالوا : وكان قد أصابه الجذام فأمر عمر بن الخطاب فدُوى بالحنظل فتوقف المرض .
وكانت وفاته في خلافة عثمان وقيل سنة أربعين فآله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ،
عن أبي سلمة ، حدثني مُعَيْقِب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوئ
التراب حيث يسجد قال : « إن كنت لا بد فاعلا فواحدة » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان النحوى ، زاد مسلم : وهشام الدستوائى .
زاد الترمذى والنسائى وابن ماجه : والأوزاعى ، ثلاثهم عن يحيى بن أبي كثير

به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب ، عن عتبة ، عن يحيى

ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن مُعَيْقِب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » .

وتفرد به الإمام أحمد .

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عَتَّاب سهل بن حماد الدلال ، عن أبي مَكِين نوح بن ربيعة ، عن إِيَّاس بن الحارث بن المعيقب ، عن جده - وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم - قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد مَلَوَى عليه فضة ، قال : فربما كان في يدي .

قلت : أما خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فالصحيح أنه كان من فضة فضة منه ، كما سيأتي في الصحيحين . وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حينئذ ثم رمى به وقال : « والله لا ألبسه » .

ثم اتخذ هذا الخاتم من فضة فضة منه ونقشه : محمد رسول الله ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

فكان في يده عليه السلام ، ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين ، ثم سقط منه في بئر أريس ، فاجتهد في تحصيله فلم يقدر عليه .

وقد صنف أبو داود رحمه الله عليه كتابا مستقلا في سننه في الخاتم وحده ، وسنورد منه إن شاء الله قريبا ما يحتاج إليه وبالله المستعان .

وأما لبس معيقب لهذا الخاتم فيدل على ضعف ما نقل أنه أصابه الجذام ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره ، لاسكنه مشهور ، فلعله أصابه ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كان به وكان مما لا يُعَدَى منه ، أو كان ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لقوة توكله ، كما قال لذلك المجذوم - ووضع يده في القصعة - « كُـلْ ، ثقة بالله وتوكلا عليه » .

رواه أبو داود . وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« فِرٌّ من المجدوم فرارك من الأسد » . والله أعلم .
وأما أمراؤه عليه السلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصا على أسمائهم .
ولله الحمد والمنة .

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس في عدّتهم ، فنُقل عن أبي زرعة أنه قال :
يبلغون مائة ألف وعشرين ألفا .
وعن الشافعي رحمه الله أنه قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ممن
سمع منه وراّه زهاء ستين ألفاً .
وقال الحاكم أبو عبد الله : يُروى الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي .
قلت : والذين روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته وإطلاعه واتساع رِحلته
وإمامته من الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفسا .
[ووضع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابي أيضا ^(١)] .
وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم وذكر أيامهم ووفياتهم ،
من أجّلهم الشيخ أبو عمر بن عبد البرّ المَرِّي في كتابه الاستيعاب ، وأبو عبد الله محمد
ابن إسحاق بن مَفْدّة ، وأبو موسى المديني .
ثم نظّم جميع ذلك الحفاظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري
المعروف بابن الصحابة ، صنّف كتابه الغاية في ذلك فأجاد وأفاد ، وجمع وحصل ، ونال
مارام وأمل ، فحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة آمين يارب العالمين .

باب

ما يذكر من آثار النبي ﷺ التي كان يختص بها في حياته من ثياب وسلاح
ومراكب وغير ذلك مما يجري تجراه وينتظم في معناه

ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه السلام ومن أي شيء كان من الأجسام
وقد أفرد له أبو داود في كتابه السنن كتابا على حدة ، ولذا ذكر عيون ما ذكره
في ذلك مع ما نضيفه إليه ، والمعوّل في أصل ما ذكره عليه .
قال أبو داود : حدثنا عبد الرحيم بن مطرف الرّوآسي . حدثنا عيسى ، عن سعيد ،
عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : تراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض
الأعاجم ف قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا إلا بخاتم . فانخذ خاتما من فضة ، ونقش فيه : محمد
رسول الله .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الأعلى بن حماد ، عن يزيد بن زريع عن سعيد بن
أبي عروبة ، عن قتادة به .

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيّة ، عن خالد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن
أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس . زاد : فكان في يده حتى قبض ، وفي يد أبي بكر حتى
قبض ، وفي يد عمر حتى قبض ، وفي يد عثمان ، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها
فترُحّت ، فلم يُقدّر عليه .

تفرد به أبو داود من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود رحمه الله : حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قالا : أخبرنا ابن

وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني أنس قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من ورق فضة حبيشى .

وقد روى هذا الحديث البخارى من حديث الليث ، ومسلم من حديث ابن وهب ، وطائفة عن يحيى الأنصارى ، وسليمان بن بلال ، زاد النسائى وابن ماجه : وعثمان عن عمر ، خستهم عن يونس بن يزيد الأبلج به ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من فضة كله فضة منه .
وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث زهير بن معاوية الجعفى أبى خيثمة الكوفى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما ، فقال : إنا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد .

قال : فإنى أرى بريقه فى خنصره .

ثم قال أبو داود : حدثنا نصر بن الفرج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر [قال^(١)] اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وجعل فضة مما يلى بطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله .

فاتخذ الناس خواتم الذهب ، فلما رآهم قد اتخذوها رعى به وقال : لا ألبسه أبداً .
ثم اتخذ خاتما من فضة نقش فيه : محمد رسول الله .

ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر ، ثم لبسه بعد أبى بكر عمر ، ثم لبسه بعده عثمان حتى وقع فى بئر أريس .

وقد رواه البخارى عن يوسف بن موسى ، عن أبى أسامة حماد بن أسامة به .
ثم قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى
ابن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : فنقش
فيه محمد رسول الله ، وقال : لا ينقش أحدٌ على خاتمى هذا . وساق الحديث .

وقد رواه مسلم وأهل السنن الأربعة ، من حديث سفيان بن عيينة به نحوه .
ثم قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا أبو عاصم ، عن المغيرة بن
زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر فى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فالتسوه فلم
يجدوه ، فاتخذ عثمان خاتماً ونقش فيه : محمد رسول الله . قال : فكان يحتم به أو
يقطع به .

ورواه النسائى عن محمد بن معمر ، عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل به .
ثم قال أبو داود :

باب

[ما جاء ^(١) فى ترك الخاتم]

حدثنا محمد بن سليمان لَوْيْنٌ ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن
مالك أنه رأى فى يد النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق يوماً واحداً ، فصنع الناس
فلبسوا . وطرح النبي صلى الله عليه وسلم فطرح الناس .

ثم قال : رواه عن الزهرى زياد بن سعد وشُعيب وابن مُسافر ، كلهم قال :
من ورق .

قلت : وقد رواه البخارى : حدثنا يحيى بن بكير . حدثنا الليث ، عن يونس ، عن

ابن شهاب ، قال : حدثني أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق يوماً واحداً ، ثم إن الناس اصطفَعُوا الخواتيمَ من ورق ولبسوها ، فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه ، فطرح الناس خواتيمهم .

ثم علقه البخاري عن إبراهيم بن سعد الزهري المدني وشعيب بن أبي جبرة وزباد بن سعد الخراساني ، وأخرجه مسلم من حديثه ، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، كلهم عن الزهري كما قال أبو داود : خاتماً من ورق .

والصحيح أن الذي لبسه يوماً واحداً ثم رمى به إنما هو خاتم الذهب ، لا خاتم الورق ، لما ثبت في الصحيحين عن مالك عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله يلبس خاتماً من ذهب ، فنَبَذَهُ وقال : لا ألبسه أبداً ، فنَبَذَ الناس خواتيمهم . وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً ، ولم يزل في يده حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه ، وكان فضة منه ، يعني ليس فيه فص منفصل عنه ، ومن روى أنه كان فيه صورة شخص فقد أبعَدَ وأخطأ ، بل كان فضة كله وفصه منه ، ونقشه : محمد رسول الله ثلاثة أسطر : محمد سطر . رسول سطر . الله سطر .

وكأنه والله أعلم كان منقوشاً وكتابته مقلوبة ليُطِيعَ على الاستقامة كما جرت العادة بهذا ، وقد قيل : إن كتابته كانت مستقيمة ، وتطبع كذلك ، وفي صحة هذا نظر ، ولست أعرف لذلك إسناداً لا صحيحاً ولا ضعيفاً .

وهذه الأحاديث التي أوردناها أنه عليه السلام كان له خاتم من فضة ، تردُّ الأحاديث التي قدمناها في سُنَنِ أبي داود والنسائي من طريق أبي عَمَّابٍ سهل بن حماد الدلال ، عن أبي مَسْكِينٍ نوح بن ربيعة ، عن إلياس بن الحارث بن مُعَيَّقِبٍ بن أبي قاطمة ، عن جده قال : كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد مَلُوءٍ عليه فضة .

ومما يزيدُه ضعفاً الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث

أَبِي طَيِّبَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الشَّكْمِيِّ الْمُرُوزِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ شَبِّهِ (١) فَقَالَ : مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الْأَصْنَامِ ؟ فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَالَ : مَا لِي أَرَى عَلَيْكَ حَايَةَ أَهْلِ النَّارِ ؟ فَطَرَحَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَى شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ ؟ قَالَ : أَتَّخِذُهُ مِنْ وَرَقٍ ، وَلَا تُتَعَمَّ مَنَقَالًا .

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْبِسُهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى ، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الشَّكَائِلِ ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ شَرِيكَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاضِي ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ شَرِيكَ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَتَخْتَمُ فِي يَمِينِهِ .

وَرَوَى فِي الْيَسْرَى ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخْتَمُ فِي يَسَارِهِ ، وَكَانَ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ نَافِعٍ فِي يَمِينِهِ . وَحَدَّثَنَا هَفَّادٌ ، عَنْ عُبَيْدَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ فِي يَدِهِ الْيَسْرَى .

ثُمَّ قَالَ أَبُو دَاوُدَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى الصَّلْتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ خَاتَمًا فِي خَنْصَرِهِ الْيُمْنَى ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ هَكَذَا ، وَجَعَلَ فَصَّهُ عَلَى ظَهْرِهَا .

(١) الشبه : النحاس الأصفر .

قال : ولا يخال ابن عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه كذلك .

وهكذا رواه الترمذى من حديث محمد بن إسحاق به .

ثم قال محمد بن إسماعيل ، يعنى البخارى : حديث ابن إسحاق عن الصلت حديث حسن . وقد روى الترمذى فى الشمائل ، عن أنس وعن جابر وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمين .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى ، عن ثُمَامَة ، عن أنس بن مالك ، أن أبابكر لما استخلف كتب له وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

قال أبو عبد الله : وزاد أبو أحمد : حدثنا الأنصارى ، حدثنى أبى ، حدثنا ثُمَامَة ، عن أنس قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر ، وفى يد عمر بعد أبى بكر .

قال : فلما كان عثمان جالس على بئر أريس ، فأخذ الخاتم فجعل يعبث به فسقط .

قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم يجده .

فأما الحديث الذى رواه الترمذى فى الشمائل : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى يسر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه .

فإنه حديث غريب جداً . وفى السنن من حديث ابن جُرَيج عن الزهرى عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء نزع خاتمه .

ذكر سيفه عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس قال : تنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا النقيار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، قال : رأيت في سيفي ذا النقيار فلأ فأولت فأولتاً فلا يكون فيكم ، ورأيت أني مُردف كنبشا ، فأولت كنبش السكتية ، ورأيت أني في دِرع حصينة فأولتها المدينة ، ورأيت بقراً تذبح ، فبقر والله خير فبقر والله خير .

فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد واه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به .

وقد ذكر أهل السنن أنه سُمع قائل يقول : لا سيف إلا ذو النقيار ، ولا فتى إلا علي .

وروى الترمذي من حديث هود بن عبد الله بن سعد ، عن جده مزينة بن جابر العبدي المصري رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعلى سيفه ذهب وفضة . الحديث .

ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الترمذي في الشائل : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن قال : كانت قبيلة ^(٢) سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة .

وروى أيضاً من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال : صنعت سيفي علي

(١) الفل : لم يكون في حد السيف . (٢) القبيلة : ما على مقبض السيف من حديد أو فضة .

سيف سمرة ، وزعم سَمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حَنفياً ، وقد صار إلى آل على سيف من سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكر بلاء عند الطف كان معه ، فأخذه على بن الحسين ابن زين العابدين فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية ، ثم رجع معه إلى المدينة .

فثبت في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أنه تلقاه إلى الطريق ، فقال له : هل لك إلى من حاجة تأمرني بها ؟ قال : فقال : لا . فقال : هل أنت مُعطى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أخشى أن يغلبك عليه القوم ، وإيم الله إن أعطينيه لا يخاف إياه أحد حتى يبلغ نفسه .

وقد ذكر للنفى صلى الله عليه وسلم غير ذلك من السلاح .

من ذلك : الدروع كما روى غير واحد منهم السائب بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين .

وفي الصحيحين من حديث مالك ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعلى رأسه المنقعر ، فلما نزع قيل له : هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه .

وعند مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

وقال وكيع عن مساور الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وعليه عمامة دَسَاء^(١) .

(١) الدَسَاء : التي يضرب لونها إلى السواد .

ذكرهما الترمذى فى الشمائل ، وله من حديث الدَّرَّاورْدِى ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعمَّ سدَّ لها بين كتفيه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا أبو شيبَةَ إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، حدثنا نخول بن إبراهيم ، حدثنا إسرائيل ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أنه كانت عنده عَصِيَّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قيصه .

ثم قال البزار : لا أعلم رواه إلا نخول بن راشد ، وهو صدوق فيه شيعية . واحتُمِل على ذلك .

وقال الحافظ البيهقى بعد روايته هذا الحديث من طريق نخول هذا قال : وهو من الشيعة يأتى بأفراد عن إسرائيل لا يأتى بها غيره ، والضعف على رواياته بين ظاهر .

ذكر نعله التى كان يمشى فيها عليه السلام

ثبت فى الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السَّبْتِيَّة ^(١) ، وهى التى لا شعر عليها .

وقد قال البخارى فى صحيحه : حدثنا محمد ، هو ابن مُقَاتِل ، حدثنا عبد الله ، يعنى ابن المبارك ، أنبأنا عيسى بن طَهْمَان ، قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين لهما قبالان ، فقال ياثابت : هذه نعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه فى كتاب الخمس عن عبد الله بن محمد ، عن أبى أحمد الزبيرى ، عن عيسى ابن طَهْمَان ، عن أنس ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جَرْدَاوين لهما قبالان . فحدثنى ثابت البناتى بعدُ عن أنس أنهما نعلا النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) السبتيّة : المتخذة من جلود البقر .

وقد رواه الترمذى فى الشئائل عن أحمد بن منيع ، عن أبى أحمد الزبيرى به .
وقال الترمذى فى الشئائل : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن
خالد الحذاء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى شراكهما .

وقال أيضا : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن
أبى ذئب ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس
أبو معاوية ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالة منى وأبى بكر وعمر ، وأول من عقد عقداً واحداً عثمان .
قال الجوهري : قبالة النعل بالكسر : الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى
والتي تليها .

قلت : واشتهر فى حدود سنة ستائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له : ابن
أبى الحدرّد نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسامها الملك الأشرف موسى
ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها ، فاتفق موته بعد حين
فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية
إلى جانب القلعة ، جعلها فى خزانة منها ، وجعل لها خادما ، وقرّر له من العلوم كل شهر
أربعون درهما ، وهى موجودة إلى الآن فى الدار المذكورة .

وقال الترمذى فى الشئائل : حدثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا : حدثنا أبو أحمد
الزبيرى ، حدثنا شيبان ، عن عبد الله بن المختار ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال :
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلة^(١) يتطايّب منها .

صفة قدح النبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا شريك ، عن عاصم قال : رأيت عند أنس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمد الدسوقي ، حدثنا حماد بن شاكر ، حدثنا محمد بن إسماعيل هو البخاري ، حدثنا الحسن ابن مذكّر ، حدثني يحيى بن حماد ، أخبرنا أبو عوانة ، عن عاصم الأخول قال : رأيت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسكّله بغضة . قال : وهو قدح جيّد عريض من نضار^(١) .

قال أنس : لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح أكثر من كذا وكذا . قال : وقال ابن سيرين : إنه كان فيه حلقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال له أبو طلحة : لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتركه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا حجاج بن حسان ، قال : كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضبّات حديد وحلقة من حديد ، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وفوق نصف الربع ، وأمر أنسُ بن مالك فجعل لنا فيه ماء فأثينا به فشربنا وصَبَبْنَا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم . انفرَد به أحمد .

ذكر ما ورد في المِكَحَلَة التي كان عليه السلام يكتحل منها

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا عبد الله بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين .

وقد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن هارون ، قال على بن المدبني : سمعت يحيى بن سعيد يقول : قلت لعباد بن منصور : سمعت هذا الحديث من عكرمة ؟ فقال : أخبرني ابن أبي يحيى عن داود بن الحصين عنه .

قلت : وقد بلغني أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مكحلة وقيل : ومشط . وغير ذلك فالله أعلم .

البردة

قال الحافظ البيهقي : وأما البرد الذي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أبلّة برده مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتره أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار - يعني بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله -

وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف ، كان الخليفة يابسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيبة المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويبهر به الأبصار ، ويابسون السواد في أيام الجمع والأعياد ، وذلك اقتداء منهم بسيد أهل البدو والخضر ، ممن يسكن الوبر والمدر . لما أخرج البخاري ومسلم إماما أهل الأثر ، من حديث مالك عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المفقر . وفي رواية : وعليه عمامة سوداء ، وفي رواية : قد أرخى طرفها بين كتفيه ، صلوات الله وسلامه عليه

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبي بُرْدَةَ قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت : قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم فى هذين .

وللبخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا .

قلت : وهذه الأثواب الثلاثة لَا يُدْرَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا بَعْدَ هَذَا .
وقد تقدم أنه عليه السلام طُرِحَتْ تَحْتَهُ فِي قَبْرِهِ الْكَرِيمِ قُطَيْفَةٌ حَرَاءٌ كَانَ يَصَلُّى عَلَيْهَا ، وَلَوْ تَقَصَّيْنَا مَا كَانَ يَلْبَسُهُ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ لَطَالَ الْفَصْلُ ، وَمَوْضِعُهُ كِتَابُ الْإِبَاسِ مِنْ كِتَابِ الْأَحْكَامِ الْكَبِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ .

ذَكَرَ أَفْرَاسُهُ وَمَرَآكِبُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قال ابن إسحاق عن يزيد بن حبيب ، عن مَرْثَدَ بن عبد الله المزنى ، عن عبد الله ابن رَزِينَ ، عن على قال : كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْمُرْتَجِزُ ، وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ عُقَيْرٌ ، وَبَغْلَةٌ يُقَالُ لَهَا دُؤْدُلٌ ، وَسَيْفُهُ ذُو الْفِقَارِ ، وَدِرْعُهُ ذُو الْفُضُولِ .

ورواه البيهقى من حديث الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن على نحوه .

قال البيهقى : وروينا فى كتاب السنن أسماء أفراسه التى كانت عند الساعديين ، لَزَازَ وَاللَّحِيفَ وَقِيلَ اللَّخِيفَ وَالظَّرِبَ ، وَالَّذِى رَكِبَهُ لِأَبْنِى طَلْحَةَ يُقَالُ لَهُ الْمُنْدُوبُ ، وَنَاقَتُهُ الْقَصُوءُ وَالْعَضْبَاءُ وَالْجَدْعَاءُ ، وَبَغْلَتُهُ الشَّهْبَاءُ ، وَالْبَيْضَاءُ .

قال البيهقى : وليس فى شىء من الروايات أنه مات عنهن ، إلا ماروينا فى بغلته

البيضاء ، وسلاحه وأرض جعلها صدقة ، ومن ثيابه ، وبقلته ، وخاتمه ماروينا في هذا الباب .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا زَمْعَةُ بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله جبة صوف في الحياكة . وهذا إسناد جيد .

وقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا مجاهد ، عن موسى ، حدثنا علي بن ثابت ، حدثنا غالب الجزري ، عن أنس قال : لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لَيُنْسَجَ له كساء من صوف . وهذا شاهد لما تقدم .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا سعدان بن نصير ، حدثنا سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ ، عن الوائيد بن كثير ، عن حسين ، عن فاطمة بنت الحسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وله بُردان في الجف^(١) يُعْمَلَان . وهذا مرسل .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن بن إسحاق التستري ، حدثنا أبو أمية عمرو بن هشام الحراني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن علي بن عروة ، عن عبد الملك ابن أبي سليمان ، عن عطاء وعمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقببعتُهُ ، وكان يسمي ذا الفقار ، وكان له قوس تسمى السِّدَاد وكانت له كِفَانَةٌ تسمى الجمع ، وكانت له درع موشَّحة بالنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حَرَبَةٌ تسمى السَّقاء ، وكان له مِجَنٌّ يسمى الذقن ، وكان له تُرْسٌ أبيض يسمى الموجز ، وكان له فرس أدم يسمى السَّكْب ، وكان له سرج يسمى الداج ، وكان له بغلة شهباء يقال لها دُلْدُل ، وكانت له ناقَةٌ تسمى القَصْوَاء ، وكان له حمار يقال له : يَمْفُور ،

(١) وعاء من الجلود .

وكان له بساط يسمى السكر، وكان له تمر تسمى التمر، وكانت له زكوة تسمى الصادر، وكانت له امرأة تسمى المرأة، وكان له مقرض يسمى الجاح، وكان له قضيب شوحط^(١) يسمى المشوق .

قلت : قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك ديناراً ، ولا درهما ، ولا عبداً ، ولا أمة سوى بغلة وأرض جعلها صدقة ، وهذا يقتضي أنه عليه السلام نجز العتق في جميع ما ذكرناه من العبيد والإماء ، والصدقة في جميع ما ذكر من السلاح ، والحيوانات ، والأثاث ، والمتاع مما أوردناه وما لم نورد .

وأما بغلته وهي الشهباء ، وهي البيضاء أيضاً والله أعلم ، وهي التي أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية واسمه جريج بن ميناء فيما أهدى من التحف ، وهي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبها يوم حنين وهو في نحور العدو ينفو باسمه الكريم شجاعةً وتوكلاً على الله عز وجل ، فقد قيل : إنها عمرت بعده حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام خلافته ، وتأخرت أيامها حتى كانت بعد علي عند عبد الله بن جعفر فكان يحش لها الشعير حتى تأكله من ضعفها بعد ذلك .

وأما حماره يعفور ، ويصغر فيقال له عفير ، فقد كان عليه السلام يركبه في بعض الأحيان .

وقد روى أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن يزيد ابن عبد الله العوفي ، عن عبد الله بن رزين ، عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب حماراً يقال له عفير .

ورواه أبو يعلى من حديث عون بن عبد الله ، عن ابن مسعود .

وقد ورد في أحاديث عدة أنه عليه السلام ركب الحمار .

(١) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي .

وفي الصحيحين أنه عليه السلام مرّ وهو راكب حماراً بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ بن سؤل وأخلاقاً من المسلمين والمشرّكين عبدة الأوثان واليهود فزل ودعاهم إلى الله عز وجل ، وذلك قبل وقعة بدر ، وكان قد عزم على عيادة سعد بن عباد ، فقال له عبد الله : لا أحسن ما تقول أيها المرء ، فإن كان حقاً فلا تغشنا به في مجالسنا ، وذلك قبل أن يظهر الإسلام ، ويقال إنه تخّر أنفه لما غشيتهم عجاوبة الدابة وقال : لا تؤذنا بنتن حمارك .

فقال له عبد الله بن روضة : والله لريح حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب من ريحك . وقال عبد الله : بل يارسول الله اغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك ، فتشاور الحَيَّان وهما أن يقتتلا ، فسكنهم رسول الله .

ثم ذهب إلى سعد بن عباد فشكا إليه عبد الله بن أبيّ . فقال : ارفق به يارسول الله ، فوالذي أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق ، وإنا لننظّم له الخرز للملّكه علينا ، فلما جاء الله بالحق شَرِقَ بريقه .

وقد قدمنا أنه ركب الحمار في بعض أيام خيبر ، وجاء أنه أردف معاذاً على حمار . ولو أوردناها بالفاظها وأسانيدھا اطال الفصل والله أعلم .

فأما ما ذكره القاضي عياض بن موسى السبّتي في كتابه الشّفا ، وذكره قبلُ إمامُ الحرمين في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرهما أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمار يسمى زياد بن شهاب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجزيه إلى باب أحدهم فيُقَمِّقعه فيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبه ، وأنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه سُلالة سبعين حماراً كلّ منها رَكِبَهُ نبيٌّ ، وأنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فتردى في بئر فمات ، فهو حديث لا يُعرف له إسناد بالكلية ، وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم

وأبوه رحمهما الله ، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني رحمه الله يذكره غير مرة إنكاراً شديداً .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبري ، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا إبراهيم بن سويد الجذوعي ، حدثني عبد الله بن أذين الطائي ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخير حمار أسود فوقف بين يديه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن فلان ، كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فداكني رجل من اليهود ، فكنت إذا ذكرتك كبوتُ به فيوجعني ضرباً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت يعمور .
هذا حديث غريب جداً .

وإلى هنا تنتهي السيرة النبوية للإمام ابن كثير ، والحمد لله الذي أعان عليه ،
ويتلوها جزء مفرد في شمائل الرسول وخصائصه وفضائله ودلائل نبوته

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الصفحة
٣٠ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى	٣ سنة تسع من الهجرة
أ كيدر دومة	٣ ذكر غزوة تبوك في رجب منها
٣٢ انصراف الرسول إلى المدينة	٤ رواية ابن إسحاق
٣٣ دفن ذى الجحادين ودعاء الرسول له	٦ نفقة عمان في جيش العسرة
٣٤ المنافقون الذين هموا بقتل الرسول في	٨ فصل فيمن تخلف معذور امن البكائين
عودته من تبوك	وغيرهم
٣٨ قصة مسجد الضرار	١١ خروج رسول الله والمسلمين
٤٢ حديث كعب بن مالك	١٢ الرسول يخلف على بن أبي طالب
٤٨ ذكر أقوام تخلفوا من العصاة غير	١٣ خبر أبي خيثمة
هؤلاء	١٥ خبر أبي ذر
٥١ ذكر ما كان من الحوادث بعد	١٦ من معجزات الرسول في غزوة تبوك
رجوعه عليه السلام إلى المدينة	١٨ مروره عليه السلام بمساكن ثمود
منصرفه من تبوك	٢٣ خطبة الرسول إلى تبوك إلى نخلة هناك
٥٣ قدوم وفد ثقيف على رسول الله في	٢٦ ذكر الصلاة على معاوية بن أبي معاوية
رمضان من سنة تسع	- إن ضح الخبر -
٥٦ تأمير الرسول عثمان بن أبي العاص	٢٧ قدوم رسول قيصر إلى رسول الله
على ثقيف	بتبوك
٦١ هدم ربة ثقيف	٢٩ مصالحة الرسول ملك أيلة وأهل جرباء
٦٣ الكتاب الذي كتبه رسول الله لثقيف	وأذرح وهو نجيم على تبوك قبل رجوعه

الصفحة

- ١٢١ ضماد الأزدي
١٢١ وفد طي مع زيد الخليل
(١٢٣) قصة عدى بن حاتم الطائي
١٣٣ قصة دوس والطفيل بن عمرو
١٣٤ قدوم الأشعريين وأهل اليمن
١٣٥ قصة عمان والبحرين
١٣٦ وفود فروة بن مسيك المرادي
١٣٨ قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس
من زيد
١٤٠ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كنفدة
١٤٢ قدوم أعشى بنى مازن
١٤٤ قدوم سرد بن عبد الله الأزدي
١٤٥ قدوم رسول ملوك حمير
١٤٩ قدوم جرير بن عبد الله البجلي
وإسلامه
١٥٤ وفادة وائل بن حجر بن ربيعة أحد
ملوك اليمن على رسول الله
١٥٦ وفادة أقيط بن عامر بن المتفق
العقبلي
١٦١ وفادة زياد بن الحارث الصدائي
١٦٣ وفادة الحارث بن حسان البكري
١٦٥ وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل

الصفحة

- ذكر موت عبد الله بن أبي قبحه الله ٦٤
شعر لحسان بن ثابت يعد فيه غزوات
الرسول
بعث رسول الله أبابكر الصديق أميراً على
الحج سنة تسع ونزل سورة براءة.
أهم حوادث سنة تسع ٧٣
كتاب الوفود الواردة إلى رسول الله ٧٦
صلى الله عليه وسلم
أول من وفد على رسول الله صلى الله ٧٧
عليه وسلم
وفد بنى تميم ٧٩
مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان ٨١
بن ثابت
فضل بنى تميم ٨٧
وفد بنى عبد القيس ٨٧
قصة ثمامة ووفد بنى حنيفة ومعه ٩٢
مسيلة الكذاب
وفد أهل نجران ١٠٠
وفد بنى عامر وقصة عامر بن الطفيل ١٠٩
وأربد بن قيس
قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ١١٦
وافدا عن قومه بنى سعد بن بكر

الصفحة

- ٢٤٠ رواية ابن عباس للإفراد
 ٢٤٢ ذكر من قال إنه عليه السلام حج متمتعا
 ٢٥١ ذكر حُجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً وسَرَدَ الأحاديث في ذلك.
 ٢٥١ رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 ٢٥٣ رواية أمير المؤمنين عثمان وعلي
 ٢٥٥ رواية أنس بن مالك ، وذكر من رواه عنه من التابعين
 ٢٦٣ رواية جابر بن عبد الله
 ٢٦٥ رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري
 ٢٦٦ رواية سراقه بن مالك بن جعشم
 ٢٦٦ رواية سعد بن أبي وقاص
 ٢٦٧ رواية عبد الله بن أبي أوفى
 ٢٦٧ رواية عبد الله بن عباس
 ٢٦٨ رواية عبد الله بن عمر
 ٢٦٩ رواية عبد الله بن عمرو
 ٢٧٠ رواية عمران بن حصين
 ٢٧١ رواية الهرماس بن زياد الباهلي
 ٢٧١ رواية حفصة بنت عمر
 ٢٧٢ رواية عائشة أم المؤمنين

الصفحة

- ٢٠١ بعث على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن
 ٢١١ كتاب حجة الوداع في سنة عشر :
 ٢١٢ بيان أنه عليه السلام لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة ، وأنه اعتمر قبلها ثلاث عُمر
 ٢١٥ تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع
 ٢١٨ صفة خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة للحج
 ٢٢٩ بيان الموضع الذي أهل منه صلى الله عليه وسلم واختلاف الفاقين لذلك وترجيح الحق في ذلك
 ٢٣٦ بَسَطَ البيان لما أُحْرِمَ به صلى الله عليه وسلم في حجته هذه من الأفراد أو التمتع أو القران
 ٢٣٦ ذكر الأحاديث الواردة بأنه صلى الله عليه وسلم كان مُفَرِّداً
 ٢٣٦ رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك
 ٢٣٩ رواية جابر بن عبد الله في الأفراد
 ٢٤٠ رواية عبد الله بن عمر للإفراد

الصفحة

الصفحة

- | | | | |
|-----|---|-----|--|
| ٤٢٧ | سنة إحدى عشرة من الهجرة : | ٣٨١ | إفاضته صلى الله عليه وسلم إلى البيت العتيق |
| ٤٢٨ | استشعار النفوس بوفاته عليه السلام | ٣٨٦ | لم يُعد الرسول الطواف بين الصفا والمروة |
| ٤٢٩ | عدد غزوات الرسول | ٣٨٧ | رجوعه إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة |
| ٤٣٢ | عدد سراياه وبعوثه | ٣٨٨ | خطبة الرسول بمنى يوم النحر |
| ٤٤٢ | الآيات والأحاديث المُنذرة بوفاته رسول الله | ٤٠٠ | فصل فيما ورد من الأحاديث الدالة أن الرسول خطب الناس بمنى في اليوم الثاني من أيام التشريق |
| ٤٤٣ | كيف ابتدئ الرسول بمرضه الذي مات فيه | ٤٠٤ | إيراد حديث فيه أن الرسول كان يترور البيت في كل ليلة من ليالى منى |
| ٤٥٠ | حديث : هلموا أكتب لكم كتابا | ٤٠٥ | أسماء أيام الحج من ذى الحجة |
| ٤٥١ | تمسك أهل البدع بما توهموه من هذا الحديث | ٤٠٥ | نزول الرسول بالمحصب بعد نفر من منى |
| ٤٥٢ | ماذا كان يريد الرسول أن يكتب | ٤٠٨ | الخلافا في نزول المحصب : أسنة هو أم لا |
| ٤٥٣ | خطبة الرسول في مرضه وفضل أبي بكر | ٤١٢ | خروج الرسول من أسفل مكة |
| ٤٥٧ | اقتصاص الرسول من نفسه | ٤١٣ | استصحاب الرسول معه من ماء زمزم |
| ٤٥٩ | أمره عليه السلام أبا بكر الصديق أن يصلى بالصحابة أجمعين | ٤١٤ | فصل في إيراد الحديث الدال على |

الصفحة	الصفحة
٥٠٥	٤٦٧ تقديم الرسول لأبي بكر معلوم
٥٠٩	بالضرورة في دين الإسلام
٥١٧	٤٦٨ استدلال مالك والشافعي بصلاة
٥٢٢	الرسول قاعدا واقتداء أبي بكر
٥٢٧	به قائما ..
٥٢٩	٤٧٠ كيفية احتضاره ووفاته صلى الله
٥٣٧	عليه وسلم
٥٣٨	٤٧٩ ما حدث للصحابة من الدهشة بوفاته
٥٤١	٤٨٤ ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته
٥٤٣	وقبل دفنه .
	٤٨٦ قصة سقيفة بني ساعدة
	٤٩١ اعتراف سعد بن عباد بصحة ما قاله
	الصديق يوم السقيفة
٥٤٩	٤٩٦ إجماع الصحابة على تقديم أبي بكر
٥٥٢	٤٩٩ لم يوص الرسول لعلي بن أبي طالب
٥٥٤	٥٠٠ من ظن من الصحابة تقديم غير من
٥٥٦	قدم الرسول فقد نسبهم إلى الفجور
٥٦٠	٥٠١ مانسبه جهلة القصاص إلى الرسول
	من الوصية لعلي
٥٦٦	٥٠٢ حديث في نعي الرسول نفسه لأصحابه
٥٧٠	- إن صح -
	ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله
	وموافقهم على ذلك

الصفحة		الصفحة	
٧٠٣	ما جاء في ترك الخاتم	٦٩٢	العلاء بن الحضرمي
٧٠٧	ذكر سيفه عليه السلام	٦٩٤	العلاء بن عقبة
٧٠٨	سلاح النبي	٦٩٥	معاوية بن أبي سفيان
٧٠٩	ذكر نعله التي كان يمشي فيها	٦٩٨	أمناء الرسول
٧١١	صفة قدح النبي	٧٠٠	جملة الصحابة ، والخلاف في عددهم
٧١١	ما ورد في المسكحلة التي كان يكتبها	٧٠١	باب ما يذكر من آثار النبي ﷺ
	منها		التي كان يختص بها في حياته ،
٧١٢	البردة النبوية		من ثياب وسلاح ومراكب
٧١٣	ذكر أفراسه ومراكبه		وغير ذلك
		٧٠١	ذكر الخاتم الذي كان يلبسه

فهرس القوافى

(أ)

صفحة		
٥٢	خالد بن الوليد	جزاء
١٢٧	فروة بن مسيك	نساءها

(ب)

١٤٣	أعشى بن مازن	الذرب
٥٦٩	أبو بكر الصديق	النبي
٦٧٣	امراة حفظة بن الربيع	شاحب
١٨٤	—	بأقتابها

(ت)

١٧٥	محمد بن بشر بن معاوية	والبركات
١٣٣	أبو هريرة	نجت
٨٧	—	لضلت

(ج)

٤٣٨	العصماء بنت مروان	الخزرج
٦٣٨	حسان بن ثابت	الخزرج

(د)

٣١	بجير بن بجرة	هاد
٥٥٦	حسان بن ثابت	تهمد
١٧٨	—	المسجد
١٢٢	عامر بن الطفيل	منجد

صفحة		
٦٨٠	—	معرّد
١٧٥	قرة بن هبيرة	منفد
١١٢	لبيد بن ربيعة	ولد
١٣٨	عمرو بن معد يكرب	رشدّه
	(ر)	
١٣٩	عمرو بن معد يكرب	بثفر
١٨٥	—	بأكوارها
	(س)	
١٨٤	—	بأحلاسها
	(ع)	
٤٢	—	الوداع
٦١	—	الرضاع
٨١	حسان بن ثابت	تُدبّع
٨١	الزبرقان بن بدر	البيع
٤٣٧	أبو عفك	مجمعا
	(ق)	
٥١	العباس بن عبد المطلب	الورق
٦	الضحاك بن خليفة	أيرق
	(ل)	
٦٧٩	حسان بن ثابت	يعدل
٦٧	حسان بن ثابت	حصّلوا
	(م)	

صفحة		وأكرماً
١٤	أبو خيثمة مالك بن قيس	التمام
٦٥٦	—	العظام
٨٣	حسان بن ثابت	الحرم
٤٣٩	بعض بني حنيفة	المواسم
٨٢	الزبرقان بن بدر	
	(ن)	
١٤٠	عمرو بن معد يكرب	عياناً
١٣٧	فروة بن مسيك	بنت حينا
١٧٩	—	بناني
٤٣٨	أمامة المريدي	يمنى

مراجع التحقيق

- الاشتقاق لابن دريد تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الاكتفا في مغازي المصطفى للكلاعي مخطوط بدار الكتب
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٥ هـ .
أساس البلاغة للزمخشري طبعة دار الكتب
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر مطبعة السعادة
تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
تاريخ ابن عساكر (طبع دمشق)
تفسير ابن كثير طبعة عيسى الحلبي
تهذيب التهذيب لابن حجر طبع حيدر آباد
الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
الخصائص الكبرى للسيوطي طبع حيدر آباد
دلائل النبوة لأبي نعيم الطبعة الثانية بحيدر آباد
ذم الهوى لابن الجوزي بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٢ م
الروض الأنف للسهيلى المطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ
سنن أبي داود المطبعة القازية سنة ١٣٤٨ هـ
سنن ابن ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ الأبيارى والسقا وشلبى
شرح صحيح مسلم المطبعة المصرية سنة ١٣٤٨ هـ
شرح المواهب للزرقانى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٦ هـ

الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر
الشفاء للقاضي عياض المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ
صحيح البخارى المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ
صحيح مسلم طبعة عيسى الحلبي بإشراف الأستاذ فؤاد عبد الباقي
القاموس المحيط الطبعة الأميرية
الكنى والأسماء للدولابي طبعة حيدر آباد
اللباب في تهذيب الأنساب طبعة السعادة
لسان العرب لابن منظور الطبعة الأميرية
مرصد الاطلاع تحقيق الأستاذ على البجاوى
مسند أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر . والطبعة الأميرية
مشارا إليها في مواضعها .
المشتبه في الرجال للذهبي . تحقيق الأستاذ على البجاوى
معجم البلدان طبع أوروبا .
مكارم الأخلاق للخرائطى المطبعة السلفية
ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق الأستاذ البجاوى
النهاية في غريب الحديث لابن الأثير المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨
الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى بتحقيق مطبعة السعادة سنة ١٩٦٦

تصويبات

وما أثبتته عن صحيح مسلم ١٨١/٦	هامش	١٥٣
ط استامبول		
أبي رزّين	١	١٥٦
عاصم بن أبي النّجود	٢٠	١٦٣
تجيب	٢	١٨٧
حسان بن حوط	١٤، ١٢	١٧٩
النّخع	٧	١٨٢
الحيات : القويّات	هامش (٣)	١٧٥
جشعاً (١)	٤	١٩٣
فلما كان	١٥	٤٠٥
الحسين بن حُرَيْث	٢٠	٤١٨
فقال	١٣	٤٧٩
فانخث (٢)	٧	٤٩٩

خاتمة

إلى هنا ينتهى كتاب السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ، وهو قسم السيرة من كتابه « البداية والنهاية » الذى ثبت من كلام ابن كثير نفسه ، ومما ذكره أصحاب التراجم ، أنه كتاب مستقل ، كان يعرف باسم السيرة المطولة ، وله أيضا سيرة موجزة ، كما ذكر ابن كثير فى تفسير سورة الأحزاب .

وأود أن أشير هنا إلى ملاحظات تبدت فى خلال عملى فى إخراج هذا الكتاب ، إذ أن المقدمة قد كتبت عند طبع الجزء الأول ، وهى :

١ - كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير يورد فى أسلوبه بعض الكلمات التى قد تضع من قدر الأسلوب أو تحط من رتبته ، وذكرت لذلك بعض الأمثلة ، ورتبت عليها أن ابن كثير لم يكن ممن يحفل بهاء الأسلوب أو التفنن فى العبارات .

والحق أن ابن كثير ، كما يتبدى من خلال النظر فى أسلوبه جملة ، أدب رائق العبارة ، قوى الأسلوب ، وأن الألفاظ التى قد تعاب على أسلوبه ، ليست حكما فى ذلك ، فإن للكلمات أعمارا تاريخية ، فقد تبدو فى أجيال وتختفى أو تهمل فى أخرى ، والأذواق تختلف فى ذلك اختلافا كثيرا .

٢ - كما كنت قد أشرت فى المقدمة إلى أن ابن كثير قد أورد فى كتابه هذا الكثير من الأخبار الواهية ، وعبت عليه ذلك ، رغم أنه يبين رتبته ويشير إلى حالها . وهذا أيضا مما أستدركه هنا ، فقد كان على ابن كثير أن يزن بميزان الرواية كل التراث الذى انتهى إلى عصره ليفحصه ويكشف حقيقته ، وذلك منهاج مستقيم ، لا يفكره العلم ، وإن تأذى منه بعض الناس فى هذا العصر .

٣ - وفيما يتصل بمنهج التحقيق ، لم أكن أحفل بالفروق الخاطئة بين النسخ التي تنشأ عن التحريف الكتابي ، إذ ليس لها وزن على ، كذلك كنت أشير في الجزء الأول إلى أخطاء النسخة المطبوعة ، ثم أمسكت عن ذلك إذ ليس لذلك من فائدة ، ويكفي القارىء أن يعلم أن هذه المطبوعة لم تكن موثقة ولا متسمة بالتحقيق العلمى .

٤ - وقد يلحظ القارىء أنى لم ألتزم بتخريج الأخبار . أى الإرشاد إلى أماكن وجودها في الراجع ، وذلك أمر أشرت إليه في المقدمة ، فإن أخبار السيرة مشتركة بين عدد كبير من كتب الحديث والسيرة والشمال ، فاكتملت بالاطمئنان إلى صواب النص بعرضه على هذه المراجع ، ولم أشر إلا إلى أوجه الاختلاف أو التحريف في الأصل .

٥ - أما الفهارس المتنوعة فى رجاء أن أوفق فى طبعة تالية إلى استكمالها ، إذا اقتضت ظروف حاضرة الاختصار فيها على القليل .

٦ - لقد استغرق إعداد هذا الكتاب وإخراجه ثلاث سنوات كاملة ، وكان القصد منه أن يضع فى متناول الأمة الإسلامية أوثق مصدر وأشمل لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم . وحسبى فى ذلك هذه النية ، آملاً أن ينفع الله به ، وأن يسبغ علينا من رحمته وفضله له الحمد فى الأولى والآخرة ، نعم المولى ونعم النصير .

مصطفى عبد الواحد

القاهرة فى : { ربيع الآخر ١٣٨٦
يوليو ١٩٦٦ }